

قصة العرب

شَيْبٌ
خَدَمَ بَرَاءَتِي كَيْ تَرَى بَرَاءَتِي حُرِّ النَّفْسِ بَرَاءَتِي

卷之三

978



قصص العرب

تأليف

محمد حماد المولى على محمد الجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثاني



طبعة جديدة

بها إضافات قصص وفيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق

دار الجيـل

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُفَدِّمَةٌ

الطبعة الأولى

تُمدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصور العادات ، ورسم خَلجات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونُبِّل مقصدها ، وكرمت غايتها - تُهذِّب الطباع ، وتَرْفُق القلوب ، وتدفع الناس إلى المُثُل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُّ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومخلفات الرومان وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثروا عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين الخدّمين قد جعلوا نصيبهم من هذا الفن ، وعضوم حقهم في ذلك الباب ، وَوَصَّوهم بالخيال المقيم ، ونابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن للتصنيف منهم قد هالمهم هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكران ، فاعتزفوا للعرب بالنقص التي ترجوها عن الفرس والمندود ، وتزبدوا عليها في القاهرة وبنداد ، ومحمدوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عابهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن دى يزّن .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وُضعت فيها، وَرَسِمَتْ لِنَاصِيَةِ التي نبتت منها - كثير منها تافه الغرض مُبهم المقصد، ردى اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جُحْدٌ للآداب العربية فضلاً ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلقاء وسوامر الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء ؛ وماتت الناس أن يردوا شريعتها ، أو يحنوا أطايبها ، إلا ما مُنيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما اتقى منها وما شرده ، وألقنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ، جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طرفة إلى شبهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عرض شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعوالمهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكر لموانئهم وشمائلهم ، وما طعموا عليه من كريم الغرائز ، وحدة الذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سلمي المسكنة وعظيم المنزلة ، وما أثر عنهم من أخبار صوروا بها حبهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقهم الشريف ؛ ولم يخل كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ، ومطالبات ومناقلات ، وما قد رواه من أحوال العامة والملوك ، وطُرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيعرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم تنف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حديق مرسوم ؛ فبقيا اختارناه ما ذكروه من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصورين به المجالس والأشخاص ، وما صنوه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الغرض تنقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وانشراح الصدور

بمرض اللطائف مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .

ولعل القارىء يروقه ما تدسّس فيها من شريف الخصال فيحتذيه ، أو تعجبه كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بث فصيح الألفاظ ، وإحياء رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمه لمن يريد أن ينشئ قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من همنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف عبارات لا غناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف الثقب عن الماني ، وتراجم الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ، ومنهله عذباً ، وورده سائناً ، وطريقه سهلاً ممبداً .

ونسأل الله أن ينفع به ؛ على ما صدقنا في النية ورجونا من الخير ؟

المؤلفون

جاءت الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ
يولييه سنة ١٩٣٩ م

مقدمة الطبعة الجديدة

هذه هي الطبعة الخامسة من كتابنا « قصص العرب » تقدمه بمد أن نثقت
طبعته الرابعة .

وفي هذه الطبعة أضفنا إلى الكتاب بعض القصص الطريفة التي انتخبناها
في أثناء قراءتنا لكتب الأدب والتاريخ . وقد أردنا بذلك أن يكون للكتاب
مدد جديد يزيد من روعه ، ويبقى على جده .

أما الشرح والضبط فقد زدنا فيه لتقريبه إلى القراء جميعا ، ولينهل منه شبابنا
وناشتنا الذين ينشدون المورد الصافي للثقافة العربية ، ويودون لو عرفوا مصادر
هذه الثقافة ، وقرءوا من تراثها ما يشبع رغبتهم ، ويقوم على حياة أسلافهم ،
وأجداد عربتهم .

والله نأله التوفيق ، إنه سميع عجيب ؟

المؤلفون

شبان ١٣٩١ هـ
سبتمبر ١٩٧١ م

البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي نشرح ما أثرَ عنهم من عادات
وشمائل في الأسباب الدائرة بينهم ، وتبين ما انتهجوه
في مواسمهم وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم ، مما يمثل
حياتهم الاجتماعية أصدق تمثيل .

١ - شبَّ عمرو عن الطُّوق*

كان جَذِيمة^(١) الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يُعَذِّبُونَهُ؛
منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي، وكان له حظٌ من الجمال؛ قالت له رُقاش
أخت جَذِيمة: إِذَا سَقَيْتَ لَكَ فَسَكِرَ فَأَخْطِبْنِي إِلَيْهِ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ لَيْلَةً،
وألطفَ له في الخدمة، ولما أسرعَ الحمرُ فيه، قال له: سَلْنِي مَا أَحْبَبْتَ، قال:
أَسْأَلُكَ أَنْ تَزَوِّجَنِي رُقَاشَ أَخْطَك. قال: ما بها عنك رغبة، قد ضلَّ
فِيخْلُ بها، وأصبحَ في ثيابِ جُدُدٍ وطيب. فلما رآه جَذِيمةُ قال: يا عدى؛ ما هذا
الذي أرى؟ قال: زَوَّجْتَنِي أَخْطَك رُقَاشَ الباريحة، قال: ما ضلَّ أُمُّ وضع
يده في التراب، وجعل يضربُ بها وجهه ورأسه، وأقبل على رُقَاش فقال:
حدِّثْنِي وَأَنْتِ غَيْرُ كَذُوبٍ. أَمْجَرُ زَيْنَتِ أُمِّ بَهْجُونِ
أَمْ يَمْبَدٍ وَأَنْتِ أَهْلُ لَمْبَدٍ أَمْ بَدُونِ وَأَنْتِ أَهْلُ لَهُونِ
فَأَجَابَتْهُ رُقَاشُ:

أَنْتِ زَوَّجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أُدْرِي وَأَتَانِي التَّسَاءَ لِلزَّيْنِ
ذَاكَ مِنْ شُرَيْكِكَ لِلذَّامَةِ مِيرْقَا^(٢) وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَاللَّجُونِ^(٣)
فَأَطْرَقَ جَذِيمةُ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه، وخلق
بقومه وبإبلاده، فمات هناك.

* الأمثال: ٢ - ٧٥، الناموس المحيط - مادة طوق، بلوغ الأرب: ٢ - ١٧٧،
السودي: ١ - ٧٥

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التوتخية في العراق، عاش في الناحية عمراً طويلاً، وكان
يقال له الوضاح والأبرش لبرس فيه، وهو الذي جاء إلى الزبارة فقتله بأمر أبيها (٢) للذامة: الحمر.
وصرف: غير مزوج. (٣) اللجون: المنزل.

ثم ولدت رقائق غلاما ، فبها جذبة حمرا وتنبه ، وأحبّه حبّا شديداً . وكان جذبة لا يولد له .

فلما بلغ الثلامُ ثمانى سنين كان يخرج في علة من خدم الملك يحضون له السكّاء ، فكانوا إذا وجدوا كائةً خبيرا أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يجنى ، ويأتى به جذبة فيضعه بين يديه ، ويقول :

هنا جنّاي وخياره فيه إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيه

ثم إنه خرج يوما وعليه ثيابٌ وحلٌّ ، فاستطير وقُدّ زمانا ، وضربَ في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ماشاء الله .

ثم وجده مأكلا وعقيلَ ابنا فارح ، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهديا وتحت ، فبينما هما يوادٍ في السماوة انتهى إليهما عمرو بنُ عدى ، وقد عتَّ^(١) أظفاره وشعره ، فقال له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّوْحِيّةِ ؛ فلهيّا عنه ، وقالا لجارية ممها : أطمعينا فأطمعتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطمعني فأطمعته ، ثم سقتهما ، قال عمرو : استغنى . قالت الجارية : لا تُطعمُ^(٢) المبيدَ الكِرَاعَ فيطعم في القراع^(٣) .

ثم إنهما حملاه إلى جذبة فصره ، ونظر إلى فقى ماشاء من فقى افضنه وقبه وقال لهما : حكمتكما . فسألاه منامته ، فلم يزالا تديمينه حتى فرق الموت بينهما ؛ وبث حمرا إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثيابه ، وطلوخته طوقا كان له من ذهب ، فذراه جذبة قال : كبر عمرو عن الطوق^(٤) !

(١) عفا الشعر وغيره : كثر . (٢) ذهبت مثلا . (٣) الكراع في البر والنم كلوطيف في الفرس والبحير وهو مستنق الساق . والقراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلا ، يضرب للابس ما هو فوه .

٢ - الحديث ذو شُجُون*

كان لَصَبَةٍ بن أَدْرِ ابْنان ؛ يقال لأحدهما سَمْدٌ وللآخر سَعِيدٌ ؛ فَنَفَرَتْ إِبِلٌ
لَصَبَةٍ تَحْتَ اللَّيْلِ ؛ فَوَجَّهَ ابْنَيْهِ فِي طَلَبِهَا ؛ فَفَرَقَا . فَوَجَّهَهَا سَمْدٌ ، فَرَدَّهَا . وَمَعَى
سَعِيدٌ فِي طَلَبِهَا ؛ فَلَقِيَهِ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ - وَكَانَ عَلَى الْقَلَامِ بُرْدَانٌ - فَأَلَّهُ إِيَّاهَا ،
فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَتَلَّهُ ، وَأَخَذَ بُرْدِيَهُ .

فَكَانَ صَبَةً إِذَا أَمْسَى فَرَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَاقًا قَالَ : أَسْعَدُ أُمِّ سَعِيدٍ^(١) ؟
فَكُنْتُ صَبَةً كُنْتُكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ . ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ ؛ فَوَافَى عُكَاظًا ،
فَلَقِيَ بِهَا الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ ؛ وَرَأَى عَلَيْهِ بُرْدَى ابْنِهِ سَعِيدٍ ، فَزَفَّهَا ، فَقَالَ : هَلْ
أَنْتِ مُخْبِرِي ؛ مَا هَذَا الْبُرْدَانُ اللَّذَانِ عَلَيْكَ أ قَالَ : لَتَيْتُ غُلَامًا وَمُحَا عَلَيْهِ ؛
فَأَلَّهُ إِيَّاهَا فَأَبَى عَلَى قَتْلِهِ ؛ وَأَخَذَتْ بُرْدِيَهُ هَذِينَ .

قَالَ صَبَةً : بَسِيفُكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ أ قَالَ : فَأَعْطِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ
صَارِمًا ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ سَيْفَهُ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ هَزَّهُ ، وَقَالَ : الْحَدِيثُ^(٢)
ذُو شُجُون ؛ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : يَا صَبَّةُ ؛ أَفَى الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ قَالَ :
سَبَقَ السَّيْفُ الْمَذَلُ^(٣) !

* إِبِلَانٌ - مَادَّةٌ هَجَنٌ ، أَمْثَالُ الْيَمَانِيِّ : - ١٨٠ -

(١) نَعَبْتُ مَثَلًا ، وَضَرَبْتُ فِي النَّجَاحِ وَالْخِيَةِ . (٢) نَعَبْتُ مَثَلًا . (٣) الْمَذَلُ : الْوَرَمُ .

٣- جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتْبُكَ*

كان أحدُ ملوكِ خِمْيرٍ عَنيقًا على أهلِ مملكته، يَنْصِبُهُمُ أموالهم، وَيَسْلُبُهُمُ مافي أيديهم، وكانت الكهنةُ تُغَيِّرُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ، فلا يَحْتَلِ بِذَلِكَ.

وسمعت امرأته أصواتَ السُّؤَالِ؛ قالت: إني لأَرْحَمُ هؤلاء؛ لما يَقْتُوزِمن الجَهْدَ، ونحن في العيش الرغد، وإني لأَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يَصِيرُوا سَبَاعًا، وقد كانوا لنا أَتْبَاعًا؛ فردَّ عليها وقال: جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتْبُكَ^(١)!

فلبثَ بِذَلِكَ زَمَانًا، ثم أَغْرَازِمَ، فَضَنُوا، ولم يَقسِمَ فِيهِمْ شَيْئًا، فلما خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِأَخِيهِ - وهو أميرٌ - قد ترى ما نَحْنُ فِيهِ مِنَ الجَهْدِ، ونحنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ لَلْكَ مِنْكُمْ - أهلَ البيتِ - إلى غَيْرِكُمْ؛ فساعدنا على قَتْلِ أَخِيكَ، واجلسْ مكانه.

وكان قد عرفَ بَنِيهِ واعتداه عليهم؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ؛ فَوَثَرُوا عَلَيْهِ قَتَلُوهُ! فَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ جَذِيمَةَ - وهو مَقْتُولٌ - وقد سمعَ بقوله: جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتْبُكَ - فقال: ربما أَكَلَ الكَلْبُ مُؤَدَّ بِهِ إِذَا لم يَتَلَّ شَيْئًا!

● الأَثَال: ١ - ١٥٠

(١) مثل يضرب في مباشرة اللتام، وما يليق أن يمايلوا به.

٤ — عند جَمِينَةِ الخُبَرِ اليَقِينِ*

أحدث الأَخْسُ بنُ كعبٍ في قومه حَدَثًا ، نَفَرَجَ هَارِبًا ، فلقِيه الحَصِينُ بنُ عمرو الكلابي ، قال له : من أنت ؟ تَكَلِّمُكَ أُمُّكَ ! قال له الأَخْسُ : بل مَنْ أَنْتَ تَكَلِّمُكَ أُمُّكَ ! فردد هذا القول حتى قال الأَخْسُ : أنا الأَخْسُ بنُ كعبٍ ، فَأَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ ، وإلا أَهَنْتُ قَلْبَكَ بهذا السَّانِ . قال له الحَصِينُ : أنا الحَصِينُ ابنُ عمرو الكلابي .

قال له الأَخْسُ : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لِمَا يَخْرُجُ له القَتِيانُ . قال الأَخْسُ : وأنا خرجتُ لِمِثْلِ ذلك . قال له الحَصِينُ : هل لك أن تصاقدا أَلَا نَلْقَى أَحَدًا من عَشِيرَتِكَ أو عَشِيرَتِي إِلَّا سَلَبْنَاهُ^(١) ؟ قال : نعم . فصاقدا على ذلك ؛ وكلاهما فَاثَكُ يَمْدَرُ صاحبه !

فلقيا رجلًا فسلباه ، قال لهما : هل لكما أن تردَّا عليَّ بعضَ ما أَخَذْتُمَا مِنِّي وَأَدَلَّكُمَا على مَنْمَمٍ ؟ قالَا : نعم . قال : هذا رجل من لُحَمٍ ، قد قدم من عند بعض الملوك بمنمَمٍ كثير ، وهو خَلْفِي في موضع كذا وكذا . فردَّا عليه بعضَ ماله ، وطلبا اللُّحْمَ ، فوجداه نازِلًا في ظِلِّ شَجَرَةٍ وَقُدَّامَهُ طِطَامٌ وشرابٌ ، لَحْيَاهُ وحيها ، وعرض عليها الطِطَامَ ، فسكره كلُّ واحدٍ أَنْ يَنْزِلَ قَبْلَ صاحبه فينثك به ، فنزلا جميعًا ، وأكلا وشربا مع اللُّحْمِ .

* يجمع الأَمْثَالُ : ١ - ٤ - ٣٠

(١) سَلَبْنَاهُ : أَخَذْنَا مَالَهُ .

ثم إن الأحنس ذهب ليمض شأنه ، فرجع والخنسي يشحط في دمه ^(١) . قال
الجهني - وهو الأحنس - وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !
فككت برجل قد تحرمنا بعلامه وشرابه ، قال : اقص يا أبا جهينة ؛ فلهذا وشبهه
خرجنا . فسر يا ساعة وتحذنا .

ثم إن الحصين قال : يا أبا جهينة ؟ أتدري ماصلة وماصل ^(٢) ؟ قال الجهني :
هذا يوم شرب وأكل ؛ فكنت الحصين حتى إذا ظن أن الجهني قد نسي ما يراد به
قال : يا أبا جهينة ؛ هل أنت للطير زاجر ؟ قال : ماذا ؟ قال : ما تقول هذه الثقاب
الكسار ؟ قال الجهني : وأين تراها ؟ قال : هي ذئ ، وتطاول ورفع رأسه إلى السماء ،
فوضع الجهني بادرّة السيف في عنقه ، قال : أنا الزاجر والنحر واحتوى على
متاعه ومتاع الخنسي ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فر بيّطين من قيس يقال لها : مراح وأغار ، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين ،
قال لها : من أنت ؟ قالت : أنا صخرة أخت الحصين ، قال : أنا قتلتك . قالت :
كذبت ! ما مثلك يقتل مثله ، أما والله لو لم يكن الحي خلوأ ما تكلمت بهذا . فانصرف
إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جامع ، فوقف حيث يسمهم وقال :

وكم من صنمٍ وُردٍ ^(٣) هُموس ^(٤) أبي شبلينٍ مسكنهُ العرين
علوتُ بياض مَفْرِقَه ^(٥) بقضبٍ فأضحى في القلاة له سكونُ
وأضحت عِرْسُهُ ولها عليه - بُعِيدَ هُدُوهِ ليلُها - رنينُ
وكم من فارسٍ لا تَزْدَرِيه إذا شخصت لموقه العيون

(١) يشحط في دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويصرخ . (٢) الصلة : التامة ، والمصل : الظالم .

(٣) الورد : الأسد ، ولونه بين الكهيت والأشقر . (٤) الهُموس : اليعار باليل . (٥) أنرق :
وسط الرأس .

كصخرةٍ إذ تُسألُ في مراحٍ وأبحارٍ وعلمُها ظنونٌ
تسألُ عن حصينٍ كلِّ ركبٍ وعند جهينة الغلورِ اليقين
فمن يكُ سائلاً عنه فتدعى لصاحبه البيانُ للستين
جهينةٌ معشرى ومُرو ملكٌ إذا طَلَبُوا للمالِ لم يهونوا

٥ - يَحْمَى الصَّعَابُ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً*

تزوج أبو كبير^(١) المفلح^(٢) أم تَابَتْ شَرًّا^(٣) - وكان غلاماً صغيراً - فذكره،
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه، إلى أن ترعرع الغلامُ، قال أبو كبير لزوجته:
وَيْحَكَ، قد والله رابى أمرُ هذا الغلامِ، ولا آمنه. قالت: فأَجَلْ عليه
حتى تَقْتُلَهُ.

قال له ذات يوم: هل لك أن تنزو؟ قال: ذاك من أمري. قال: فامنع
بنا، نغربا غزيرين ولا زَادَ معهما، فإِذَا لَيْتَهُمَا ويومهما من الند، حتى ظنَّ
أبو كبير أن الغلامَ قد جاع. فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء، فلما
رأى نازحاً من بُد قال له أبو كبير: ويحك، قد جُفْنَا! فلو ذهبت إلى تلك النار
فالتفت لنا منها شيئاً!

* خزائن الأدب ٣ - ٤٦٧ (طبعة بولاق)، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٦٥٢، شرح ديوان

الجماعة: ١ - ١٩

(١) أبو كبير المفلح: اسمه طمر بن المليس. (٢) هو ثابت بن جابر، كان اسم العرب
وأحمرم وأكيدم، وكان أعدي رجل؛ ينظر إلى الغلباء فيبتغي على نظره أُنثى، ثم يمدو خلفه
فلا يخونه. وأخباره في هذا الباب كثيرة. توفي نحو سنة ٨٠ ق. هـ.

فغنى تَابَطْ شراً ، فوجد على النار رجلين من أَلْسَمَنْ يكون من العرب - وإنما أُرسله إليهما أبو كبير ليقتلاه - فلما رأياه قد غشي نارهما وتبأ عليه ، فرمى أحدهما وكثر على الآخر فرماه ، فقتلها ، ثم جاء إلى نارهما فأخذ الخبز منها ، فجاء به إلى أبي كبير ، فقال له : كل ، لا أشبع الله بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال : وَمَعَكَ ! أخبرني عن قصتك ، فأخبره ، فزاد خوفاً منه .

ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلاً ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر أي نصف الليل شئت تحرس فيه وأنا ثم ، وتنام النصف الآخر ، قال : ذلك إليك ، اختر أيهما شئت ، فكان أبو كبير ينأى إلى نصف الليل ويحرسه تَابَطْ شراً ، فإذا نام تَابَطْ شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوتق الثلاث .

فلما كان في الليلة الرابعة ظن أن الناس قد غلب على الغلام ، فقام أول الليل إلى نصفه ، وحرسه تَابَطْ شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستقل نوماً وتمكن في القروة : فلما ظن أنه استقل أخذ حصبة صغيرة ، فعذف^(١) بها ؛ فقام كقيامه الأول ، قال : ما هذا الذي أسمع ؟ قال : والله ما أدرى لعل بعض الإبل تتحرك ؛ فقام وطاف فلم ير شيئاً ، فناد فناد ، فأخذ حصاة أصغر من تلك ، فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه ، قال : يا هذا ؛ إني قد أنكرت أمرك ؛ والله لئن عدت أسمع شيئاً من هذا لأقتلك ! قال أبو كبير : فبت والله أحرص خوفاً أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلني !

فلما رجعا إلى حيثما قال أبو كبير :

ولقد سريت على الغلام بَنَشَمَ جَلَدٍ من التتيل غير منقل^(٢)

(١) حذف بها : رمى . (٢) اللطم : الذي لا يثني شيء . والجلد : القوي . وغير منقل : أي حين القبول بسبب إلى القلوب .

يَمْنُ حَلَنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبُّكَ التَّلَاقِ فَشَبَّ غَيْرُ مُهَبِّلٍ^(١)
 حَلَّتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْمُودَةٍ^(٢) كَرَمًا وَعَقْدَ نَطَاقِهَا لَمْ يُحَالِلِ
 فَأَنْتَ بِهِ حَوْشُ الْقَوَادِ مُبْطِنًا سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْمُوَجِّلِ^(٣)
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتُهُ يَنْزُو لَوْحَهَا طَمُورَ الْأَخِيلِ^(٤)
 وَإِذَا يَهْبُ مِنْ النِّفَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ يَزُمِّلُ^(٥)
 مَا لَمْ يَمْسِ الْأَرْضَ إِلَّا مَكْنَبُ مِنْهُ وَحُوفُ السَّاقِ طَى الْجَمِيلِ^(٦)
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ التَّجَاعَجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هَوَى الْأَجْدَلِ^(٧)
 وَإِذَا فَطَرْتَ لَهَا أُسْرَةَ وَجْهِهِ يَرَقَّتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ لِلْهَلَلِ^(٨)
 يَحْسِي الصَّعَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيمَةً وَإِذَا تَمَّ تَزَلُّوا فَاوَى الْعَمِيلِ^(٩)

(١) الضمير للنساء ، وإن لم يجر لمن ذكر ، وضم حلت منى حلتن تسمى بالياه ، وعوائد جمع عائدة ، والميك جمع حياك : وهو ما يقد به الطلاق . والطلاق شقة تليها للمرأة وتعد وسطها ثم ترسل الأمل على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . وللهبل القى يدعى عليه بقولم : حيلة أمه ، أى مكنته ، أو الكثير اللحم . والمعنى أن هذا الغلام حلت به أمه وهى متعبة من الخدمة فنفأ نحوذا مرضياً ، لم يدع عليه بالشكل والميل ، وهذا فى زعم العرب (٢) مزودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حلت منضبة . (٣) حوش القواد : ذك كيس ، والبطن : الخمس البطن . والسجد : قليل النوم ، والموجل : الثقيل الكسلان ، والأهوج : (٤) ينزو : يفتز ، والظهور : الرتب ، والأخيل : الفاحين ، وهو من الطيور الجارحة . (٥) رآيته : أى رأيته رتوبه ، ورتوب الكعب اتصا به ، والزمل : الضيف . والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه اتصّب كعب الساق . (٦) يقول : إله مدمج الملق إذا اضطلع لا يندب على الأرض ولا يتمكن منهم بأعضائه كلها . وإنما يمس الأرض بمسكه ، فهو فى ذلك مثل حالة اليف حين تلوى .

(٧) التجاعج : جمع فج وهو الطريق الواسع فى الجبل أو غيره . المعنى : التصد إلى أسفل ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أمت الجبل . والأجدل : الصخر . وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همه إذا تيطب به الصاب ذلها . (٨) الأسمرة : الخطوط التى فى الجبهة ، يقول : إذا فطرت فى وجهه رأيت أسرار بر وجهه تنفرق لإشراق الصاب للشفق بالبرق . يصفه بمسن البسر وطلالة الوجه . (٩) الميل : جمع حائل وهو التقيّد ، يصفه بأنه شجاع كريم .

٦ - تَابُطُ شَرًّا وَابْنُ بَرَّاقِ*

أغار تَابُطُ شَرًّا ومعه ابن^(١) بَرَّاقِ على بَيْمِلَةَ ، فأطردا لها نَمًا ، ونذرت^(٢) بهما بَيْمِلَةَ تَفْرِجَتْ في أَفْئِدَهما ، ومضيا هَارِبِينَ في جِبَالِ السَّرَّاءِ ، وركبا الْخَزْنَ ، وعارضتهما بَيْمِلَةُ في السَّهْلِ ، فسبقوها إلى الْوَهْطِ^(٣) ، فدخلوا لها في قِصْبَةِ الْعَيْنِ ، وجاما - وقد بلغ الْعَطَشُ مِنْهُمَا - إلى الْعَيْنِ .

فلما وقعا عليها ، قال تَابُطُ شَرًّا لابْنِ بَرَّاقِ : أَقُلْ من الشَّرْبِ فَإِنِّهَا لَيْلَةٌ طَرْدُ ، قال : وما بِدُرَيْكِ ؟ قال : والَّذِي أَعْدُو بَطِيرِهِ^(٤) ، إني لَأَسْمَعُ وَجِيبَ^(٥) قُلوْبِ الرِّجَالِ تَحْتَ قَدَمَيْ - وكان من أَسْمَعَ الْعَرَبِ وَأَكِيدَمَ - فقال له ابنُ بَرَّاقِ : ذاك وَجِيبُ قَلْبِكَ . فقال له تَابُطُ شَرًّا : وَاللَّهِ مَا وَجِبَ قَطُّ وَلَا كَانَ وَجِبًا ، وضرب يده عليه ، وأصاح نحو الْأَرْضِ يَسْتَعِ ، قال : والَّذِي أَعْدُو بَطِيرِهِ ؛ إني لَأَسْمَعُ وَجِيبَ قُلوْبِ الرِّجَالِ . فقال له ابنُ بَرَّاقِ : فَإِنِّي أَنْزِلُ قَلْبَكَ .

فَنَزَلَ فَبَرَكَ وَشَرِبَ ، وكان أَكَلُ الْقَوْمِ عِنْدَ بَيْمِلَةَ شَوْكَةً ، فَتَرَكُوهُ وَهُمْ فِي الظُّلْمَةِ . ونزل ثابت^(٦) ، فلما توسطَ لِلدَّاءِ وَثَبُوا عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْعَيْنِ مَكْتُوفًا ، وابنُ بَرَّاقِ قَرِيبٌ مِنْهُمْ لَا يَطْمَعُونَ فِيهِ لِمَا يَطْمُونُ مِنْ عَذْوِهِ . وقال لهم ثابت : إِنَّهُ مِنْ أَصْلَفِ النَّاسِ وَأَشَدُّهُمْ عَجَبًا بِعَذْوِهِ ، وسأقولُ له : اسْتَأْذِنْ^(٧) مِنِّي ،

* الأَثَنِيُّ : ١٨ - ٢١١ (طَبِيعَةُ السَّاسِيِّ) ، بُلُوغُ الْأَرْبَابِ : ٢ - ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن بَرَّاقِ (٢) تَدْرِيهِ : عِلْمُ (٣) الْوَهْطُ : دَاءٌ بِالطَّاءِ (٤) يقال : طِيرَ اللَّهُ لَأَطِيرَكَ أَيَّ فُلِهِ وَحَكَمَهُ (٥) وَجِبَ الْقَلْبِ : اضْطَرَبَ (٦) ثابت : اسم تَابُطُ شَرًّا (٧) اسْتَأْذِنَ : كُنِيَ أَسِيرًا .

(٢ - قصص العرب - ٢)

فسيدعوه عَجَبه بملوه إلى أن يمدّ بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق^(١) ؛ أولها كالريح الهابّة ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويمر . فإذا رأيتم منه ذلك تنفدوه ؛ فإني أحبُّ أن يصير في أيديكم كما حرتُ إخائي ، قلوا : فافعل .

فصاح به تائب شراً : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتنوا عليك وعلى ، فاستأسرُ ووأسنى بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براق ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأسرُ من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طاقٍ مثلَ الريح كما وصف لهم ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويمر ويقع على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن قسوا عنه شيئاً عدا تائب شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ براق قطع كتافه وأغلتاً جميعاً ، قتل تائب شراً قصيدته التافية في ذلك :

يا عيذُ مالك من شوقي وإبراق ومرّ طيفٍ على الأهوالِ طَراق^(٢)
بسرٍّ على الأيْنِ^(٣) والحياتِ محضياً فداؤك من ساري على ساقٍ

(١) الطاق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من مم أو شوق أو مرض ، ومالك من شوق : يمس ما يفتنك ، وإبراق : مصدر أرقه ، وطراق : أي يأتي ويطلق في الليل .
(٢) الأيْن : فكر من الحيات ، وعحف : حاف غير متصل .

٧ - أمتك بمائتي رجله *

كان النضر بن ماء الساء^(١) ينادمه رجلان من العرب : خالد بن الضَّلَل ،
وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلةً معهما ، فراجماه الكلام ، فأغضباه ،
فأمر بهما فقتلا وجُعِلَا في تابوتَيْن ، ودُفِنَا بظلم الكوفة .

فلما أصبح وصحاً سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى
وقف عليهما ؛ فأمر يئنياف الغريين^(٢) ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم
بؤس ، ويوم نسيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يومٌ نسيه فأولُ مَنْ يطلعُ عليه - وهو
على سريره - يعطيه مائةً من إبل اللوك ، وأولُ مَنْ يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه
رأسَ ظُرْبَانٍ^(٣) ويأمر به فيذبح ، ويُقرى بدمه الغريان .
فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص^(٤) ، فقال
له الملك : ألا كان الذَّيْجُ^(٥) غيرك يا عبيد ! فقال : أمتك بمائتي رجلاه .

فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناءه ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يمجنى

* مهذب الأذن : ٢ - ٢٠٧ ، بلوغ الأوب : ١ - ٢٢٨ ، ذيل الأمان : ١٩٩ (الطبعة الأميرية) ،
الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوروبا) .

(١) في كتاب المعارف أن الذي قتل عبيداً هو النهران بن النضر ، وهو صاحب التريين (راجع
صفحة ٢٨٣ ، وانظر القصة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب) (٢) الغريان : سبيا
بذلك لأنه كان يفرهما بدم من يخته يوم بؤسه (٣) دوية شبه الكلب أسم الأذنين طويل الخرطوم
متنال الرائحة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهل قدم من المصريين ، كان شاعر بني أسقفير مدافع
(٥) الذبيح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، قَالَ : حَالُ الْبَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ ^(١) ، وَبَلَغَ الْحَزَامُ الطُّبَّيْنِ ^(٢) ،
قَالَ : أَنَشَدْنِي :

أَقْرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ ^(٣) فَاتَّقَلِيَّاتٍ ^(٤) فَالَّذِ نُّوبٌ ^(٥)

قَالَ :

أَقْرَ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدٌ . قَالِيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ مِمْسَةٌ ^(٦) نَكُودٌ وَحَانَ لَهُ مَهَا وَرُودٌ .

قَالَ : أَنَشَدْنِي هِبْلَتَكَ أُمُّكَ ! قَالَ : لِلنَّيَا عَلَى الْحَوَايَا ^(٧) . قَالَ
بَعْضُ الْقَوْمِ : أَنَشَدَ لَكَ ؛ هِبْلَتَكَ أُمُّكَ ! قَالَ : لَا يَرُحِلُ رَحْلَكَ مِنْ
لَيْسِ مَمْلَكَ .

قَالَ لَهُ آخِرُ : مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ مِنَ اللَّوْتِ ! قَالَ :

لَا غَرْوَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَامِيَّتِهِ وَاحِدَةٍ .
فَأَبْلَغَ بَنِي وَأَعْمَامَهُمْ بِأَنَّ النَّيَا هِيَ الرَّاصِدَةُ
لَهَا مُدَّةٌ فَفُوسُ الْعِيَادِ إِلَيْهَا ، وَإِنْ كَرِهَتْ ، فَاصِدَةٍ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحِقَامِ دَنَا فَلَقِمَتِ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةِ

قَالَ لَهُ لِلنَّزْرِ : لَا بَدْءَ مِنَ اللَّوْتِ ! وَلَوْ عَرَضَ لِي أَبْنَى فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بَدْءًا
مِنْ ذَنْبِهِ . فَأَمَّا إِذْ كُنْتُ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ ، فَاخْتَرْتُ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ : إِنْ
شُتَّ مِنَ الْأَكْصَلِ ^(٨) ، وَإِنْ شُتَّ مِنَ الْأَبْجَلِ ^(٩) ، وَإِنْ شُتَّ مِنَ الْوَرِيدِ ^(١٠) .

(١) مَثَلُ يَضْرِبُ لِأَمْرِ يَهْوِي دُونَهُ غَائِقٍ . وَابْتَرِيضُ : النَّصْسُ . وَالْقَرِيضُ : الشَّرُّ (٢) مَثَلُ
يَضْرِبُ إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَتَغَالَمَ . وَالطَّبَّيْنِ : حُلَايَا الْقَضَرِ (٣) مَلْحُوبٌ : مَوْضِعُ
(٤) الْقَطْلِيَّاتِ : جَمْعُ قَطْلِيَّةٍ ، وَهِيَ مَا (٥) الْقَانُوبُ : مَوْضِعُ . (٦) أَصْلُ اللَّغَةِ : لِلْوَأْدِ
تَمَرُّضٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ (٧) الْحَوَايَا : كَمَا يَجْوِي حَوْلَ سَنَامِ الْبَيْرِ ثُمَّ يَرْكَبُ ، وَمَتَاهُ : قَدْ تَأَنَّى لِلْنِّبَةِ
الشَّجَاعُ وَهُوَ عَلَى سِرْجِهِ . (٨) الْأَكْصَلُ : عَرَقٌ فِي الْيَدِ (٩) الْأَبْجَلُ : عَرَقٌ غَلِيظٌ فِي الرَّجْلِ
أَوَّلُ الْيَدِ يَنْزِلُ الْأَكْصَلُ (١٠) الْوَرِيدُ : عَرَقٌ فِي الْبَطْنِ .

قتل : ثلاث خصال ؛ مَقَاتُلُهُمْ مَقَاتِدُ ، وحاديها شرُّ حاد ، ولا خيرَ فيها
لِمُرْتَادٍ ؛ فإن كنت لابد قاتلي فاستقي الخمر حتى إذا ذَهَلَتْ لما ذَوَّاهلي ، ومات
لما سَقَاهلي ؛ فثأنتك وما تريد !

فأمر للتندر له بمحاجة من الخمر ، فلما أخذت منه وقُرب لِيَذْبَح قال :
وخيرني ذو البؤس في يوم يُؤسه خِلَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا اللُّوتُ قَدْ بَرَقَ
كما خُبِرْتُ عَادَ من الدهر مرة سَحَابٌ مَا فِيهَا لَذِي خَيْرَةٍ أَتَقُ^(١)
سحاب ربيع لم تَوَكَّلْ ببلدة فَتَوَكَّلْهَا إِلَّا كَالِيَةِ الْمَلِكِ^(٢)
وأمر به فقصده ، فلما مات طُلِيَ بجمه الثريان .

(١) الأنيق : الإصباح بالعصا . (٢) الملك : سيرة الخليل لورد الحب ، وهو أن يكون بين الإبل
وبين الماء ليمان ؛ فاليّة الأولى يغلي الراعي إبله إلى الماء ويتركها مع ذلك ترضع وهو سير ليفتد ،
فهي ليّة الملك ، واليّة الثانية ليّة القرب ، وهو السوق الشديد .

٨ - السليك بن السلكة ورفيقاه *

كَانَ السُّلَيْكُ^(١) مِنْ أَشَدِّ رِجَالِ الْعَرَبِ وَأَنْكَرِهِمْ^(٢) وَأَشْرَمِهِمْ ، وَكَانَ أَدَلَّ النَّاسِ بِالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَالِكِيهَا ، وَأَشَدَّهُمْ عَذَؤًا عَلَى رَجُلِيهِ ، لَا تَمْلُقُ بِهِ الْغِيلَ ، وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَأَنْتَ مَا شِئْتَ لَأَشِئْتَ إِذَا شِئْتَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ كُنْتُ ضَعِيفًا كُنْتُ عَبْدًا ، وَلَوْ كُنْتُ امْرَأَةً كُنْتُ أُمَةً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَلِيَةِ ، أَمَا الْحَبِيَّةُ فَلَا هَيْبَةَ^(٣) .

ذَكَرُوا أَنَّهُ أَمْلَقُ^(٤) مَرَّةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ تَفْرَجُ عَلَى رَجُلِيهِ رَجَاءً أَنْ يَصِيبَ غِرَّةً مِنْ بَعْضِ مَنْ يَمُرُّ بِهِ ، فَيَذْهَبُ بِإِبْلِهِ ، حَتَّى أَمْسَى فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ بَارِدَةٍ مَقْمَرَةٍ ، فَاشْتَمَلَ الصَّهَاءُ^(٥) ، ثُمَّ نَامَ .

فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ جُمُ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَصَدَّ عَلَى جَنْبِهِ ، وَقَالَ : اسْتَأَسِرْ^(٦) الْفَرْخَ السُّلَيْكُ إِلَيْهِ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مَقْمَرٌ^(٧) ؛ فَجَلَّ الرُّجُلُ بِلَهْزِهِ^(٨) . وَيَقُولُ : يَا خَبِيثَ ، اسْتَأَسِرْ ، فَلَا آذَاهُ بِذَلِكَ أَخْرَجَ السُّلَيْكُ يَدَهُ ، وَضَمَّ الرُّجُلُ إِلَيْهِ ضَمَّةً مَرِخَ مِنْهَا ، وَهُوَ فَوْقَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ اقْضَرْتُ ،

* الألفاظ : ١٨ - ١٣٤ (طيبة الساسي) : الأمثال : ١ - ١٨

(١) كان السليك من تميم ، وأمه أمة سرحداء اسمها السلكة ، وهو من أشد رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن سديك سنة ١٧ ق هـ تقريباً (٢) النكارة : الدعاء . (٣) أي لا أهاب أحداً (٤) أملق : انقصر (٥) اشتمل الصها : اشتال الصها أن يرد فضلة توبه على عضدها يعني ثم يتنام عليها (٦) استأسر : كنز لي أسيراً (٧) ذهبت مثلاً ، وأقصر الرجل : ارتعب طلوع القمر (٨) يلهزه : يلكه .

قلت : لأخرجن فلا أرجعُ إلى أهلٍ حتى أستغنى فأتيتهم وأنا غنى . قال الرجل : انطلقِ معي .

فانطلق فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف^(١) ؛ جوف مراد ، فلما أشرُّوا عليه إذا فيه نم^(٢) قد ملا كل شيء من كثرتِه ، فهاجوا أن ينفروا فيطردوا^(٣) بعضها ، فبعضهم الطلب ، فقال لها سليك : كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء^(٤) ، فأعلم لكا علم الحى : أقرب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكا قولاً أوحى إليكما به فأغيروا .

فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل ينسقطهم^(٥) حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن علُّوا لم يدرُّوا ؛ فقال السليك للرعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غننا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبي ألا لا حَيَّ بالوادي سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذوادِ^(٦)
أنتظران قريباً ريثَ غفلكهم أم تملوان فإن الرِّيحَ للنادى
فلما سمعا ذلك أتيا السليك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصَّرخ^(٧)
الحى ؛ فأتوهم بالإبل .

(١) موضع يأرض مراد (٧) التمس : ولحد الأنعام ، وهي الإبل والشاء .

(٢) قال في اللسان : طردت الإبل : أى ضمتان من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه : عليه ليوح بما عنده (٦) أذواد : جمع ذود ، ثلاثة أمرة إلى عشرة (٧) الصرخ : السنين كالصارخ .

٩ - السُّلَيْكُ يَقْتُلُ وَيَنْهَبُ*

زعموا أن السُّلَيْكَ بنَ السُّلَيْكَةِ خرج يريد أن ينير في ناسٍ من أصحابه ؛
فرَّ على بنى شيبان ، في ربيع ، والناس مخصَّبون في عَشِيَةِ فيها ضباب ومطر ؛ فإذا
هو بيت قد اغرد عن البيوت عظيم ، وقد أُمسى .

قال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلمَّا أُصِيبُ
خيبراً ، أو آتَيْتكم بطعام . قالوا له : افعل .

فانطلق إليه وجنَّ عليه الليل فلما البت بيت يزيد الشيباني ، وإذا الشيخ
واسرائيل فناء البيت ؛ فاحتال السُّلَيْكُ حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم يلبث
أن أراح^(١) ابنُ الشيخ يابله في الليل ، فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت
عشيها ساعة من الليل ! قال ابنه : إنها أبتِ المشاء ! قال يزيد : إن العاشية
تهيجُ الآية^(٢) !

ثم هَضَّ الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتها ، وتبها الشيخ حتى
مالت لأذني روضة ؛ فرتمت فيها ، وقد الشَّيخ عندها بطنى ، وقد خنس^(٣) وجهه^(٤)
في ثوبه من البرد .

* الأشبال : ١ - ١٧٤

(١) الإراحة : رد الإبل والغنم من المشى إلى مراتها ، حيث تأوى إليه ليلاً ، وقد أراحها راعيها

(٢) أى إذا رأت النِّبْأَى الرَّمى الذى تحصى حاجتها للرَّمى ، فرمت بها .

(٣) خنس : قبض .

وتيمه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه مُتَمَتِّزاً^(١) ضربه من ورائه بالسيف ،
فأطارد رأسه ، وأطرد إبله .
وبقي أصحاب السليك - وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه ، فلذا به يُطْرَد
الإبل ، فأطردوا معه !

١٠ - السخى المداء *

قال رجل من بني تميم :
كنت عند للهجر بن عبد الله وإلى اليمامة ؛ فأتني بأعرابي قد كان معروفاً
بالسرق^(٢) ؛ قال له : أخبرني عن بعض مجائبك . قال : إنها كثيرة ، ومن
أعجبها :

أنه كان لي بعير لا يسبق ؛ وكانت لي خيل لا تلتحق ، فكنت لا أخرج
فأرجع خائباً ، ففرجت يوماً ، فاحترشت^(٣) صَبًا ، فسلقته على قتي^(٤) ، ثم
مررتُ بخيلاء سري^(٥) ليس فيه إلا هجوز ، قلت : أخلق بهذا الخيلاء أن يكون له
رائحة من غنم وإبل ، فلما أُمسيت إذ بإبل مائة ، فيها شيخ عظيم البطن ،
مُتَدَنٍّ^(٦) اللحم ، ومعه عبد أسود وغد^(٧) .

(١) احترز : تمس .

• عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرقة : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) القتب : الإكلاف الصغير على لدر
سنام البعير (٥) السرى : من له مروة في شرف (٦) شغل اللحم : كثيره (٧) الوغد :
الذي لا يخدم بيطنه .

فلما رأى رجب بنى ، ثم قام إلى ناقته فاخْتَلَبَهَا ، ونالواى الثُّلُبة فشرب ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ، فضرب به جَبْهَتَهُ ، ثم اخْتَلَبَ تِسْعَ أَثْنَيْنِ ، فشرب ألباسين ثم نحر حُورًا^(١) فطَبَخَهُ ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وخبثًا كومة من بِلْعَاءِ^(٢) وتوسدعا ، وغط غليظ البَكر .

قلت : هذا والله النسيمة ! ثم قتل إلى فَحْلٍ إليه فخطمته^(٣) ، ثم قرنته إلى بيمرى ، وصيحتُ به ، فاتبعنى الفحل ، واتبعته الإبل ، فسارت خلفى كأنها جبل ممدود ، فضيتُ أبادر ثنيةً بينى وبينها مسيرة ليلة للسرّيع ، فلم أزل أضرب بيمرى بيدي مرة ، وأقرعُه برجلي أخرى ، حتى طلع الصبح .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سَوَادٌ ، فلما دَنَوْتُ إذا أنا بالشَّيخ قاعداً وقوسه في جِجْرِهِ ، قال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخر نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهبا كان فصله لسان كلب ، ثم قال : أبصير بين أذنى الضب ، ثم زماه فصدع عَظْمَهُ عن حملغه ، وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأى الأول ! قال : انظر هذا السهم الثانى فى قَرَّةٍ ظهره الوسطى ! ثم رمى به ؛ فكأنما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستبث . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عُسْكوة^(٤) ذَنَبِهِ ، والرابع والله فى بَلَنِكَ . ثم رماه فلم يخطئه العُسْكوة ، قلت : أنزل آمنًا ؟ قال : نعم ، فنزلت ؛ فدفعت إليه عظام فحلّه ، وقلت : هذه إليك لم ينهب منها وبرة - وأنا أنتظر متى

(١) الحوراء : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . (٢) البِلْعَاء : سيل واسع فيه دفاق الحمى

(٣) خطمه : وضع فيه الحطام : وهو ما وضع فى آف البعير ليقاد به .

(٤) العُسْكوة : أصل الذئب .

يرمى بهم ينتظم قلبي. فلما نتجيت قال لي : أقبِلْ ، فأقبلتُ والله خوفاً من شره ،
لا طمعاً في خيره .

قال : أي هذا ؛ ما أحسبك جِئْتَ اللّيلةَ ما جِئْتَ إلا من حاجة . قلت :
أجل ! قال : فاقْرَأْ^(١) من هذه الإبل بغيرن وامضِ لَطِيئَتِكَ^(٢) ، قلت : أما والله
حق أخبرك عن هسك قبل !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرايا قط أشدَّ ضرراً ، ولا أعدى رجلاً ، ولا أرمى
يلاً ، ولا أكرم غزواً ، ولا أسخى نفساً منك !

(١) اقْرَأْ : اربطها ، واجعلها سا .

(٢) لَطِيئَتِكَ : لقصدك .

١١ - زَيْدُ الْخَيْلِ ^(١)

أخبر شيخ من بني تَهان قال :

أصابني بني شيبان سنةً ذهبت بالأموال ؛ ففرج رجلٌ منهم بِيَالِه حتى
أنزلهم الحيرة ، فقال لهم : كونوا قريباً من الملك يُصَبِّحكم خيرُهُ حتى أُرْجِعَ إليكم ،
وَأَلَى أَلْيَةٍ ^(٢) ؛ لا يرجع حتى يكسبهم خيراً أو يموت .

فنزود زائداً ثم مشى يوماً إلى الليل ، فلذا هو بمُهْرٍ مقيد ، حول خِيَاه ، قال :
هذا أولُ التَّنيمة ، وذهب بحمْلِهِ وبركبه ، فنودي : خلُّ عنه واغْنم نفسك . فتركه .
ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَمَلَن ^(٣) إبل مع نطفيل ^(٤) الشمس ، فلذا
خِيَاه عظيم وقِيَّة من آدم ، قال في نفسه : ما لهذا الغلباء بُدٌّ من أهل ، وما لهذه القبة
بُدٌّ من رَبٍّ ^(٥) وما لهذا المَطْن بُدٌّ من إبل . فنظر في الغلباء فلذا شيخٌ كبير قد
اختلفت قَرَفَاتُهُ كأنه نَسْر .

قال : جلست خلفه . فلما وجبت ^(٦) الشمس إذا فارس قد أقبل لم أرَ فارساً
قط أعظم منه ، ولا أجسم ، ومعه أسودان يمشيان جنبيه ، وإذا مائة من الإبل مع

• الألفاظ : ١٦ - ١٧ (طبعة الساسي) .

- (١) هو زيد بن مهمل ، كان فارساً مشهوراً مظهرًا شجاعاً بيد الصوت في الجاهلية ، وكان شاعراً
عسناً خطيباً لئلاً كريماً ، وأدرك الإسلام ، ووجد إلى النبي صل الله عليه وسلم سنة مع ، وسرَّ به
وقرظه وسماه : زيد الخير . وسمى في الجاهلية يزيد الخيل لكثرة خيله . توفي سنة ٩ هـ .
- (٢) أي إلى ألية : حلب بيتاً (٣) الطن : مبرك الإبل (٤) نطفيل الشمس : ميلها لتقرب
(٥) رب : صاحب (٦) وجبت الشمس : مالَتْ لتقرب .

فَحَلَبَهَا ، فَبَرَكَ النَّعْلُ ، وَبَرَكَتْ حَوْلُهُ ، وَنَزَلَ الْقَارَسُ ، قَالَ لِأَحَدِ عِبْدَيْهِ : احْلُبْ
الْقُلَانَةَ^(١) ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، حَلَبَ فِي عُسْرٍ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ،
وَتَنَحَّى ، فَكَرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ سَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ^(٢) ، فَفُتِرَتْ إِلَيْهِ فَشَرِبَتْهُ ، فَرَجَعَ
إِلَيْهِ الْعَبْدُ قَالَ : يَا مَوْلَايَ ؛ قَدْ آتَى عَلَى آخِرِهِ . فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبْ الْقُلَانَةَ ،
حَلَبَهَا ؛ ثُمَّ وَضَعَ الْمُسَّ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، فَكَرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَفُتِرَتْ إِلَيْهِ
فَشَرِبَتْ نَفْسَهُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ آتَى عَلَى آخِرِهِ فَأَتَاهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لَوْلَاهُ :
قَدْ شَرِبَ ، قَالَ : دَعَهُ .

ثُمَّ أَسْرَبَتْهُ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعَبْدَاهُ . فَأَمَلَتْ
حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعَتْ النَّطِيطَ^(٣) ثَوَّتْ إِلَى النَّعْلِ ، خَلَّتْ عِقَالَهُ وَرَكِبَتْهُ ، فَانْدَفَعَ فِي
وَتَبَعَتْهُ الْإِبِلُ . فَشَبِثَتْ لِيَلْبِثِي حَتَّى الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَظَرَتْ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَسَلَتْهَا سَلًا عَنِيْفًا ، حَتَّى قَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ
الْتَفَتَتْ الْغَنَاءَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَأَنَّهُ طَائِرٌ ، فَازَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنَتْهُ ، فَإِذَا هُوَ قَارَسٌ
عَلَى فَرَسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ ؛ فَفَلَّتْ النَّعْلُ ، وَثَلَّثْتُ كُنَاتِي ، وَوَقَفْتُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْإِبِلِ ، قَالَ : احْكُلْ عِقَالَ النَّعْلِ . فَكَلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَلَقْتَ نَسِيَّاتٍ
بِالْحَيَرَةِ ، وَأَلَيْتَ أَلِيَّةً لَا أَرَجِعُ حَتَّى أَفِيدَعْنَ خَيْرًا أَوْ أَمُوتَ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَكَيْتٌ ؛
حَلَّ عِقَالَهُ لَا أَمَّ لَكَ أَفَلَتَ ؛ مَلَعُوا إِلَّا مَا قَلَّتْ لَكَ . قَالَ : إِنَّكَ لَمُرُورٌ ، انصَبْ لِي
خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَسَّ عُسْبَرٍ^(٤) ؛ فَفَلَّتْ ، قَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضَعَّ سَهْمِي ؟
فَقَلَّتْ : فِي هَذَا الْوَضْعِ . فَكَأَنَّمَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

(١) القُلَانَةُ : كِتَابَةٌ مِنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ (٢) نَزَعَ : انْتَهَى (٣) غَطِيطُ النَّامِ : نَحِيْهِ .

(٤) الْبَجَرَةُ : الْبَقْدَةُ .

ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخس بخمسة أسهم ، فرددت نَبْلِي^(١) ، وحططت قوسى ، ووقفت متعلما ؛ فدنا منى وأخذ السيف والقرص ثم قال : ارتدِفْ^(٢) خنْئى ، وعرف أئى الرجل الذى شربت اللبن عنده ؛ فقال : كيف ظنك بى ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من نسب ليلتك وقد أغفرك الله بى . قال : أترانا كنا نبيحك وقد بت تنادم مهلهل^(٣) ؟ قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، قلت : كُنْ خَيْرَ آخِذ . قال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذى كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لى لَسْتُ بِإِليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقم على فإنى على غارة .

فأقت أليما ، ثم أغار على بنى نمير فأصاب مائة بعير ، قال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دُونَكها^(٤) ، وبث معى خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بى الحيرة ، فلقينى نَبْلَى^(٥) قال : يا أعرابى ، أيسرك أن لك بإهلك بستانا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُربُ نَحرٍ يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدهم ليجتاح البستان من هذه البساتين بئس بعير .

قل : فاحتملت بأعلى حتى انتهيت إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسكننا ، وما مضت أيام حتى اشتريت بئس بعير من إبل بستانا بالحيرة .

(١) النبل : السهام المرية ، ولا واحد لها (٢) الارتدِف : الركب خلف الراكب

(٣) مهلهل : أبيض زيد الخيل . (٤) دُونَكها : خلفها .

١٢ — وأد البنات *

روت الرواة أن صمصمة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال : يا رسول الله ؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفسي ذلك اليوم ؟ قال : ما عملك ؟ قال : أضللت^(١) ناقتين عسراوين^(٢) ، فركبتُ بهما ومضيت في بئسهما ، فوضع لي بيت حريد^(٣) ، فقصده ؛ فإذا شيخ جالس غناء الغار ، فأسأله عن الناقتين ، فقال : ما نزلهما^(٤) ؟ قلت : يئس من دارم ، فقال : ما عندي ، وقد أحيا الله بهما قوماً من أهلك من حضّر ؛ فلبستُ معه لتُخرّجا إليّ ، فإذا عجوز قد خرجت من كسر البيت ، فقال لها : وضمت ؟ فإن كان سقياً^(٥) شاركنا في أموالنا ، وإن كانت حائلاً^(٦) وأدناهما . قالت العجوز : وضمت أنتي ، قلت : أتبيها ؟ قال : وهل تبيع العرب أولادها ؟ قلت : إنما أشتري منك حياتها ، ولا أشتري رقبها . قال : فبكم ؟ قلت : احتككم . قال : بالناقتين والجل . قلت : ذلك لك ، هل أن يبلغني الجبل وإيها . فقبل .

فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة في العرب ، هل أن أشتري كل موعودة بناقتين عسراوين وجل ، ففندي إلى هذه الناية ثمانون ومائتا موعودة ، قد أخذتها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفتك ذلك ؛ لأنك لم تتع به وجه الله ، وإن تمل في إسلامك عملاً صالحاً تنب عليه .

* الكامل للبرد : ١ - ٢٨٩ ، أمثال لليداني : ١ - ٣٨٩

(١) أضللت : صادتها ضالتيين (٢) عسراوين : العسراء : الناقة التي قد أتى عليها منذ حلت عشرة أشهر (٣) بيت حريد : مجتمع عن الناس (٤) ما نزلها : ما وسعها (٥) السق : الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل : الأتي من أولاد الأبل ساعة توضع .

١٣ - أعجب السرقات*

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالك بن^(١) الربيع وأبو حردبة وشطاط يومًا ، فقالوا : تمالؤا ! تصحط بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، قال أبو حردبة :

أعجب ما صنعت وأعجب ما سرتُ أني صِبتُ رقةً ، فيها رجلٌ على رَحْلِ فأعجبني ، قلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَه ، ثم لا رُميتُ أو أخذ عليه جِمالَه^(٢) .

فرمته حتى رأيته قد خَفَقَ^(٣) برأسه ، فأخذتُ بخِطام^(٤) جِملِه فشدته ، وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صيرته في مكان لا ينال فيه إن استنات أنفتُ البعير وصرعته ، فأوقفتُ يديه ورجليه وقذتُ الجمل فتيته ، ثم رجعتُ إلى الرقة ، وقد قدنوا صاحبهم فهم يترجعون^(٥) ، قلت : ما لكم ؟ قالوا : صاحبٌ لنا قد ناه ؛ قلت : أنا أعلمُ الناسُ بأثمه ؛ فجعلوا لي جِمالَه ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقنوا

* الأغانى : ١٩ - ١٦٣ (طبعة الساسي)

- (١) هو مالك بن الربيع كان من أهل العرب وأبينهم ، ومرو به سميده بن عثمان بن عفان - للأولاد معاوية خراسان ، ومالك بن ثمر من أصحابه - فقال له : ويحك يا مالك ! ما اتقي يدعوك إلى ما يهلكك من البلاء وقضى الضريق ؟ قال : أملك الله الأمير ؛ البجز عن مكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيك واستصحبك أحكف عما تفعل ؟ قال : نعم أكتب كآحسن ما كتب أحد . فاستصحبه وأجرى عليه خيالة دينار ، وكان معه حتى جل خراسان ، ثم مكث مالك بخراسان حتى مات هناك
- (٢) الجِمالَة : ما يفرس على الدمل (٣) خفق برأسه : نام (٤) الخِطام : الزمام
- (٥) استرجع عند اللصية : قال إننا قد وئنا إليه راجعون .

عليه قالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَسْتُ ، فاقْبَتُ عَظِيمَ فَرَسًا قَدْ أَخَذُونِي ؛
فَتَأْتِيهِمْ فُضْلُونِي !

قال أبو حَرْدَبَةَ : لِمَ أَضْحَكُ مِنْ كَذْبِهِ ، وَأَعْطُونِي جِمَاطِي ، وَذَعِبُوا
بِصَاحِبِهِمْ .

وَأَعْجَبَ مَا مَرَقَتْ : أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِمَّنْ نَاقَةٌ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَى النَّاقَةِ ، فَضَلَّتْ :
لَاخِذَتُهُمَا جَمِيعًا ، لِمَ أَضْحَكُ مِنْ كَذْبِهِ قَدْ خَفِيَ بِرَأْسِهِ ، فَذُرْتُ فَأَخَذْتُ الْجِلَّ
خَلْفَتَهُ وَسَقَتُهُ ، فَتَبَيَّنَتْ فِي الْقَصِيمِ ^(١) ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرَجَلَهُ ، فَزَلَّ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ ،
وَمَضَى فِي طَلَبِ الْجِلِّ ، وَذُرْتُ ؛ فَخَلَّتْ عَقَالُ نَاقَتِهِ ، وَسُقَّتْهَا !

فَقَالُوا لِأَبِي حَرْدَبَةَ : وَيْحَكَ ! لِمَ تَكُونُ هَكَذَا ؟ قَالَ : اسْكُنُوا فَكُنَّا نَكْمُ بِ
قَدْ تَبَيَّنْتُ ، وَاشْتَرَيْتُ فَرَسًا وَخَرَجْتُ ، فَبَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ جَاءَنِي سَهْمٌ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ
رِشَاءً ^(٢) ، فَوَقَعَ فِي نَحْرِي فَتُ شَهِيدًا .

قال الراوي : فَكَانَ كَذَلِكَ ؛ تَابَهُ وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ ، فَلَشَرَى فَرَسًا ، وَغَزَا الرُّومَ
فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي نَحْرِهِ ؛ فَاسْتَشْهِدَ !

ثُمَّ قَالُوا لِنَشْطَاطٍ : أَخْبَرَنَا أَنْتَ يَا عَجِبَ مَا أَخَذْتَ فِي لَصُوصِكَ وَرَأَيْتَ فِيهَا !
قَالَ : نِمَ ، كَانَ فُلَانٌ (رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ) لَهُ بَنَاتٌ عَمُّ ذَاتُ مَالٍ كَثِيرٍ ، وَهُوَ
وَلَيْهَا ، وَكَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ ، فَأَبَتْ أَنْ تَزَوِّجَهُ ، خَلَفَ الْإِيزُوجَهَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ رَأْسِهَا ،
وَكَانَ يُخْطِبُهَا رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَأَبَى أَنْ يَزَوِّجَهَا مِنْهُ ، ثُمَّ إِنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ
جَئَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْبَصْرِ ^(٣) مَاتَ ، فَدَفَنُ بِرَابِيعَةٍ وَشِيدَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَتَزَوَّجَتِ الرَّجُلَ
الَّذِي كَانَ يُخْطِبُهَا .

(١) القصيم : الموضع الذي كانوا يسرقون فيه . (٢) الرشاء : رَسَنُ الْبَلَدِ . (٣) البصر :
مكان على مرحلة من البصرة .

قال شفاظ : وخرجت رَهَقَةً من البصرة معهم بَرَكًا ومتاع ، فبهرتهم وما معهم وانبتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بَيْتُهُمْ ^(١) وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجردوني ، وذلك في ليلة قَرَّة ^(٢) ، وسلبوني كل قليل وكثير ؛ فتركوني عُرْياناً وتماوتُ لهم ، وارتمل القوم ، قلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه فزعت لوحاً ثم احضرت فيه سَرَباً ^(٣) ؛ فدخلت فيه ؛ ثم سَدَدْتُ عَلَى اللوح ، قلت : لئلي الآن أدفا فأتبهم .

ومر الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرَهَقَةِ . فر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه : والله لأأزرن إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن فلانة !

قال شفاظ : ضرفتُ صوته فقلت اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلت : بلى ورب الكعبة لأحميها ، فوقع والله منشياً عليه لا يتحرك ولا يقبل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب وتقدّر كان معه ، ثم وجهتها قَصْدَ مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوتُ بها ؛ فكنتُ بعد ذلك أسممه يحدث الناس بالبصرة ويحلفُ لهم أن الليث الذي كان منه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره ، والناسُ ينجبون منه ؛ فعاقلهم يكذّبه ، والأحق منهم يصدقه ، وأنا أعرف التهمة فأضحك منهم كالنصيب !

قالوا : فردنا . قال : فأنّا أزيدكم أحجب من هذا وأحق من هذا : إني لأمشي في الطريق أبغى شيئاً أسرقه فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينسام من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حمار له ،

(١) بيت فلان بلى فلان : إذا كان ليلاً ، فكسبهم وهم غرون . (٢) ليلة قرة : باردة .

(٣) السرب : بيت في الأرض .

قالت له : أسمع ! قل : نعم . قالت : إن نقيير الذي تريد أن تحيله يُخسفُ
بالدواب فيه ، فاحذره . فلم ياتفت إلى قولى ، ورمقته حتى إذا نام أقبلت على حجره
فدَسَّقَتْهُ ، حتى إذا برَزَتْ به قطعت طَرْفَ ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمارَ نَفْيَانَهُ ،
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمارَ ويَقْنُو أثره ؛ فبينما هو كذلك
إذ نفر إلى طَرْفِ ذنبه وأذنيه ، فقال : لِمَ بَرَى تَقْدَحُ دُرَّتْ لَوْ نَفَعَى الحمارُ ؛ واستمر
هارباً خوف أن يخسف به . فَخَذْتُ جَمِيعَ مَا بَقِيَ مِنْ رَحْلِهِ فَمَلَأْتُهُ عَلَى الحمارِ !

بأمير . قلت : قَتَنٌ هو ؟ قال : عَرُوسٌ ^(١) . قلت : وائسكل أمه ! الرَّبُّ عروس رآته بالبادية أهون على أمه من هنة ^(٢) !

فلم أنسب ^(٣) أن دخل رجالٌ يحلون آفات ^(٤) مَدَوَّرات ، أمّا ما خفّ منها فَيَحْمَلُ سَحْلًا ، وأما ما كَبُرَ وَثَقُلَ فَيُدْحَرَجُ ، فَوْضِعَ ذَلِكَ أَمَلَنَا ، وَتَحَلَّقَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ حَقْلًا ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِحَرَقٍ بِيضٍ فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَظَنَنْتُهَا ثِيَابًا ، وَهَمِمْتُ أَنْ أَسْأَلَ الْقَوْمَ مِنْهَا خَرْقًا أَرْقُعُ بِهَا قِمِيصِي ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسَجًا مَتَلَحِّجًا ، لَا يَبِينُ لَهُ مَدَنِي وَلَا أَلَمَةٌ ^(٥) ؛ فَلَمَّا بَسَطَهُ الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُوَ بِتَمَرَقُ سَرِيحًا ، وَإِذَا هُوَ فِيهَا زَهْوًا صِيفٌ مِنْ انْبِلَازٍ لَا أَعْرِفُهُ .

ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ كَثِيرٍ بَيْنَ حُلُوٍّ وَحَامِضٍ ، وَوَحَارٍ وَبَارِدٍ ، فَكَثُرَتْ مِنْهُ ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا فِي عَقِبِهِ مِنَ التَّنْعَمِ وَالْبَشَمِ ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي شَنْ ^(٦) ، قُلْتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَلَنِّي ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ — أَحْسَنُ اللَّهِ جَزَاءَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ — قَالَتْ : يَا أَعْرَابِي ؛ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِنْ شَرِبْتَ لِلْمَاءِ ^(٧) بَطْنُكَ ، فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنُ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي ، وَالْأَشْيَاخُ مِنْ أَهْلِي ؛ إِذْ قَالُوا : لَا تَزَالُ حَيًّا مَادَامَ بَطْنُكَ شَدِيدًا ، فَإِذَا ائْتَلَفَ فَأَوْصِ . فَشَرِبْتُ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ لَأَتَدَاوِيَ بِهِ ، وَجَعَلْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ فَلَا أَمَلٌ شَرِبُهُ ، فَخَلَاخَنِي مِنْ ذَلِكَ صَفٌّ لَا أَعْرِفُهُ مِنْ قَضَى ، وَبَكَاهُ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ ، وَلَا عَهْدَ لِي بِمَثَلِهِ ، وَاقْتَدَارَ عَلَى أَمْرِ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي

(١) العروس : المرأة مادام في عرسها ، وهم عرس ، وهم عرائس . (٢) الهنة : كناية عن خيس القى . (٣) لم أنسب : لم ألبت ، قال في اللسان : وخيلت لم يطاق بهي . غيره ، ولا اشتغل بسواه . (٤) آفات : جمع غير قياسي لإتاء . (٥) الذي من خيوط الثوب : مادد منها طولاً ، والألمعة : مادد منها عرضاً . (٦) الشن : القربة المثلج الصغيرة . (٧) ماء : سال .

لو أُرِدْتُ نِيلَ السَّفْلِ لِبَلْعَتِهِ ، ولو شَأَوْتُ الْأَسَدَ لَتَقَتَّتِهِ : وجهت ألفت إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسِي بهمَّ أسنانه ، وهشم أُنْه ، وأهمَّ أحياناً أنْ أُشْتِمَهُ .

فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أُرْبعة : أحدهم قد علق في عنقه جَعْبَةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شُبِكت بخيوط ، وألبست قطعة قُرْو ، كأنهم يخافون عليها القُرْ . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كُمِهِ هِنَةً سوداء فوضها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبِيتِ الله - أعجب منه ، فاستمَّ بها أمرهم ، ثم حرك أصابعها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها - لا حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم مقشاً كل بضعة لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق به . ثم بدا ثالث له وَجْهٌ كَرَّ مَيِّتٌ ^(١) ، عليه قيص وسنخ ومعه مرأتان فجعل يصفقُ بهما يديه إحداهما على الأخرى ، فغالب بصوته ما ينفله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قيص ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجذمان ، لاساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور القارِب ، ثم تَلَطَّ ^(٢) على الأرض ، فقلت : مَعْتَوْه وَرَبُّ السَّكْبَةِ ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذِفُونَهُ ^(٣) بالذرَّام حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أنْ أَمْتِمُونَا من لهُوك هذا ؛ فبشوا بهم ، وجعلنا نسجع أصواتهم من بعد .

كان معنا في البيت شاب لا آية ^(٤) له ، فقلت الأصواتُ بالتناء عليه والادعاء له ، ففرج وجاء بمخشبة عينها في صدرها ، فيها خيوط أُرْبعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضه خلف أذنه ، ثم عرك أذناها ، وحركها بمخشبة في يده ، فنفطت ورب

(١) وجه كر : فيج . ميت : محوت مسكروه . (٢) تَلَطَّ : اضطبع وترغ .
(٣) يحذفونه : يرمونه . (٤) لا آية له : لا أمه به .

الكمية ! وإذا هي أحسن قينة^(١) رأيت قط ! فطربني حتى استخفني من مجلسي ، فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ما هذه اللذابة ؟ قلت أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريبا ! قال : هذا البربط^(٢) . قلت : بأبي أنت وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير^(٣) . قلت : فالذي يليه ؟ قال : للثني^(٤) . قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث^(٥) . قلت : فالأهل ؟ قال : الهم^(٦) . قلت : آمنت بالله أولا ، وبك ثانيًا ، وبالربط ثالثًا ، وبالهم رابعًا .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يمتجِب من ضحكك ! ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ؛ ويُطَرَف به إخوانه فيضحكون منه .

(١) اللينة : الأمة اللينة . (٢) البربط : الودع (بربط) - بكر الراء - وهو آلة من المازف . (٣) الزير : من أوتار الودع . (٤) للثني : الذي يلي الزير . (٥) للثك : الذي يلي للثني . (٦) الهم : الذي يلي للثك ، وهو أغلظ الأوتار .

١٥ — أطيب الطعام*

صنعَ عبدُ الملك^(١) بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب^(٢) ، ودعا إليه الناسَ فأكلوا . قال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . قال أعرابي من ناحية القوم : أمّا أكثر فلا ، وأمّا أطيب فقد والله أكلتُ أطيب منه . فلففوا يصحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذِنَ منه ؛ قال : ما أنتَ بِمُحِقٍّ فيما تقول إلا أنْ تخبرني بما يبينُ به صدقُك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر^(٣) في برّث^(٤) أحر في أقصى حِجر^(٥) إذ تَوُفِّي أبِي ، وتركْتُ كلاً^(٦) وعيلاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفافُ الرباع^(٧) ، لم يَرِ تمرٌ قطُّ أغلظ ولا أصلب ولا أصفرُ نوى ولا أحلى حلاوةً منه .

وكانت سَلْرُفُهَا أتان وحشية قد أَلْقَتْهَا نَارِي اللَّيْلِ نَحْمَهَا ، فكانت تُكَلِّبُ رجليها في أصلها ، وترفع يديها ، وتَسْلُو^(٨) فيها فلا تتركُ فيها إلا النيذ^(٩) وللشروق ؛ فأغْطَى ذلك وقع منى كلِّ موقع .

فانطلقتُ بِقَوْسِي وأسهي ، وأنا أظنُّ أني أرجع من ساعتي ؛ فكثتُ يوماً

* الألفاظ : ٨ - ٤٠ (طيبة دار الكتب) .

(١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٨٦ هـ ، وتوفي سنة ٨٦ هـ . (٢) أطاب الشيء : طيبه . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر . (٤) البرث : الأرض البينة السهلة . (٥) في أقصى حِجر : أي في أبعد ناحية . (٦) الكل : السَّكْر : السَّيَال والتلل . (٧) الرباع : جمع ربيع وهو القمبل ينتج في الربيع . (٨) تسلو : تتناول . (٩) النيذ : للتبؤذ .

وليلة لا أراها ، حتى إذا كان السحر أَقْبَلْتُ ، فَمَيَّاتُهَا فَرَشْتُهَا فَأَصْبَحْتُهَا ،
وَأَجْهَزْتُهَا عَلَيْهَا ، ثُمَّ عَدْتُ إِلَى سُرَّتِهَا فَأَقْتَدَدْتُهَا ، ثُمَّ عَدْتُ إِلَى حَلَبِ جَزَلٍ
فَجِئْتُ إِلَى رَحْفٍ ^(١) ، وَعَدْتُ إِلَى زَنْدِي فَصَدَحْتُ ، وَأَضْرَمْتُ النَّارَ فِي ذَلِكَ
الْحَلَبِ ، وَأَقْبَيْتُ سُرَّتِهَا فِيهِ ، وَأَدْرَكَنِي نَوْمُ الشَّبَابِ فَلَمْ يُوقِظْنِي إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ
فِي ظَهْرِي ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا فَكَشَفْتُهَا وَأَقْبَيْتُ مَا عَلَيْهَا مِنْ قَذَى وَسَوَادٍ وَرَمَادٍ ، ثُمَّ
قَلَبْتُ مِنْهَا مِثْلَ لِلَّادَةِ الْبَيضاء ، فَأَقْبَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ رُكْبٍ تِلْكَ النَّخْلَةُ الْمَجْرُوعَةُ ^(٢)
وَالْمَنْصَفَةُ ، فَسَمِعْتُهَا أَلْطِيطًا ^(٣) كَتَدَاعِي عَامِرٍ وَعَطْفَانٍ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَنْتَاطُولَ
الشَّحْمَةِ وَالْحِمَةِ فَأَضْمَمْتُ بَيْنَ التَّمْرَيْنِ وَأَهْوَى بَهَا إِلَى فِي ، فَبَا أَحْلَفَ إِنِّي مَا أَكَلْتُ
طَعَامًا مِثْلَهُ قَطْرًا !

قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : قَسَدَ أَكَلْتَ طَعَامًا طَيِّبًا ، فَمِنْ أَنْتَ أَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
جَا نَبْتَنِي عَمَمَةً ^(٤) تَمِّمَ وَأَسَدَ وَكَشَفْتُهَا ^(٥) رِييعة ، وَحَوْشِي ^(٦) أَهْلُ الْيَمِينِ - وَإِنْ
كَنتُ مِنْهُمْ . قَالَ : مَنْ أَهْمُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَخْوَالِكَ مِنْ عُدْرَةٍ . قَالَ : أَوْلَيْكَ
فَضَعَاةُ النَّاسِ ؟ قَوْلُ لَكَ عِلْمٌ بِالشَّمْرِ ؟ قَالَ : سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
أَيُّ يَتِ قَالَهُ الْعَرَبُ أَمْلَحُ ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطَوْنِ رَاحٍ ^(٧)

وَكَانَ جَرِيرٌ فِي الْقَوْمِ ؛ فَرَضَ رَأْسَهُ وَتَطَاوَلَ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : فَأَيُّ يَتِ قَالَهُ الْعَرَبُ
أَخْفَرُ ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :

(١) الرحف: المجاورة المحاذية بالشمس أو النار . (٢) جزع البسر: إذا بلغ الإضطراب بسفه .
وصف البسر: إذا بلغ الإضطراب بسفه . (٣) الأليط: الموت . (٤) النضنة: إبدال السين
من المعزة . (٥) الكشكشة: جبل الشين مكان الكاف . (٦) الحوشى: التامش .
(٧) راح: جمع راحة ، وهي الكف .

إِذَا غَضِبْتَ إِلَيْكَ بَنُو نَعِمٍ حَبِثَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
 فَحَرَّكَ لَهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيُّ يَتٍ أَهْجَى ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :
 فَنُصَّ الْعَرْفَ إِنَّكَ مَنْ نُمِرٍ فَلَا كِبَاً بَلَفَتْ وَلَا كِلَابَاً
 فَاسْتَشَرَفَ لَهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ : فَأَيُّ يَتٍ أَغْزَلَ ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :
 إِنَّ الصِّبْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَاهُ ثُمَّ لَمْ يُجِئِينَ قَتَلَانَا
 فَاعْتَزَّ جَرِيرٌ وَطَرَبَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيُّ يَتٍ قَالَهُ السَّرْبُ أَحْسَنَ تَشْبِيهًا ؟ قَالَ :
 قَوْلُ جَرِيرٍ :

مَرَى نَحْوَمَ لَيْلٍ كَانَ نَجْوَمَهُ قَتَادِيلُ فِيهِنَ الذُّبَالُ ^(١) الْمَقْتَلُ
 قَالَ جَرِيرٌ : جَائِزَتِي لِلْمُذْرَى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَهُ مِثْلُهَا مِنْ
 يَتٍ لِلْمَالِ ، وَلَكِ جَائِزَتُكَ لِجَرِيرٍ لِأَنَّهُ لَقِصَّ مِنْهَا شَيْئًا . وَكَانَتْ جَائِزَةُ جَرِيرٍ أَرْبَعَةَ
 آلَافِ دِرْهَمٍ وَنَوَاصِيهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالْكُسُوفِ . فَفَرَجَ الْمُذْرَى وَفِي يَدِهِ الْيُسْفَى ثَمَانِيَةَ
 آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَفِي الْيَدِ الْبُسْرَى رِزْمَةٌ تُهْلَبُ !

(١) الذبالة : الفجأة التي توضع في القنديل ، يوضع فيه الزيت ليعتصم به .

١٦ — جَعْدَر *

كَانَ جَعْدَرُ بْنُ رَبِيعَةَ مِنْ لُصُوصِ الْعَرَبِ وَشَيَاطِينِهِمْ ، يُغِيرُ عَلَى أَحْيَانِهِمْ
فِيهِنَّهَا ، وَرَبَّمَا فَتَكَ بَيْنَ تَمَرَضٍ لَهُ ؛ وَاشْتَدَّ شَرُّهُ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
حَتَّى أَبَادَ خَقًّا كَثِيرًا .

فَبَلَغَ أَمْرُهُ الْحِجَابَ^(١) ؛ فَكَتَبَ إِلَى عَالِمِهِ بِالْبَلَامَةِ يُؤَنِّبُهُ لِمَعْزِهِ عَنِ الضَّرْبِ
عَلَى يَدَيْ ذَلِكَ الْفَتَاكِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ أَسِيرًا .

فَأَوَّامًا^(٢) الْمَامِلُ جَمَاعَةٌ مِنْ فِتْيَةِ بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَجِلُّ لَمْ الْجَمَائِلِ^(٣) الْعَظِيمَةِ
إِنْ هُمْ أَتَوْهُ بِهِ مَقْتُولًا^(٤) أَوْ مَقْتُولًا .

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْإِطْطَاعَ إِلَيْهِ ، وَالْخُضُوعَ لِأَمْرِهِ ؛ فَأَخَذَ
جَعْدَرُ إِلَى قَوْلِهِمْ ، وَأَدْخَلَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ . فَأَخَذُوا يَنْهَبُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ ، إِلَى أَنْ صَادَفُوا
مَنْهُ غِرَّةً^(٥) فَتَشَدُّوا وَثَاقَهُ ، وَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى الْمَامِلِ الْقَتْلِ وَجْهَهُمْ بِهِ إِلَى الْحِجَابِ .

فَلَمَّا مَثَلُوا^(٦) بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لِلْحِجَابِ : أَنْتَ جَعْدَرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَمَا جَرَأُكَ
عَلَى مَا بَلَّغْتَنِي عَنْكَ ؟ قَالَ : جَوْرُ الزَّمَانِ ، وَجَرَاءَةُ الْجُنَّانِ ! قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ ؟
قَالَ : لَوْ ابْتَلَانِي الْأَمِيرُ ، وَجَعَلَنِي مَعَ الْقِرْسَانِ لَرَأَيْتُ مَنِي مَا يَجِبُ بِهِ .

قَالَ : يَا جَعْدَرُ ؛ إِنْ قَاذَفْتُ بِكَ إِلَى حَفِيرَةٍ بِهَا سَبْعُ شُرْسٍ ، فَإِنْ فَتَكَ

* المتطرف : ١ - ٢٢٤ ، المحاسن والساو : ٧٧ (طبع ليريج) .

(١) نَدَاً بِالْمَائِثَةِ ، وَوَلَّى الرِّقَاقَ لِلْمَعْرِفِ ، وَهَكَذَا بِوَسْطِ سَنَةِ ٩٥ هـ . (٢) أَوَّلًا جَمَاعَةٌ :

أَضْفَى مَعَهُ . (٣) الْجِبَالَةُ : مَاجِلٌ لِلْأَنْبَاءِ مِنْ شَيْءٍ عَلَى قَبْلِ . (٤) التَّلُّ : طَرَفٌ مِنَ الْمَعْبَدِ

يَجْعَلُ فِي النَّقْصِ . (٥) الْغِرَّةُ : الْفِتْنَةُ . (٦) مَثَلُوا : تَوَارَوْا .

كفانا مثنوئك ، وإن قتلتنا غنونا عنك لشجاعتك ! قال : أصلح الله الأمير !
لقد قَرُبَ الفرج !
فأمر الحجاج بحبسه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد^(١) له سَبْعًا عَتِيًّا^(٢) ، ويحمله
إليه . فارتاد له أسدًا خبيثًا كرهه للنظر ، قد أفنى جميع ما بالهامة من حيوان ،
ووضعه في قفص من حديد ، وأخذته إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقَى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئًا ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به
الجوع ، أخرج إليه جعدر ، وما أعطى إلا سِقًّا ، والحجاجُ مشرف على الحفيرة ؛
والناسُ حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته !

فلما رُفِعَ^(٣) له نهض وزأر زئيرًا رَجَّ الجبال ، وراعى الحاضرين ، فأنشد جعدر :
لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ صَنْكِ كَلَامَا ذُو قُوَّةٍ وَسَنْكِ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَقَتْنِكِ إِنْ يَكْشِفِ اللهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضِي وَمِلْكِي

ثم أدلى به ، فوقع عليه وقوع الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخة
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضربه بسيفه ضربة فلقَّتْ هامته ؛ فكثير الناس ،
وأعجب به الحجاج ، وقال : اللَّهُ ذَرَاهُ^(٤) ! ما أبجدك^(٥) !
ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرمًا ، أو يلحق ببلاده على ألا يؤذى أحدًا ،
ولا يُمَلِّتْ حدثًا ؛ فاختار جعدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حَفَلَى عنده وجعله
من مُتَحَارِهِ وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمان غير طويل ولَّاه الهامة ، ومكث فيها مدة ،
قام فيها بأعباء الولاية خيرَ قيام .

(١) يرتاد : يطلب (٢) السب : ما جاوز الحد ، ويقصد : التدييد المائل . (٣) رفع : ظهر من بينـ

(٤) ذراه : السمل من خير أو شر ؛ وقته ذره أى قد عمك ؛ يقال لمن يدح ويذهب من عمله .

(٥) ما أبجدك : ما أشجيتك فيها يميز عنه غيره .

١٧ - صديق ابن سريج على قبره *

حدث إسحاق بن يقوب عن أبيه، قال:

إِنَّا لِنَفِئَهُ دَارَ عَمْرِو بْنِ عَفَانَ بِالْأَبْلَحِ فِي صُبْحِ خَامِسَةِ مِنَ الثَّمَانِ ^(١) ، فَا إِن دَرَيْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ عَلَى رَاحِلَةٍ ، عَلَى رَحْلِ جَمِيلٍ وَأَدَاةٍ حَسَنَةٍ ، مَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ عَلَى رَاحِلَةٍ قَدْ جَنَبَ ^(٢) إِلَيْهَا فَرَسًا وَبَقْلًا ، فَوَقِفَا عَلَيَّ وَسَلَاةِي ، فَانْتَبَهْتُ لَهَا عُمَانِيَا ، فَتَزَلَا وَقَالَا : رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِكَ أَقْدَمْتُمَا حَاجَةً نَحْبُ أَنْ تَضِيحَا قَبْلَ أَنْ تُشْذَهَ ^(٣) بِأَمْرِ الْحِجِّ ؛ فَقُلْتُ : مَا حَاجَتُكُمْ ؟ قَالَا : نُرِيدُ إِنْسَانًا يَقِفُنَا عَلَى قَبْرِ عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ !

قال : فَهَضَمْتُ مَعَهُمَا حَتَّى بَلَغْتُ بِهِمَا مَحَلَّةَ بَنِي قَارَةَ مِنْ خُرَاعَةِ بَكَّةَ ، وَهُمْ مَوَالِي عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ ^(٤) ، ثُمَّ التَّمَسْتُ لَهَا إِنْسَانًا يَصْعَبُهَا حَتَّى يَقِفَهُمَا عَلَى قَبْرِهِ بِدَسْمٍ ^(٥) ، فَوَجَدْتُ ابْنَ أَبِي دُبَاكَلٍ فَانْهَضْتُ مَعَهُمَا . ثُمَّ أَخْبَرَنِي بَعْدُ : أَنَّهُ لَمَّا أَوْقَفَهُمَا عَلَى قَبْرِهِ نَزَلَ أَحَدُهُمَا فَحَصَرَ حِمَامَتَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَعِيدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَرَّرَ نَاقَتَهُ ، وَانْدَفَعَ بِنَدْبِهِ بِصَوْتٍ شَجِيحٍ كَلِيلٍ حَسَنٍ :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدَسْمٍ فَهَاجَتَا وَذَكَرْنَا بِالْبَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبٌ ^(٦)

* الألفاظ : ١ - (طيبة دار الكتب).

- (١) أي من أيام الحج . (٢) جنب فرسًا : أي فاده إلى جنبه . (٣) تشذه : تشغل . (٤) كان عبيد بن سريج يفتيًا من أهل مكة ، كان يفتي مرتجلا ويوقع بالقضب ، ويضرب بالموذ ؛ غنى في خلافة عثمان بن عفان ، وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٩٨ هـ . (٥) دسم : موضع قرب مكة . (٦) اللصحب : القليل المتفاد بعد مصوبة .

فجالت بَرَجَاهُ الْجَفُونُ سَوَافِعُ من الدَّمْعِ تَسْقِلِي الذِّى يَتَعَبُّ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَدِّ سَاقَهَا دَمٌ بِسَدِّ دَمْعٍ إِثْرَهُ يَتَصَبُّ
فَإِنْ نَحِيداً نَتَدَبُّ غَيْبِداً بِمَوَلَةٍ^(١) وَقَالَ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَالنَّحُوبُ^(٢)
ثُمَّ زَلَّ صَاحِبُهُ فَضَرَّ نَاقَتَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقُرَيْشِيُّ : خُذْ فِي صَوْتِ أَبِي يَحْيَى ! فَانْدَفَعَ
يَعْنَى :

أَسْعِدَانِي بِمَسِيرَةِ أَسْرَابٍ^(٣) من ذَمُوعِ كَثِيرَةٍ الْفَسْكَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ^(٤) قَدْ تَرَكُونِي مُوَلِّهاً مُوَلِّهاً بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلِي يَتَتَابِعُونَا^(٥) لِلنَّهْإِ مَا عَلَى الْمَوْتِ بِدَمْعٍ مِنْ عَيْتَابِ
فَارْتَفُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً مَا لَمْ يَذَقْ مِيقَةَ مَنْ لِبَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونُ^(٦) مِنْ حَيٍّ صَدَقَ مِنْ كَهُولِ أَعْيَةِ وَشِبْلِ
سَكَنُوا الْجَزَعَ جَزَعٌ يَتُ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ ضَفَى السَّابِ^(٧)
فَلَيْ الْوَيْلُ بِمَدَمٍ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلِي أَصْحَابِي

قَالَ ابْنُ أَبِي دُبَايَ كُلُّ : فَوَاقِهِ مَا مَتَّعَ صَاحِبُهُ مِنْهَا ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ ،
وَأَقْبَلَ يَصِلُحُ السَّرَجَ عَلَى بَنَاتِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُعَرَّجٍ عَلَيْهِ . فَسَأَلَتْهُ مِنْ هُوَ ؟ قَالَ :
رَجُلٌ مِنْ جُدَّامٍ . قُلْتُ : بَيْنَ ثَمَرَةٍ . قَالَ : بَعْدَ اللَّهِ بَيْنَ الْمُنْقَشِرِ . قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ
الْقُرَشِيُّ عَلَى حَالِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ .
ثُمَّ جَعَلَ الْجُدَّامِيُّ يَنْضَعُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ كَالْمَتَابِ لَهُ : أَنْتِ أَبْدَأُ

(١) أَعُولُ : أُرْفَعُ بِكَاءِهِ ، وَالْأَسْمُ الْمَوْتُ . (٢) النَّحُوبُ : التَّوَجُّعُ . (٣) أَسْرَابُ : جَمْعُ
سَرَبٍ وَهُوَ لُحَاءُ الْبَاقِلِ . (٤) الْحِصَابُ : مَوْضِعُ الْجَمَارِ . (٥) التَّتَابُعُ : الْوَلُوحُ فِي الْعَمْرِ مِنْ
غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا دَوِيَّةٍ . (٦) الْحُجُونُ : جَبَلٌ بِأَعْلَى مَدَنٍ عِنْدَ مَدَائِنِ أَمْنَاهَا . (٧) ضَفَى السَّابِ :
مَوْضِعٌ بَنَدُ ، وَلِلرَّادِ بِأَبِي مُوسَى أَيْ مُوسَى الْأَشْمَرِيِّ .

مَصْبُوبٌ^(١) على شُكِّكَ ، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ! ثُمَّ قَرَبَ إِلَيْهِ الْفَرَسَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ
اِسْتَخْرَجَ الْجُذَامَى مِنْ خُرْجٍ عَلَى بَنَلٍ قَدْحًا وَإِدَاوَةَ مَاءٍ ، فَجَلَّ فِي الْقَدْحِ تَرَابًا
مِنْ تَرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءً مِنَ الْإِدَاوَةِ . ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا شَرِبَ هَذِهِ
السُّنَّةُ^(٢) ، فَشَرِبَ . ثُمَّ قَالَ هُوَ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَكِبَ الْبَنَلُ وَأَرْدَفَنِي .

تَفَرَّجًا وَاللَّهِ مَا يَرْضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كُنَّا فِيهِ ، وَلَا أَرَى فِي وَجْهِهِمَا شَيْئًا
مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ .

فَمَا اشْتَمِلَ عَلَيْنَا أَبْطَعَ مَكَّةَ قَالَا : انْزِلْ يَا خِرَاعِي ! فَتَزَلَتْ ، وَأَوْثَمَا النَّفْيَ
إِلَى الْجُذَامَى بِكَلَامٍ ، فَذَبَّ إِلَيْنَا فِيهِمَا شَيْءٌ فَأَخَذْتُهُ فَإِذَا هُوَ عَشْرُونَ
دِينَارًا ، وَمَضِيَا .

فَانْصَرَفْتُ إِلَى قَبْرِهِ بِيَمِينٍ فَاحْتَمَلْتُ عَلَيْهَا أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ الَّتَيْنِ عَقَرَاهُمَا
فَبَيْنَهُمَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا !

(١) مَصْبُوبٌ عَلَى شُكِّكَ : أَيِ عَثُوثٍ عَلَى اتِّبَاعِهَا تَحْتَوِيكَ فَتَسْلِسُ مَا الْقِيَادَ . (٢) السُّنَّةُ :
أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ تَرَابِ تَرْتِيبٍ فَيُغْرَى عَلَى الْمَاءِ وَيُقَالُ بِالطَّهْقَانِيِّ لِيَاوُ .

١٨ - قوة ويطش*

كان هلال^(١) فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش، أكثر الناس أكلاً، وأعطاهم في حرب غناء. وكان يرد مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شرباً حتى يوم ورودها، لا يذوق فيها بين ذلك طعاماً ولا شرباً، وكان عادى الخاق^(٢)، ولا توصف صفته.

وكان يوماً في إبل له، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس، فحتمت الهاجرة^(٣)، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساده، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس؛ فيذا هو كذلك إذ مر به رجلان: أحدهما من بني نهشل، والآخر من بني قُصيم، كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطناً، وقد أقبلتا من البحرين، ومعهما أنواط^(٤) من تمر هجر^(٥)، وكان هلالاً بتاحية الصواب^(٦).

فلما انتهيا إلى الإبل - ولا يرفان هلالاً بوجهه، ولا يرفان أن الإبل له - ناديا: يا راعي، أعنك شراب نسقين؟ وما يظنانه عبداً - فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه، عيسكا بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا، فأنيخاها؛ فإن عليها وطيئين^(٧) من لبن، فاشربا منهما ما بدا لكما. فقال له أحدهما: ورثك؟ انهض

* الأضاني: ٣-٥٣ (طبعة دار الكتب).

- (١) هلال بن الأسمر: شاعر اشهر في العصر الأموي، وكان فارساً شجاعاً، مات نحو ١٣٠هـ.
- (٢) عادى الخاق: محلاق ضخم الجسم، نسبة إلى عاد. (٣) الهاجرة: نصف النهار.
- (٤) أنواط: جمع نوط، والنوط: الجملعة الدفيرة فيها التمر ونحوه. (٥) هجر: قاعدة البحرين، مشهورة بالتمر، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر. (٦) الصواب: جبل بين البصرة والبحرين.
- (٧) الوطب: سقاء اللبن خاصة.

يا غلام فأتِ بذلك الذين اُقتالَ لهما : إنْ تَكُ لَكِ حاجة فستأتيها ، فتَحْدِرانِ^(١)
الوطَّيْنِ فقتلَهما .

قال أحدهما : إنك لتلبيظ الكلام ، ثم فاسقنا ؛ ثم دنا من هلال وهو على
تلك الحال ، قال لهما - حيث قال له أحدهما : إنك لتلبيظ الكلام - أراكا والله
ستقيان هواناً وصغاراً ؛ وتبما ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على
عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم
ضفطه ضفطة ، فنادى صاحبه : ويحك ! أغشى قد قتلني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله
هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى ، ثم أخذ برقابها فجعل يصكُّ
برؤوسهما بعضاً ببعض ؛ لا يستطيعان أن يمتنما منه .

قال أحدهما : كُنْ هلالاً ولا نبالي ما صنعت اُقتالَ لهما : أنا والله هلال ،
ولا والله لا نفلتان مني حتى نُعطيا عهداً وميثاقاً لا تخييان به^(٢) لتأتيان المرء ؛^(٣)
إذا قدما البصرة ، ثم لتناديان بأهل أصواتكما بما كان مني ومنكما .
فأهدهاه وأعطياه نوطاً^(٤) من التمر الذي معهما ، وقدما البصرة ، فأتيا المرء ،
فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حبر اليم : أزره من طو . (٢) لا تخييان به : لا تقدران به ولا تستكتان .

(٣) المرء : موضع بالبصرة ؛ كان سوطاً للزبل ، ثم صار علامة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت
مفاخرات الثعراء وبجالس الخلفاء .

(٤) نوط : جثة صغيرة فيها التمر .

١٩ - لا تمرضوا لهذا الشيطان*

حدث خالد عن كُتَيْف بن عبد الله اللزني^(١) : قال : كنت يوماً مع هلال ، ونحن نبنى إبلاناً . فدعنا إلى قوم من بكر بن وائل ، وقد لبنا^(٢) وعطشنا ، وإذا نحن بفتية شباب عند ركبة^(٣) لهم ، وقد وردت إبلهم ، فلما رأوا هلالاً استهزؤا خلقه وقامته .

فقام رجلان منهم إليه ، قال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبن وماء ؛ فإنني لنسب طنان ، قال : ما أنت بناتق من ذلك شيئاً حتى تعطينا عهداً ؛ لتجيبنا إلى الصراع إذا أرحت^(٤) ورويت .

قال لها هلال : إنني لكم ضيف ، والضيف لا يصارع رب منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : اعمدوا إلى أشد غل في إبلكم وأهنيبه صولة ، وإلى أشد رجل منكم ذراعاً ؛ فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أقبل ذلك فقد مرعشوني ، وإن ضلته علمت أن صراع أحدكم أيسر من ذلك .

فجربوا من مقاتله تلك ، وأومئوا إلى فضل في إبلهم هائج صائل بيلم^(٥) ، فأتاه

* الألفاظ : ٣ - ٥٥ (طبعة دار الكتب)

(١) لب : تب وأصابه الإعياء . (٢) الركبة : البئر . (٣) أراح الرجل : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء . (٤) القطم : الهائج الذي صب ركوبه .

هلال ومعه فرّ من أولئك القوم وشيخّ لهم ، فآخذ بهامة الفحل مما فوق يسفّره ،
فضمطها ضُمَّطَةً جَرَجَرٌ^(١) الفحل منها واستخذى^(٢) ورَعَا . وقال : لِيُعْطَى من
أَحِبِّهِمْ يَدَهُ أُولَئِهَا فِي فَمِ هَذَا النَّحْلِ .

قال الشيخ : يا قوم ، تنكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ القلان^(٣) - يعني
هذا الفحل - جَرَجَرٌ منذ بَرَزَ^(٤) قبل اليوم ، فلا تَرْضُوا لهذا الشيطان . وجعلوا
يَتَّبِعُونَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَى خَطْوِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ مِنْهُ حَقَّ جَاوِزِهِمْ .

(١) جرجر : ودد صوته في حنجرته . (٢) استخذى : خضع . (٣) القلان والقلانة :
كناية عن غير الأديبين ، تقول : ركبت القلان وركبت القلانة ، أما قلان وقلانة فهما كناية عن
أسماء الأديبين .

(٤) بَرَزَ البعير فهو بارز ، أي : دخل في سفته الخامسة .

٢٠ - هلال يصارع عبداً جباراً*

حدث من سمع هلالاً يقول : قَدِمْتُ المدينة ، وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضعُ عن إيلى ، وعليها أحمالٌ للتجار ، حتى أخذَ بيدي ، وقيل لي : أجبِ الأمير . قلت لم : ويسلم ! إيلى وأحمال ! قَبِل : لا بأس على إيلك وأحمالك . فأنطلقَ بي حتى أدخِلْتُ على الأمير ، فسَلْتُ عليه ، ثم قلت : جُعِلْتُ فداك ! إيلى وأمانتي ، قال : نحن ضامنون لإيلك وأمانتك حتى تؤدِّيَها إليك ؛ قلت عند ذلك : فما حاجة الأمير إلّى ؟ جفنى الله فداءه ! قال لى - وإلى جنبه رجلٌ أصفر ، ما رأيت رجلاً قط أشدَّ خَلْقاً منه ، ولا أغلظَ عُنْقاً ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عَرَضُه : إن هذا العبد الذى ترى ، ما ترك بالمدينة عريباً يصارع إلا صَرَعَهُ ، وبلغنى عنك قوَّةٌ فأردتُ أن يُجَرِّى الله صَرْعَ^(١) هذا العبد على يدك ؛ فتدُرِّك ما عنده من أوتار العرب .

قلت : جفنى الله فداء الأمير ، إيلى لَنَبِّ نَصَبٍ^(٢) جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدعى ، حتى أضعُ عن إيلى ، وأودى أمانتى ، وأرجعَ يوى هذا وأجيشه غداً فليقبل . قال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إيله وأداء أمانته ، ثم انطلقوا به إلى اللطيف فأشبهوه . فعملوا جميع ما أمرهم به . فظَلَّتْ بَيَّةٌ يوى ذلك ، وبثٌ ليلى تلك بأحسن حال شَبَكاً وراحةً وصلاحٍ أمر ؛ فلما كان من الغد

* الأغانى : ٣ - ٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) صرعه ، أى قتله . (٢) لقب : نصب وأصابه الإعياء . والنصب : أشدُّ التعب .

غدوتُ عليه وعلى جُبَّة لي صوف وَبَتٌ^(١) ، وليس على إزارٍ ، إلا أني قد شددتُ بياضتي وسطى . فسَلْتُ فردَّ على السلام . وقال للأصغر : قم إليه ، فقد أرى الله أنك بما يُخزرك . قال العبد : انزِرْ يا أعرابي ، فأخذتُ بِي قَاتَرَتُ به على جُبَّتِي ؛ قال : هيهات هذا لا يَبُتُّ ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ هَلَّتْ : واقِهْ مالي من إزار .

فدعا الأمير بِمَلْحَقَةٍ مازأيت قبلها ، ولا عَلا جلدِي مثلها ، فشددتُ بها على حَقْوِي^(٢) وخملتُ الصَّيَّةَ .

وجعل العبدُ يدور حولي ويريد خَتْلِي وأنا منه وَجِلٌ ، ولا أدري كيف أصنع به أتم دأمي دَنَوَةً ، فَفَقَدْتُ^(٣) جَهَنِّي بِظَفَرِهِ قَدَّةً ظَنَنْتُ أنه قد شجِنِي وَأَوْجِنِي . فضاخني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ ؛ بِحِمِّ أَقْبِصُ منه فا وجدتُ في خَلْقِهِ شَيْئًا أصغر من رأسِهِ ، فوضعتُ إبهامي في صُدْعِهِ وأصابعي الأخرى في أصل أذنيه . ثم عَزَمْتُه عِزَّةً صاح منها : فلتلقِ فلتلقِ ! قال الأمير : اغسُ رأس العبد في التراب . فقلتُ له : ذلك على .

فضمستُ واقِهَ رأسه في التراب ، ووقع شيبها بالمشي عليه . فضحك الأمير حتى استلقى ، وأمر لي بِمِائِزَةٍ وَصِيْلَةٍ وَكُوسَةٍ ، وانصرفت .

(١) البت : كساء غليظ مهبل مريح أخضر . (٢) الحَقْو : الحصر .

(٣) فقد الشيء : نقره بإصبعه .

٢١- حديث عن الثَّرينين *

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الرمي من قبل أبيه المنصور: (١)،
أريح قلبي بشيء يلهمه إني أقال: نعم أصلح الله الأمير!
ذكروا أنه كان في ملوك (٢) الحيرة ملك له نديمان: قد نزلا من قلبه منزلة
مكينة، وكانا لا يفارقانه في نَهْوِه ومنلمه ويقفله، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما،
ولا يصدرُ إلّا عن رأيهما، فغير بذلك دهرًا طويلا.
فبينما هو ذات ليلة في شُرْبِه ولَهْوِه إذ غلب عليه الشراب؛ فأزال عقله، فدعا
بسيّفه وانتصاه، وشد عليهما قتلتهما، وغلبته عيناه فنام.
فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه؛ فأكبَّ على الأرض؛ عاضًا لها؛
تأشُّمًا عليهما، وجزعًا لمرافقهما، وامتنع من الطعام والشراب، ثم حلف لا يشرب
شرابًا يُرَجِّع قلبه ما عاش! وواراهما وبني على قبريهما بناءين؛ وسماهما الثَّرينين (٣)،
وسنّ ألا يمرَّ بهما أحدٌ من الملوك فَمَنْ دونه إلا سجدَ لها، وكان إذا سنَّ الملكُ
سنة توارثوها، وأحيوا ذكرهما ولم يُمتتوها، وجعلوها عليهم حكمًا واجبًا وفرضًا
لازمًا، وأوصى بها الأئمة أعتابهم.
فَقبِرَ الناسُ بذلك دهرًا طويلا، لا يمرُّ أحدٌ من صغير ولا كبير إلا سجدَ لها؛

* مروج الذهب: ٧ - ٢٥٢، معجم البلدان: ٦ - ٢٨٢.

(١) هو العزقي بن الفضل: شاعر كوفي، كان وازر الأدب، عالا بالنسب، وكان المنصور قد
ضمه إلى الحمدي حين خالفه بالري، وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب، ومكارم الأخلاق، ودراسة
الأخبار، وقراءة الأشعار. (٢) ذكروا أنه النعمان بن النضر. (٣) الثَّرينان: بناءان
بالكسرة؛ قيل سما بذلك لأن النعمان كان يهرسهما يده من يقظه.

فصار ذلك سنة لازمة كالشرعة والقرينة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل بعد أن يُحْكَمَ له بمصلتين يُجَابُ إليهما كأننا ما كان !

فرى ما قصار ^(١) معه كارة ^(٢) ثياب ، وفيها يدقته ^(٣) ، قال للوكلون بالفريرين القصار : اسجد فأبى أن يفعل . قالوا له : إنك مقتول إن لم تفعل ؛ فأبى .

فرفضه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، قال : ما منك أن تسجد ؟ قال : سجدت ولكن كذبوا على ! قال : الباطل قلت ، فاحتكم في خصتين ؛ فانت مجاب إليهما ، وإني فأتلك ! قال : لا بد من قتل بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من ذلك . قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ! قاله الملك : يا جاهل ! لو حكمت على أن أجري على من تخلف وراءك ما يمينهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ! قال الملك لورثائه : ماترون فيها حكم به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في حق السن من العار والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى قضت سنة قضت أخرى ، ثم يكون ذلك لين بك كما كان لك ، فبطل السن ؟

قال : فارغبوا إلى القصار أن يحكم بما شاء ويعتق من هذه ؛ فإني أحبيه إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شغل ملكي افرغبوا إليه . قال : ما أحكم إلا بضربة في عنق الملك !

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار ، فمد مقعداً عالياً ، وأحضر القصار ،

(١) قصر الثوب : كوره وديقه ، وسمى القصار لأنه يدق الثياب بالنصرة وهي قطعة من الخشب .

(٢) الكارة : ما يصل على الظهر من الثياب . (٣) المدق ما يدق به .

فَأَبْدَى مِدْقَتَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا عُنُقَ الْمَلِكِ ؛ فَأَوْهَنَهُ وَخَرَّ مَنْشِياً عَلَيْهِ !
 فَطَامَ يَشْكُو مَا بِهِ سِنَّةٌ ، طَمَأَنَّ وَتَكَلَّمَ ، وَأَكَلَ وَشَرَبَ سَأَلَ عَنِ الْقَصَارِ ،
 فَقِيلَ : فَإِنَّهُ مَحْبُوسٌ ؛ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَخَضِرَ ؛ قَالَ : لَقَدْ بَقِيتُ لَكَ خَصْلَةً فَأَحْكُمْ
 بِهَا ، فَإِنِّي فَاتَكَ لَا مَحَالَةَ ؛ إِفَامَةً لِلْسِّنَةِ ! قَالَ الْقَصَارُ : فَإِنَّا كَانُوا لَا يَدُ مِنْ قَتْلِ فُلَانٍ
 أَحْكُمُ أَنْ أَضْرِبَ الْجَانِبَ الْآخَرَ مِنْ رَقَبَةِ الْمَلِكِ مَرَّةً أُخْرَى !
 فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْحُزَنِ ، وَقَالَ : ذَهَبَتْ^(١) وَأَفْهَى نَفْسِي
 إِذْنًا . ثُمَّ قَالَ لِلْقَصَارِ : وَيْلَكَ ! دَغَّ عَنْكَ مَا لَا يَنْفَعُكَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْفَعْكَ مِنْهُ مَا مَضَى ،
 وَاحْكُمْ بِبَيْرِهِ وَأَتَقَدَّهِ لَكَ كَأَنَّا مَا كَانَ ! قَالَ : مَا أَرَى حَتَّى إِلَّا ضَرْبَةً أُخْرَى !
 فَقَالَ الْمَلِكُ لوزرائه : مَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : هَذَا حَقُّهُ ! قَالَ : وَيْلَكُمْ ! إِنْ ضُرِبَ
 الْجَانِبَ الْآخَرَ مَا شَرِبْتَ الْمَاءَ الْبَارِدَ أَبَدًا ! لِأَنِّي أَعْلَمُ مَا قَدْ تَأْتِي .

قَالُوا : فَمَا عِنْدَنَا حِيلَةٌ !

فَلَمَّا رَأَى مَا قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ قَالَ لِلْقَصَارِ : أَخْبِرْنِي ، أَلَمْ أَكُنْ قَدْ سَمِعْتُكَ تَقُولُ
 يَوْمَ أَتَى بِكَ الْمُوَكَّلُونَ بِالْفَرِيقَيْنِ : إِنَّكَ قَدْ سَجَدْتَ ، وَإِنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْكَ ؟ قَالَ :
 قَدْ كُنْتُ قُلْتُ ذَلِكَ فَلَمْ أَصْدُقْ ! قَالَ : فَكُنْتُ سَجَدْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَوُثِّبَ مِنْ
 مَجْلِسِهِ ، وَقِيلَ رَأْسُهُ ، وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ ، وَأَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْكَ ، وَقُدُولِيكَ
 مَوْضِعَهُمْ ، وَجِئْتُ إِلَيْكَ أَمْرَهُمْ .

فَضَحِكَ الْمَهْدَى حَتَّى غَضِبَ رِجْلِيهِ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ ! وَوَصَلَهُ .

(١) ذَهَبَتْ نَفْسِي ، أَيْ مَلَكَتْ .

٢٢ — المصا*

قال الشرقي بن القطامي :

خرجتُ من للوصل أريد الرقة^(١) ؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر
أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، وممه يزود^(٢) وركوة^(٣) وعصا ، ورأيت
لا يارقها ؛ مُشاةً كئنا أو ركبانا ؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أمر
موسى ، وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك
متهاونا بما يقول .

فتختلف المكارى^(٤) ؛ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرمه بالمصا ، ويقف
حماري ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبقي إلى المنزل فيستريح ويرجع ، ولا أقدر على
البراح حتى يوافيني المكارى . قلت : هذه واحدة ؟

ثم خرجنا من غَد مُشاةً ؛ فكان إذا أعيا توگأ على المصا ، واعتمد عليها ،
وسرَّ كأنه سهم زالج^(٥) ، حتى انتهينا ، وقد تفتحتُ من الكلال ، وإذا فيه
فضلٌ كثير ؛ قلت : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هَجَمْنَا على حية منكرة ؛ فسارت إلينا فأسلته إليها ،
وهربتُ منها ، فضربها بالمصا ، قلت : هذه ثالثة !

* عيون الأخبار : ١ - ١٣٩ .

(١) الرقة : بلد على الفرات . (٢) المزود : وناه الزاد . (٣) الركوة : إزاء صغر من جلد
يسرب فيه الماء . (٤) المكارى : المطاير لسوق الغناب ، وهو اسم قاعل من كرى ، وبالجم
المكارون . (٥) زالج : ملوق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنا قَرْم^(١) إلى اللحم ، فاعترضنا أَرْب ، فخذفها
بالمصا ، وأدركنا ذَكَا^(٢) ، قلت : هذه رابعة !

فأقبلتُ عليه ؛ قلت : لو أن عندنا ناراً ما أخرت أكلها إلى المنزل فأخرج
عَوِيلاً من مِرْوَدِه ثم حَكَّ بالمصا ؛ فأوردت إِبْرَاءَ اللَّزْنِجِ وَالْمَعَارِ^(٣) ، ثم جمع ما قدر
عليه من النَّتَاءِ^(٤) والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأَرْبَ في جوفها ، فأخرجناها ،
وقد لُزِقَ بها من الرماد والتراب ما يَنْفُضُهَا إِلَى ، فلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جُنُوبَهَا
بالمصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كل شيء عليها ، فأكلناها ، وسكن القَرْم ، وطابت
النفس ؛ قلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعض الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة رَوْثاً وَتُرَاباً ؛ فلم نجد موضعاً
نَقْلَ فِيهِ ، فنظر إلى حديدة مطروحة في النار ، فأخذها ، فجعل المصا نِصَاباً^(٥) لها ،
ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت
ريحها ، قلت : وهذه سابعة !

ثم نزع المصا من الحديدة ، فأوتدها^(٦) في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيابي ،
قلت : هذه سابعة !

فلما صيرتني إلى مَفْرَقِ الطَّرِيقَيْنِ وأردتُ مفارقتها ، قال لي : لو عدلت معي
فبت عندى ! فعذلت معه ، فأدخلني منزلاً يتصل بِبَيْمَةِ^(٧) ، فما زال يحذقني

(١) القرم : حدة شهوة اللحم . (٢) ذكاتها : ذبحها . (٣) اللزنج : شجر شديد الوري ،
ومثله المنار . (٤) النتاء : البالي من ورق الشجر الخاطو زيد البيل . (٥) النصاب : ما يمكنها
به (كالبه لئاس) . (٦) أوتدها : تبتها . (٧) البيمة : كنيسة الصلوى .

وَيُطْرِفُ^(١) اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ أَخَذَ الْعَصَا بِيَمِينِهَا ، وَأَخَذَ خَشَبَةً أُخْرَى فَوَرَعَ
بِهَا الْعَصَا ، فَإِذَا نَاقُوسٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ ، وَإِذَا هُوَ أَحَذُّقُ النَّاسِ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ :
وَيْحَكَ ! أَمَا أَنْتَ بِمَسْلَمٍ ! قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : لِمَ تَضْرِبُ النَّاقُوسَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبِي
نَصْرَانِي ، شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ وَأَنَا أُبْرُهُ .

فَإِذَا هُوَ شَيْطَانٌ مَارِدٌ^(٢) ، مِنْ أَغْطَرِ النَّاسِ ، وَأَكْثَرِ أَدْبَابٍ ؛ فَغَيَّرَتْهُ الْهَذَى
أَحْصَيْتُ مِنْ خِصَالِ الْعَصَا ، قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُكَ عَنْ مَنَاقِبِ الْعَصَا لَيَلَّ إِلَى
الصَّبَاحِ مَا اسْتَفْتَدْتُهَا .

(١) يَطْرِفُ ، أَيِ يَجْنِي بِالطَّرْفِ وَالْأَحْلِيثِ . (٢) مَرَدٌ - مِنْ بَابِ قَتْلٍ : إِذَا عَتَا ، وَتَجَبَّرَ .

٢٣ - ضرار بن القعقاع *

زعم الأصمى ^(١) أن حرباً كانت بالبادية، ثم انصلت بالبصرة، فضاقت الأمر فيها، ثم مشى بين الناس بالمُصْلَح، فاجتمعوا في المسجد الجامع.

قال: قَبِيعْتُ وَأَنَا غَلامٌ إِلَى ضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ مِنْ بَنِي دَارِمٍ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ فَلِذَا بِهِ فِي كَمَلَةٍ ^(٢) يَخْلُطُ بَرْدًا لِنَزْلِ لَهُ حُوبٍ بِمُجْتَمِعِ الْقَوْمِ، فَأَمَلْتُ حَتَّى أَكَلْتُ النِّزْلَ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ ^(٣) وَصَاحَ: يَا جَارِيَةُ غَدِينَا؛ فَأَنْتِ بَرِيَّةٌ وَتَمَرٌ. فِدَعَالِي فَقَدَرْتُهُ ^(٤) أَنْ أَكَلَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا قَفَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةٌ وَتَبَّ إِلَى طَلِينٍ مُلْقًى فِي الْبَارِ، فَضَلَّ بِهِ يَدَهُ، ثُمَّ صَاحَ: يَا جَارِيَةُ، اسْقِينِي مَاءً، فَأَنْتِ بِمَاءِ قَشْرَتِهِ، وَمَسَحَ قَضَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا هِيَ الْفَرَاتُ بِبَصْرَةَ بَرِيَّةِ الشَّامِ. مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ! ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ، عَلَى بَرْدَائِي، فَأَنْتِ بِرِدَائِهِ عَدَنِي، فَأَرْتَدِّي بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمْلَةِ.

قال الأصمى: فَجَعَلْتُ عَنْهُ اسْتِبْلَاحًا لَزِيَّةً.

فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم يَبْقَ حُبُوءٌ إِلَّا حَلَّتْ إِعْظَامُهُ، ثُمَّ جَلَسَ فَجَعَلَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ ^(٥) فِي مَالِهِ، وَانصرفت.

* الكامل للمبرد: ١ - ٨١

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريش، اشتهر بالرواية والتضلع من اللغة. توفي سنة ٢١٦ هـ.

(٢) الشملة: كداء يشتمل به. (٣) الصفحة: إناؤه كالقصة. (٤) قدرته: أي استغفرت.

وكرهته. (٥) الأحياء: جمع حي، وهو البطلان من بطلون العرب.

الباب الثاني

في القصص التي نصف أحوال المرأة العربية ،
وما تجرى عليه في تربية أطفالها ؛ ومعاشرتها زوجها ،
ومعاوماتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسمي
معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع
الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة
في ذلك العهد .

٥٦ — مصرع الزبّاء*

كان جَذِيعة^(١) قد ملك ماعلى شاطئ* القنات ، وكانت الزَّبّاء ملكة الجزيرة ، وكان جَذِيعة قد وثرها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شملُ مُلكها ، أَحْبَبَتْ أَنْ تَفْزُو جَذِيعة . ثم رأت أن تكتبَ إليه : أنها لم تجد مُلكَ النساءِ إِلَّا قُبْحًا في السَّعْيِ ؛ وَضَعًا في السلطان ، وأنها لم تجد لِمُلكِها موضعًا ؛ ولا لنفسها كفئًا غيركَ ؛ فَأَقْبِلْ إلَيَّ لِأَجْعَ مُلْكِي إلى مُلْكِكَ ، وَأَحِلَّ بِلادِي بِلادِكَ ، وتنفذْ أَمْرِي مع أَمْرِكَ .

فلما أتى كتابُها جَذِيعةً ، وقَدِمَ عليه رسلُها استغفَه ما دَعَتْهُ إليه ، ورغبَ فيها أَطْمَعْتُهُ فيه ؛ فجمعَ أَهلَ الحِجَابِ^(٢) والرأى من قَنَاتِهِ - وهو يومئذ بَيْقَةٌ من شاطئِ القنات - وعرضَ عليهم ما دَعَتْهُ إليه وعرضت عليه ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَيَسْتَوِلُوا عَلَى مُلْكِهَا .

وكانَ فيهِمْ قَصِيرٌ - وكانَ أَرِييَا^(٣) حازمًا عند جَذِيعة - فخالقَهُمْ فيها أشاروا به . وقال : رَأَيْتُمْ قَاتِرَ ، وَغَدَرُ حَاضِرِ^(٤) . ثم قالَ لجَذِيعة : الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا فَلْتَقْبِلْ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَمُكِّنْهَا مِنْ فَسْكَ ، وَلَمْ تَقَعْ فِي حِيَابَتِهَا ، وَقَدْ وَثَرَتْهَا وَقَتْلَتْ أَبَاهَا ؛ فَلَمْ يوافقَ جَذِيعة وقالَ له : رَأْيُكَ فِي الْيَكْنَ لَا فِي الصَّعْ^(٥) .

* جمع الأمثال : ١ - ٢١٣ ، جهرة الأمثال : ٦٢ .

(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء . (٢) الحجاب : العزل . (٣) أرييا : غالا .

(٤) ذهب مثلًا . (٥) الصع : الشمس وضوؤها ، والكن : وفاة كل شيء وسره . ذهب مثلًا .

ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فنجّمه على المسير ، وقال :
إن قومي مع الزّباء ولورأوك صاروا ملك ، فأحبّ جذيمة ماقله ، وعصاً قصيراً ،
قال قصير : لا يطأع قصير أمر^(١) .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملّكه وسلطانه ، وسار في وجوه
أحبابه ، فنّخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال :
ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : ببقة خلّفت الرأي^(٢) . قال : وما خلّفتك بالزّباء ؟ قال :
القول رداف ، والحرّم عقراته تُخاف^(٣) .

واستقبلته رُسُل الزّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :
خطب يسير في خطب كبير^(٤) . وستقلّك الجيوش ؛ فإن سارت أمامك فالمرأة
صادقة ، وإن أخذت جيتيتك ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم فادرون بك ، وإذن
فاركب الصّاع^(٥) فإنها لا يُشَقُّ عُبارها - وكانت الصّاع فرساً لجذيمة لا تُجأرى -
وإني راكبها ومسيرك عليها .

فقيّته انليول والكثائب ، فعالت بينه وبين الصّاع ؛ فركبها قصير ، ونظر
إليه جذيمة على متن الصّاع مولياً ، قال : ويل الله حرّماً على متن الصّاع^(٦) أوجرت
به إلى غروب الشمس ثم قفّت ، وقد قطعت أرضاً بيّنة .

وصار جذيمه وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزّباء . فلما رآته قالت :
أشواد^(٧) عمروس ترى ؟ قال : أمر غدير أرى ا ثم دعت بالسيف والنّطع ، وقالت :
إن دماء اللوك شفاء من الكلب ، فأمرت ببطس من ذهب قد أعدّه له وسقته

(١) ذهب أثنالا . (٢) الصّاع : اسم الفرس . (٣) تشوّلو : الحيلة والزيّة .

الخر حتى سكر ، وأخذت منه الخمرُ مَأْخَذَهَا ، فأمرت بَرَاهِشِيَه ^(١) قُطْعًا ،
وقدّمت إليه الطَّسْت - وقد قيل لها : إن قَطْرَ من دمه شيء في غير الطَّسْت طَلَبَ
بدمه - فلما ضَمَّتْ يَدَاهُ سَقَمَتَا فَطَر من دمه شيء في غير الطَّسْت ؛ قَالَتْ : لَا تَضَيِّعُوا
دَمَ لِلَّك . قال جذيمة : دَعُوا دَمًا ضَيِّمَهُ أَهْلُهُ ^(٢) . وَهَلَكَ جَذِيمَةُ .

وخرج قَصِيرٌ من الحَيِّ الذي هَلَكْتَ المصايين أَظْهَرُهم ، حتى قدم على عمرو
ابن عدى - وهو بالحيرة - قال له قصير : أَتَأْتُرُ أُنْتُ ؟ قال : بَلْ تَأْتُرُ سَأْتُ ^(٣) .

ووافق قَصِيرُ الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى :
تَهَيَّأْ واستَعِدْ وَلَا تَطْلُنْ ^(٤) دَمَ خَالِكَ . قال : وكيف لى بها وهى أَمْنُ من
عُقَابِ الْجَوِ ^(٥) !

وكانت الزَّيْبَاءُ سَأَلَتْ كَاهِنَةً لَهَا عَن هَلَاكِهَا ؛ قَالَتْ : أَرَى هَلَاكَ بِسَبَبِ
غِلَامٍ مَهِينٍ غَيْرِ أَمِينٍ ، وهو عمرو بن عدى . وَلَنْ يَمُوتَ يَدُهُ ، وَلَكِنْ حَقَّقَكَ
يَيْدُكَ ، وَمِنْ قَبْلِهِ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ .

فَحَذِرْتُ عَمْرًا ، وَاتَّخَذْتُ لَهَا نَفَقًا مِنْ مَجْلِسِهَا الَّذِي كَانَتْ تَجْلِسُ فِيهِ إِلَى حَصْنٍ
لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنْ فَاجَأَنِي أَمْرٌ دَخَلْتُ النِّفَقَ إِلَى حِصْنِي . وَدَعَتْ
رَجُلًا مَصُورًا مِنْ أَجُودِ أَهْلِ بِلَادِهِ تَصَوِيرًا وَأَحْسَنِهِمْ عَمَلًا ، فَجَبَزَتْهُ وَأَحْسَنَتْ
إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَرِىْ حَتَّى تَقْدَمَ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَدَى مُتَسَكِّرًا ، فَتُخَلُّ بِحُشْمِهِ فَتَنْفِمْ
إِلَيْهِمْ وَتَخَالِطُهُمْ وَتُفْلِمُهُمْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِالصُّورِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ^(١) لِي عَمْرَوِ بْنِ عَدَى
مَعْرِفَةً ؛ فَصَوَّرَهُ جَالِسًا وَقَائِمًا وَرَاكِبًا وَمُتَفَضِّلًا ^(٢) وَمُتَسَلِّحًا بِبَيْتِهِ وَلِبَسَتِهِ وَلَوْنِهِ ،
فَإِذَا أَحْكَمْتَ ذَلِكَ فَأَقْبِلِ إِلَى .

(١) الزمانان: عرفانك بالمرء القراعين - (٢) ذهبت أسنالا - (٣) طرده: هدره، أو الأيتار به -

(٤) أتيته : عرفة حق المعرفة - (٥) الخفقتل : من يلبس ملابس النوم وهى لبسة الخفقتل -

فانطلق للصوّر حتى قدم على عمرو بن عدى، وصنّع الذى أمرته به الزبّاء،
وبلغ من ذلك ما أوصته به، ثم رجع إلى الزبّاء يعلم ما وجهته له من الصورة على
ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى، فلا تراه على حال الإعرقة وحذونه
وعلت علمه.

وقال قصير لعمرو بن عدى: اجذع أنفى^(١)، واضرب ظهرى، ودعنى
وإيتاما. قال عمرو: ما أنا بفاعل، وما أنت لذلك مستحقا عندى. قال قصير: خل
عنى إذن وتخلّك ذم^(٢)! قال له عمرو: فأنت أبصر. فجذع أنفه، وأثر آثاراً
بظهره؛ قالت العرب: لأمر ما جذع قصير أنفه^(٣).

ثم خرج قصير كأنه هارب، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به، وأنه زم أنه
مكر به فخاله جذية وغرّه؛ فسار حتى قدّم على الزبّاء، فقبل لها: إن قصيراً بالباب.
فأمرت به فأدخل، فإذا أنفه قد جُدع، وظهره قد ضرب؛ قالت: ما الذى أرى
بك يا قصير؟ قال: زم عمرو أنى قد غررتُ خاله وزينتُ له المصير إليك وغششتُ
وما لأنك؛ فصل فى ما ترين؛ فأقبلتُ إليك. فأكرمته، وأصابته عنده من الخزم
والرأى ما أرادت.

فما عرف أنها استرسلت إليه، ووثقت به قال: إن لى بالعراق أموالاً كثيرة
وطرائف وثياباً وعلماً؛ فابئينى إلى العراق، لأجل مالى وأجل إليك من برّهما^(٤)
وطرائفها وعلماها، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة، وبعض مالا غنى للملك عنه.
وكان أكثر ما يطرفها^(٥) من الصرّان^(٥)، وكان يصعبها؛ فلم يزل يُزين ذلك حتى
أذنت له، ودفت إليه أموالاً، وجيزت معه عبيداً.

(١) جذع أنفه: قطعها. (٢) ذمت أشتالا. (٣) البر: الثياب. (٤) يطرفها: يطليها.
(٥) الصرّان: تمر وزين صلب.

فسار قصير بما دفت إليه حتى قَدِم العراق ، وأتى الحيرة متذكراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البز والأمتعة؛ لعل الله يُمكن من الزباء ؛ فصيب ثارك ، وقتل عدوك . فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء ؛ فأعجبها ما رأَتْ وسرها ، وازدادت به ثقة ؛ وجهزته ثانية ؛ فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصعباك ، وهبي الفرائز ؛ واحمل كل رجلين على بعير في غرارين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أفتك على باب نقيها ، وخرجت الرجال من الفرائز فصاحوا بأهل المدينة ، فَمَن قَاتَلَهُمْ قَتَلوه ؛ وإن أُقْبِلَتِ الزباء تريد النَفَقَ جَلَّتْهَا بالسيف .

فعل عمرو ذلك ، وحل الرجال في الفرائز بالسلاح ، وسار يَكُن النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها قدِم قصير فيسرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف ؛ وقال لها : آخر البز على القلوص^(١) . وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به . وقال لها : جئت بما صاء وصمت^(٢) .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكادُ قوائمها تسوخن في الأرض من ثقل أحمالها ؛ فقالت : يا قصير :

ما للبحال مَشِيهاً وثيداً^(٣) أجندلاً يحملن أم حديداً
أم صرَفاناً تارزاً شديداً^(٤)

(١) ذهبت مثلاً ، والبز : الثياب ، والقلوص : الأتي الثابتة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : المشاء والإبل ، وما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهبت مثلاً . (٣) وثيداً : بطيئاً . (٤) تارز : اليائس .

قتال قصير في غسه :

• بل الرجالُ قُبُصًا قصودًا •

فدخلت الإبل المدينة ؛ حتى كان آخرُها بغيراً مرَّ على بواب المدينة ! وكانت
بيده منخسةٌ ؛ فنغس الفرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ،
فقال : شرقي الجُوالق^(١) !

فلما توسطت الإبلُ المدينةَ أنيختْ ، ودلَّ قصيرُ عمرٍا على باب النفق الذي
كانت الزبباءُ تدخله ، وأرنته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الفرائر ، فصاحوا
بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأقبلت الزبباء
تريده ، فأبصرت عمرًا فرفقته بالصورة التي صُوِّرت لها ؛ فصعَّتْ خاتمها - وكان فيه
السم - وقالت : يدي لا بيد عمرو^(١) . وتلقاها عمرو فجلبها بالسيف وقتلها ،
وأصلب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفأ راجعاً إلى العراق .

(١) ذهبت مثلاً .

٢٥ - قَبِجَ اللَّهُ جَمَالاً لَا تَقَعُ فِيهِ *

كَانَتْ عَثْمَةُ بِنْتُ ابْنِ مَطْرُودَ الْبَجَلِيَّةِ ذَاتَ عَقْلٍ وَرَأْيٍ مُسْتَسَعٍ فِي قَوْمِهَا ،
وَكَانَتْ لَهَا أُخْتُ يُقَالُ لَهَا خَوْدٌ ؛ ذَاتَ جَمَالٍ وَمِيسَمٍ وَعَقْلٍ ، ثُمَّ إِنَّ سَبْعَةَ إِخْوَةٍ مِنَ
الْأَزْدِ خَطَبُوا خَوْدًا إِلَى أَبِيهَا ، فَأَتَوْهُ وَعَلِيهِمُ الْخُلَلُ الْيَمَانِيَّةُ ، وَتَحْتَهُمُ النَّجَائِبُ
الْقُرَّةُ^(١) . قَالُوا : نَحْنُ بَنُو مَالِكِ بْنِ غَفِيلَةَ . قَالَ لَهُمْ : انْزِلُوا عَلَى الْمَاءِ ، فَتَزَلُّوا
لَيْتَهُمْ ثُمَّ أَصْبَعُوا غَادِينَ فِي الْخُلَلِ وَالْهَيْئَةِ ، وَمَعَهُمْ رَيْبِيَّةٌ^(٢) لَمْ كَاهِنَةٌ يُقَالُ لَهَا :
الشَّعْنَاءُ .

فَرَوَا بِوَصِيدِهَا^(٣) ، يَحْمَرُّونَ لَهَا ، وَكَلِمُهُمْ وَسِيمٌ جَمِيلٌ ، وَخَرَجَ أَبُو هَاغِلُسُوا
إِلَيْهِ ، فَرَحِبَ بِهِمْ ، قَالُوا : بَلَّغْنَا أَنَّ لَكَ بَنَاتًا ، وَنَحْنُ كَا تَرَى شَبَابٌ ، وَكُنَّا يَمْنَعُ
الْجَانِبُ ، وَيَمْنَعُ الرَّاغِبُ . قَالَ أَبُو هَا : كُلُّكُمْ خِيَارٌ . فَأَقِيمُوا حَتَّى تَرَى رَأَيْنَا .
ثُمَّ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ قَالَتْ : مَا تَرَيْنِ ؟ قَدْ أَتَاكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ . قَالَتْ : زَوْجِي
عَلَى قَدْرِي ، وَلَا تَشْطَلُ^(٤) فِي مَهْرِي ؛ فَإِنْ تَخَطَّنِي أَحْلَامُهُمْ فَلَا تَخَطَّنِي أَجْسَامُهُمْ .
لَعَلَّ أَمِيبٌ وَلَهَا ، وَأَكْثَرُ عَدَا .

فَنَجَرَ أَبُو هَا ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ أَفْضَلِكُمْ ، قَالَتْ رَيْبَتُهُمُ الشَّعْنَاءُ
السَّكَاةُ : اِسْمُ أَخِيرِكُمْ عَنْهُمْ ؛ مِمَّ إِخْوَةٍ ، وَكَلِمُهُمْ أَسْوَةٌ . أَمَّا الْكَبِيرُ فَلَمَّا كَانَ ،
جَرَى فَاثْنُكَ ، يَسْبُ السَّنَابَكَ^(٥) ، وَيَسْتَصْفِرُ لِلْهَالِكِ . وَأَمَّا الْبَقَى بَلِيَّةٌ فَالْمَعْرُورُ ،

* بَجِجَ الْأَمْثَالُ : ١ - ٩٠

(١) قُرَّةٌ : جَمْعُ قُرَّةٍ وَهُوَ مِنَ الْقَدَوَابِ الْجَلِيدَةِ السَّيْرِ النَّظِيفَةِ الْخَفِيفَةِ . (٢) الرَيْبِيَّةُ : الْخَاضِعَةُ .

(٣) الْوَصِيدُ : الْفَتَاءُ . (٤) لَا تَشْطَلُ : لَا تَبَالُغُ ، وَلَا تَهَاوِزِ الْحَدَّ .

(٥) السَّنَابَكَ : الْمَرْفَعُ حَوَائِزَ الْحَيْلِ .

بحر عَمْر^(١) ، يقصر دونه الضرع ، نَهْد^(٢) صفر . وأما الذى يليه فضمة ، صليب^(٣) للجمجمة ، مَنِيحُ الشَّعْثَةِ ، قليل الجمجمة^(٤) . وأما الذى يليه فاصم ، سَيْدٌ ناعم ، جَلْدٌ صَارِمٌ ، أبى حازم ، جيشه غام ، وجارُه سالم . وأما الذى يليه فتَوَابٌ ، سريع الجواب ، عَتِيدُ الصَّوَابِ ، كَرَمُ النَّصَابِ^(٥) ؛ كَلَيْثُ النَّابِ . وأما الذى يليه فَمَذْرِكٌ ، بِذُولٍ لَا يَمْلِكُ ، عَزُوبٌ^(٦) عَمَّا يُتْرَكُ ، يُفْنَى وَيُهْلِكُ .

وأما الذى يليه فَجَنْدَلٌ ، قِزْرَتُهُ مُجْدَلٌ^(٧) ، مَقْلٌ لَمَّا عَمِلَ ، يُعْمَلُ وَيَبْدَلُ ، وعن عذوه لَا يَنْسُكُلُ^(٨)

فشاورت أختها عَمَّةَ فِهم ، قالت : ترى الفتيتان كَالنَّخْلِ ، وما يدريك ما الدَّخْلُ^(٩) ، اسمى منى كلمة : إن شَرَّ التَّريَةِ بُعْثُنٌ ، وخَيْرُهَا بُدْقُنٌ ، تَزُوجُنِي في قومك ، وَلَا تَقْرُزُكَ الأجسام .

فلم قبل منها ، وبعثت إلى أبيها : زَوْجِي مُدْرِكًا ، فَمَ ذلك على مائة ناقة ورُعاها . وجمها مُدْرِكٌ ، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صَبَّحَهُمْ فَوَارِسٌ من بني مالك ابن كِنانة ، فاقتلوا ساعة . ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته . فَسَيِّئَتْ فيهن سَيِّئِينَ من النساء ا

فبينما هي تسير بَكَّتْ ، قالوا : ما يبكيك ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قَبِحَ اللهُ جالا لَا تَقْعُ معه ، إِنَّمَا أَبْكِي على عِصْيَانِي أُخْتِي في قولها : « ترى التيتان

(١) النمر : عظم البحر . (٢) النهْد : الأسد والكرم . (٣) الصليب : الشديد .

(٤) قليل الجمجمة : كلامه بين . (٥) النصاب : الأصل . (٦) عزوب : يهد .

(٧) جبلة : صرعه على الجبلية (الأرض) . (٨) لا يمسك : لا ينجس . (٩) ذهب مثلا .

يضرب لمن يكون مغرره خيرا من غيره .

كالنخل ، وما يدريك ما النخل ! » وأخبرتهم كيف خطبوا .

فقال لها رجل منهم - يسكنى أبا نؤاس - شابٌ أسودُّ أفوه^(١) مضطرب
انطلق - أترضين بي على أن أمنحك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه :
أكذلك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع ما ترين ليمنع الحليلة^(٢) ، وتقيبه^(٣)
القبيلة .

قالت : هذا أجهل جبال ، وأكل كال ! قد رضيتُ به . فزوجوها منه .

(١) رجل أفوه : عظيم الفم . - (٢) الحليلة : الزوجة . - (٣) تقيبه : تخافه وتحميه .

٢٦ — أفضل النساء وأفضل الرجال*

خرجت الصغفاء بنت علقمة السعدى وثلاث نسوة من قومها ، وتواعدن روضةً يصعدن فيها ، فوافين بها ليلاً في قصر زاهر ، وليلة طلقه ساكنة ، وروضة معشية خصبة .

فلما جلسن قلن : ما رأينا كالمية ليلة ، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ربحاً ولا أنفراً اثم أفصن في الحديث ، قلن : أي النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخروء^(١) الخروء والورد^(٢) . قالت الأخرى : خيرهن ذات الفناء ، وطيب النساء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع^(٣) ، إلنفوع ، خير للنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجمجمة لأهلها ، الوادعة ، الراضة لا الواضحة .

قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : إن أبى بكرم الجمار ، ويُسَظِم النار ، وينشر الميثار^(٤) بعد الحوار^(٥) ، ويعمل الأمور السكبارة ، وبأَقْ من الصغار .

قالت الثانية : إن أبى عظيم الخطر ، منيع الوزر^(٦) ، مزز النفر ، محمد منه الورد والصدر^(٧) .

* بحسب الأقال ٢ : ٧٢

(١) الخروء : الحية الطويلة الكوت . (٢) السموع : التي تسع القول . (٣) العار : جمع معمر ، وهي الناقة التي يضي لها عمرة أشهر . (٤) الحوار : ولد الناقة ساعة نضجه ، أو لله أن يضل عن أمه . (٥) الوزر : اللجأ . (٦) الورد : الورد على الماء ، والسمو : البودة من الاستقاء .

قالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجفان ^(١) ، كثير الأعوان ،
يُروى السنان عند الطمان .

قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال ، مُنيف ^(٢) المقال ؛ كثير النوال ، قليل
السؤال ، كريم الفعال .

ثم تناقروا ^(٣) إلى كاهنة مميّنة في الحى ، قلن لها : اسمى ما قلنا ، واحكى
بيننا وأعدلى ؛ ثم أَعَدَنَ عليها قولهن ، قالت لمن : كلُّ واحدةٍ منكن ماردة ^(٤) ،
بأبيها وأجدة ^(٥) ، على الإحسان جاهدة ، لصواحبها حاسدة ، ولكن اسمعن قولي :
خير النساء الثبينة على بئسها ، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها ؛
فهي تؤثر حظَّ زوجها على حظِّ نفسها ، فتك الكريمة الكاملة . وخير الرجال
الجواد البطل ، القليل النسل ، إذا سألَه الرجل أقاء قليل المال ، كثير النفل ^(٦) ،
ثم قالت : « كلُّ قاعةٍ بِأبيها مُعجبة ^(٧) » .

(١) الجفان : القلب . (٢) منيف للقال : مرتفع . (٣) تناقروا : ذعن وذعنوا .
(٤) ماردة : عاقبة قد بلغت النجابة . (٥) وجد به : أحبه . (٦) النفل : السلية .
(٧) ذعبت ستلا .

٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ *

كانت جَلِيلَةُ بنتَ مُرَّةَ أُختُ جَسَّاسِ زَوْجِ الكَلِيبِ بنِ رَيْمَةَ^(١)؛ فها قُتِلَ جَسَّاسٌ^(٢) كَلِيبًا اجتمع نساءُ الحَيِّ لِلأَتَمِّ، قُتِلْنَ لِأُختِ كَلِيبٍ: رَحْلِي جَلِيلَةُ عن مَأْمَكٍ؛ فَإِنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتَةٌ وَهَارٌ عَلَيْنَا عِنْدَ الْعَرَبِ؛ قَالَتْ لَهَا: يَا هَذِهِ؛ أُخْرَجِي عَن مَأْمَعِنَا، فَأَتَتْ أُخْتُ وَاتَرَنَا وَشَقِيقَةٌ قَاتِلُنَا؛ غَرَجَتْ وَهِيَ تَجِرُّ أَعْطَافَهَا؛ فَقَتَبَهَا أَبُوهَا مُرَّةٌ، قَالَتْ لَهَا: مَا وَرَاءَكَ لِجَلِيلَةَ؟ قَالَتْ: تُكَلِّمُ اللَّمَدَ، وَخُزْنُ الْأَبَدِ، وَقَدْ حَلِيلَ، وَقَعْلُ أَخِي عَن قَلِيلٍ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الْأَحْقَادِ، وَتَقَعَتْ الْأَكْبَادُ؛ قَالَتْ لَهَا: أَوْ يَكْفُ ذَلِكَ كَرَمُ الصَّنْعِ وَإِعْلَافُ الدَّيَّاتِ؟ قَالَتْ جَلِيلَةُ: أَمْنِيَّةٌ عَن مَوْتِ وَرَبِّ الْكِسْبَةِ أَوْ بِالْبَذَنِ^(٣) تَدْعُ لَكَ قَتْلُ دَمِ رَبِّهَا!

فَمَ بَلَغَ جَلِيلَةَ أَنَّ أُخْتِ كَلِيبٍ قَالَتْ حِينَ رَحَلَتْ: رِحَّةٌ لِلْعَدُوِّ وَفِرَاقُ الشَّامِتِ أَوْ بَلْ غَدًا لَأَلْ مُرَّةٌ؛ مِنَ الْكَرَّةِ بَدَلَ الْكَرَّةِ! قَالَتْ: وَكَيْفَ تَشُمَّتِ الْحُرَّةُ بِهَيْكَلِ سِتْرِهَا، وَتَرْقُبُ وَتَرَهَا! أَسَدَ اللَّهُ^(٤) جَدَّ أَخِي، أَغْلَا قَالَتْ: قَرَّةُ الْحَيَاةِ، وَخَوْفُ الْإِعْتِدَاءِ أَمِ أَنْشَأَتْ تَحُولُ:

* الْأَخَانِي: ٥ - ٦٣ (طبعة دار الكتب) نهاية الأرب: ٥ - ٢١، ابن الأثير: ١ - ٢١٦
مهذب الأخاني: ١ - ٨٥

(١) كان كَلِيبُ بنِ رَيْمَةَ سَيِّدَ رَيْمَةَ، يَزَلُمُ وَيَرْجُلُهُمْ، وَلَا يَصْدُرُونَ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ أَمْرِهِ، وَلَا يَجِيرُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي رَيْمَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَكَانَ يَمْسِي أَمْسَكَةَ السَّيِّدِ وَيَحِلُّسُ اللَّاءَ. وَضَرَبَ بِهِ الْقَتْلَ قَالُوا: أَعَزُّ مِنْ كَلِيبٍ. (٢) كَانَ لِبَاسِ خَلْفَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ جَاوَرَتْ بَنِي مُرَّةَ، فَتَزَلَّتْ عَلَى جَسَّاسِ ابْنِ أُخْتِهَا، وَسَمِعَا نَاقَةَ، فَتَنَّتِ النَّاقَةُ يَوْمًا، فَتَسَلَّتْ فِي لَيْلٍ كَلِيبَ تَرعى فِي حِمَاهِ، فَظَنَرَ إِلَيْهَا فَأَنكَرَهَا وَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فِي ضَرْعِهَا، فَوَلَتْ حَقَّ بَرَكْتِ بَنَاتِهَا صَاحِبَتِهَا، وَضَرْعُهَا يَشْفِي دَمًا، فَصَاحَتْ: وَإِذَا لَهْ! فَقَتَلَ جَسَّاسٌ كَلِيبًا لِقَاءَهُ، وَقَتَلَ جَسَّاسٌ نَحْوَةَ ٨٥ ق. ٨٠.

(٣) الْبَذَنُ: جَمْعُ بَذَنَةٍ تَكُونُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ. (٤) الْمَدُّ هُنَا: الْخَطُّ.

يَا بَنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتَ فَلَا
 فَلِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي
 إِنْ تَكُنْ أَخْتُ امْرِئٍ لَيْسَتْ عَلَيَّ
 جَلٌّ عِنْدِي ضَلُّ جَسَاسٍ يَا
 ضَلُّ جَسَاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ
 تَحْمِلُ الْمَيْنَ قَذَى الْمَيْنِ كَمَا
 يَأْتِيَالاً قَوْضَى الدَّهْرِ بِهِ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الْإِسْطَحْلِي
 يَا نَسَائِ دُونَكُنَّ الْيَوْمَ قَدْ
 خَصَنِي قَتْلُ كُلِّبِي بِالطَّلِي
 لَيْسَ مَنْ يَكِي لِيَوْمِي كَنْ
 يَشْفِي لِلدَّرِكِ بِالْقَارِ ، وَفِي
 لَيْتَهُ كَانَ دِي فَاحْتَلَبُوا
 إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ

تَجْعَلِي بِاللَّوْمِ حَقِّي تَسْأَلِي
 يُوجِبُ اللَّوْمَ قَلْبِي وَاعْذَلِي
 شَفَقِي مِنْهَا عَلَيْهِ فَاقْضِي
 حَسْرَتِي عَمَّا تَجَلَّتْ أَوْ تَنْجَلِي
 قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُذْنِي أَجَلِي
 تَحْمِلُ الْأُمَّ أَذَى مَا قَتَلْتِي^(١)
 سَقَفَ يَتَّى جَمِيعًا مِنْ عِلِّي
 وَانْتَقَى فِي هَذَمِ يَتَّى الْأَوَّلِ
 خَصَنِي الدَّهْرُ بَرُوزُهُ مُضْغَلِي
 مِنْ وَرَائِي وَلَقَى مُسْتَقْبَلِي
 إِنَّمَا يَكِي لِيَوْمِي يَنْجَلِي
 هَوَايَ تَارِي تَكَلُّمِي لِلشَّكْلِ^(٢)
 بَدَلًا مِنْهُ مَا مِنْ أَسْجَلِي^(٣)
 وَلِلَّهِ أَنْ يَرْتَحَ لِي

(١) تَقْضِي : تَحْرِقُ . (٢) الشَّكْل : اللَّيْزَانِ . (٣) الْأَسْجَل : عَرَقٌ فِي الدَّرَجِ يَخْصَدُ .

٢٨ - كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد^(١)

كان زُرارة بن عدس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنة قتيب ، فرأى منه خيلاً ونشاملاً ، وقد جبل بضرب غلمان - وهو يومئذ شاب - قال له : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتني بمائة من هيجان^(٢) ابن النضر بن ماء السماء ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال قتيب : لله على الأيمس رأسى غسل ، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمرًا حتى أجمعها جعياً أو أموت .

ففرج قتيب ومعه ابن خال له يقال له القتراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعرًا شريفاً ، فساروا حتى أتيا بني شيبان ، فلما حل نادىهم ، ثم قال قتيب : أفيكم قيس بن خالد ؟ - وكان سيد ربيعة يومئذ - قالوا : نعم . قال : فأفيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنك - وكانت حل قيس يمين - ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشر ، وسمع^(٣) به - قال له قيس : ومن أنت ؟ قال : قتيب بن زُرارة بن عدس . قال قيس : عجبا منك ! هلّا كان هذا بنى وبنينك ؟ قال : لم يأم ؟ فوالله إن فيك لرحبة وما بنى من عيب ، ولئن ناجيتك لا أخدمك ، ولئن عالتك لا أفضحك . فأعجب قيساً كلامه وقال : كف ، كرم ، إني قد زوجتك ومهرتك مائة ناقة ؛ ليس فيها ناقة ولا كزوم^(٤) ، ولا نيت عندنا عزياً ولا غروماً .

* الأمازي : ٩ - ١٣٠ (طبعة الساسي) ، مع الأشكال : ٢ - ١٥٢ .
(١) ابن هيجان : يعني كرام (٢) سمع : فضحه وشتمه . (٣) الخاب : الناقة للينة ، والكزوم : ناقة ذهب استنبتا حرماً .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوجت قتيب بن زُرارة ابنتي فلانة فاصنعها ، واضربي لما ذلك البقي^(١) ؛ فإن قتيب بن زُرارة لا يبيت فينا عزراً .

وجلس قتيب يحدث معهم ؛ فذكروا النزو ، فقال قتيب : أما النزو فأزادها إلقاح ، وأهزلها للجمال ، وأما اللقاح فأسمتها للجمال ، وأحبها للنساء . فأحب ذلك قيساً ، وأمر قتيبا فذهب إلى البقي فجلس فيه ، وبشت إليه أم الجارية بمخمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن رددتها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية بالخمرة بمخر شمره ولحيته . ثم ردها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ، قالت : إنه خلطي للخير .

فلما أسمى قتيب أهدبت الجارية إليه ، فازحها بكلام اشمازت منه ، فنام وطرح عليه طرف خبيضة^(٢) ، وماتت قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجت إلى أمها ، فاثبه قتيب فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قُرَاداً وهو في أسفل الوادي ، قال : ارحل يَمِيرَكَ^(٣) ، وإياك أن يسمع رُغَاؤُها .

فوجهها إلى اللندر بن ماء السماء ، وأصبح قيس فققد قتيبا ، فسكت ولم يذر ما اتى ذهب به ، ومضى قتيب حتى أتى اللندر ، فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه^(٤) ، فيث بها قُرَاد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كِسرى فسكاه وأعطاه جوهراً ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهز بنته ؛ ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ؛ وليكن أكثر

(١) البقي : القسطاط . (٢) الخبيضة : كداء أسود مرمح له علان . (٣) البير : الجبل البازل أو الملتصق ، وقد يكون للأنثى ، ورحل البير : خط عليه الرسل . (٤) هجائنه ، أي هجانه .

طبيبك للآء فأنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، وأعلى أن زوجك فارس مُضر ،
وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخشى عليه وجهاً ولا تحلقى شرماً ، قالت له :
أما والله لقد رببتني صغيرة ، وأقصيتني كبيرة ، وزودتني عند الفراق شرّاً زاداً
وارتعيل بها قتيط ، فصلت لا تمر بحجر من أحياء العرب إلا قالت : يا قتيط ،
أمؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم ، فرأت
القيلبَ وأخيل المرباب ؛ قالت : يا قتيط ، أمؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أبداً
يُعلم وينحر ، ثم أكلت عنده حتى قُتل يوم جيلة^(١) .

فبث إليها أبوها أخاه ليُصَحِّلَ إليه ، فلما ركبته أقبلت حتى وقفت على
نادى بني عبد الله بن دارم ، قالت : يا بني دارم ؛ أوصيك بالترائب خيراً ، فوالله
ما رأيتُ مثل قتيط لم تخش عليه امرأةً وجهاً ، ولم تحلق عليه شرماً ، فلو لا أنى
غريبة لمخشت وحقت . فأمنوا عليها .

(١) جيلة: غنبة حراء بين الصرف والعرى ، وما ماء ابن لبي عمير وبني كلاب ، وكان اليوم

بين عيس وذبيان ابني بني .

٢٩ - ما وراك يا عصام*

لما بلغ الحارث بن عمرو^(١) ملك كِنْدَةَ جالاً ابنة عوف بن مُحَلِّمِ الشَّيبَانِي ،
وكلها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بني كِنْدَةَ يقال لها عصام ، ذات عقلٍ ولسانٍ
وأدبٍ وبيانٍ ، وقال لها : اذهبي حتى تَعْلَمِي لى عِلْمِ ابنة عَوْفٍ .

فَضَتْ حتى انتهت إلى أمها ، فأعطيتها ما قدمت لله ، فأرسلت إلى ابنتها ،
وقالت : أَيْ بُنْيَتِي ؛ هذه خالكت أُمَّتِكَ لتَنْظُرَ إِلَيْكَ ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت
النظر إليه من وجوه وخلقٍ ، وناطقيها إن استنطقتكَ .

فدخلت عصامٌ إليها ، فنظرت إلى ما لم تَرَ عنها مثله قط بهجةً وخُشاً وجمالاً ؛
فإذا هي أَكَلُ النَّاسِ عقلاً وأفصحهم لساناً ؛ ففرجت من عندها وهي تقول :
ترك الخلدُ من كُفِّ القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراك يا عصام ؟ قالت : صَرَخَ الخنْزُ
عن الزُّبْدِ^(٢) . قل : أخبريني . قالت : أَخْبِرُكَ حَيْدَقاً وحَقّاً .

رأيت جبهة كالمِوَاءِ الصَّعِيَّةِ ، زِينَتُهَا شعر خالِكٍ كَذَنَابِ الخَيْسَلِ لِلصَّفْوَةِ ،
إن أُرْسِلَتْ خِلَّتْه السَّلاسلُ ، وإن مَشَّطَتْه قَلَّتْ عِناقيدُ كَرَمٍ جَلَّاهُ الوَائِلِ^(٣) .
وحاجبين كأَمْساخٍ يَلْمُ أَوْ سَوْدَا بَهْمٍ^(٤) ، قد تَوَسَّأَ على عَيْنِ الطَّلْبِيَّةِ

* جميع الأسمال : ٢ - ١٩٢ ، القند الفريد : ٣ - ٢٢٣ .

(١) كان الحارث بن عمرو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان معاصراً في قومه ، فوياً في عصيته ،
وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥٠ ق. هـ . (٢) عن ابن : أخذ زبده ، والصرخ :
التين . وهو مثل : يضرب للأمر إذا انكشف وتبين . (٣) الوائل : العير الشديد .
(٤) البهم : النعم .

المبصرة^(١)، التي لم يدعها قانس ولم يدعها قصورة^(٢)، بينهما ألف كحد السيف
المصقول، لم يخنس^(٣) به قصر، ولم يمتض به طول، حُفَّتْ به وَجَّتَتْكَر
كالأرجوان^(٤) في بياض تخض كالجمان^(٥)، شُقَّ فيه فم كالخاتم، لذيد المبتسم
فيه ثنائياً غر، ذوات أثر^(٦)، وأسنان تبدو كالدرر، يثلب فيه لسان ذو فصاحة
وبيان، يحرُّكه عقل وافر، وجواب حاضر^(٧).. إلى أن قالت: فأنا ما سوى
ذلك فتركت أن أصفه. غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أوثر. فأرسل
لها إلى أبيها تطلبها، فوجه إليها.

فلما صحت إلى زوجها: قالت لها أمها: أمانة بنت الحارث:

أى بُنيَّة؟ إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لك منك، ولكنها
تذكرتك للنافل؛ ولو أن امرأة استفتت عن الزوج لذي أبويها، وشدة حاجتها
إليها كفت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خُلِقْنَ للرجال، ولهنَّ
خُلِقَ الرجال.

أى بُنيَّة؟ إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه
درجت، إلى ذكر لم تعرفه، وقرين لم تألفه، فأصبح بملكك عليك رقيقاً
ومليكا، فكوى له أمة يسكن لك عبداً وشيكاً^(٨).

بابنية، أحل على عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرًا: الصعبة بالقناعة،
والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتمهيد لموضع عينه، والتفقد لموضع أنفه؛ فلا تنع

(١) المبصرة: الرقيقة البصرة: الناعمة البياض. (٢) القصورة: الرماة من الميادين.

(٣) خنس: تأخر، والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأذنية.

(٤) الأرجوان: صبغ أحر. (٥) الجمان: القزلا. (٦) أثر: لأسنان: التحزيز الذي فيها.

(٧) نظر بنية الوصف في مراجع القصة. (٨) الشيك: السمع.

عينه منك على قبيح ولا يتم منك إلا أطيّب ربح ، والكحل أحسن الحسن ،
وللأطيب الطيب للفقود ، والتمهّد لوقت طامه ، والهدوء عنه عند منامه ؛ فإن
حرارة الجوع مكلّبة ، وتنقيص النوم مفضبة ، والاحتفاظ ببَيْتِه وماله ،
والإرعاء^(١) على غسه وحشيه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء
على اليأس والحشم جميل حسن التدبير ؛ ولا تُفشي له سرا ، ولا تَعْمِي له أمرا ؛
فإنك إن أفشيت سرّه لم تَأْمِ غَدْرَه ، وإن عصيت أمره أو غرّبت صدره ؛
ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان تريحا ، والاكتئاب عنده إن كان فريحا ، فإن
انفصاة الأولى من التصغير ، والثانية من التكدير ، وكوى أشد ما تكونين له
إشظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول
ما تكونين له مراعاة .

واعلم أنك لا تصلين إلى ما تُحبّين حتى تؤثرى^(٢) رضا على رضاك ، وهواه
على هوائك فيما أحببت وكرهت . والله يخبرك !

(١) الإرعاء : الإبعاد . (٢) تؤثرى : تفضل ، وتعدي .

٣٠ - لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمل ، وحسب ومال ، قالت ألا تزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتصدعن^(١) أغه ؛ فحماها الناس حتى انتدب^(٢) إليها زيد الخيل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زوّاراً ؛ فإقضى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زوّاراً خطّاباً ، قالت : أسكنهم كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القرى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثاني بنت بعض جواربها متسكرة في زى سائلة تترصص^(٣) لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطراً ماحل إلى كل واحد منهما . فلما صارت إلى دحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحل إليها جميع ما حل إليه .

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ؛ فاجتر زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي دُيَّيْسَانَ : مَا حَسَنِي عِنْدَ الطُّغَمَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ^(٤)
وَجَاءَتِ اخْلِيلٌ مَحْمُورًا بِوَادِرِهَا^(٥) بِالنَّاءِ يَسْفَعُ مِنْ لَبِّهَا الْعَلَقُ^(٦)
وَالْجَلَارُ يَسْلُمُ أُنَى لَتِ خَاذِلَه إِنْ نَبَّ دَهْرٌ لَطَمَ الْجِلْدَ مَعْرِقُ^(٧)

* المراجعة : ٤ - ١٦٠ (طبعة البقعة) ، ذيل الأمان : ١٥٤ (طبعة دار الكتب) ، شرح البيون : ٧٥

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتدت الحرب . (٣) البادرة : العمة التي بين التسكب والذيق ، وهي تحمر من الدم الذي يسيل عليها من فرسانها . (٤) اللق : اللق : الدم . (٥) اعتره : أكل ماعطيه من اللحم .

(٦ - ٦ - قصص العرب - ٢)

هذا التناهد ، فإن ترضى فراضيةً أو تسخطى فإلى من تطفئ النوى !
وقال أوس بن حارثة : إنك لتصلين أنا أكرمُ أحباباً ، وأشهرُ أفعالاً من أن
نصفَ أفعالك ؛ أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليُفغى حاجتى ولقد قضأها
فأوطى الحصى مثل ابنِ سُدَى ولا ليس النمل ولا احتذأها

وأنا الذى عفت عفتي^(١) ، وأعتقت عن كل شرعةٍ فيها عنه نسمةً ، ثم أنشأ
يقول :

فإن تنكحني ملوثةٌ الحسيرِ حامياً فما مثله فينا ولا في الأعاجمِ
ففى لا يزالُ العبرُ أكبرُ همِّه فكلُّ أسيرٍ أو مموءةٍ ظريمِ
وإن تنكحني زينةٌ قمارسُ قومه إذا الحربُ يوماً أقدمتْ كلَّ قائمِ
وإن تنكحني تنكحني غيرَ ظجيرِ ولا جارفٍ جرفِ الشيرةِ هاذمِ
ولا متقى يوماً إذا الحربُ شمرتْ بأهسها قسي ، كعيلِ الأشياءِ^(٢)
وإن طارِقُ الأضيافِ لاذَ برَحله وجدتْ ابنُ سُملى لغيري غيرَ عاتمِ^(٣)
فأنى فنى أهدى لك الله فاعلى فإننا كرامٌ من رموسٍ أكارمِ .
وأنشد حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنبُ والمجيرُ وقد عذرتنى^(٤) في طلائكم عذراً^(٥)
أماوى إن المالَ غادرٌ وراخٌ ويبقى من اللال الأحاديثُ والذُّكرُ

(١) الخيفة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشياء : جمع أشام وهو ضد الأيمان .

(٣) عثم الرجل عن النوى : كف عنه بعد اللقى فيه . (٤) عذرتنى : أى رشت عنى الموم

وبعيت الإساءة وطستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو المال .

أَمْأَوَىٰ إِذْ لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ
أَمْأَوَىٰ إِنَّمَا مَانِعٌ فُبَيْنَ
أَمْأَوَىٰ مَا يُنْفِي النَّزَاهَةَ عَنِ النَّفْسِ
أَمْأَوَىٰ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ^(١) بَقْفَرَةٍ
تَرَىٰ أَنْ مَا أَخَفْتُ لَمْ يَكُ ضَائِرِي
أَمْأَوَىٰ إِنْ رُبَّ وَاحِدٍ أَمَّهِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَامِلًا
أَمْأَوَىٰ إِنْ لِلَّالِ مَالٌ بِذِكِّهِ
وَإِنِّي لَا آلُو^(٢) بِعَالِي صَنِيعَةٍ
يُبَكِّثُ بِهِ الْبَاقِي^(٣) وَيُؤَكِّلُ طَعْنًا
وَلَا أَطْلُعُ ابْنَ اللَّيْلِ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي
غَنِينًا^(٤) زَمَانًا بِالتَّصْلُوكِ وَالنَّفْسِ
فَمَا زَادَنِي بَأْوًا^(٥) عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
وَمَا ضَرَّ جَارًا بِابْنَةِ الْقَوْمِ فَأَعْلَى
بِعَيْتِي عَنْ جَارَاتٍ قَوِيَّ غَلَّةً
قَالَتْ : أَمَا أَنْتِ يَا زَيْدَ قَدْ وَرَّتِ الرَّبَّ ، وَبَقَاؤُكَ مَعَ الْخُرَّةِ قَلِيلٌ ، وَأَمَّا
أَنْتِ يَا أَوْسَ فَرَجَلُ ذُو ضَرَّائِرٍ ، وَالْخَوْلُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ ؛ وَأَمَّا أَنْتِ يَا حَامِلَ فَرَضِي
الْأَخْلَاقِ ، مُحَمَّدُ الشَّيْمِ ، كَرِيمُ النَّفْسِ ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِي !

(١) النَّزْرُ : القِلَّةُ . (٢) نَهْنَه : بَشْتَه . (٣) الْمَحْرَجَةُ : الْفَرْغَةُ عِنْدَ الْوُت .
(٤) الصَّدَى : مَا يُبْقِي مِنَ اللَّيْلِ قُبْرَهُ . (٥) لَا آلُو : لَا أَهْضِرُ . (٦) الْبَاقِي : الْأَمِيرُ .
(٧) التَّصْلُوكُ : تَصَالُحُ الْبُيُوتِ . الْغَلَّةُ : الْفَتْرَةُ . (٨) غَنِينًا : غَنِي بِالْكَانِ : أَثَمٌ بِهِ .
(٩) الْبَأْوُ : الْكِبَرُ وَالْفَتْرُ .

٣١— سبيّة عُرْوَة بن الورد*

أصاب عُرْوَة^(١) بن الورد امرأة من بنى كنانة ، يقال لها سُلَى ، فأعقَبها واتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ، فَكَثُرَتْ عِنْدَهُ بَعْضَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا ، وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّهَا أَرْغَبُ النَّاسِ فِيهِ وَهِيَ تَقُولُ لَهُ : لَوْ حَبَّبْتُ بَنِي ، فَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ إِبْرَاهِيمَ فَصَحَّحْتُ بِهَا ، فَأَتَى مَكَّةَ ، ثُمَّ أَتَى لِلدِّينَةِ ، وَكَانَ يَخَالِطُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ بَنِي النَّضِيرِ ، فَيُقِرُّ ضُرُوتَهُ إِنْ احتَاجَ ، وَيُبَايِعُهُمْ^(٢) إِذَا غَمَّ .

وَكَانَ قَوْمُهَا يَخَالِطُونَ بَنِي النَّضِيرِ ، فَأَتَوْهُمْ وَهُوَ عِنْدَهُمْ ، فَتَالَتْ لَهُمْ سُلَى : إِنَّهُ خَارِجٌ بِي قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَضَالُوا إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّكُمْ تَسْتَعِينُونَ أَنْ تَكُونَ أَمْرًا مِنْكُمْ مَعْرُوفَةٌ النَّسَبِ صَحِيحَتُهُ سَبِيَّةٌ ، وَافْتَدَوْنِي مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَنَّي أَقَارُفُهُ ، وَلَا أَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا ؛ فَأَتَوْهُ فَسَقَوْهُ الشَّرَابَ ، فَلَمَّا سَمِعَ قَالُوا لَهُ : فَاوْتَا^(٣) بِصَاحِبَتِنَا ؛ فَإِنَّهَا وَسِيْطَةٌ^(٤) النَّسَبِ فِينَا ، مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنْ عَلَيْنَا سَبِيَّةٌ أَنْ تَكُونَ سَبِيَّةً ، فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْنَا ، وَأَرَدَتْ مُعَاوَدَتَهَا ، فَاخْطُبْهَا ؛ فَإِنَّا نَزَوِّجُكَ ؛ فَتَالَتْ لَهُمْ : ذَلِكَ لَكُمْ ، وَلَكِنْ لِي الشَّرْطُ فِيهَا أَنْ تُخَيِّرُوهَا ، فَإِنْ اخْتَارَتْنِي انْبَلَّغْتُ مَعِيَ إِلَى وَلَدِهَا ، وَإِنْ اخْتَارَتْكُمْ انْطَلَقْتُمْ بِهَا ، قَالُوا : ذَلِكَ لَكَ . قَالَ : دَعُوا ذَلِكَ إِلَى غَدٍ .

* الشجر والشراء : ٧٦ ، الألفاظ : ٣ - ٧٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) عروة بن الورد : هاجر من همدان الجاهلية ، وهاجر من فرسانها المدودين للدين الأيواد . وكان يلقب عروة الصاليك ؛ لأنه كان كارتيس عليهم يقوم بأمرهم . توفي نحو سنة ٣٠ هـ . (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع . (٣) اللقاة : إلقاء الأسير بالندية .

(٤) وسيطة النسب : حبيبة كريمة .

فما كان الند جاءوه فامتنع من فداها ، قالوا له : قد فلا يتنا به منذ الباردة ؛
وشهد بذلك جماعة من حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادها ، فلما قادوه خيروها
فاختارت أهلها ؛ ثم أقبلت عليه ، هالت : يا عروءة ، أما إني أقول فيك - وإن
فارقتك - الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألت سترا على بئ خير منك ،
وأغض طرفاً ، وأقل فحشاً ، وأجود بذا ، وأحصى لِحَقِيقَةٍ^(١) . وما مرّ على يوم
منذ كنتُ عندك إلا وللوث فيه أحبُّ إلى من الحياة بين قومك ، لآني لم أكن
أشاه أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروءة كذا وكذا ؛ والله لا أنظر
في وجه غطفانية أبداً^(٢) ، فازجع راشداً إلى ولديك وأخبرني إليهم !

ثم تزوجها رجل من بني عثما ، قال لها يوماً : ياسلى ؛ أني على كما أنفيت
على عروءة - وقد كان قولها فيه شهر - قالت له : لانتكفي ذلك ؛ فإني إن قلتُ
الحق غصيت ، ولا واللات والزما لا أكذب ؛ قال : عزمتُ عليك لتأينني
في مجلس قومي فلتنئين على بما تعلمين .

وخرج فجلس في ندي^(٣) القوم ، وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم ، فوقفت عليهم
وقالت : أنيموا صباحاً ، إن هذا عزم على أن أني عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه
قالت : والله إن شربك لأشتاف^(٤) ، وإليك لتنام ليلة تخاف ، ونشج ليلة
تضائف ، وما ترضى الأهل ولا الجانب^(٥) . ثم انصرفت . فلامه قومه ، وقالوا :
ما كان أغناك عن هذا القول منها .

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحبه . (٢) غطفان : هم قوم عروءة .

(٣) ندى القوم : مكان اجتماعهم وحديثهم . (٤) الاشتاف : شرب كل ما في الإلهام .

(٥) الجانب : القريب ، والراد به الشيف .

٣٢ - لو كان النساء كمثل هذى*

قال الحارث^(١) بن عوف يوماً لخارجة بن سنان العُمي: أتراني أخطبُ إلى أحدٍ فيردني؟ قال له: نعم! قال: ومن ذاك؟ قال: أوسُ بن حارثة الطائي؛ قال الحارث لتلامه: ارحلُ بنا. فحمل، وركبا حتى أتيا أوسَ بن حارثة في بلاده، فوجداه في فناء منزله، فلما رأى الحارثَ بنَ عوف قال: مرحباً بك يا حارث، قال: وكيف؟ قال: ما جاء بك؟ قال: جئتُك خاطباً، قال: لست هناك! فانصرف ولم يكلمه، ودخل أوسُ على امرأته مُغضباً. وكانت من عبس - قالت: مَنْ رجلٍ واقف عليك فلم يُطَل، ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيدُ الرب الحارث بن عوف، قالت: فما لك لم تستنزلهُ؟ قال: إنه استحقق^(٢). قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريدُ أن تزوجَ بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوجَ سيدَ الرب فنأ قال: قد كان ذلك. قالت: فتذكرُك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تلحكه فقرذه، قال: وكيف وقد قرط مني ما قرط إليه! قالت: تقولُ له قُبني مُغضباً بأمرٍ لم تُدِّمْ فيه قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت. عدْ ولك عندي كلُّ ما أحبيت، فإنه سيقبلُ. فركب في أثرهما.

قال خارجة بن سنان: فوافقه إلى لأسير مع الحارث إذ حانت مني التفاتة فرأيت أوساً، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غمّاً - قلت له: هذا أوسُ بن

* الأغانى: ١٠ - ٢٩٤ (طبعة دار الكتب)، للعتوف: ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة، أسلم وحسن إسلامه وبشبهه رسول الله رجلاً من الأنصار لى جواره يدعو قومه إلى الإسلام، قتلوا الأصارى. (٢) استحقق: قبل قبل الخ.

حارثة في أثرا ، قال : وما نصنعُ به ؟ امض . فلما رأنا لا هُتْ عليه صلح : بإحارث !
ازْبِعْ^(١) على ساعة ، فكلَّمته بذلك الكلام ، فرجع مسرورا .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : اذْجِي لي فِلانة لا كَثِيرَ بَنَاتِهِ . فَأَتَتْهُ ، قَالَ :
يَا بَنِيَّةُ ، هَذَا الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ ، قَدْ جَاءَنِي طَالِبًا خَاطِبًا ،
وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَرْوِّجَكَ مِنْهُ ، فَا تَوَلَّيْنِ ؟ قَالَتْ : لَا تَقْعَلْ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَتْ :
لَأَنِّي امْرَأَةٌ فِي وَجْهِ رَدَّةٍ^(٢) ، وَفِي خُلُقِي بَعْضُ الْمُهْدَةِ^(٣) ، وَلَسْتُ بِابْنَةٍ
مِثْلَ فَيْرَعِي رَجُلِي ، وَلَيْسَ بِجَارِكَ فِي الْبَلَدِ فَيَسْتَحْيِي مِنْكَ ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَرَى مِنِّي
مَا يَسْكُرُهُ فَيَطْلُقَنِي ، فَيَكُونُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مَا فِيهِ .

قَالَ : قَوْمِي ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، اذْجِي لِي فِلَانَةٌ - لَا يَنْتَهِي الْوُسْعَى - فَذَعَبَهَا ،
ثُمَّ قَالَ لَهَا مِثْلَ قَوْلِهِ لِاخْتِبَاهَا ، فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ جَوَابِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي خَرَفَاءُ^(٤) ، وَلَيْسَتْ
بِإِدَى صِنَاعَةٍ ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَرَى مِنِّي مَا يَكْرَهُ ، فَيَطْلُقَنِي ، فَيَكُونُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ
مَا تَعْلَمُ ، وَلَيْسَ بَابْنِ عَمِّي فَيْرَعِي حَقٌّ ، وَلَا جَارِكَ فِي بَلَدِكَ فَيَسْتَحْيِيكَ^(٥) . قَالَ :
قَوْمِي ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، اذْجِي لِي بِهَيْبَةٍ - صُغْرَى بَنَاتِهِ - فَأَتَى بِهَا ، فَقَالَ لَهَا كَمَا
قَالَ لَهَا ، فَقَالَتْ : أَنْتَ وَذَلِكَ . قَالَ لَهَا : قَدْ عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى اخْتِكَ فَأَبْتَاهُ ،
فَقَالَتْ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا مَقَالَتَهُمَا : لَكِنِّي وَاللَّهِ الْجَمِيلَةَ وَجِبًا ، الصَّنَاعَ بَدَأَ ، الرِّفِيعَةَ
خَلَقَا ، الْحَسِيَّةَ أَبَا ، فَإِنْ طَلَقَنِي فَلَا أَخْلَفُ اللَّهَ عَلَيْهِ بَخِيرًا ! قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْحَارِثِ فَقَالَ : زَوَّجْتُكَ بِهَيْبَةٍ بِنْتِ أَوْسٍ ؟ قَالَ : قَبِلْتُ .
فَأَمَرَ أُمَّهَا أَنْ تُهَيِّئَ لَهَا ، وَتَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا ؛ ثُمَّ أَمَرَ بَيْتَ فَعْرَبٍ لَهُ ؛ وَأَنْزَلَهُ إِيَّاهُ ؛
فَلَمَّا هَيَّئَتْ بُعِثَ بِهَا إِلَيْهِ .

(١) رَجَعَ عَلَيْهِ : وَقَفَ لَهُ ، أَوْ مَالَ إِلَيْهِ . (٢) الرَّدَّةُ : شَيْءٌ مِنْ قَبِيحِ . (٣) الْمُهْدَةُ : الْعِيبُ .

(٤) خَرَفَاءُ : امْرَأَةٌ غَيْرُ شَاعٍ . (٥) لَيْسَتْ بِجَارِكَ : يَسْتَحْيِي مِنْكَ .

قال خارقة بن سنان : فلما أدخلتُ إليه لَبِثَ هُنَيْةً ثم خرج إلى ، قلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لما دخلتُ إليها قالت : مه ! أعتد أبي وإخوتي ؟ هذا والله ما لا يكون . قال خارقة : ثم أمر بالرحلة ؛ فارتحلنا ورحلنا بها معنا ؛ فسيرنا ماشاء الله ، ثم قال لي : تقدم ، فضمت ، وعمل بها عن الطريق ؛ فسا لبث أن لقيتني ؛ قلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكا يفعل بالأمة الجلبية^(١) أو السبية الأخيذة^(٢) ؟ لا والله ، حتى تنحر الجزر^(٣) وتذبح النعم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل مثلي ؛ قلت : والله إنني لأرى همة وعقلاً ، وأرجو أن تكون للمرأة منجبة إن شاء الله .

قال خارقة : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر الإبل والنعم ، ثم دخل عليها ، وخرج إلى ، قلت : أفرغت ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها ، وقلت لها : قد أحضرنا من اللال مائة ترين ، قالت : والله لقد ذكرتني من الشرف ما لا أراه فيك ؛ قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرغ للنساء . والعرب يقتل بعضها بعضاً^(٤) ؛ قالت : فيكون ماذا ؟ قالت : أخرج إلى هؤلاء القوم فأصليح بينهم ، ثم أرجع إلى أهلك فلن يغوثك ما تريد ، قلت : والله إنني لأرى همة وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . . .

قال خارقة : ثم قال الحارث : أخرج بنا ، نفرجنا حتى أتينا القوم ففينا فيما بينهم بالصلح ، فأصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فجلنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بئر في ثلاث سنين ، فأنصرفنا بأجل الذكر ؛ ففاح بذلك وقال فيه زهير قصيدته^(٥) :

• أَيْنَ أُمَّ أَوْقَى دِمَّةً لَمْ تَكَلِّمْ •

(١) الجلبية : الجلبوية . (٢) الأخيذة : الأخوذة . (٣) جمع جزور ؛ وهو البئر .

(٤) كان ذلك في أيام حرب عيسى وذيان ، وهي المروقة بحرب داحس والتهراء .

(٥) وهي قصيدته التي تعد في اللغات .

٣٣ - بنت حاتم الطائي *

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : يا سباعان الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! محبتُ لرجل يميّته أخوه في حاجة فلا يرى منه الخير أملاً ! فلو كنا لا نرجو جنة ولا عذاب ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

قام إليه رجل قال : فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ؟ لما أتينا بسبأ يا طي ! كانت في النساء جارية سمّاه ^(١) ، حوّراه العينين ^(٢) لسمّاه ^(٣) ، لسمّاه ^(٤) عيطاء ^(٥) ، سمّاه الألف ، ممتلئة القامة .

فلما رأيتها أعجبت بها ؛ قلت : لأطلبنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحصلها من قبتي ^(٦) ، فلما تكلمت أنسيتُ جمالها لاسمعتُ من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغلب الوافد ! فإن رأيت أن نخلف عني ، فلا تُشمت بي أحياء العرب ! فإني بنتُ سيدِ قومي ؛ كان أبي يهلكُ الساني ، ويمحي الذمار ؛ ويقرى الضيف ، ويُسبغ البسّاع ، ويخرجُ عن الحُكروب ، ويُطعمُ العظم ، ويخشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ؛ أنا بنتُ حاتم طي . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفاتُ المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خالوا عنها ، فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق !

* الأغانى : ١٦ - ٩٠٣ (طبعة الساسي) ، شرح السيوط : ٧٣

(١) جاء : سوحاء . (٢) المور : سواد العين كلها ، مثل القلياء ، ولا يكون في بني آدم ؛ بل يختار لها . (٣) جارية لسماء : في شقتها أدنى سواد ، معربة بمصر . (٤) اللى : سمرة في الألف . (٥) امرأة عيطاء : طوية النقى . (٦) الفز : التنجيم .

٣٤ - أيتها أعظم العرب مصيبة ؟

لما كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها نسيم^(١) الخنساء^(٢) هودجها في اللوسم ، وماظلتها العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريف وأخوها صخر ومعاوية ، وأنها جملت تشهد للوسم وتبكيهم ، وقد سوت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند^(٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها نسيم براية ، وشهدت للوسم بمكأظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرنوا جلي بمثل الخنساء ، فقلوا : فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنتِ وإخيتي ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد يلقي أهلك تماظلين العرب بمصبتك ، قِيم تماظلينهم ؟ قالت الخنساء : بصرو بن الشريف ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو . وبِم تماظلينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وهمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواه عنك ؟ ثم أنشأت تقول :

* الأغانى : ٤ - ٢١٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ١ - ١١٧

(١) نسيم النسب : جعل له سورة وعلامة ليترف ويشيز . (٢) اسمها تماضر بنت عمرو بن الصريد البلي ، كانت من شوارع العرب ، للترف لمن بالقدم وأدركت الإسلام ، وأسست ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر عمرها في رثاء أخوها معاوية وصخر ، وباتت في زمن معاوية بالبادية . (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

أَبْكِي أَبِي عَمْرًا بَيْنَ غَزِيرَةٍ قَلِيلٍ إِذَا نَامَ انْخَلَى مُجُودُهَا
وَصِنَوِيَّ، لَا أَتَسَى مَعْلُوبَةَ الْقِي لَهُ مِنْ سَرَاتِهِ الْحَرِيقَيْنِ ^(١) وَتُودُهَا
وَصَغْرَاءُ، وَمَنْ ذَامِلٌ صَغِيرٍ إِذَا غَدَا بِسَاهِيَةِ الْأَحَالِ قُبَا ^(٢) يَتُودُهَا
فَنَفْكَ يَا حَسْبَ الرِّزْيَةِ فَاعْلَمِي وَنِيرَانُ حَرْمٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا
فَقَالَتْ هَذَا تَجْبِيهَا :

أَبْكِي عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ ^(٣) كَلِمَهَا وَحَامِيَهَا مِنْ كُلِّ بَارِعٍ يُرِيدُهَا
أَبِي عَصَاةٍ غَلِيظَاتٍ وَتَحْكُ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالْحَالِي الْقَدَمَارِ وَلِيدُهَا
أُولَئِكَ آلُ الْجَبَدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي الْمَرْءِ مِنْهَا حِينَ يُنْسَى عَدِيدُهَا ^(٤)
نَمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْمُفْصَنَيْنِ أَوْ مِنْ رَأْمَا ^(٥) ا
قَرْمَانٍ لَا يَنْظَالَانِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
وَيَلِي عَلَى الْأَخَوَيْنِ وَالْقَبْرِ الْقِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكَبْرِ لَ وَلَا فَتَى كَفَتَاهَا
أَسْدَانٍ لَا يَهْدِلَانِ وَلَا يَرَامُ ^(٦) حِمَاهَا
رُتَحَانِ خَطِيَّانِ فِي كَعْبِدِ الْمَاءِ سَنَاهَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَعَا فِي سُودَدٍ شَرَوَاهَا ^(٧)
سَادَا بِنِيرٍ تَكْلِفِي عَفْوًا يَغِيضُ تَدَاهَاهَا

(١) المرأة : الأرض ذات الحجارة السود. والراد حرة بنى سليم، وحرة بنى هلال بالحجاز . أى هو مقصد الأشرف تأنيبه وفودها ليا يلم بها . (٢) الساهية : الدقيقه، والأحلال : جمع لؤلؤ وهو الحاصرة ، والقب : جمع آب ، وهى الفرس الدقيقه الحصر ، الفاصرة البطن . (٣) الأبطنان : تريد بطناء مكة وسهل تهامة . (٤) عديدها : جوعها . (٥) راءما : أمه وكمها . (٦) يرَام : يملكب . (٧) شرواها : مثلبها .

٣٥ - شجاعة صفية بنت عبد المطلب *

قالت صفيةُ بنت عبد المطلب : كان حسان^(١) بن ثابت معنفا في حصن قارع^(٢) يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ؛ قلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودي - كما ترى - يطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمنُ أن يذللَّ علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فانزل إليسه واقتله . قال : ينقر الله لك يا بنّة عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئا ، اعتجرت^(٣) ، ثم أخذتُ همودا ، ونزلتُ إليه من الحصن ففصرته بالمود حتى قتله ؛ فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؛ انزل إليهِ ، فأسلبه^(٤) فإنه لم يمتنع من سلبه إلا أنه رجل ! قال : ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب !

* المرق : ٧٢٥ ، معاهد التتبع ١ - ٧٤ ، الأتاني ٤ - ١٦٥ (طبعة دار الكتب) .
(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وطاش طويلا في الإسلام ؛ ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة معجزة بين رسول الله والمشركين . (٣) اعتجرت للرأفة : لبست للعجز وهو ما تشبه على رأسها .
(٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحدهما طرفين في الحرب من قرتهما يكون عليه ومعن ثياب وسلاح ودابة .

٣٦ — الخنساء عند عائشة*

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدكار^(١) من شعر ، قد استشمرت به إلى جليها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالبست^(٢) .

قالت : إنَّ له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلاً متلافًا ، فأُسْرِفَ في ماله ، حتى أخذته ، ثم رجع إلى مالى ، فأخذته أيضًا .

ثم التفت إلى قال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأنتبها ، قسم ماله شطرين^(٣) ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، قال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه قسم ماله شطرين ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .

قالت له زوجته : أما ترضى أن تضارهم ما لك حتى تحرم بين الشطرين ؟ قال :

والله لا أمتنعها شِرَارَهَا فَوَهَكَتْ قَدَدَتْ^(٤) خَارَهَا

* وَأَتَخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدْكَارَا *

فَأَكَيْتُ أَلَا يَفَارِقُ الصَّدَاكُ جَسَدِي مَا بَقِيَ !

* المقدم الفريد : ١ - ٢٢ ، شرح البيون : ٢٩٩

(١) المصدر : توب رأسه كالقنعة ، وأسفله يثنى الصعر وللنكبين ، وكانت المرأة إذا قعدت جيبها فأجدت عليه لبست صدرا من صوف . (٢) هبط إلى : أصفه .

(٣) قعدت : قعدت وعلقت .

٣٧ - إلهٌ عمر يعلم*

نهى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مدق^(١) اللبنِ بالساء ،
فخرج ذات ليلة فى حواشى المدينة ، فلذا بامرأةٍ تقول لابنة لها : ألا تَمَدِّقِينَ
لبنك قَدْ أَصْبَحَتْ ؟ قالت الجارية : كيف أمدق وقد نهى أمير المؤمنين
عن اللدق !

قالت : قد مدق الناسُ فامدقُ فما يدري أمير المؤمنين ؟ قالت : إن كان
عمرُ لا يعلم فإلهٌ عمر يعلم ، ما كنت لأضله وقد نهى عنه .

فوقت مقاتلتها من عمر . فلما أصبح دعا عاصمًا ابنه ، قال : يا بنى ؛ اذهب إلى
موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفها له - فذهب عاصم ، فلذا جارية
من بنى هلال . فقال عمر : اذهب يا بنى فزوجها ، فإحراها أن تأتى بفارس
يسود العرب ، فزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب ، فزوجها عبد المززر بن مروان ؛ فأتت بامر بن عبد المززر !

* سيرة عمر بن عبد المززر : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ . مع الأمثال ٢ - ١٣٨

ابن أبي الحديد : ٣ : ١١٠

(١) اللدق : الخلد .

٣٨ — كذلك المهر !*

لما قدم سعد بن أبي وقاص^(١) القادسية ، أتته حُرقة بنت النعمان بن النضر في جوارٍ كلهن في مثل زِيَّهَا ، يطلبنَ صِلَتَهُ .

فلما وقفنَ بين يديه قال : أبتكنَ حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم ، فأتسكَّرارك في السؤال ؟ إن الدنيا دارُ زوال ، لا تدومُ على حال ؛ إنا كنا ملوكَ هذا العصر ، يُعْجَى إلينا خراجُه ، ويُطِيعنا أهلُه مَدَى الإمرِ وزمان المولة ، فلما أذبر الأمر واقتضى ، صالح بنا صالح المهر فصدع عَصَانَا ، وشَتَّ مَلَانَا . وكذلك المهر باسمد ؛ إنه ليس يأتي قومًا بمسرةٍ إلَّا ويُستَغيثهم حسرة . ثم أنشأت تقول :

بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ تَقْتَصِفُ^(٢)
فَأَفِيءُ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَيْمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصْرَفُ !

قال سعد : قاتل الله عدى بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :
إِنَّ لِلْمَهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا لَا تَبِيتَنَّ قَدْ أَمَنْتَ الْمَهْوَرَا
قد بييت الفتى مُعَاقٍ قَيْرَدَى^(٣) وَلَقَدْ كَانَ آمَنَّا مَسْرُورَا

ودخل عمرو بن معد يكرب - وكان من قصَاد النعمان - وهي بين يدي سعد ، فلما نظر إليها قال : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فادعك ؟ أين تابع

* خزائن الأدب : ٣ - ١٨١ (المطبعة الأميرية) .

(١) هو قاض العراق ومدائن كسرى ، وقد بصره في آخر حياته ، وتوفي سنة ٨٥ هـ .

(٢) تقتصف : تختم . (٣) يروي : يهلك .

نَمِيكَ ، وَسَطَوَاتِ حَيْك ؟ قَالَتْ : يَا عَمْرُو ، إِنَّ الدَّهْرَ عَثَرَاتٍ قَصُرَ بِالْمُلُوكِ أَيْتَانِهِمْ
خَضِيفُهُمْ بِدِرْقَةٍ ، وَتَفَرَّدُكُمْ بِدَمْتَةٍ ، وَتَذَلُّهُمْ بِدَعِزَةٍ . إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ كُنَّا
نَنْظُرُهُ ، فَلَا حِلَّ لَمْ نَنْسِكِرْهُ .

فَلَا انْصَرَفَتْ مِنْ لَدُنْ سَدِّ قَبِيهَا نِسَاءَ الْقَادِسِيَّةِ فَتَلَّنَ لَهَا : مَا فَلَ بِكَ الْأَمِيرُ ؟
قَالَتْ : أَكْرَمَ وَجْهِي ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمَ الْكَرِيمُ .

٣٩ - لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ مِنَ الْحَيَاةِ *

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ : كُنْتُ عَلَى يَتِّ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ ،
فَكَانَ فِي يَتِّ مَالِهِ عَقْدُ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بَنْتُ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي يَتِّ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَقْدَ لَوْلُو ،
وَهُوَ فِي يَدِكَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ ، أَتَجْمَلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى .

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ ، مَرْدُودَةٌ بِدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بَنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَتْ : نَمِ ! عَارِيَّةٌ مَرْدُودَةٌ بِدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا وَإِنَّمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهَا ضَرْفَةً ؛ فَضَالَ لَهَا : مَنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ
هَذَا الْعَقْدُ ؟ قَالَتْ : اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ يَتِّ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
لَا تَزَيِّنْ بِهِ فِي الْعِيدِ ، ثُمَّ أُرْودُهُ .

فبث إلى أمير المسلمين فيثته ؛ قال لى : أَنَحُونُ لِلْمِلِينِ يَا أَبِى رَافِعُ ؟
قلت : معاذ الله أن أخونَ المسلمين ! قال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين
المقدّ القى فى بيت مال المسلمين بنير إذى ورضام ! قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها
بنتك ؛ وسألتنى أن أعيرها المقدّ نزين به ، فأعزتها إياه عارية مضمونة مردودة على
أن تردّه سالماً إلى موضعه ؛ قال : ردّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛
فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لا يلقى ! لو كانت أخذت المقدّ على غير عارية
مردودة مضمونة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة .

فبثت مقاتله ابنته ، قالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبضعة^(١)
منك ، فن أحقّ بلبيبه منى ! قال لها : يا بنت أبى طالب ؛ لا تفهمى بنفسك
عن الحق ! أكل نساء المهاجرين والأنصار يترنّ فى مثل هذا العبد بمنزل هذا !
فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

(١) بضعة : أى قلعة .

٤٠ — المنيرة يُخطب بنت النمان*

سار للمنيرة^(١) بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دِيرِ هند بنت النمان بن المنذر ، وهي فيه عياد مُرَهَّبَةٌ ، فاستأذنَ عليها ، فقبل لها : أميرُ هذه المدَرَةِ^(٢) بالباب ! قالت : قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةٍ بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أَمِنْ وَلَدِ الْمُنْذِرِ بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المنيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فاحاجتك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً ! قالت : لو كنتَ جئتني للجمال أو لِمَالٍ لأَطْلُبُكَ^(٣) ، ولكنك أردتَ أن تتشرفَ بي في محافل العرب ، فتقول : تزوّجتُ ابنة النمان بن المنذر ، وإلا فأنتُ خير في اجتماع أهول وعياد ؟

فبحث إليها : كيف كان أمرُكم ؟ قالت : سأختصرُ لك الجوابَ : أمسينا مساءً وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا وهو يرغب إلينا وَرَهْبُنَا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبه .

* الكامل للبهرد : ١ - ١٧٧ ، السمعاني : ٢ - ٦٨

(١) المنيرة بن شعبة : من قبيلة أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد بيعة الرضوان وفتح الشام واليرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أكبرها سنة ٥٠ هـ .
(٢) المدرة : المدينة الضخمة . (٣) أطلبه : أطلبه ما طلبه .

٤١ - ولقد آتيت على الطوى*

قال تميم بن عدى البربوعى :

كنتُ مع عبد الله بن العباس^(١) عند مُنصرَفة من دمشق ، فسأفته في بعض الأيام وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقلُ الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروفَ مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوزَ عن الزَّلة ، وجازى على المكرُمة ، وتجنَّبَ مواطنَ الاعتذار ؛ قد تمَّ عقله . لحفظتُ ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجده ، ولا قدرنا عليه . فلئن زلنا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في بئس كثير ؛ فأتوا على ما كان فيه من الطعام . فقال عبدُ الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فطعمك تجد سهارياً معه طعام ؛ فضى الوكيلُ ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقف ، فلما كادوا يرجعون لاح لهم خيباء ، فأثموه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها : هل عندك طعامٌ نبتاعه منك ؟ قالت : أمّا طعامٌ يسير فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى إليها أمس حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقتُ عودتهم . قالوا : فما أعدتِ لهم

* المقدم الفريد للملك الحيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : وقد قيل المعبره بفتحين ، وكان رسول الله يحبه ويخرجه ودعا له فقال : اللهم علمه التأويل ، فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها وأفقه فى الدين . على ما أوتيه من لسان ذلق غوامض على موضع الحاجة ، وعاتى عمره عجباً إلى الخلقاء . وتوفى سنة ٦٨هـ .

قالت : خُبْرَةٌ ^(١) تحت مَلَبِهَا ^(٢) أختلُرُ بها أن يمَيِّثوا . قالوا لها : فجودي لنا بنصفها ، قالت : لا ؛ ولكن بها كَلْبًا . قالوا : ولمْ مُنَعْتَ النصفَ وجَدْتَ بها كَلْبًا ، ولا خُبْرَ عندك غيرها ؟ قالت : إنَّ إعطاءَ الشُّطْرِ ^(٣) من خُبْرَةٍ قِيَمَةٌ ؛ فأنا أُمْنَعُ ما يَنْقُصُ ، وأجودُ بما يَرْضَى ، فَأَخْذُوا الخُبْرَةَ فَتَرْطِبْ حاجَتهم إليها . وانصرفوا ؛ ولمْ تَسألْ : مَنْ هُمْ ؟ ولا من أين جاءوا !

فلما أَتَوْا عبدَ الله وأخبروه خَبَرَ المعجوز عَجِبَ من ذلك ، وقال : ارجعوا إليها فاحملوها في دَعَةٍ ، وأحضروها ؛ فرجعوا إليها ، وقالوا لها : إن صاحبنا أَحَبُّ أن يَرَاكَ . قالت : وَمَنْ صاحِبُكُمْ ؟ قالوا : عبد الله بن العباس . قالت : ما أَعْرِفُ هذا الاسمَ . قالوا : العباس بن عبد المطلب ، وهو عمُّ النبي . قالت : والله هذا الشرف السالى وذِروته الرفيعة ، وماذا يريد مني ؟ قالوا : يريدُ أن يكافئَكَ على ما كان منك . قالت : لقد أَفْسَدَ الدهشَى ما أَتَلَّ له ابنُ عمِّه عليه السلام ! والله لو كان ما فُتِلْتُ معروفاً ما أَخَذْتُ عليه ثَوَابًا ؛ وإِنَّمَا هو شَىءٌ يَجِبُ على كلِّ إنسان أن يَفْعَلَهُ . قالوا : فَإِنَّه يَجِبُ أن يَرَاكَ ويسمعَ كلامَكَ . قالت : أَصِيرُ لِيَسْهَلُ ؛ لَأَتَى أَحَبُّ أن أَرى رجلاً من جناتِ النَّبِيِّ وعُضْواً من أَعْضائِهِ .

فلما سارت لِيَسْهَلُ رَحَّبَ بها وأدنى جَلَسَها ، وقال : يَمِنُ أَنْتِ ؟ قالت : من كَلْبٍ . قال : كيف حالُكَ ؟ قالت : لمْ يَبْقَ من الدنيا ما يَفْرَحُ إلا وقد بَلَّغْتُهُ ، وَإِنِّي الآنَ أَعِيشُ بِالْفَتْنَةِ ، وأحسُّ القُرَابَةَ ، وأنا أَتَوَقَّعُ مفارقةَ الدنيا صباحاً ومساءً . قال :

(١) الخُبْرَةُ : عَجِينٌ يَوْضَعُ لِيَلْلَهُ حَتَّى يَنْضَجَ (٢) اللَّابَةُ : الرِّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَرُّ .

(٣) شَطْرُ النَّبِيِّ : نَصْفُهُ .

أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا العبرة ؟ قالت :
أعددت لهم قول العروى :

وقد أيت على الطوى وأغلل حقى أنال به كريم للأسكل

فأخبره قولها ، وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خيبتها ، فإذا أقبل بنوها ،
خفي بهم . قتلت للنلام : انطلق ، فكن بناء البيت ، فإتهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم
تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شمار الوزار ، فإذا تكلم أضح ، وإذا
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .
والآخر كأنه شملة نار وكأنه يطلب بنار ، فذلك الموت للسائ والاله الكابت ،
فإذا رأيت هذه الصفة فيهم قتل لم حق : لا تجلسوا حتى تأتوني .

فانطلق النلام ، فأخبرهم الخبر ، فابعد أمداه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله
وقال : إني لم أبت إليكم وإلى والله تكمل إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يحب
لكم ؛ قالوا : إن هذا لا يكون إلا من مثله أو مكافأة فعل جميل تقدم ، ولم يصد
منا واحدة منها ؛ فإن كنت أردت التكرم مبتدئاً فعروك مفكور ، وبرك
مقبول مبرور . فأمر لم بسبعة آلاف درهم وعشرين من النوق ؛ قتلت لم
البحر : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

قال الأكبر :

شهدت عليك بمحسن النقال وصديق النقال وطيب الطير

وقال الأوسط :

تبرعت بالبذل قبل السؤال فقال كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر :

وحتى لن كان ذا فضلُه بأن يَسْتَرْقِ رَقَبَ البَشَرِ

وقالت الجوز :

فَعَمَّرَكَ اللهُ من ماجدٍ ووَقَّيت - ماعشتَ شرَّ القدرِ

ثم ودَّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليَرْبُوعِي : فالتفت إلى وقال لي : يا تميم ؛ ووددت لو وَجَدْتُ مَزِيداً
في ابتداء المروف إلى هذه المرأة وبينها ، وجعل يَأْوُهُ من قصيره عن مزاده في
ذلك . قلت له : لقد أَحْسَنَتْ وَأَرْجَحَتْ وقد شهد فعلُك بما سبق من قولك ،
فَأَنْتَ أَمُّ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْلَهُمْ مُرْمَةً !

٤٢ - أبو الأسود الدؤلي وزوجه*

قال أبو عبد الله القشيري :

كان أبو الأسود^(١) الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا يقطع إلا بقل ، ولا يشكلم إلا بئذ فهم .
 فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه فريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعل خليفة في البلاد ورفيقاً على العباد ؛ يستقي بك الخطأ ، ويستقيبك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخفاف ، ويؤدع بك الجاني^(٢) ، فأنت الخليفة للصطفى ، والإمام للرتضى ، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والنافعة من غير تدمير^(٣) . قد أجباني إليك يا أمير المؤمنين أمر خاق على فيه للسمع ، وتفاقم على منه للخرج ، لأمر كرهت طره ، لما خشيت إظهاره ؛ فليُصَفَى أمير المؤمنين من الخضم ، فإني أعوذ بقوته^(٤) من المار الويل ، والأمر الجليل ؛ الذي يشتد على الحرائر ذات البعول الأجائر^(٥) .

فقال لها معاوية : ومن بك هذا الذي تصفين من أمره للنكر ؛ ومن فضله للشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلي .

* بيانات النبأ : ٥٣

(١) اسمه ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو مسعود بن النابغ والقبيلة والصمراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والجماعة والتعوين ، كان أكثر الناس مجلساً على بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ . (٢) الجاني : المائل . (٣) تدمير : قس . (٤) القوة في الأصل : مايجول القار . (٥) البول : جمع بل ، وهو الزوج ، والأجائر : جمع أجور ؛ تضليل من جر .

ظافت إليه وقال: يا أبا الأسود؟ ما قول هذه المرأة؟ قال أبو الأسود: هي
تقول من الحق بعضاً، ولن يستطيع أحدٌ عليها قضاءً، أما ما ذكرت من طلاقها فهو
حق؛ وأنا نخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق؛ والله يا أمير المؤمنين ما طلقها عن ربيّة
ظهرت، ولا لأى هفوةٍ حضرت؛ ولكن كرهت شمائلها؛ فقلعتُ عنى حبائلها.
قال معاوية: وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنك
مهيّجها على بحجواب عتيدي^(١) ولسانٍ شديد.

قال معاوية: لا بد لك من محاورتها، فاردّد عليها قولها عند مراجعتها. قال
أبو الأسود: يا أمير المؤمنين؛ إنها كثيرة الصّعب، دائماً للذّرب^(٢)، مهيّبة للأهل،
مؤذية للبعل، مهيّبة إلى الجار، مظهره للعار، إن رأيت خيراً كنته، وإن رأيت
شرّاً أذاعته.

قالت: والله لو لا مكان أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين،
لرددت عليك بوادير كلامك، بنوافذ أفرغ بها كل^(٣) ميهامك؛ وإن كان
لا يحمل بالمرأة الحرّة أن تشتم بعلّاً، ولا أن تظهر لأحد جملّاً.

قال معاوية: عزمت عليك لما أجبتك. قالت: يا أمير المؤمنين، ماعلمته إلا سئولا
جهولاً، ملصّاً بجمل^(٤)، إن قال فشره قاتل، وإن سكت فذوّ دعائل^(٥)، لبث حين
يأمن، وقلب حين يخاف، شحيح حين يضاف، إذا ذكر الجود اتقمع؛ لا يعرف
من قصر رشاقته^(٦)، ولؤم آياته، صيف جاتم، وجاره ضائع؛ لا يحفظ جاراً؛ ولا يخشى

(١) عتيدي: حنفي. (٢) الذّرب: حدة اللسان. (٣) يقال: كل السيف؛ إذا لم يقطع،
فهو كل وكال. (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل، وله في ذلك نوادر. (٥) الدعائل: جم
دنية، والغنية: دخل في الأمر بسدد. (٦) الرهاء في الأصل: الجبل.

ذِمَارًا ، وَلَا يُذْرِكُ ثَارًا ، أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنْ أَمَانَهُ ، وَأَمْرُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ أَكْرَمَهُ .
 قَالَ مَعَاوِيَةُ : سَبَّحَانَ اللَّهَ لَا تَأْتِي بِهِ هَذِهِ الرَّأْيُ مِنَ السَّيِّئِ ! قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :
 أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّهَا مُطْلَقَةٌ ، وَمَنْ أَكْثَرَ كَلَامًا مِنْ مُطْلَقَةٍ ائِمَّ قَالَ لَهَا
 مَعَاوِيَةُ : إِذَا كَانَ رَوَّاحًا^(١) فَصَالٍ أَفْضَلَ يَبْنِيكَ وَيَبْنِيهِ بِالتَّضَاهِ .

فَلَمَّا كَانَ الرَّوَّاحُ جَاءَتْ وَمَعَهَا ابْنَاهُ نَدَا حَتَّصَفَتْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو الْأَسْوَدِ قَامَ
 إِلَيْهَا لِيَنْتَزِعَ ابْنَهُ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، لَا تُسْجِلْ لِلرَّأْيِ أَنْ تَنْطِقَ
 بِحُجَّتِهَا .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنَا أَحَقُّ بِحَمْلِ ابْنِي مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ،
 دَعَاهَا قَتْلٌ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلَتْهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ . قَالَتْ : صَدَقَ وَاللَّهِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلَهُ خِفًا وَحَمَلَتْهُ قِتْلًا ، إِنْ بَطِئَ لَوْعَاؤُهُ ، وَإِنْ تَذَنَّى لَسِقَاؤُهُ ،
 وَإِنْ حِجْرِي لَقِنَاؤُهُ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : سَبَّحَانَ اللَّهَ لَا تَأْتِي بِهِ ائِمَّ قَالَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ :
 إِنَّهَا قَدْ غَلَبَتْكَ فِي الْكَلَامِ ، فَكَلَّفْهَا آيَاتًا لَهَا تَنْقِصُهَا ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَرْحَبًا بِالنَّاسِ تَجَسُّورُ عَلَيْنَا ثُمَّ سَهْلًا بِالْحَامِلِ الْحَمُولِ
 أَغْلَقْتُ بَابَهَا عَلَى وَقَالَتْ : إِنْ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُحُولِ
 شَقَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فِرَاقًا هَلْ مَعْنَمٌ بِالْقَارِغِ لِلشُّغُولِ !
 فَأَجَابَتْهُ :

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالصُّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ
 كَانَ تَذَنَّى سَقَاهُ حِينَ يُضْحَى ثُمَّ حِجْرِي فَتَاهُ بِالْأَصِيلِ
 لَسْتُ أَبْنِي بِوَاحِدٍ بَيْنَ حَرْبٍ بِدَلَا مَا عَلِمْتَ وَالْغَلِيلِ^(٢)
 فَخَفِيَ لَهَا مَعَاوِيَةُ عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَتْ ابْنَهَا وَانصرفت .

(١) الرواح : النسي . (٢) تريد بالليل محمدًا رسول الله .

٤٣ - إِنْ قُرَيْشًا تَحَدَّثُ أَنْكَ مِنْ أَهْلِهَا*

كتب معاوية إلى واليسه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحرث البارقية برحلهما ، وأعلمه أنه يجازيه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً .
فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أمّا أنا فغير زائفة عن طاعة ، ولا مُتَعَلِّةٌ بِكَذِبٍ ! ولقد كنتُ أحبُّ لقاء أمير المؤمنين لأموّرٍ محتاجٍ^(١) في صدري .

فلما حلها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى : إنه يجازيني بقولك في بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛ لا أعلمُ منك برك في أن أسرك بباطل ، ولا تؤيِّسُك معرفتي بك أن أقولَ فيك غيرَ الحق ؟

فأمرت خيرَ مسير ، حتى قدّمت على معاوية ، فأقرّها مع حريمه ثلاثاً ، ثم أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتني بهذا الاسم . قالت : مه^(٢) يا أمير المؤمنين ! لكلّ أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل في عافية وسلامة حتى صرْتُ إليك ؛ فأنا في عيشي أُنِيق ، عند ملكٍ رفيق ؛ قال معاوية : بحسنِ نِيقٍ ظفرتُ بكم وأُعتُ عليكم ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛

... * المقعد القرية : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤٦ .

(١) محتاج في الأمر : تزداد فيه . (٢) مه : كف .

أَعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ دَخْصٍ^(١) لَلْقَالِ وَمَا تُرِيدِي عَاقِبَتَهُ، قَالَ: لَيْسَ لَهَا أَرْدَنُكَ، قَالَتْ:
إِنَّمَا أَجْرِي فِي مَعْدَانِكَ؛ فَسَأَلُ عَنْهَا بَدَأَ لَكَ قَالَ: أَخْبِرِي كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ يَوْمَ
قُلَّ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ؟ قَالَتْ: لَمْ أَكُنْ وَاللَّهِ زَوْجَتَهُ^(٢) قَبْلُ، وَلَا رَوَيْتُهُ بَدَأُ، وَإِنَّمَا
كَانَتْ كَلِمَاتٍ فَتَمَنَّنَ لِسَانِي حِينَ الصَّدَمَةِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُحَدِّثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ
فَعَلْتُ، قَالَ: لَا أَشَاهُ ذَلِكَ.

ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: أَبَيْكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أُمِّ الْخَلِيزِ؟ قَالَ وَجِلٌّ مِنَ الْقَوْمِ:
أَنَا أَخْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ عَلَى سُورَةِ الْحُدِّ. قَالَ: هَاتِي؛ قَالَ: نَمُ أَكُنِّي بِهَا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، عَلَيْهَا يُرَدُّ زَيْنَدِيُّ كَثِيفُ الْحَاشِيَةِ، وَهِيَ عَلَى جِل
أَرْمَكِ^(٣) وَقَدْ أَحْبَبْتُ حَوْلَهَا جَوَاءَ^(٤)؟ وَيِلْعَاسُ وَطُ مَنَفِشِرِ الْغُفْرِ^(٥)، وَهِيَ
كَالْفِصْلِ يَهْدُرُ فِي شَيْخِيقَتِهِ^(٦) قَوْلُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَقْوَارِبَكُمْ إِنْ زَلَزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ إِنْ إِنْ إِنْ إِنْ إِنْ
أَوْضَحَ الْحَقُّ، وَأَبَانَ الدَّلِيلُ، وَتَوَرَّ السَّبِيلُ، وَدَفَعَ التَّمَمُّ، فَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عَمِيَاءَ
مُبْهَمًا وَلَا سَوْدَاءَ مُدْهِمَةً^(٧)، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِنْ أَوَارَعَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
أَمْ فَرَارًا مِنَ الزُّخْفِ، أَمْ رَهْبَةً مِنَ الْإِسْلَامِ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ إِنْ أَمَا سَمِعْتُمْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ.
وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

(١) دَخْصٌ لَلْقَالِ: يَلْعَلُ. (٢) زَوْجُ الْكَلَامِ: أَعْدَدَ تَرِيدُ أَنَّهَا يَلْعَلُ لَوَيْجَالًا. (٣) أَرْمَكُ:
لَوْثُ لَوْنِ الرَّمَادِ. (٤) الْجَوَاءُ: مَا يَمْلِكُ الْكُلُوسَةَ لِلرَّكِبِ عَلَى رَجُلِ الْجَلِ يَدُونَ مَوْجِجَ.
(٥) خُفْرُ الشَّرِّ: لَوْيٌ يَضَعُ عَلَى بَاسِ. (٦) الشَّيْخِيقَةُ: شَيْءٌ يُخْرِجُهُ الْبَحْرُ مِنْ فَيْهِ إِنْ مَا جَاجَ.
(٧) أَدْنَمُ الظَّلَامِ: كَثْفٌ، وَأَسْوَدُ بَطْنٍ، مَبَالِغَةٌ.

ثم رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ :

قَدِيلُ الصَّبْرِ، وَصَفَتِ الْيَقِينَ، وَانْتَشَرَ الرَّغَبُ، وَبِيَدِكَ يَا رَبُّ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ،
 فَاجْمَعِ الْكَلِمَةَ عَلَى الْقَوَى، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهَدَى، وَارْزُدْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ .
 هَلِّعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ الْعَادِلِ، وَالْوَصَى الْوَفَى، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . إِنَّمَا لِحَنُّ
 بَذْرِيَّةٍ^(١)، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ، وَصَفَائِنُ أُحُدِيَّةٍ^(٢)، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْفَقْلَةِ
 لِيَدْرِكَ بِهَا ثَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ^(٣) .

ثم قالت : قَاتِلُوا أَيْتَمَةَ الْكَفَرِ، إِنَّمَا لَا أَبْنَاءَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَبِهُونَ، صِرَا
 مَعْتَرٍ لِلْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ، وَكَأَنِّي
 بِكُمْ غَدًا قَدْ جِئْتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَهَيْئَةِ مُسْتَنْفِرَةٍ^(٤)، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ^(٥)، لَا تَدْرِي
 أَيْنَ يَسْلُكُ بِهَا مَنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأُولَى، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى،
 وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى، وَهَمَّا قَلِيلٌ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ، حِينَ تَحْمِلُ بِهِمُ النَّدَامَةُ،
 فَيَطْلُبُونَ الْإِقْلَةَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ
 نَزَلَ فِي النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْأَكْبَاسَ^(٦) اسْتَقْصَرُوا حُرْمَ الدُّنْيَا فَرَضُوا، وَاسْتَبْطَنُوا مُدَّةَ
 الْآخِرَةِ فَسَوَّاهَا : فَالْقُدْرَةُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ، وَتُطْلَعَ الْحُدُودُ،
 وَيُظْهَرَ الظُّلُمُونَ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ . فَاذْكُرْ أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَنْ
 ابْنِ عَمْرٍ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ وَأَبْنَى ابْنَتِهِ^(٧) خَلَقَ مِنْ طِينَتِهِ،

(١) (٢٠١) بدر واحد : والقتان بين النبي والمشركون . (٣) قوم معاوية ، لأن علياً قتل كثيراً
 منهم في وحي بدر واحد . (٤) مستنفرة : تافرة . (٥) القصور : الأسد : والجمع لسيورة .
 (٦) الأكياس : جمع كياس ، وهو الباطل . (٧) يزيد بن الحسين والحسين وما ابنا فاطمة .

وَقَرَّعَ عَنْ نَبِيَّتِهِ ، وَخَطَبَهُ بِسَرٍّ ، وَجَهَلَهُ بِأَبِ مَدِينَتِهِ ^(١) ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤْيِدُهُ
اللهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَبَعْضَى عَلَى سَنَنِ اسْتَعْلَمَتْهُ لَا يُبْرِجُ ^(٢) لِرَاحَةِ الْفَنَاتِ .

وَهُوَ مُتَلَقِّ الْمَامِ ، وَمُكْسَرُ الْأَصْنَامِ ، إِذْ صَلَّى وَالنَّاسُ مُشْرِكونَ ، وَأَطَاعَ
وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرَ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحُدَ ،
وَفَرَّقَ بَيْنَ هَوَازِنَ ، فَيَالِهَا وَقَاتِمَ زَرَعَتَ فِي قُلُوبِ قَوْمِ غَنَاقَا ، وَرِدَّةَ وَشَقَاقَا
وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللهِ يَا أُمَّ الْخَلِيفِ مَا أُرِدْتُ بِهِذَا إِلَّا قَتْلًا ! وَاللهُ لَوْ قَتَلْتُكَ
مَا حَرَجْتُ ^(٣) فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللهُ مَا يَسُوغُنِي يَا بَنَ هَنْدَ أَنْ يُجَرِّيَ اللهُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ مِنْ يُسْمَدَنِي
اللهُ بِشِقَاتِهِ . قَالَ : صَبَّهَتْ ، يَا كَثِيرَةَ التَّضَوُّلِ ! مَا تَقُولِينَ فِي عَمَّانَ بْنِ عَمَّانَ ؟
قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَقَتْلَاهُ وَهُمْ
رَاضُونَ . قَالَ : لَهَا يَا أُمَّ الْخَلِيفِ ، هَذَا تَنَاوَلَكِ الْفِي تَنَدُّيْنِ ؟ قَالَتْ : لَكِنَّ اللهَ يَشْهَدُ
وَكُنِيَ بِاللهِ شَهِيدًا ، مَا أُرِدْتُ بِشِمَانِ قَهْصًا ، وَقَدْ كَانَ سَبَاقًا إِلَى الْخِلَارِ ، وَإِنِّي
لَرَفِيعُ الدَّرَجَةِ .

قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟
اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنَةٍ ، وَأَنَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَمْتَدَّ ، وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْجَنَّةَ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي الرَّثِيمِ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا ! لَا تَدْعُنِي كَرَجِيمِ الصَّنِيعِ يُرْسِكُ

(١) لَهَا تَبْدِيلٌ إِلَى مَا يَرَوْنَ عَنِ النَّبِيِّ : أَنَا مَدِينَةُ نَعْلٍ وَعَلَى بِلَاحِهَا . (٢) لَا يَهْرُجُ : لَا يَمُوتُ .

(٣) مَا حَرَجْتُ : مَا أَمْنْتُ .

في الزَّكْرَى^(١)، قال: حَقًّا لَقَوْلِيْكَ ذَلِكَ، وقد عَزَمْتُ^(٢) عَلَيْكَ. قالت: مَا عَسَيْتُ
أَنْ أَقُولَ فِي الزَّيْرِ ابْنَ حَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيَهُ^(٣)؟ وقد شهد
له رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِنَةِ، وقد كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.
وإِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ، فَإِنْ قَرِيشًا تُحَدِّثُ أَنَّكَ مِنْ أَحْلَمِهَا - أَنْ تَسْقَى
بِفَضْلِ حَلِّكَ، وَأَنْ تُنْفِىَ مِنْ هَذِهِ لِسَائِلٍ، وَأَمْنِيْ لِنَاسِئَةٍ مِنْ غَيْرِهَا. قال:
نَمْ وَكَرَامَةٌ، قَدْ أَغْنَيْتُكَ. وَرَدَّهَا مَكْرُمَةً إِلَى بَلَدِهَا.

(١) للزَّكْرَى: الْإِنَاءُ يَسْلِي فِيهِ الْثِيَابُ. وَهَرَكَ: يَحْكُ. وَالرَّجِيمُ: الْمُرْدُودُ، أَيْ لَا تَهْتَلِي كَالثَّوْبِ
الْمَجْبُوحِ، يَحْكُ فِي الْإِنَاءِ. مَرَّةً أُخْرَى لِإِخْرَاجِ صِبْنِهِ مِنْهُ؛ تَتْبَعُ مَعَاوِيَةَ لَهَا وَرَدَّهَا وَسْوَءُ اللَّهِ لَهَا
مَرَّةً مَعْدُومَةً لِمَسْتِخْرَاجِ مَا فِي نَفْسِهَا بِمَا يَفْضِلُ مِنَ الثِّيَابِ لِلصَّبُوحَةِ لِمَسْتِخْرَاجِ صِبْنِهَا مِنْهَا.
(٢) أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ. (٣) الْحَوَارِيُّ: تَلَصُّصُ الْأَنْبِيَاءِ.

٤٤ - سَوْدَةُ بِنْتُ عُمَارَةَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ*

وَفَدَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ عُمَارَةَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ فَأُذِنَ لَهَا. فَلَمَّا دَخَلَتْ سَلَّتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ أَنْتِ يَا سَوْدَةُ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ لَهَا : أَنْتِ الْقَائِلَةُ يَوْمَ صِفِّينَ^(١) :

شَمَّرُ كَفِّهِ أَيْبُكَ يَا بِنْتَ عُمَارَةَ يَوْمَ الْعُلَمَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ^(٢)
وَانْصُرْ عَلَيْنَا وَالْحَسِيفَ. وَرَهْطُهُ^(٣) وَأَقْبَدُ لَهْنَهُ وَابْنَهَا يَهُوَانَ^(٤)
إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلِمَ الْمَدَى وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ
فَقَبْلَهُ الْخُتُوفُ وَبِيرُ الْأَمَامِ لَوَائِيهِ^(٥) قَدُمًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسَنَانٍ^(٦)

قَالَتْ : إِي وَآلِهِ، مَا مِثْلِي مَنْ رَغِبَ عَنِ الْحَقِّ، أَوْ اعْتَصَرَ بِالْكَذِبِ! قَالَ لَهَا:
فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ : حُبُّ عَلِيٍّ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ. قَالَ : فَوَآلَهُ مَا أَرَى عَلَيْكَ
مِنْ أَتْرَافٍ عَلَى شَيْئًا. قَالَتْ : أَشْهَدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَاتَ الرَّأْسُ، وَبُيِّرَ^(٧) الذَّنْبُ؛
فَدَخَعْتُ عَنْكَ إِعَادَةً مَا مَضَى، وَتَذَكَّرْتُ مَا قَدْ نُسِيَ! قُلْ : هَيْبَتُ! لَيْسَ مِثْلُ مَقَامِ
أَخِيكَ يُنْسَى! وَمَا قَبِيتُ مِنْ أَحَدٍ مَا قَبِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَأَخِيكَ! قَالَتْ : صَدَقَ
قَوْلُكَ وَآلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا كَانَ أَخِي فَعِمَ لِلْقَامِ، وَلَا خَفِيَ^(٨) لِلْكَانِ، وَلَكِنْ
كَأَنَّكَ قَالْتَ الْخُفَاءَ :

* القصد الفريد : ١ - ٢١١ ، بلاغات النساء : ٣٥ .

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي ومعاوية . (٢) الأقران : الأكفان .

(٣) مند : أم معاوية . (٤) الختوف : للنايا . (٥) الصارم : السيف القاطع ، والنان :

سنان الرمح . (٦) بئر : قطع .

وإِنَّ صَغَرًا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إغثاني عما استفتيتُ منه ! قال : قد قلت ، قولي حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إِنَّكَ أصبحتَ للناس سيداً ، ولأمورهم مثقلاً ، والله سائلُك عما اقترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصائد الشُّبُل ، ويدوسنا دباس البقر ، ويسومنا الخبيسة ، ويسلبنا الجلييلة ؛ هذا ابن أرملة^(١) قدم علينا من قبلك قتل رجالاً ، وأخذ مالى ، يقول لى : فوهى بما أستمصمُ الله منه ، وأجل إليه فيه^(٢) ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزله فسكرناك ، وإمّا لا فزفناك !

فقال معاوية : إيتاى تهذين بقومك ! والله لقد هممتُ أن أردك إليه على قعبٍ أشرس^(٣) ، فينقذ حكمه فبك . فأطرقَتْ تبكى ، ثم أثنأت تقول :

صلى الإله على روح نضمنه قبرٌ فأصبح فيه المدلُ مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مفرّوناً

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى أبى طالب رحمه الله تعالى . قال : وما صنع بك بحق صار عندك كذلك ! قالت : أتيتهُ يوماً فى رجل ولّاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين النث والسمين ، فوجدته قد نما يدي ، فأغفل عن الصلاة^(٤) ، ثم قال براءة وتططف : ألهك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إِنَّكَ أَنْتَ الشاهدُ علىّ وعليهم ، إني لم آمرهم بظلم خلقك ،

(١) ابن أرملة : بصر بن أرملة كان معاوية يسميه لى الدلمجاز واليمن ليقول شيعة على ويأخذ البيعة له .
(٢) معنى أنه يسلب منها أن يسب علىاً . (٣) القتب : الإكاف على قدر سنّام البعير ، والراد قس البعير بدليل الصفه بدمه ، وأشرس : لم يرض . (٤) اغفل عن صلاته : اصراف .

ولا يترك حثك؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيه :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . (قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا السَّكِيلَ
 وَالْيَمْرَاقَ وَلَا تَبْخَسُوا^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقِيدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . إنا أنك كتابي هذا فاحفظ بما في
 يدك حتى يأتي من يقيضه منك ، والسلام » .

فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ما خرمه يخرام ، ولا خسه بختم .
 قتل معاوية : اكتبوا بالإصناف لها والعدل عليها قالت : إلى خاصة أم قومي
 عامة ؟ قال : وما أنتِ وغيركِ ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء والقوم ؛ إن كان
 عدلا شاملا وإلا يسقى ما يسحق قومي .

قال : هيئات ، لظنكم^(٢) ابن أبي طالب الجراءة ، وغركم قوله :
 فلو كنتُ بواباً على باب الجنة لقلتُ لهُنَّ ذَانِ ادخلوا بسلام
 اكتبوا لها وقومها .

(١) القسط : العدل ، والبخس : التمس والتكلم . (٢) ظنه : ذره .
 (٣) القصر القوي . - ٧ -

٤٥ — مثلك من قدر فعنا *

لما ولي معاوية الخلافة ، واحتظمت إليه الأمور . وامتلات منه الصدور ، وأذعن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مراده ، استحضر ليلة خواص أصحابه ، وذاكرهم وقائع صفين ، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المروفيين ، فانهمكوا في القول الصحيح والريض ، وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض . فقالوا : امرأ من أهل الكوفة تسمى الزرقاء ^(١) بنت عدي ، كانت تمتد الوقوف بين الصفوف . وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب علي ! سمعهم كلاماً كالصوارم ، مستعثة لهم بقول لوسمه الجبان قتال ، وللدبر لأقبل ، والسالم لحارب ، والفار لكر ، وللتزلزل لاستقر .

فقال لهم معاوية : أيتكم يحفظ كلامها ؟ قالوا : كأننا نحفظه . قال : فانشيرون علي فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ، فإنها أهل لثلك . فقال معاوية : بنس ما أشرتم به ، وقبيحاً لما قلتم ! أيحسن أن يشهر عن أبي بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة وقت لصاحبها ! إلى إذن لثتم ، لا والله لا قنت ذلك أبداً .

ثم دعا بكتابه فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أنفذ إلى الزرقاء

* اتفق الفرید : ١ - ٢١٢ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة . كانت ذات شجاعة ذكوة ، وبلاغة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب يحرض الناصر فيها على القتال ضد معاوية .

بنت على، مع نغير من عشرينها وفُرسانٍ من قومها، ومهذ لها وطاه لينا ومركبا
ذُكُولا .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . هالت بعد قراءة الكتاب :
ما أنا بزانةٍ عن الطاعة . خيلها في هودج ، وجعل غشاه خزاناً مبطلتاً ، ثم
أحسن صُحبَتها .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحباً وأهلاً ! خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَأَفْضَلُ .
كيف حالك يا خالة ؟ وكيف رأيتِ سيرك ؟ قالت : رَبيبة^(١) بيتٍ أو طفلًا مهملًا .
فقال : بذلك أَسْراناهم . هل تملكين لي سِتْرُ إِيْلِكَ ؟ قالت : وأنى لي بيلم ما لم أعلم !
لا أعلم النيبَ إلَّا الله سبحانه ونسأل . قال : ألسِ الراكية الجلس الأحرار يوم
صُيِّين وأنت بين الصفوف توفدين بار الحرب ، وتُحَرِّضِينَ على القتال ! قالت :
نعم . قال : فاحكِ على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأس ويُتَرِّ^(٢)
الذنبُ ، ولن يمود ما ذهب . والذهرُ ذوغَيْرِ^(٣) ، ومن فسكَر أبصر ، والأمر يتحدَّث
بعده الأبر .

فقال : صدقتِ ، فهل تعرفين كلامك وتُحفظين ما قلتِ ؟ قالت : لا والله ، وقد
أُسيهته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، ارعَوْوا وارجموا !
إنكم أصبحتم في فِتْنَةٍ غَشَّكُمْ جَلَّابِ الظلم ، وجارت بكم عن قَصْدِ الْحَقِّ ،
فيلها فِتْنَةٌ عِيَاءٌ بَكاءُ ، لا تسمع لنا عِقْباً ، ولا تسمع لقائِلها !

إن الصباح لا يضيء في الشمس ، وإن الكواكب لا تنير مع القمر ، يُؤْوان
البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقَطِّع الحديدُ إلَّا بالحديد ، أَلَا مَن اسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا .
ومن سألنا أخبرناه !

(١) الريب : الملكة والسيد . (٢) ذو غيم : تريد إن الغيم مطلب .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب خاتته فأصابها . فصبراً وامسحاً للمهاجرين
والأنصار على النقص ! فكأنكم وقد التأم شمل الشتات ، وظهرت كلمة العدل ،
وغلب الحق باطله . فإنه لا يستوى الحق والباطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان
فاسقاً ! لا يستوون . فالزوال الزوال ، والصبر الصبر ! ألا إن خضلب النساء
الحنأة ، وخضلب الرجال الدماء . والصبر خير الأمور عاقبة ، انتصروا الحرب غير
ناكسين^(١) ! فمنا يوم له ما بعده !

ثم قال : يا زرقاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال :
لقد شاركت علياً في كل دم سفكه . قالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ،
وأدام سلامتك ، فذلك من يشرب بخير ، وسرّ جليله .

قال معاوية : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرى قولك ، وأنى لي
بصديق القتل ! فضحك معاوية وقال : والله لو فاؤمك له بعد موته أوجب عندى
من حبكم له في حياته ! اذكري حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! إني آليتُ
على نفسي ألا أسأل أحداً أعنتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار على بعض من عرفك
بقتلك . قالت : لوأم من المثير ، ولو أطلعت لشاركته . قال : كلا ، بل نفو
عنك ، ونعس إليك وترعاك . قالت : يا أمير المؤمنين ، كرم منك ، ومنك من
قدّر ففها ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاهم كنوة ودراهم ، وأعطاهم ضيعة تذل^(٢) لها في كل سنة عشرة
آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمة ، وصكبت إلى وإلى الكوفة باللوصية بها
وبسيرتها .

٤٦ - نَبِّهَكُمْ عَلَى ١*

يروى أن عِكْرِيْشَةَ بنتَ الْأَمْشَرِ دخلت على معاوية مُتَوَكِّئَةً على عُرْكَانٍ لها ، فَلَمَّتْ عليه بالخلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن مِيتٌ عندك أمير المؤمنين أ قالت : نعم ، إذ لا على ٢ حتى أقتل : أَلَسْتُ الْمُتَقَلِّدَةَ حَمَائِلَ السِّيفِ بِصَفَيْنِ ٣) وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَوْلَيْنِ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَضْعَافُ مَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلٍّ إِنْهَا هَتْدَبِيمٌ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَحْزَنُ مَنْ قَتَلَهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مَنْ سَكَنَهَا ، وَلَا يَمُوتُ مَنْ دَخَلَهَا ؛ فَايْتَأَمَّرُوا بِإِدَارِ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْصَرِمِ هَوْمُهَا ؛ وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْعِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ .

إِنَّ مَسَاوِيَةَ دَلَفَتْ إِلَيْكُمْ بِسَجْمِ الْعَرَبِ ، لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ ، وَلَا يَذَرُّونَ مَا الْحِكْمَةُ ، دَعَامَ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَّوهُ ، فَأَقْبَلَ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ؛ وَإِلَيْكُمْ وَالتَّوَكَّلْ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَا الْإِسْلَامِ ، وَيُطْلِقُ نورَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَدْرُ الصُّغْرَى ، وَالْمَقْبَةُ الْأُخْرَى . يَلْمِشُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ؛ امْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عِزْمَتِكُمْ ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا وَقَدْ قَبِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَالْحَصْبِ النَّاهِقَةِ ، تَقَعُّعُ قَصْعِ الْبَيْرِ ٤) .

* بِلَاغَاتُ الْفَنَاءِ : ٤١ ، السُّلُوكُ الْعَرَبِي : ١ - ٢١٦

(١) موضع قرب الرقة يشمل البُرَاتِ كَانَتْ فِي الرُّقَّةِ الْعُظْمَى بَيْنَ عَلَى وَمَسَاوِيَةٍ فِي غُرَةِ مَعْرِ سَنَةِ ٣٧ هَجْرَةٍ . (٢) يُقَالُ : قَصَعَ الْبَيْرَ يَجْرِيهِ قَصْعًا : مَضَعَهَا .

ثم قال : فسكّني أراك على عَصَاكِ هذه قد انكسرت^(١) عليك المسكران
يقولون : هذه عِكرُ شَيْءٍ بَنَتِ الْأَمْطَرُشُ ، فإن كَلِمَتِي لَتَقْلِبُنِي^(٢) أَمَلُ الشَّامِ لَوْ لَا
قَدَرُ اللَّهِ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ، فما حَلَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟

قالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ تَنْسَوْنَ كُنْمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ
تَبَدَّلْ لَكُمْ مَعَاذَ اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . وَإِنْ الْإِيبَ إِذَا كَرِهَ أَمْرًا لَا يُحِبُّ
إِعَادَتَهُ .

قال : صَدَقْتِ ، فَادْكُرِي حَاجَتِكَ . قالت : كَانَتْ صَدَقَاتُنَا تُؤْخَذُ مِنْ
أَغْيَانِنَا فَنُزِّدُ عَلَى هَرَاتِنَا ، وَقَدْ قَعَدْنَا ذَلِكَ ، فَأَيْحَسِبُ لَنَا كَسِيرٌ ، وَلَا يُبْقِشُ لَنَا
صَبْرٌ ، فَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِكَ فَيَسْأَلُكَ مِنْ آتِهِ مِنَ الْفَقْرِ وَرَاجِعِ التَّوْبَةِ ، وَإِنْ كَانَ
مِنْ غَيْرِ رَأْيِكَ فَمَا مِثْلُكَ مِنْ اسْتِمَاعٍ بِالتَّوْبَةِ ، وَلَا اسْتِمَاعٍ الْفَلَّةِ .

قال معاوية : يَا هَذِهِ ؛ إِنَّهُ يَنْوُءُ بِنَا عَنْ أُمُورِ رَعِيَّتِنَا نُفُورٌ تَضَعُ ، وَيَجُودُ
تَخْلُقُ . قالت : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَنَا حَقًّا جَلَّ فِيهِ ضَرَارًا لَتَبْرَأَ
وَهُوَ عَلَامُ التَّوْبِ : قَالَ مُعَاوِيَةُ : هَبْهَاتِ بِأَهْلِ الْمِرَاقِ ! نَبْهَكِ عَلَى قَلْبِ
تُطَاعُوا .

ثم أمر بردّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكسما : رجح . (٢) لال الجيش : حزمه .

٤٧- سهل أحلّ عندك محلّ علي*

حج معاوية سنة من سنّيه ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحبجون^(١) ، يقال لها : دارميّة الحبجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها . فقال : ما حالك يا ابنة حاتم ؟ قالت : لست لحاتم إن عيبتني ؛ إنما أنا امرأة من بنى كنانة ثُمّت من بنى أبيك . قال : صدقت ، أتدريين ليّ بشت إليك ؟ قالت : لا أعلم النيب إلا الله . قال : بشت إليك لأسألك : علّام أحببت عليّ وأبغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تغفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ آيت ، فإني أحببت عليّ على عدله في الرعية ؛ وقسّمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبت^(٢) ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليّ على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه للساكنين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقّك العسا ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالمهوى .

قال : فلذلك اتفخ بطنك ؛ يا هذا ؛ بهت^(٣) والله كان يُضرب للثلث في ذلك لاني . قال معاوية : يا هذه ، اربّني^(٤) ، فإنّ لم تقل إلا خيراً . فرجعت وسكنت .

* القند الرريد : ١ - ١٣٣ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧
(١) الحبجون : جبل بمكة . (٢) الطلبة : الطلب . (٣) مند : أم معاوية . (٤) رجع : وقصوا انتظارهم .

قَالَ لَهَا : يَا هَذِهِ ، هَلْ رَأَيْتِ عَلِيًّا؟ قَالَتْ : إِي وَاللهُ لقد رَأَيْتُهُ . قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَتْ تَرَأَيْتُهُ وَاللهُ لَمْ يَفْتِنْنِيهِ أَلَمْ تَكُنْ أَلَمْ تَكُنْ ، وَلَمْ تَشْفَلْهُ النِّعْمَةُ الَّتِي شَفَلَتْكَ .
قَالَ : هَلْ سَمِعْتِ كَلَامَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللهُ كَانَ يَجْلُو الْقُلُوبَ مِنَ الْمَسِي ، كَمَا يَجْلُو الزَّيْتُ الصَّدَأَ .

قَالَ : صَدَقْتَ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَتْ : أَوْ تَعْمَلُ إِذَا سَأَلْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَتْ : تَعْطِينِي مِائَةَ نَاقَةٍ حَرَاءَ فِيهَا فَخَّاهُ وَرَاعِيهَا . قَالَ : تَصْنَعِينَ بِهَا مَاذَا ؟ قَالَتْ :
أَغْذُو بِأَلْبَانِهَا الصَّغَارَ ، وَأُسْتَحْيِي بِهَا الْكِبَارَ ، وَأُكْتَسِبُ بِهَا الْكُكْرَمَ ، وَأُصْلِحُ بِهَا
بَيْنَ الْمَشَاثِرِ . قَالَ : فَإِنْ أُعْطَيْتِكَ ذَلِكَ فَهَلْ أَحْلُ عَنْدَكَ مَحَلًّا عَلَى ؟ قَالَتْ : مَا
وَلَا كَهْدَاءَ^(١) ، وَمَرَعَى وَلَا كَالْمُدَانِ^(٢) ، وَفَتَى وَلَا كَوَلِّكَ^(٣) ، سُبْحَانَ اللهِ !
أَوْ دُونَهُ ؟ فَأَنْشَأَ مَعَاوِيَةُ يَقُولُ :

إِذَا لَمْ أَعْذُ بِالْحِلْمِ مَنِ عَلَيْكُمْ فَنَ ذَا الَّذِي بَدَى يُؤْمَلُ الْحِلْمُ !
خُذِيهَا هَنِيئًا ، وَاذْكُرِي فَلَ مَا جِدِ جِزَاكَ عَلَى حَرْبِ الْمَدَاوَةِ بِالْثَمْرِ
ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللهُ لَوْ كَانَ عَلَى حَيًّا مَا أَعْطَاكَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَتْ : لَا ، وَاللهُ وَلَا
وَبَرَّةً وَاحِدَةً مِنَ مَالِ السَّلَمِينَ !

(١) صَدَأٌ : عَيْنٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَاءٌ أَعْذَبَ مِنْ مَائِهَا . (٢) الْمُدَانُ : نَهْرٌ خَوْشِكٌ ، وَهُوَ
مِنْ أَفْضَلِ مَرَاغَى الْإِبِلِ . (٣) فَتَى : نَهْرٌ يَنْزِلُ فِي أَسْفَلِ مَالِكٍ لَا تَقِي فِي الرِّدَّةِ ، وَالْأَسْفَلُ
الْأَتْلَافَةُ تَضْرِبُ الْعَيْنَ بِفَضْلِ عَلَى أَفْرَاقِهِ .

٤٨ - نَبَحْتِي كَلَابُكَ •

استأذنت بكارة الملاية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - فوجدته مروان بن الحكم ، وعمر بن العاص - فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت^(١) ، وعشى^(٢) بصرها ، وضعت قوتها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنت يا خالة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غيرك الدهر . قالت : كذلك هو ذو غير^(٣) ، من عاش كغير ، ومن مات فغير ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صيفين :

يا زيدُ دونكَ فاحضر من دارنا صيفًا حُسامًا في التراب دفينًا^(٤)
قد كنت أذخره^(٥) ليوم كريهٍ فاليوم أبرزه الزمانُ مصونًا
قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أرى ابنَ هندٍ^(٦) للخلافة مالمسًا هيبات ذاك - وإن أراد - بيدُ
مفتك غشك في انطلاء ضلالت أغراك عمرو للشقا وسبيدُ
قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنت أطعم أن أموت ولا أرى فوق النابر من أمية خالبا

• بلاغات النساء : ٤٠ ، العهد الجديد : ١ - ٢١٢

(١) عشى بصرها : ضل . (٢) ضم البحر : أمواه للنية : أي هو متطلب .
(٣) لغير الله : فاما كما تحفر الأرض بالمدينة . (٤) أخره . (٥) أي معاوية .

فَاللَّهُ أَخْرَسُ دَقِ قَطَطًا لَوْ حَقَّ رَأَيْتُ مِنْ الزَّمَانِ عَجَابًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ الزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحَدًا عَائِبًا
ثُمَّ سَكَتُوا ! قَالَتْ بَكَّارَةٌ : نَبَحْتَنِي كَلَابِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوَرْتَنِي ^(١) ،
فَقَصَّرَ عَجَبَتِي ^(٢) ، وَكَثُرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .
وَأَنَا وَاللَّهِ قَاتِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خِفِي عَلَيْكَ مِنْهُ أَكْثَرَ ،
فَامْضِ لِشَأْنِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْمَيْشِ بِدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحِكَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ :
لَيْسَ يَنْمُنَّا ذَلِكَ مِنْ بَرٍّ . اذْكُرِي حَاجَتِكَ . قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

(١) اعتورتني : تناوبتني . (٢) المحجن : السا البعوضة الرأس

٤٩ - أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ*

دخلت أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز ، فلما رآها معاويةُ قال : مرحباً بكِ وأهلاً بآمتكِ فكيف كنتِ بعدنا ؟ قالت : يا بنَ أخي ؛ لقد كفرتَ بالنسمة ، وأسأتَ لابنَ عمكِ^(١) الصُّعْبَةَ ، وتسميتِ بنير اسمكِ ، وأخذتِ^(٢) غيرَ حقكِ ، من غيرِ بلاءٍ كان منك ولا من آبائكِ ، ولا سابقةٍ في الإسلام ، بعد أن كفرتمُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنص^(٣) اللهُ منكم الجلود ، وأضرعَ منكم اللهود ، وردَّ الحقُّ إلى أهله ، ولو كرهَ المشركون ! وكانت كلُّتنا هي العليا ؛ وبيننا ، صلى الله عليه وسلم ، هو للنصور على من نأواه ولو كرهَ المشركون ؛ فكنا - أهل البيت - أعظمُ الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدرًا ، حتى قبضَ الله نبيه ، فولِّمَ علينا من بعده ، وتمحَّضون يترابكم من رسولِ الله ، ونحن أقربُ إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلةِ بني إسرائيل في آل فرعون ؛ وكان هلٌ من أبي طالب - رحمه الله - بعد نبينا بمنزلةِ هارون من موسى ؛ ضايقُنا الجنةُ ، وغايِكم النار .

وقال لها عمرو بن العاص : كُفِّيْ أَبْنَاهُ المَجُوزُ الضَّالَّةُ ! وأقصرِ عن قولك ، وغشِّ من عَرَفَكَ !

* القند القريظ : ١ - ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .

(١) تريد على بن أبي طالب . (٢) كبر لله أخذه الملافة . (٣) أنص : أملاك ، أو أعز والمجدود : المخلوط .

قالت : وأنت يا عمرو تنكلم ! اغنّ بشأن هنك ؛ فوالله ما أنت من قريش
في اللباب من حسبا ، ولا كرم من نصيبا . وأملك كانت أشهر امرأة كُنْفي بمكة ،
وآخِذْنِ لأجرة !

قال مروان : كُنْفي أيُّها البجوز ، وأقصرى لما جئتَ له . قالت : وأنت أيضا
يا بن الزرقاء تحكلم ! ثم التفتت إلى معاوية قالت : والله ما جراً على هؤلاء غيرك !
وإن أملك الثالثة في قتل حمزة :

نحن جَرَيْنَا كُفْمَ يَوْمٍ بِذِي والحربُ بِدِالْهَرَبِ ذَاتُ سُمْرٍ^(١)
ما كانَ عَنْ عَتَبَةٍ لِي مِنْ صَدِيرٍ أَبِي وَهْمِي وَأَخِي وَصِيْرِي^(٢)
شَفِيتُ وَحَشِيئُهُ غَلِيلَ صَدْرِي شَفِيتَ هَمِي وَقَضَيْتَ قَدْرِي^(٣)
فَشُكِرَ وَحَشِيْرٍ عَلَى دَهْرِي حَتَّى تَرَمَّ أَعْطَى فِي قَبْرِي

قال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أنتما عرضتاني لما وأسمعتاني ما أكره ،
ثم قال لما : يا عمة ! اقصدي قصدا حاجتك ، ودعي عنك أساطير النساء . قالت :
تأمر لي بألني دينار ، وألني دينار ، وألني دينار ! قال : ما تصنعين يا عمة بألني دينار ؟
قالت : أشتري بها عينا خرخرارة^(٤) في أرض خوارة^(٥) ، تكون لولد الحارث
ابن عبد اللطاب ! قال : نعم للوضع وضعتها ! فما تصنعين بألني دينار ؟ قلت
أستعين بها على عُسر اللدنية ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم للوضع وضعتها !
فما تصنعين بألني دينار ؟ قلت : أزوجه بها فتيا بن عبد اللطاب من أكتفائهم . قل :
نعم للوضع وضعتها ! هي لك !

(١) ذات سمر : من سمر الحرب : أولهما . (٢) تدبر لك من كل من على أمة يوم بدر .

(٣) وحشي : قاتل حمزة يوم أحد . (٤) خرخرارة : عين ماء جلوية . (٥) خوارة : منخفضة ،
والمراد : أرض لزراعة ليست وعرة .

ثم قال لها : والله لو كان علي ما أمر الله بها ! قالت : صدقت ! إن علي أدنى الأمانة ؛ وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يصحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ، ودعانا على إلى أخذ حقتنا الذي فرض الله لنا فشغل بمر بك عن وضع الأمور مواضعها ! وما سألتك من مالك شيئا ! فتمن به ؛ إنما سألتك من حقتنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقتنا ؛ أنذكرُ عليك فضل الله عليك ! ثم علا نحيبها وقالت :

أَلَا يَا عَيْنُ وَمَعَكَ أَسِيدُنَا أَلَا وَابِكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
رُزِينَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لِلطَّيَا وَطَارِسَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّيْفِ^(١)
وَمَنْ لَبِسَ النَّمَالَ أَوْ اخْتَذَاهَا وَمَنْ قَرَأَ الثَّنَائِي وَلِئِينِ^(٢)
فَأَمْرُهَا بِقِصَّةِ آلِافِ دِينَارٍ ، وَقُلْ لَهَا : يَا أُمَّةُ ؛ أَخْبِرِي هَذِهِ فِيمَا تَحْبِبِينَ ، فَإِنَّا احْتَجَبْنَا فَكَتَبْنَا إِلَى ابْنِ أَخِيكَ يُحْمِلُ مَعَكَ^(٣) وَمَعُونَتَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ !

(١) رُزِينَا : أُمِّي . (٢) الثَّنَائِي : كَلِمَاتُ التَّحْمِيدِ . (٣) الصَّغْدُ : السَّجْدُ .

٥ - أم سنان تشكو مروان*

حبّس مروان^(١) بن الحكم، وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث، في جناية جناها بالمدينة، فأتته جدّة الغلام - وهي أم سنان بنت خَيْثَمَةَ اللَّذْحَجِيَّة - فكلته في الغلاء، فأغْطَطَ لها؛ فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه فأتسبت له ففرقها، فقال لها: مرحبا يا بنت خَيْثَمَةَ؛ ما أقدمك أرضاً وقد عهدتكَ تشنئين^(٢) قُرْبَى، وتحصين^(٣) على عدوى؛

قلت: يا أمير المؤمنين؛ إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأحلاماً وافرة، لا يجهلون بدعي، ولا يستهونون بدحيم، ولا يتقصون بد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سنّ آباؤهم لأنت. قال: صدقت! نحن كذلك، فكيف قولك^(٤):
عَزَبَ الرِّقْدُ . فَقُلْتُ لَا تَرَقُدُ^(٥) والليل يُصْدِرُ بالموم ويورد^(٦)
بِأَلِّ مَذْحِجٍ لَا مَقَامَ فَشَرُوا إن الدو لآل أحد يَقْصِدُ^(٧)
هَذَا عَلَى كَالْهَلَالِ تَحْفَ وَسَطُ السَّاهِمِ الْكَوَاكِبِ أَسْدُ^(٨)
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنْ يَهْدِكُمُ النُّورُ مِنْهُ تَهْتَلُوا
مَا زَالَ نَذْرُ شَهِدِ الْحَرْبِ مَظْفَرًا وَلِلنَّصْرِ فَوْقَ إِيَّانِهِ مَا يُقَدُّ

* القفد القريد: ١ - ٢١٤، بلاغات النساء: ٦٨

(١) وند مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أيوه الحكم يوم الفتح، فقتل مروان مسلماً، وكتب لسنان في خلافته، وولى لمعاوية المدينة مرثاً، وبيع بالخلافة ولكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ. (٢) تشنئين قربي: تبهضين. (٣) تحصين: تحرجين. (٤) يذكرها بقولها في الحرب التي كانت بينه وبين علي بن أبي طالب لأنها كانت من شعبة علي. (٥) عزب: بعد. (٦) سود النجوم عمرة: منها سعد القبايع وسعد السود، وهي تشير إلى مصابة علي.

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خفًا ! قال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهي القائلة أيضا ؟

إِذَا هَلَكْتَ أبا الحسينَ ظَمَ تَرَلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيَا مَهْدِيَّةٍ
فَاذْهَبْ ، عَلَيْكَ صَلَاحُ رَبِّكَ مَلَوَعَتْ فَوْقَ النَّصُونِ حَامِيَّةٌ قَرِيْبًا^(١)
قَدْ كُنْتَ بِمَدِّ مَعْدٍ خَلَقًا كَا أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَا ، فَكُنْتَ وَفِيَا
فَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤْمَلُ بِمَدِّهِ هِيَهَاتَ تَأْمَلُ بِمَدِّهِ إِنَّمَا
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لَإِنْ نَطَقَ ، وَقَوْلَ صَدَقَ ، وَلَإِنْ تَحَقَّقَ فَيْكَ مَا خَلَقْنَا ،
خَلَقْتَكَ الْأَوْفَرُ ، وَاللهَ مَا وَزَّكَ الشَّيْءَانُ^(٢) فِي قُلُوبِ السَّالِئِينَ إِلَّا هَوْلًا ، فَأَدْحَضَ
مَقَالَتَهُمْ ؛ وَأَبَدَ مَنَزِلَهُمْ ، فَطُوكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ تَرَدَّدَ مِنْ اللهِ قَرِيْبًا ، وَمِنْ
لِلْمُؤْمِنِينَ حَبًّا .

قال : وَإِنَّكَ لَتُضِلُّونَ ذَلِكَ ! قالت : يَا سُبْحَانَ اللهِ ! والله ما مَثَلُكَ مُدْحٍ بِبَاطِلٍ ،
وَلَا اعْتِزَالٍ إِلَيْهِ بِكَذِبٍ ؛ وَإِنَّكَ لَتُضِلُّ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا ، وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا .

كَانَ وَاللهُ عَلَى أَحَبِّ إِلَيْنَا مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِكَ . قال : مَنْ ؟
قالت : مَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَسَمِيدَ بْنِ الْمَاصِ . قال : وَبِمِ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ
عِنْدَكَ ؟ قالت : بِسَمَةِ حَلِكِ ، وَكَرِيمِ عَفْوِكَ . قال : فَإِنَّهُمَا يَطْلُمَانِ فِي ذَلِكَ ؟
قالت : هَا وَاللهُ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى مِثْلِ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَمُتَانِ بْنِ عَفَّانَ رَحِمَهُ
اللهُ تَعَالَى^(٣) .

قال : وَاللهُ لَقَدْ قَارَبْتَ ؛ فَمَا حَاجُكَ ؟ قالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ مَرْوَانَ
تَبَيَّنَكَ^(٤) بِالْمَدِينَةِ تَبَيَّنَكَ مَنْ لَا يَرِيدُ مِنْهَا الْبِرَاسَ ، لَا يَحْكُمُ بِعِلٍّ ، وَلَا يَقْضِي بِسَفَةٍ ،

(١) الأبرى : نوع من الحمام . (٢) الشَّيْءَانُ : البهيم . (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك
كما كنت تأملها بعد عثمان . (٤) تبينك : أقام .

يُنتِج عثرات للبلين ، ويكشف مورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيتُهُ ،
قال : كنتَ وكنتَ ، فألقته أخشن من الحجر ، وألقته أمرًا من الصبر ،
ثم رجعت إلى ضي باللائعة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى مَنْ هو أولى منه
بالقوة !

فأتيتك يا أمير المؤمنين لتسكون في أمري فانظروا ، وعليه ممدباً^(١) . قال :
صلقت ، لا أسألك عن ذنبه ، ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها بإملائه .
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأني لي بالرجمة^(٢) ! وقد نفذ زادي ، وكلت راحلي !
فأمر لها بإحالة وخمسة آلاف درهم .

(١) ممدباً : مبيتاً ناصراً . (٢) الرجمة : الرجوع .

٥١ - ليلي الأخيلية عند معاوية*

بينما معاوية يسير إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شُرطته : اتقني به ، وإياك أن
تروعه^(١) ، فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردتُ .

فلما دنا الراكب حذر^(٢) لئلاّمه ، فإذا ليلي الأخيلية^(٣) ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكُدْ آتيك تهوى برحلي نحو ساحتك الركبُ

تجوب الأرضَ نحوك مائتاً^(٤) إذ ما الأسْمُ^(٥) قنمها السرابُ

وكنت للرجعى ، وبك استملذت لتُنشمها إذا يحل السحبُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلي يطلب إلى مثلك حاجة ، فغير أنت .

فأعطاهما خسين من الإبل . ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فآخر بمضر ،

وحارب بقيس ، وكأثر بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك يا ليلي ؟ أكنا يقول الناس

كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناس يقولون حقاً الناس شجرة بُنى ،

يحدسون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبب^(٦)

البنان ، حديد اللسان ، شجعي للأقوان ، كريم الخبر ، صيف للبر ، جميل النظر ،

* الأغانى : ١٠ - ٧٤ ، مهذب الأغانى : ٤ - ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٣

(١) تروعه : تنزعه . (٢) حذر القى : أنزله . (٣) ليلي الأخيلية بنت عبد الله بن
جنى الأخيل بن عامر ؛ من النساء اللطيمات في الشعر ، حوينا توبة بن الجير ، وخطبها إلى أبيها ،
فأبى أن يزوجه إياه . توفيت نحو سنة ٥٨٠ هـ . (٤) تاني : تأنى . (٥) الأسْمُ : جمع أكمة :
للوضع يكون أشد ارتفاعاً من غيره . (٦) سبب البنان : سقى .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلت له ؟ قالت : قلت : ولم أتمد الحق وعلى فيه :

بميد للدى لا يبلغ القوم شأوه ألد^(١) مِلْد يَنْبِ الحقَّ باطله
إذا حل ركب في ذراه وظلّه لينمهم مما تُخالف نوازه
حمام بتصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله^(٢)

قال معاوية : ويحك يا ليلى ! يزعم الناس أنه كان عامراً فاجراً ! قالت من ساعها مرتجلة :

معاذ اللهى قد كان - واقفه - توبة جواداً على العلات جماً نوافقه^(٣)
أغرّ خفاجياً يرى البخل سبة^(٤) تُخالف كفاه الندى وأنامله
عقياً بميد الم صلباً قنائه جيلاً محيياً قليلاً غوائله
وكان إذا ما الضيف أرغى بمره لديه ، أناه نيله وفواضله
وقد علم الجوع الذى كان سارياً على الضيف والجيران أنك قائله
وأنت رَحْبُ الباع ياتوب بالقرى إذا ما لثيمُ القوم ضاقت منازلهم !
بيتُ قريز الدين من كان جاره ويضحى بنخسير ضيفه ومُنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ! لقد جُزيت بتوبة قدره ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، والله لو رأيته وخبرته لملت أى مقصرة فى نعمته ؛ لأبلغ كنهه^(٥) ما هو أهله ! فقال لها معاوية : فى أى سن كان ؟ قالت : يا أمير المؤمنين :

(١) اللد: شدة الحسومة . (٢) الحصىلة: كل لمة فيها عصب . (٣) جوادا على العلات : أى على كل حال . (٤) خفاجة : حى من بى طامر . (٥) كنهه : حقيقة .

أنته للنأي حين تمّ تملّهُ وأقصر عنه كلّ قرن بضالّه
 وصار كليث الغاب يحمي عرينه فترضى به أشباله وحلاله
 عطوف حلیم حين يطلب حلّه وسمّ زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بمجازة، وقال : أئى ما قلت فيه أشعر؟ قالت : يا أمير المؤمنين؛ ما قلت شيئاً إلا والقي فيه من خصال الخيل أكثر، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً - والجزاه بكفه - فقى من عقيل صاد غير مكلف
 فقى كانت الدنيا تهونُ بأسرها عليه فلم ينفك جمّ التصرف
 ينالُ عليات الأمور بهونة إذا هي أعيت كلّ نيرق مشرف^(١)

(١) الهونة: الرفق والسهولة. الحرق: الشئ أو الطريف في سخاوة. معذرف: جبل له شرف.

٥٢ - أم

دخل ابن الزبير^(١) على أمه^(٢) حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ،
قال : يا أمه ؛ خذلني الناس حتى ولدي وأهل ، فلم يبقَ معي إلا اليسير ممن ليس
عنده مع الفخ أكثر من صبر ساعة ، والقوم يطوفوني ما أردت من الدنيا ،
فما رأيك ؟

فالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك ؛ إن كنت تعلم أنك على حق وإليه
تدعو فامض له ، فقد قُتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبته يطلب بها
غلان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ! أهلكك نفسك
وأهلكك من قُتل مملوك . وإن قلت : كنتُ على حق ، فلهو هن أصحابي ضعفت ؛
فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين . . . وكم خلودك في الدنيا ! القتل أحسن !
والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بسوط في ذل . قال : إني أخاف
إن قتلوني أن يمتثلوا بي ! قالت : يا بني ؛ إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها .

فدنا ابن الزبير ، قبل رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ؛ والذي قتت به داعياً إلى
يومي هذا ، ماركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحييت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا

* تاريخ الطبري : ٧ - ٢٠٣ ، بلاغات النساء : ١٣٠ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبيع له في الحجاز
والمراق واليمن ، ومكث خليفة سبع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة . وقيل سنة ٧٣ هـ .

(٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهي من قريش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت
عائشة لأبيها ، توفيت سنة ٧٣ هـ . وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ،
وجن خذل عبد الله أمواته .

الغضبُ أن الله تُسَحَّلَ حُرْمَهُ ، ولكي أُحِبَّ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ ، فزدني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يا أُمّةُ ، فإنّي مقتول من يوي هذا ، فلا يشتد حزني ، وسلي لأمر الله ؛ فإن ابنك لم يعتمد إيمان منكر ولا عملاً باحثة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يندِر في أمان ، ولم يعتمد ظلم مسلم ولا مُعاهد ، ولم يلبس ظلم عن عمالي فرضيت به ، بل أنكرته ؛ ولم يكن شيء آخر عني من رضا ربّي ؛ اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي ؛ أنت أعلم بي ولكن أقوله تمزيّة لأخي لتساو عني .

قالت أمّه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدّمتني ، وإن تقدّمتك فني ضي حرج حتى أنظر إلّا ما يصور أمرك . قال : جزاك الله يا أمّه خيراً ؛ فلا تدعي الدعاء لي قبيل ويد . قالت : لا أدعه أبداً ، فمن قُتل على باطل قد قُتِلَ على حق ! ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك التعيب والظأ في هواجر المدينة ومكة ، وبرّه بأبيه وبني ، اللهم قد سلّمت له لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت فأثبني في عبادة الله نواب الصابرين الشاكرين .

ثم ودّعها وخرج ، ولم يلبث أن قُتل رحمه الله !

٥٣ - التلطف في السؤال *

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكرة^(١)، فوقت بين السَّكَّاتِين^(٢)، وجعلت تُظهِر وجهها مرة، وتستره أخرى؛ فلما أبصرها علم أنَّ لها حاجة؛ فقال لجلسائه: ما عليكم أن تقوموا حتى تقولَ هذه للمرأة حاجتها.

فقدَّمت، وقالت: أوصحك الله الأمير، إني أتيتك من أرضٍ شاسعة، ترفض رافعة، وتخضى واصمة؛ للمات قد أكلن لحي، وبرين عظمى، فضاقي بي البلدُ المريض. وقد جئتُ بلدا لا أعرف فيه أحدا، لا قرابة تكفني، ولا عشرة ترفض، بد أن سألتُ أحياء العرب: منَ للرجو نائله، الملقى سائله؛ فأرسلتُ إليك، ودللتُ عليك؛ وأنا - أوصحك الله - امرأة قد هلك عنها الوالد، وذهب عنها الطارف والثالذ^(٣)، ومثلك يد الخلة^(٤)، ويزعم العلة؛ فلما أن تحسن صفدي^(٥)، وتقيم أودي، وإما أن تردني إلى بلدي. قال: بل أجمع لك كل ما ذكرت.

ثم أمر لها بمشرة آلاف درهم، وزاد وكسوة وراحلة.

* غرر الحقائق الواضحة: ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكرة كان أجل الناس وأغصهم، ولاء الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ، ومات هناك. (٢) السكَّاتين: الصغان. (٣) الطارف: الجديد. والثالذ: القديم. (٤) الخلة: الحاجة. (٥) الصفد: السقاء.

٥٤ - نساء بنى تميم *

قال الشعبي : قال لي شريح^(١) : يا شعبي ! عليكم نساء بنى تميم ، فلتهن النساء ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مُطهر^(٢) ، فررتُ بدور بنى تميم ، فلذا امرأة جالسة في سقيفة^(٣) على وسادة ، وتجاهها جارية رؤوفة^(٤) ، ولها ذؤابة على ظهرها كأحسن من رأيت من الجوارى ، فاستقيتُ - وما بي من عطش - قالت : أى الشراب أعجب إليك ؟ ألبنيذ أم اللبن أم اللاء ؟ قلت : أى ذلك تيسر عليكم . قالت : اسقوا الرجل لبناً ، فإني إخاله غريباً . قلتُ شربت نظرتُ إلى الجارية فأهيجني ، قلت : من هذه ؟ قالت : ابنتي . قلت : ومنى ؟ قالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أبارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : أتزوجينها ! قالت : نعم ، إن كنت كفتنا ؛ ولها عُمٌّ فاقصده .

وانصرفت إلى منزلي لأقيل فيه ، فامتنت مني القائلة^(٥) ، فأرسلتُ إلى إخواني القراء^(٦) ، ووافيتُ مهمهم صلاة العصر ، فلذا عنها جالس ، فقال : أبا أمية ؟

* مذهب الأحناف : ٣ - ٨٠ ، للخطوف : ٢ - ١٩ ، المقدم القريد : ٤ - ٨٠ ، الأغانى : ١٦ - ٣٦ (طبعة الباسي) .

(١) هو شريح بن الحارث . أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، فألم بها فاشياً سنة طوية لم يتصل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل وإصابة ؛ كما كان شاعراً محمداً . توفي سنة ٨٧ هـ .
(٢) أطهر : دخل في الظهيرة ، والظهيرة : حد انحصاف النهار . (٣) السقيفة : الموضع للظلال .
(٤) الرؤوفة : العذبة الحسنة . (٥) القائلة : نصف النهار ، وظل قالا : تام فيه .
(٦) جم هزرى ، وهم الذين يقرءون القرآن ويظونه .

حاجتك . قلتُ : إليك . قال : وما هي ؟ قلتُ : ذُكرتُ لى بنتُ أخيك زينب .
قال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ وقلتُ :
تزوجتُ إلى أغفلُ العرب وأجفأها ! ثم همتُ بطلاقها ، ولكن قلتُ : أجهلُ إلى ،
فإن رأيتُ ما أحبُّ وإلا طلقتها .

ثم مكثتُ أياماً حتى أقبل نساؤها يهادينها^(١) ، ولما أدخلتُ قلتُ : يا هذه ؛
إن من السنة إذا دخلتُ المرأة على الرجل أن يَصَلِّيَ ركعتين وتَصَلِّيَ ركعتين ، وبإلا
اللهُ خيرٌ ليلتهما ويصومُنا به من شرهما . فوضأتُ فإذا هي تتوضأ بوضوئى ،
وصليتُ فإذا هي تصلَّى بصلاتى ، ولما قضينا الصلاة قالت لى : إني امرأة غريبة ،
وأنت رجل غريب لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى مانعٌ فأتيتُه ، وما تكره
فأُتِجِرَ عنه . قلتُ : قلمتُ خيرَ مقدمٍ ؛ قلمتُ على أهلِ فارسِ زوجك سيدِ عالمٍ ،
وأنت سيِّدة نساءهم ، أحبُّ كذا وأكره كذا ، وما رأيتُ من حسنةٍ فأبثتها ،
وما رأيتُ من سيئةٍ فاستُرَّيها .

قالت : أخبرنى عن أخفائك^(٢) أحبُّ أن يزوروك ؟ قلتُ : إني رجل قاضٍ
وما أحبُّ أن تملوئى . قالت : فمنَّ تحبُّ من جيرانك يدخلُ دارك آذنُ له ، ومنَّ
تكرهه أكرهه ؟ قلتُ : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقت عندنا ثلاثاً ؛ ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ؛ فكنتُ لا أرى يوماً
إلا وهو أفضل من الذى قبله ؛ حتى إذا كان رأس الخول دخلتُ منزلى امرأة مجوز
تأمر وتنهى . قلتُ : يا زينب ؛ من هذه ؟ قالت : أمى فلانة . قلتُ : حيَّك اللهُ

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تعالفت فى مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٢) الخن : الصهر ، أو كل من كان من قبل للمرأة .

بالسلام . قالت : أبا أمية ؛ كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحد الله . قالت :
أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كثير امرأة . قالت : إن المرأة لا ترى في حال
أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رابك
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتهم شراً من الورعاء^(١)
المتدله^(٢) .

قلت : أشهد أنها ابتكرت ، قد كفيتمني الرياضة ، وأحسن الأدب . قالت :
أحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .
قلت شريح : فكانت كل حول تأنيباً وتوصي تلك الوصية ، ثم تنصرف .
ومكنت مع زينب عشرين عاماً ، فغاضبت عليها قط إلا مرة كتف لها فيها
ظلال^(٣) .

(١) الورعاء : الخفاء . (٢) يقال : تقلت للمرأة على زوجها ؛ إذا أرتبه جرأة عليه كآنها
تخاله وبابها خلاف .

(٣) قد رووا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

رأيت رجلاً يضربون نساءهم
أفأضربها في غير جرم أنت ؟
فقلت يميني يوم أضرب زينبا
لله فاعفري إذا كنت مذنباً
فأنت تزين الخلق أنت من حليت
نكحت بغيرها لك غلط عجباً

•• - ليلي الأَخْيَلِيَّة عند الحِجَاج *

قال مولى من اللوالى : كنت أدخل مع عَنبَسَةَ بن سعيد^(١) بن العاص إذا دخل على الحِجَاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحِجَاج أحدٌ إلا عَنبَسَةُ ؛ فأتقذنى ، فجئى إلى الحِجَاج يطبقُ فيه رُغَب ، فأخذ الخدامُ منه شيئاً ، فجاءنى به ثم جِئ به طبق آخر ، حتى كَثُرَت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشئ إلا جاءنى منه بشئ ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثر مما عندهما .

ثم جاء الحاجب ؛ قال : امرأة الباب ؟ قال له الحِجَاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحِجَاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ؛ فصامت حتى قصدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأة قد أسنت ، حَسَنَةُ الخَلْق ، وممها جاريجان لها ، وإذا هى ليلي الأَخْيَلِيَّة .

فسألها الحِجَاج من نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلي ؛ ما أتى بك ؟ قالت إخلاف^(٢) النجوم ، وقلة النجوم ، وكَلَب^(٣) البرد ، وشدة الجهد ؛ وكنت لنا بعد الله الرَّفَد^(٤) .

* الأملى : ١ - ٨٦ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٦ ، معارج المشاق : ١٨٥ - الأغانى : ١٠ - ٧٨ (طيبة الناس) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحاسن والأمناد : ٢٤٦ ، سبط اللائى : ١ - ٢٨٠ ، أعيان النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنبسة آخر الناس عند الحِجَاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة .

(٢) إخلاف النجوم ؛ تريد : أخلفت النجوم التى بها يكون للطر قلم تأت بقطر .

(٣) كلب البرد ؛ هدمته . (٤) الرفد : للحرقة والسيلة .

قال لما : صني لنا التيجاج^(١) . قالت : التيجاج مُنْبِرَةٌ ، والأرض مُتَشَعِرَةٌ ،
وللبرك^(٢) مَقْتَلٌ ، وذو العيال مُخْتَلٌ^(٣) ، والمهلك إِقْتَلٌ^(٤) ، والناس مُسْتَفْتُونَ^(٥) ،
رحمة الله يَرْجُونَ ؛ وأما بَقْنَا سِنُونَ مُجِيفَةٌ^(٦) مَبْلُطَةٌ^(٧) ، لم تَدَعْ لَنَا هَبْعًا^(٨)
ولا رَبْعًا ، ولا عَافِيَةً^(٩) ولا نَافِيَةً ، أَذْهَبَتِ الْأُمُوالُ ؛ ومَزَقَّتِ الرجال ،
وأهلكَتِ العيال .

ثم قالت : إِنِّي قُلْتُ فِي الْأَمِيرِ قَوْلًا ، قال : هَانِ ، فَأَنْشَأْتُ قَوْلَ :
أَحْبَاجٌ لَا يُقْتَلُ سَلَايُكُ^(١٠) إِنِّهَا لَا
أَحْبَاجٌ لَا تُعْطَى الصَّاعَةُ مُتَاهُمُ ولا الله يُعْطَى الصَّاعَةُ مُنَاهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَبَاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى نَائِبِهَا فَتَنَاهَا
شَفَلَهَا مِنَ الْبَاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا عَزَّ الْقَنَاصَةَ سَفَلَهَا
شَفَلَهَا فَرَوَاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ^(١١) دَمَاءَ رِجَالٍ حَيْثُ مَالٌ حَفَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْحَبْلُجَ رِيَّةً^(١٢) كَتِيبَةً أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارْسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْدُبُونَ صَرَاهَا^(١٣)
فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارَ وَالْمَوْنُ^(١٤) مَثَلَهُ يَبْعَرُ وَلَا أَرْضٌ يَحْفُ نَرَاهَا

(١) التيجاج : جمع قيج وهو الطريق الراسع بين جبلين . (٢) للبرك : أرادت الإبل ؛ فأقامت
للبرك مكانها . (٣) ذو العيال عطل : أي عتاج ، والحلة : الحاجة . (٤) المهلك قتل : من أجل
القلة . (٥) مستفنون : معطلون . (٦) السنة المصنعة : التي تحبب باليوم قتلا وإنشاداً للأحوان ،
أو مشفرة بالمال . (٧) مبلطة : مزقة بالبلط ؛ تحرب مهلكة . (٨) الهبع : ما تنج في الصيف ،
وآريم : ما تنج في الربيع . (٩) عافطة : الضأن ، والنافطة : للمعزة . (١٠) السلاخ :
يذكر ويؤث . (١١) السجال : جمع سجيل ، وهو الفل السطيفة . (١٢) الرز : الصوت
تسمعه من بعيد . (١٣) الصري : البقية . قال في السط عند تحير هذا البيت : لقي لصال الرياح
وكسهاً كأنها سقية ، من أصابته لم ينج منها . (١٤) المون : جمع عوان ، وهي التي كان لها زوج .

فما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صنفى شاعر
مد دخلت الرماح غيرها .

ثم التفت إلى عتبة بن سديد ، قال : والله إنى لأعدُّ للأمر عدته ، عسى
ألا يكون أبداً . ثم التفت إليها ، قال : حبيبك !

فالت : إنى قد قلت أكثر من هذا ! قال : حبيبك ، ويحك ! حبيبك .

ثم قال : يا غلام ! اذهب إلى فلان ؛ قل له : اقطع لسانها ، فذهب بهما ،
قال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها !

فأمر بإحضار الحجام ؛ فالتفت إليه قالت : ثيكك أمك ! أما سمعت
ما قال ! إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة ، فبث إليه بسننيتيه ؛ فاستشاط الحجاج
غضباً ، وهم بقطع لسانه ، وقال : ارضعها . فلما دخلت عليه قالت : كاد والله
يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذى مافوقه أحدُ إلا الخليفةُ . ولستَ تقرُّ الصمدُ

حجاج كنتَ شهابُ الحرب إن وقعت^(١) وأنت للناس نورٌ فى الدنيا يقدُّ

ثم أقبل الحجاج على جلسته قال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها
الأمير ، إلا أننا لم نر قطُّ أفصح لساناً ولا أحسن محاوره ، ولا أملح وجهاً ،
ولا أروى شراً منها .

فقال : هذه لى الأخيلى ، التى ماتت توبة الخفاجى من حبها ، ثم التفت
إليها ؛ قال : أنشدينا باللى بمنى ما قال فيك توبة .

(١) أصله من لست إلا بل ؛ إذا قلت . والحرب إذا عظمت تجدد عنها الأمور التى لم تكن تحتجب
(المخرجة - ١ - ٢٧٦)

قالت : نعم أيتها الأمير ، هو الذى يقول :

وَمَلَّ تَبَكُّيْنَ لَيْلٍ إِذَا مَتَّ قَبَلُهَا وَقَامَ عَلَى قَبْرِى النِّسَاءِ النَّوَاحُ ؟
كَأَوَّ أَصَابَ لِلوُتْ لَيْلٍ بِكَتْمِهَا وَجَادَ لَهَا مَجْعٌ مِنَ الْمَيْنِ سَالِحٌ^(١)
وَأَغْبَطُ مَنْ لَيْسَ بِمَا لَا أَنَالَهُ عَلَى ، كُلِّ مَقَرَّتْ بِهِ الْمَيْنِ طَالِحُ
وَلَوْ أَنَّ كَيْلَ الْأَخْيَلِيَّةِ سَلَّتْ حَلَى ، وَدُونِ جَنْدَلٍ وَمَفَالِحُ
لَسَلَّتْ نَلِيمَ الْبَيْشَلَةِ أَوْ زَكَ إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَالِحُ

قال : زيدتنا من شعره باليل ، قالت : هو الذى يقول :

حَسَمَةٌ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْغَمِي سَتَكُ مِنَ الْفَرِّ الْنَوَادِي^(٢) مَطِيرُهَا
أَيْفَى لِسَا ، لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاهِمًا وَلَا زَلْتَ فِي خَضِرَاءِ غَضْرِ نَضِيرُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَلَزْتُ لَيْلٍ تَبَرَّكْتُ قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْفَدَاةَ سُورُهَا
وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا صُدُودَ رَاجِهِ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُورُهَا^(٣)
وَأَشْرَفَ بِالْقُورِ^(٤) الْبِقَاعَ لَمَنَى أَرَى نَارَ لَيْلٍ أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا
يَقُولُ رِجَالٌ : لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا عَلَى أَكْلِ مَلَشَفٍ^(٥) الْفُوسِ يَضِيرُهَا
يَلِي أَقْدِيضِ الْمَيْنِ أَنْ تَكْتَبِرَ الْبُكَاءُ وَتُخَمِّعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا
وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلٍ بِأَنِّي فَاجِرٌ لَنْفُسِي قَتَامَا ، أَوْ^(٦) عَلَيْهَا فُجُورُهَا

قال الحجاج : باليل ، ما الذى رآه من سُورِك ؟ قالت : أيتها الأمير ؛ كان

مُطَمِّنٌ كَثِيرًا ؛ فَأَرْسَلْتُ إِلَى يَوْمًا : إِنِّي آتِيكِ ، وَقَطِنِ إِلَى ؛ فَأَرْصَدُوا لَهُ ، فَلَسَا

(١) سَالِحٌ : مُنْصَبٌ . (٢) الْفَرُّ : جَمْعُ فَرَّةٍ ، وَهِيَ الْحَبَابَةُ تَنْفُخُ غَدَاةً . (٣) بِسُورُهَا :

عَبَسَهَا . (٤) الْقُورُ : جَمْعُ قُورَةٍ . وَهِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحَبَابَةِ الْوَدَاءِ . وَالْبِقَاعُ : كُتَابُ الْخَلِّ .

(٥) مَلَشَفٌ : مَزَلَةٌ . (٦) أَوْ هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ .

أَنَا سَرَّتُ عَنْ وَجْهِ ، فَلَمْ أَنْ ذَلِكَ لَشَرٍّ ؛ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالرَّجُوعِ .
 قَالَ : هُوَ دَرْكُ ! فَمَلِ رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا تَكْرِهِيهِ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ أَسْأَلُهُ
 أَنْ يَصْلَحَكَ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً قَوْلًا ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ خَضَعَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَأَنْشَأْتُ
 أَقُولُ :

وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا تَبْخُجْ بِهَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيْثُ سَبِيلُ
 لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتِ لِأُخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ
 فَلَا وَاللَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يَصْلَحَكَ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى فَرَّقَ لِلْوَتِ يَنْبَغِي
 وَيَنْبَغِي . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِي غَزَاةٍ لَهُ ، فَأَوْصَى ابْنَ عَمِّ لَهُ :
 إِذَا أَتَيْتَ الْحَاضِرَ مِنْ بَنِي عِبَادَةَ ، فَتَلَا بِأَعْلَى صَوْتِكَ :
 عِنَّا اللَّهُ عِنْمَا ، هَلْ أُيِّتَنَّا لَيْلَةً مِنْ النِّعْرِ لَا يَسْرِي إِلَيْنَا خِيَالُهَا !
 وَأَنَا أَقُولُ :

وَعِنَّا عِنَّا رَبِّي وَأَحْسَنَ حَالِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْنَا حَاجَةٌ لَا يَنْأَلُهَا
 قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ؛ فَأَتَانَا نَعْيُهُ .

قَالَ : أَنْشَدِينَا بَعْضَ مَرَاتِكَ فِيهِ ؟ فَأَنْشَدَتْ :
 لَيْتَكَ الْعَدَاوَى مِنْ خِلَافَةِ نِسْوَةٍ ^(١) بِمَاءِ شَتُونِ الْعَبْرَةِ لِلتَّحَدُّرِ
 قَالَ لَهَا : فَأَنْشَدِينَا ؟ فَأَنْشَدَتْ :

كَأَنَّ فِي الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخِ قَلَانِمَ يَفْصَحَنَّ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ ^(٢)
 فَلَمَّا فَرَّغَتْ مِنَ التَّصِيدَةِ ، قَالَ مَحْصَنُ الْفَقْمَسَى - وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الْحِجَابِ :

(١) نِسْوَةٌ : تَبْيِينٌ ، وَلَرْتَفَاعُهُ يَضِلُّ ، مَضَرٌّ ، كَأَنَّهَا هَالَتْ بِتَكْبِيهِ نِسْوَةٍ . وَفِي حَاشِيَةِ الْأَمَامِيِّ : هُوَ لِلَّهِ
 التَّحَادُّرُ بِالْأَلْفِ قَبْلَ الْهَالِ لِنَحْمِ الْغَايَةِ . (٢) الْكَرَاكِرَةُ : رَحَى زُورِ الْبَيْرِ ، أَوْ صَدْرُ كُلِّ
 ذِي خَنْفٍ ، وَتُغْلَى الْإِبِلُ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ بِطَلَبِنِ بَرْدِ اللَّاهِ لِيَنْتَهَ .

من الذى تحول هذه هنا فيه ؟ فوافقه إلى لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه رداً شديداً ، فقال الصجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .

ثم قال لها : سلى ياللى تُعطى ، قالت : أعط ، فثلك أعطى فأحسن . قال : لك مشرون . قالت : زد فثلك زاد فأجمل . قال : لك أربون . قالت : زد فثلك زاد فأكل . قال : لك ثمانون . قالت : زد ، فثلك زاد فتم . قال : لك مائة ، واعلى أنها غنم ، قالت : مماذا الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأجيدُ مجداً ، وأوْزى زَنْداً ، من أن تجعلها غنياً . قال : فاهى ؟ ويحك ياللى ! قالت : مائة من الإبل برُعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدا ؟ قالت : تدفع إلى الثابتة الجسد . قال : قدضلت ، وقد كانت تهجو وهجوها ، فبلغ الثابتة ذلك ؛ ففرج هارباً عائداً بعبء لك . فأتته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فأتته على البريد بكتاب الصجاج إلى قتيبة ، فأتت يقومس^(١) .

(١) مدح كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

٥٦ - الحجاج يخالف سبأياه *

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان، فظفر به الحجاج^(١) وبأسعابه، وجعل يقتل كل مَقْدُور عليه منهم، فلما كان آخر الأمر قُدِمَ إليه رجل منهم، له تَمَتُّ^(٢) ورؤاء وهيئة.

فلما هم الحجاج يقتله سمع ضجة بالباب؛ فقال لحاجبه: ما هذه الضجة؟ قال: نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير. فقال الحجاج: ائذن لمن بالدخول؛ فدخلن ومن ثلاث وعشرون امرأة، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج يقتله، فقال لمن الحجاج: ما حاجتكن؟ فقدمت امرأة منهن وقالت: أصلى الله الأمير! إن رأيت أن نجود باستماع ما أقول! فقال لها: قولي ما أحببت، قالت:

أحجاج إنا أن تمن بترك	علينا وإنا أن تقتلنا ممّا
أحجاج لو تشهد مقام بناته	وعمانه بتدبته الليل أجمعاً
أحجاج لا نجمع به إن قتلته	ثماناً ونسماً وانتجين وأربناً
فمن رجل دان يقوم مقامه	علينا فهل لا ترزنا قصصاً

فلان الحجاج قولها، ووجد رقة عليهن، وعفا عنه وأطلقه، وزاد في عطائه مائة دينار، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشمرها، وأنه قد رقي لمن، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار.

فكتب إليه عبد الملك يحمد على ذلك، وأمره أن يزيد مائة أخرى في عطائه.

* ينقد: التزويد للملك العبد: ١١٨، الحسن والسوى: ٦٠٢ (طبر ليزج). الشترط:

٥٧ - أسد على وفي الحروب نعامه *

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه فِرْع وعلمة سوداء ، وقوم عربية وكثانة ، فبعت إليه أم البنين بنت عبد المزبز بن مروان ، قالت : مَنْ هذا الأعراي للستلم^(١) في السلاح عندك ، وأنت في غلالة^(٢) ! فبعت إليها : إته الحجاج .

فأعادت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يخلو بك ملكُ اللوت أحبُّ إليَّ من أن يخلو بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ قال : يا أمير المؤمنين : دَعْ منك مفاكحة النساء بزخرف القول ؛ فإنما المرأة دِعة ، وليست قهرمانة^(٣) ؛ فلا تُظلمها على سرِّك ، ومكابدة عدوك .

فما دخل الوليد أخبرها بمقعة الحجاج ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ حاجي إليك أن تأمره غداً بأن يأتي مُستلماً ، فصل ذلك .

وأناه الحجاج ؛ فحجبه ثم أدخله ولم تأذن له في القمود ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت : إيه حجاج ، أنت للستن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث ! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شرُّ خلقه ما ابتلاك برى الكعبة الحرام ،

* ابن أبي الحديد : ٣ - ٤٠ ، بلاغات النساء : ١٧٤ ، ميون الأخبار : ١ - ١٦٩ .

(١) استلام الرجل ؛ إذا ليس ماعنه من عدة : ومع ويضة وسفر وسيف وبل .

(٢) الغلالة : شعار تحت الثوب . (٣) القهرمان : هو كالمأزن والوكيل المافظ لا تحت يده والناظم بأمر الرجل بلغة الفرس .

ولا يقتل ابن ذات النطاقين^(١) ؛ أول مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفارقة النساء ويولوج أو طارده فإن كُنَّ يلدنَ مثلكَ فما أحقُّ بالقبول منك ، وإن كنَّ يلدنَ مثله فهو غير قابل لتوكل . أما والله لقد قَضَى نساء أمير المؤمنين الطيب من غلظتهن والحلى من أيديهن وأرجلهن فيحنه في أعطية أهل الشام ، حين كنت في أضيق من القرن^(٢) ، قد أغلقتك رماحهم ، وانحنك^(٣) كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آلائهم وأبنائهم ؛ فأبجك الله من علو أمير المؤمنين بحبيهم إليه ؛ قاتل الله القاتل حين نظر إليك وسنان غزاة^(٤) بين كفتيك :

أسدٌ على وفي العروب نَمَامةٌ فتشاه تنفرُ من صغير الصافر^(٥)
هَلَا كَرَزَتْ على غزاة في الوعى بل كان قلبك في جِوانح طائر
ثم قالت لجوارها : أخرجته ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، قال : ما كنت فيه بإحجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ ما سكنت حتى ظننت ضى قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحبَّ إلى من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاعتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها هفت نطاقها لية خروج النبي صل الله عليه وسلم إلى الشام ، فجئت واحدة لغيره النبي ، والأخرى عصاماً للرجه . (٢) القرن هنا : الجلبة من جلود تكون معقوفة ثم تحرز . (٣) انحن : غلب وقهر . (٤) غزاة : امرأة : امرأة عيب الخارجي . (٥) يقال ناقة ضفاد : ارتضت أخلاقها قبل بطنها ؛ وهو دم .

٥٨ - الشراء عند سَكِينَةَ بنتِ الحُسَيْنِ *

اجتمع الفرزدقُ وجَهِيلٌ وجَرِيرٌ ونُصَيْبٌ وكَثِيرٌ في موسمٍ من اللوامس ، قال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينهى لنا أن نَتَفَرَّقَ إِلَّا وقد تَبَاعَ لنا في الناس شيءٌ نَدُّكَرُ بِهِ . قال جرير : هل لكم في سَكِينَةَ^(١) بنت الحسين ، فصلها قسمٌ عليها ؛ فليل ذلك يكون سبباً لبعض ما تريد ا فقالوا : امضوا بنا . فكتبوا أيلماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها وقدمت لهم حيث ترام ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيفة ، وقد رَوَّتِ الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كلَّ منهم السلام ، هَالَتْ ؛ أيكم الفرزدقُ ؟ قال : هَانَذَا ، هَالَتْ ؛ أنت الذي تقول :

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ أَنْ سَوْفَ تَلْتَقِي وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسِي كَلُومَا
فَإِنْ أَلْتَمَأَ أَوْ يَجْمَعُ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَيُهَا شَفَاهُ النَّفْسَ مِنْهَا وَدَاوَمَا

قال : نعم ! قالت : قَوْلُكَ أَحْسَنُ مِنْ مَنْظَرِكَ وَأَنْتَ الْقَاتِلُ :

وَدَّعَنِي بِإِشَارَةٍ وَتَحِيَّةٍ وَتَرَكَنِي بَيْنَ الدَّيَارِ قَهِيلاً
لَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْوَدَاعِ وَمَا شَفَقَنِي غَلِيلاً
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُكُمْ إِذَنْ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى أُوَدِّعَ قَلْبِي الْخَبْرَ لَا

* المحاسن والمساوي : ٢٣٤ (طبع ليزج) ، مصارع المشاق : ٢٧٢ ، الأغاني : ١٤ - ١١٦
(طبعة الساسي) ، اللوح : ١٥٩

(١) سَكِينَةُ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت بركة من النساء ، تجالس الأجلة من فرس ، ويجمع عندها الشعراء ، وتزوجت هنادي زوج . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

قال : نعم ، قالت : أحسنت ، أحسن الله إليك ؟ وأنت القاتل :
 هُما دُكتَانِي من ثَمَانِينَ قَلَمَةً كَأَقْصَى بَارِئَةٍ الرِّيشِ كَاسِيرَةٍ^(١)
 فَمَا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَاً : أَمِي فُؤَادِي أَمْ هَيْسَلٌ مُخْلِزُهُ !
 قُلْتُ : ارْضُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَوَلَّيْتُ فِي أَغْطَابِ لَيْلٍ أَلْوَرُهُ
 قال : نعم ، قالت : سَوِيَّةٌ لَكَ إِنْ دَعَاكَ إِلَى إِفْشَاءِ سِرِّهَا وَسِرِّكَ اهْلَاسَتِ
 عَلَيْهَا وَعَلَى ضُكِّكَ أَفْضَرُ بِيدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ ، وقال : نعم ، فسَوِيَّةٌ لِي !
 ثم دَخَلْتُ عَلَى مَوْلَاهَا وَخَرَجْتُ وَقَالَتْ : أَيُّكُمْ جَرِيرٌ ؟ قَالَ : مَا نَدْنَا بِقَالَتْ :
 أَنْتِ الْقَاتِلُ :

رُذِفَتْ بِهَ الْمَيْدَ النَّزَرَ وَلَمْ نَكُنْ كُنْ نَبَلُهُ مَحْرُومَةٌ وَجَاهِلُهُ
 فَهِيَ هِيَ الْعَيْقُ وَمَنْ بِهِ وَهِيَ هِيَ الْعَيْقُ نَوَاصِلُهُ
 قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك ، وأنت القاتل :
 كَانَ عِيُونََ اللَّجْجَتَيْنِ نَمَرَتْ وَنَمَسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنِ سَحَابِهَا^(٢)
 إِذَا ذُكِرَتْ لِقَلْبٍ كَلَدٌ لَذِكْرَهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ مَنَابِهَا
 قال : نعم ، قالت : أحسنت ! وأنت القاتل :

سَرَّتِ الْمَوْمُوهَتَيْنِ غَيْرَ نِيَامٍ وَأَخُو الْمَوْمُوهِ يَوْمُ كُلِّ مَرَامٍ
 دُمٌّ لِلنَّازِلِ بَعْدَ مَنَزَلَةِ الْقَوَى وَالْبَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ
 طَرَقَتْكَ سَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِي بِلَّامٍ

(١) كسر الطاء جلتية : إذا ضم منها عينا وهو يريد لفح أو لاقضاض .

(٢) الدجن : الطير الكثير .

لو كان عهدك كالذي حدثني لو صأت ذلك فكان غير ريمام
تجري السواك على أغر كانه برد تحدر من متون نمام

قال : نعم ، قالت : سوء لك اجلها صائدة القلوب ، حتى إذا أنانت بياك
جلت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فرحياً قسى فداؤك فادخل يسلم
قال : نعم افسوء لي !

ودخلت على مولاهما وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ قال : هانذا :
قالت : أنت القاتل :

وأعجبني بأمر منك خلائق - حسان إذا عد الخلائق - أزع
دؤوك حتى يطمع الصب في الصبا وقطعت أسبب الصبا حين قطع
وأنت لا تدري غرماً مطنية أبعد إن فاضاك أم يضرع
وأنت إن واصلت أغلقت بالي لديك لم يوجد لك الله مرطع

قال : نعم ، قالت : أهلك الله شاك ! وأنت القاتل :

هيناً مريئاً غصير داه محامر لمة من أراضنا ما استعطت
فأ أنا بالذاهي لمة بلجوى ولا شامت إن نل لمة زلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيح ورجل رى فيها الزمان فلت
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاهما وخرجت ، وقال : أيكم نصيب ؟ قال : هانذا ،
قالت : أنت القاتل :

ولو لا أن يقال: صَبًا نَعِيبٌ قُلتُ: يَنْفَتِي الشَّعْثُ الصَّغَارُ^(١)
قال: نعم! قالت: أحسنت وكرمت، إلا أنك صبوت إلى الصغار، وترك
التلعاضات بأهلها.

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، وقالت: أيكم جميل؟ قال: أنا، قالت:
أنت القاتل:

لقد ذَرَقْتُ عَيْنِي وطَالَ سَفُوحُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيًّا صَحِيحُهَا
أَلَا لَيْفًا كُنَّا جِيعًا وَإِنْ تَمَتَّ يُجَاوِرُ فِي الدَّوَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
أَطْلُ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ دُوحِي فِي النَّفَارِ وَرُوحُهَا
فَهَلْ لِي فِي كِتْمَانِ حُسِّي رَاحَةً مَا وَهَلْ تَنْفَعُنِي يَوْحَةٌ لَوْ أَبُوحُهَا؟

قال: نعم! قالت: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ، وأنت القاتل:

خَلِيلٌ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبِيلِي؟
أَيُّتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِمُونَ ذَوْ وَفَضْلِي
فِيَارِبَ إِنْ سَهْلِكَ بَثِينَةٌ لِأَعْيُنِ مُوَأَقَلَا^(٢)، وَلَا أَفْرَحُ بِمَايَ وَلَا أَهْلِي
وِيَارِبَ إِنْ وَقَّيْتَ شَيْئًا فَوْقَهَا حَتُوفَ اللَّيَالِي، رَبِّ وَأَجْمَعُ بِهَا تَهْمَلِي

قال: نعم! قالت: أحسنت. أحسن الله إليك، وأنت القاتل:

أَلَا لَيْتَ شَرِّئِي هَلْ أَيْتَنُ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِلَى إِخْنٍ لَسِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَيْدُ
وِيَا لَيْتَ أَلِيمَ الصَّبَا كُنَّ رُجْمًا وَدَعَسَرَأَ نَوْلِي يَا بَثِينَ يَمُودُ

(١) الشعأ: جمع ناضٍ للذكر واللؤث، وهو الحدث الذي تجاوز حد الصغر.

(٢) موأالا: نكرة.

إذا قلتُ : ما بي يا بُنيةُ قاتلي من الحبِّ قالتُ : ثابتٌ ويزيدُ
 وإن قلتُ رُدِّي بعضَ حُلٍّ أعشُّ به تنامتُ وقالتُ : ذاكُ منكُ بيدُ
 فدا ذكرِ الخُلعانِ إلّا ذكرَنيها ولا البعلُ إلّا قلتُ سوفُ تجودُ
 فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا جُئْتُ فيا بيدُ بيدُ
 يموتُ الهوى متى إذا ما لقيتها ويحييها إذا فارقها ويزيدُ
 قال : نعم ، قالتُ : لله أنت ! جلتُ لحدِيثها مَلّاحةٌ وبشاشةٌ ، وقطيها شهباءُ ،
 وأنتُ القاتلُ :

ألا ليقى أُمى أُمى خودُنى بُنيةُ لا يخفى على مكانها
 قال : نعم ، قالتُ : قد رضيتُ من الدنيا أنْ تحركَ بُنيةً وأنتِ أُمى أُمى !
 قال : نعم .

ثم دخلتُ على مولايها وخرجتُ ، ومما مُدَّهنٌ فيه غالية^(١) ، ومندبلٌ فيه
 كسوةٌ ، وصرةٌ فيها خمسمائةُ دينارٍ ، فصبّتُ الغاليةَ على رأسِ جميلٍ ، حتى سالتُ على
 لحيتهُ ، ودفتُ إليه الصرةَ والكسوةَ ، وقالتُ : ابسطْ لنا النمرُ ! أنتُ أشرمُ ،
 وأمرتُ لأصحابي بمائةِ مائةٍ .

٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين *

خرج الفرزدق^(١) حاجاً؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة، فدخل إلى سكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، من أشمر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشمر منك الذي يقول:

بنفسى مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَىَّ وَمَنْ زيارَتُهُ لِيَأْمُ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا جِئْتُ النِّيَامُ
قال: أما والله لو أذنت لي لأسمتُك أحسن منه. قالت: أقيموه؛ فأخرج.
ثم عاد إليها من الند، فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، من أشمر الناس؟ قال:
أنا، قالت: كذبت، صاحبك جرير أشمر منك حيث يقول:

لولا الحياءُ لعادنى استعمارٌ ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجر الضجيع فراشها^(٢) كُتِمَ الحديثُ وعقَّتِ الأسرار
لا يلبث القراء أن يفترقوا ليلٌ يسكُرُ عليهم ونهارُ
قال: والله لئن أذنت لي لأسمتُك أحسن منه، فأمرت به فأخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحوّلها مولدات لها كأنهن الثمائل؛ فنظر
الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها، ونبت ينظر إليها. فقالت له:

* الأغانى: ٨ - ٣٨ (طبعة دار الكتب)، مزارع الشاق: ٧٤، الحسن والساوى: ٢٣٣ (طبع ليزج).

(١) هو أبو فراس مام بن غالب، نشأ بالبحرة وأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه، فراه ونبع
به، وتعرف بولادة البصرة ومنهم ومجاشع، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومنهم وقال
جوانثرم. مات سنة ١١٠ هـ.

(٢) الضجيع هنا: الزوج، وهجرها أن ينيب عنها؛ يسبقها بالخطاف.

سكينة : يا فرزدق، من أشمرُ الناس ؟ قال : أنا ؛ قالت : كذبت ؛ صاحبك أشمر
منك حيث يقول :

إِنَّ الميُونَ التي في طرفها مَرَضٌ قُتِلْنَا نَمَ لَمْ يُحْيَيْنِ قُتِلْنَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَهَ بِهِ وَهْنٌ أَضْفُ خَلَقَ اللهُ إِنْسَانًا

قال : لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه ، فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها ، وقال : يا بنت بنت رسول الله ، إن لي عليك حقًا عظيما . قالت :
وما هو ؟ قال : ضربتُ إليك آباط الإبل من مكة لإرادة التسليم إليك ، فكان
جزائي من ذلك تكذيبى وطردى ، وتفضيل جرير على ، ومنك إلى أن أنشدك
شيئا من شعري ، وبى ما قد عيّل منه صبرى ؛ وهذه للناس تفلو وتروح ، ولقى
لا أقارب للدينة حتى أموت ، فلما أتت فرى بى أن أودج في كفى ، ثم أدفن
في ثياب هذه الجارية^(١) .

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخضا برئتها^(٢) ؛ ثم
قالت له : يا فرزدق ، احفظ بها وأحسن صحبتها ، فإنى آرتك بها على شئ ،
بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها في شئ وأهل ومال .

(١) يشير إلى الجارية التي أحبتها . (٢) الرملة : للامانة .

٦٠ - يوم عند امرأة من بنى أمية*

خرج الثعيب هو وكثير والأحوص^(١) غيب يوم أمطرت فيه السماء، قال:
هل لكم في أن نركب جميعاً قسيراً حتى نأتي القتيق، فنمتع فيها بصارتنا؟ قالوا:
نعم؛ فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من
الثياب، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا القتيق، فجعلوا يتصفحون^(٢) ويرون بعض
ما يشتهون، حتى رُفع لهم سوادٌ عظيم فأمره، فإذا صافى ورجالٌ من اللوالم
ونساء بارزات، فسألتهن أن ينزلوا فاستحيوا أن يُجيبن من أول وهلة؛ فقالوا:
لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا، فصلتهن أن يرجعوا إلىهن، فمضوا وأتوهن
فسألتهن النزول فنزلوا.

ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت للراة فالت
ادخلوا.

قال الثعيب: فدخلنا على امرأة جميلة يرزقة على فرس لها، فرحبت، وحيّت،
وإذا كراسي موضوعة، فجلسنا جميعاً في صف واحد كل إنسان على كرسى،
فالت: إن أحببتم أن تدعوا بصبي^(٣) لنا فنصيبه ونمرك أذنه فلنا، وإن شئتم
بدأنا بالنداء، قلنا: بل تدعين بالصبي، ولن يفوتنا النداء.
فأومأت بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلاً ولا^(٤) حتى جاءت جارية

* الأغانى - ١ - ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله، شاعر جاهل، كان مسافراً لجرير والفزرق، وهو من
سكان المدينة، ولقب بالأحوص لتيق في مؤخر عينيه. تولى سنة ١٠٥ هـ (٢) تصفحت الصبي
نظرت إليه لأمره . (٣) تريد العود؛ على التنبيه . (٤) العرب إذا أرادوا تليل مدقفل
أو ظهور شيء خفي قالوا: كان فله كلاً، وربما كروا فقالوا: كلاً ولا. الجاهل ... مادة « لا » .

جيلة قد سُرِتْ بِمُطَرَفٍ ، فامسكوه عليها حتى ذهب بُهرُها^(١) ، ثم كُشِفَ عنها ،
وإذا جارية ذات جمالٍ ، قريبة من جمال مولاتها ، فرحبت بهم وحبتهم ، قالت
لها مولاتها : خُذِي العود ويحك ؟ وغنى من قول النصيب ، عافى الله أبا محجن !
ألا هل من البين للفرق من يدٍ وهل مثل أيامٍ يُنْقَطَعُ^(٢) السعد !
تَسْتَيْتُ أيامي أولئك واللى على عهد علي ما تُعيد^(٣) ولا تُبدي
فنتته ، فجات به كأحسن ما سمعته قط ؛ بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت
لها : خُذِي أيضا من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

أرق الحب وعاده سَهْدُ لِعَلَّوَارِي الم التي تَرِدُ
وذكرت من رقت له كبدى وأبى فليس ترق لي كعبه
لا قومه قومي ، ولا بلدي - فسكون حينما جيرة - بلده
ووجدت وجدا لم يكن أحد قبلي من أجل صباية يحده
إلا ابن عجلان^(٤) التي نيلت هند قتلت^(٥) بنفسه كده

قال : فجات به أحسن من الأول ، فسكنت أطيرُ سرورا ، ثم قالت لها :
ويحك اخذني من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !
فيالك من ليل تمت طوله وهل طائف من نائم مُسْتَعٍ !

(١) البهر في الأصل : اطماع النفس من الإيحاء ، ويراد هنا : الجبل والروع . (٢) منقطع
للكان : حيث ينهي ، والحد : موضع قرب بلدينة . (٣) أي لا لائمة منها . (٤) هو عبد
الله بن عجلان ، شاعر جاهل طفق ، علق هند بنت كعب بن عمر ومات في سبيلها ، فغضب للتل
بعثه (تزيين الأسواق : ٢ - ٧٦) .
(٥) أي أن الكد أهلكه وذهب بنفسه .

نم إِنَّ ذَا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ ولو ناعماً مُستحباً^(١) أو مودعاً
له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس في صدرٍ بها يصدعُ
تَمَلَّهَا طُولَ الزمانِ لعلها يكون لها يوماً من العمرِ مَنزَعُ
وقد فَرَعَتْ في أمِّ عرو لي العسا قديماً ، كما كانت لدى الحِلْمِ قُرْعُ^(٢)

قال : فجمعت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن التناءء، وسروراً باختيارها
التناءء في شعري ، وما سمعت فيه من حُسن الصنعة وجودتها وإحكامها . ثم قالت
لها : خُذِي أَيْضاً من قول أبي عجين ، عافى الله أبا عجين :

يا أَيُّهَا الرِّكْبُ إِنِّي غَيْرُ تَابِسِكُمْ حَتَّى تُنْثِلُوا وَأَنْتُمْ فِي مِلْثُونَا
فأَرى مِثْلَكُمْ رَكْباً كَشَكْلِكُمْ يَدْعُوهُمْ ذُو هَوًى إِلَّا يَوْجُونَا
أَمْ حَبْرُونِي عَنْ دَائِي بِمِلْكِكُمْ وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْهَاءِ الْأَحْبُونَا^(٣)

قال نصيب : فوالله قد زُهِيتُ بما سمعت زهواً ، خيل إلى أني من قريش ،
وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ، هاتِ العلمَ يا غلام ؛ فوثب الأحمق
وكثيراً ، وقال : والله لا نَعْلَمُ لَكَ طُلماً ، ولا نَجِلسُ لَكَ في مجلس ، قد أسأتِ
عِشْرَتَنَا واستَغْفَقْتِ بنا ، وقَدِمْتَ شمر هذا على أشعارنا ، واستمعت التناءء فيه ؛
وإن في أشعارنا لَمَّا يُفَضِّلُ شعركَ ، وفيها من التناءء ما هو أحسنُ من هذا ،
قالت : هل معرفة كلِّ ما كان حتى !

(١) الاستحباب : طلب الشيء وهو الرضا . (٢) يشير إلى التل : « إن الصاعقة قرعت لدى
الحلم » يضرب لمن إذا نه انتبه ، وللمن أنه قد لم قديماً في حبا . (٣) الأطيون : البارعون
في الطلب .

ثم خرجا مُضْضِبَيْنِ وَاحْتَبِسْنِي . فَتَدَبَّتْ عِنْدَهَا ، وَأَمَرَتْ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ
وَحُلَّتَيْنِ وَطَيِّبٍ ، ثُمَّ دَفَعَتْ إِلَيَّ مَائَتَى دِينَارٍ ، وَقَالَتْ : اذْهَبِي إِلَى صَاحِبِكِ ، فَإِنْ
قَبِلَهَا وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ .

فَأَتَيْتُهَا مَنَازِلَهَا فَأَخْبَرْتُهَا النِّصَّةَ ، فَأَتَتْهُ الْأُحْمُوسُ قَبْلَهَا ، وَأَمَّا كَثِيرٌ فَلَمْ يَبْلُغْهَا ،
وَقَالَ : لِمَنِ اللَّهُ صَاحِبَتُكَ وَجَاثِرَتُهَا وَلِمَنْ لَكَ بِهَا ، فَأَخْبَرْتُهَا وَانْصَرَفْتُ .
قَالَ الرَّأْوِيُّ : فَسَأَلْتُ النَّصِيبَ : يَمُنُّ لِلرَّأَةِ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَا أَذْكَرُ
أَسْمَاءَ مَا حَيْثُ لَأُحَدِّثُ .

٦١ - حديث عائشة بنت طلحة مع النعمري *

لَمَّا تَأَيَّمْتُ^(١) عائشةُ بنتُ طلحةٍ كانتِ تقيمُ بمكةَ سنةً وبالمدينة سنةً ؛ وتخرجُ إلى مالٍ^(٢) عظيمٍ لها بالطائف ، وقصرٍ كان لها هناك فتعزّه فيه ، وتجلسُ بالمشيات ، فيتناضَلُ بين يديها الرّثاءة .

فترى بها النعمريّ الشاعر^(٣) ، فالتبّ عنه فنُسبَ لها ، فقالت : اثنوني به ، فأثروها به . فقالت له : أنشدني مما قلت في زينب^(٤) ، فامتنع عليها وقال : تلك ابنةُ عمي ، وقد صارت عظاماً بالية ، قال : أقسمتُ عليك بالله إلا قلتَ ؛ فأنشدها قوله :

تَضَوّعَ مِكَاءُ بطنُ نَمَمانٍ^(٥) إِذْ مَشَتْ به زينبُ في نَسْوَةٍ عِطْرَاتِ
نَهَادَيْنِ مَا بَيْنَ اللَّحْصِ^(٦) مِنْ مَيِّ وأقبلنَ لا شُفْئاً ولا غِيبَرَاتِ
أَعَانَ الْإِقى فُوقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ مَواشِيَ بِالطَّلْحَاءِ مُوَجَّجَرَاتِ^(٧)
مَرْزَنُ بَيْغٍ^(٨) ، ثُمَّ رُحْنٌ عَشِيَّةٌ يَلْبُلُوبِينَ لِرَّحْمَنِ مُقْتَمَرَاتِ

* الأثران : ٦ - ٢٠٣ (طبعة دار الكتب)

(١) تأيأت للمرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تتزوج بعده . توفيت سنة ١١٠ هـ . (٢) اللال : مملكة الإنسان من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من قتيبة ، هاجر غزولاً من شعراء الدولة الأموية . توفي سنة ٩٠ هـ . (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحسك أخت الحجاج الثقفي ، والنعمري فيها أشعار كثيرة : شجب بها في حياتها وراثتها بعد موتها . (٥) بطن نمان : موضع بين مكة والطائف . (٦) اللحص : موضع بين مكة ومي . (٧) مؤنجات : طالبات للأجر . (٨) فح : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يَحْبِسُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَقْتُلُ بِالْأَلْهَاطِ مُقْتَدِرَاتِ
تَسْمَنُ لَيْلِي يَوْمَ تَنْهَانِ لِمَتِي رَأَيْتُ فَوَادِي عِلِيمِ^(١) النَّظَرَاتِ
جَلَوْنَ وَجُوهَهَا لَمْ تَلْعَبْهَا سَمَائِمٌ حَرُورٌ، وَلَمْ يُسْمِنِ بِالسَّيَرَاتِ^(٢)

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الْغَمِيرِ رَاعَهَا وَكَتَنَ مِنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ حَذَاتِ
فَأَذْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرُّكْبُ دُونَهَا حَجَابًا مِنَ الْقَمَى^(٣) وَالْخَطَرَاتِ
فَكِدْتُ اشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَابَةً تَقَطُّعُ أَغْصَانِ إِثْرَهَا حَسَرَاتِ
فَرَاغَتْ نَفْسِي وَالْخَفِيزَةَ بِدَمَاءِ بَلَلْتُ رِجَاءَ النَّصَبِ^(٤) بِالسَّيَرَاتِ^(٥)
قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قَلْتُ إِلَّا جَيْلًا ، وَلَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطَيْبًا ، وَلَا وَصَفْتُ
إِلَّا دِينًا وَتَقَى ! أَعْطَوْهُ أَلْفَ حَرَمٍ .
فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَرَضَّيْتُ لَهَا ؛ قَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ ، فَأَحْضُرْ . قَالَتْ لَهُ :
أَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، قَالَتْ لَهَا : أَوْ أَنْشِدْكَ مِنْ شِعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ
فِيكَ ؟ فَوَسَّيْتُ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ قَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسْتَقْبَلَ^(٦) لِبَيْتِ عَمِّهِ ؛
هَاتِ مِمَّا قَالَ الْحَارِثُ فِي ؛ فَأَنْشِدْهَا^(٧) :

(١) علوم النظرات: شديدتها . (٢) لاحت الشمس: لفتته وغيبت وجهه ، واليهام: جمع ميموم وميردح طرية ، وسفحة: غيرته . والبريات: جمع سيرة ، وهي شدة البرد . (٣) القمى: نوع من الثياب ، والمخبرات: ضرب من برود اليمن . (٤) النصب: يرود يصعغ غزلهما ثم تسليج . (٥) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « قد بلغني قول الجيثب في زينب ، قال عنه ، وأمرتني من ذكره ؛ فإنه إن أدبته أو ماتته أطمحه ، وإن طابته صدقته » . (٦) يأخذ بأثرها . (٧) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج مصعب بن الزبير عائشة ، ورحل بها إلى العراق . والحارث بن خالد : أحد شعراء قريش الصدوديين القزوين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في همزه ، لا يجاوز النزل إلى اللدغ والمجاء إلا تانرا .

ظَنَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخُلُقِ وَغَدَا بِبَيْتِكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالْقَدَقِ
مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرُؤْيَيْهَا إِلَّا غَدَا بِكُوكَبِ الطَّلَقِ^(١)
قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا جَيْلًا ؛ ذَكَرْتُ أَنَّي إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجِي بَوَجْهِ غَدَا
بِكُوكَبِ الطَّلَقِ ، وَأَنَّي غُلُوتُ مَعَ أَمِيرِ زَوْجِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَنَّي أَحْسَنُ الْخُلُقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَمٍ وَاسْكُوهُ حَلَّتَيْنِ ، وَلَا تَمْدُلْ لِي تِيَانَنَا
بِمَدِّ هَذَا الْغَيْرِيِّ .

(١) يقال : يوم طلق : أي مفرق ، متفصل ، وهو يريد : أن من تصبجه برؤيتها يرى اليوم طلياً سمياً .

٦٢ — تريد أن تقتلى؟*

أقبل أبو العباس السفاح^(١) على أخى أم سلمة^(٢) بنت يعقوب ، فسأله التزويج بها فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليته ، وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا ينسرى ، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بعشورتها وبأمرها ، ثم أخضت انطلاقة إليه ، خوفاً لما بها حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافة خلا به خالد بن صفوان ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني فكرت في أمرك ، وسمة ملكك ، وقد ملكتُ ضحك امرأة واحدة ، فلن مرضتُ مرضت ، وإن تأملت ألت ، وحرمت ضحك الجوارى ، والتعجب بما تشبهن منهن ؛ وإن منهن - يا أمير المؤمنين - الطويلة النيداء^(٣) ، وإن منهن الفضة ، والقيمة السراء ، من مولدات المدينة ؛ ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسراء القصاة^(٤) ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن المذبة والقُدود المهيفة ، وحسن زينهن وزينتهن ، وشكلهن رأيت شيئاً حسناً .

* المحاسن والمساوي : ٤٣٠ (طبع ليدج) ، ثمرات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، للموصى :

٢١٥ - ٢

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية . يوقع بالملالة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ هـ . (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها . (٣) النيداء : التلقية لينا . (٤) اللبس : سواد مصرب بمصر .

وَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنَاتِ الْأَحْرَارِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُنَّ مِنْ
الْحَيَاءِ وَالْتِصْقِ !

وجلس خالد يحمي في الوصف ، ويحشد في الإطباب ، بحلاوة لفظه وجودة
وصفه .

فَذَا فَرَّغَ قَالَ لَهُ أَبُو الْمُبَارِسِ : وَيْحَكَ يَا خَالِدُ ! مَا صَكَ مَسَامِي - وَاللَّهِ - قَدْ
كَلَامَ أَحْسَنَ مِمَّا سَمِعْتَهُ ، فَأَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ ؟ قَدْ وَقَعَ مِنِّي مَوْفَعًا . فَأُفَادَ عَلَيْهِ خَالِدُ
السَّكَّامَ أَحْسَنَ مِمَّا ابْتَدَأَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَقَى أَبُو الْمُبَارِسِ مَفْكَرًا فِيمَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ امْرَأَتُهُ . وَكَانَتْ
تَبْرَهُ كَثِيرًا وَتَتَحَرَّى مَسْرَتَهُ وَمَوَاقِفَتَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ . فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي لِأُتَكْرِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَمَلْ حَدِثْ أَمْرَ تَكْرِكِهِ ؟ أَوْ أَتَاكَ خَيْرٌ قَارِئَتٍ لَهُ ؟ قَالَ : لَمْ
يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ !

قَالَتْ : فَمَا قَصَصْتُكَ ؟ فَيَجْعَلُ يَنْزَوِي عَنْهَا ؛ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهَا بِمَقَالَةِ خَالِدَ لَهُ ،
قَالَتْ : فَمَا قَالَتْ لَهُ ؟ إِنَّهُ . . . قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ بِنَصْحَتِي وَتَشْتِيبَتِهِ !

فَنَفَرَتْ مِنْ عِنْدِهِ مَغْضَبَةً ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى خَالِدَ بَعْضَ خُدَمَائِهَا ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ لَا
يَتَرَكَوْا مِنْهُ عَضُوءًا صَحِيحًا .

قَالَ خَالِدُ : فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَأَنَا مُسْرورٌ بِمَا رَأَيْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
وَبِحُبَابِهِ بِمَا أَلْقَيْتُهُ إِلَيْهِ . وَلَمْ أَشْكُ أَنْ صَلَّيْتُ سِتَاتَيْنِ ، فَلَمْ أَلْبِثْ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ
أُولَئِكَ الْخُدَمُ ، وَأَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ دَارِي ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا نَحْوِي أَهْنَتُ
بِالْجَلِيزَةِ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ ؛ فَسَأَلُوا عَنِّي ؛ فَقُلْتُ : هَذَا خَالِدُ ؛ فَسَبَقَ إِلَيَّ أَحَدُهُمْ

بهرادة كانت معه ، فلما أموى بها إلى وثبت فدخلت منزلى ، وأغقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلى ، ووقع فى خطي أذى أثبت من قبل أم سلة .

وظلنى أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد جمعوا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأقيت بالموت .

ولما وصلت إلى البار أومأ إلى بالجلوس ، ونظرت فلذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أُرِجِيَتْ ، وحركة خلفها ! قال : يا خله ! لم أراك منذ ثلاث . قلت : كنتُ عليلاً يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! إنك وصفت لى فى آخر دَخَلْتُ من أسر النساء والجواري ما لم يخرق مسلمي قط ، فأعذه على .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الضربة من الضرب ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى جهنم^(١) ؛ قال : ويحك ! لم يكن هذا فى الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرت أن الثلاث من النساء كافيات^(٢) القدر على عليهن . قال أبو العباس : برئت من قوايى من رسول الله إن كنتُ سمعتُ هذا منك فى حديثك اقلت : وأخبرت أن أن الأربعة من النساء شرٌ لصاحبهن يُشَيَّبْنَهُ ويَهْرَمَنَهُ وَيُسْقِنَهُ . قال : ويحك ! والله ما سمعتُ هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أو تكذِّبى ! قلت : وتريد أن تخفى يا أمير المؤمنين !

(١) الجهد : الملقية . (٢) الأثافي : جماعية . ومى ما يوضع عليه القدر .

قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتكم أيضاً أن
بني غزوم ربحانة قريش ، وأنت عندك ربحانة من الريحين ، وأنت تطعم بينيك
إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء .

فقبل له من وراء الستر : صدقت والله يا عماء وبررت ، بهذا حدثت أمير
للمؤمنين ، ولكنه بذل وغيره ، ونطق عن لسانك !

قال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخراك ، وضل بك وضل !
فتركته وخرجت ، وقد أيقنت بالحياة ، فاشمرت إلا برسل أم سلمة قد
صاروا إلى ، ومعهم عشرة آلاف درهم ، وتحت^(١) وبرذون وغلाम .

(١) التفت : وعاء يمان فيه ثياب .

٦٣ - بعد أن ذهب الملك*

كانت الخليزُران^(١) أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهم من بنات بني هاشم ؛ فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواربها ، قالت : أعز الله السيِّدة ! بالباب امرأة ذاتُ حسنٍ وجمال ، في أطيار رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبرَ باسمها ، وهي تروم الدخول .

قالت الخليزُران الجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب . فدخلت امرأة ذاتُ بهاء وجمال ، في أطيار رثة ؛ فوقفت بجانب حُضادة الباب ثم سلَّت متضاثة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان . قالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصارني الضر إلى ما ترين ، ووالله ما الأطيارُ الرثةُ التي هي إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن غائلةَ العلة - على ما نحن فيه من الضرر - على بادرةِ إلينا تنزِيل موضع الشرف ؛ فصدناكم لنكونَ في حجابكم على أية حال كانت ؛ حتى تأتي دعوةٌ من له الدعوة .

* ثمرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، للسوي : ٢ - ٢٤٩

(١) هي زوجة للهدى الباسي ، وأم الهادي والرشيد ، يمانية الأصل ، ولما ولي ابنها الهادي استقبلت بالأمر دونه ، فكانت المواكب تتدور وتروح إلى بابها فتبها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ .

فاغروقت عينا الخيزران بالعموع ، ونظرت إليها زينب^(١) بنت سليمان بن علي قالت : لا تخف الله عنك يلمزة ! أتدكرين وقد دخلت إليك وأنت على هذا البساط بينه ، فكلمتك في جنة إبراهيم الإمام ، فأنهروني ، وأمرت بإخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوافقه لقد كان مروان أرفع للحق منك ! لقد دخلتُ إليه فحلف إنّه ما قُتله - وهو كاذب - وجيئني بين أن يدفنه ، أو يدفع إلى جنته ، وعرض عليّ ما لا فلم أقبله .

قالت مزنة : والله ما أداني إلى هذه الحال التي تريها إلا تلك الفعّال التي كانت مني ، وكأنك استعصيتها ، فغضت الخيزران على مثلها ؛ إنما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير ، وترك القابلة بالشو ؛ لتحرّز بذلك نعيمها ، وتصور دينها . ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صنيع الله بنا في القوق ، فأحبيت التأسي بنا ! ثم ولّت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جارية من جواربها ، فدخلت بها إلى بعض القاصير ، وأمرت بتغيير حُلُمها والإحسان إليها .

فلما دخل للهدى عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حُلُمها ؛ فعدا بالجارية التي ردها ، قال لها : لما رددتها إلى القصور : ما الذي سمعتها قوله ؟ قالت لحضنها ، وهي تبكي في خروجها ، وقرأ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيْمَانِ رِزْقِهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْجُودِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(١) كان للهدى قد تقدم لها الخيزران بأن ترم زينب بنت سليمان ، وقال لها : انهي من آدابها ، وخفي من أخلاقها ، لأنها يجوز لنا قد أدركت أو اللنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كنتك أبداً ، وبكى بكاء
كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !
ثم بثت جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقري عليها
السلام ، وقولي لها : يا بنت عم ؛ إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن
حك لجئتاك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ، فجمعت نسج أذيالها ؛ فأمرها بالجلوس ،
ورسب بها ورض منزلها .
ثم تذكروا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس والدولة ونقلها ؛ فأتروا لأحفق
المجلس كلاماً !

قال لها المهدي : يا بنت عم ؛ والله فلا أني لا أحب أن أجعل قومي أنت
منهم في أمرنا شيئاً نرتزجك ، ولكن لا شيء أصون لك من حجابي ، وكونك
مع أخواتك في قصرى ؛ لك ما لمن ، وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتك أمر من
له الأمر فيأ حكم به على الخلق .

ثم أخذ منها^(١) وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي والمهدي ،
ومضى صدر من أيام الرشيد ، وماتت في خلافة ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً .

(١) أخذت فلانا : أعطته نادما يحمده .

٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب*

كانت أم جعفر^(١) بن يحيى أرضعت الرشيد^(٢) مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حَبْرَهَا ، وَغَذَّى بِرَسْلِهَا^(٣) إِذْ أَنْ أُمُّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرَّشِيدُ يَشَاوِرُهَا ، مُظْهِراً لِإِكْرَامِهَا ، وَالتَّيَرُّكَ بِرَأْيِهَا . وَكَانَ آتَى - وَهُوَ فِي كِفَالَتِهَا - أَلَّا يُحِبَّجَهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَهُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهَا ، وَأَلَّتْ عَلَيْهِ أُمُّ جَعْفَرٍ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ إِلَّا مَأْذُونًا لَهَا ، وَلَا شَفَعَتْ لِأَحَدٍ مَقْرُوفَ ذَنْبًا ، فَكَمْ أُسِيرَ فَكَّتْ ، وَمُبْهَمٌ عِنْدَهُ فَضَعَتْ ، وَمُسْتَعْلَقٌ مِنْهُ فَرَّقَتْ !

وَتَقَبَّرَ الرَّشِيدُ عَلَى الْبِرَامِكَةِ^(٤) ، قَتَلَ جَعْفَرًا ، وَسَجَنَ يَحْيَى وَالْفَضْلَ ، وَسَجَنَ مَعَهَا أَقَارِبَهَا ، وَاسْتَصَفَى ضِيَاعَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . ثُمَّ احْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، فَصَمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ جَعْفَرٍ ، وَطَلَبَتْ الْإِذْنَ عَلَيْهِ وَمَتَّتْ^(٥) بَوَسَائِلَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهَا ، وَلَا أَمْرِيضَ . فَبِهَا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهَا خَرَجَتْ كَاشِفَةً وَجْهَهَا ، وَاضَةً لثَامَهَا ، مُحَضِّضَةً^(٦) فِي مَشْيِهَا ، حَتَّى صَارَتْ بِيَابَ قَصْرِ الرَّشِيدِ .

فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ الْحَاجِبُ ، فَقَالَ : فَلْتَرِ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَابِ ، فِي حَالَةِ تَلَبُّ شِمَانَةِ الْحَاسِدِ ، إِلَى شَفَقَةِ أُمِّ الْوَاحِدِ . قَالَ الرَّشِيدُ : وَتَحَكُّ بِأَعْبَدِ لِلَّهِ !

* العدد الفرید : ٣ - ٣٣

(١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن فضالة . (٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً عافياً كبير الجهاد ، وأمر الطلاء ، توفي سنة ١٩٣ هـ . (٣) الرسل : البن .

(٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ : بعد عودة الرشيد من الحج .

(٥) مدت : توسلت . (٦) احضت : معى حلياً .

أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وحافية ! قال : أدخلها يا عبد الملك ، قرب كبد غديها ، وكربة فرجها ، وعوزة سترها !

ودخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محضية ، قام محضياً حتى تلقاها بين محمد للسجد ، وأكب على تقبيل رأسها ، ثم أجلسها معه ، قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أيمدو علينا الزمان ، ويمضونا خوفاً لك الأعوان ، ومجرّدك^(١) بنا البهتان ، وقد رببتك في حجرى ، وأخذت برضاعتك الأمان من عدوى ودهرى ! قال لها : وماذا يا أم الرشيد ؟ قالت : ظنوك^(٢) يحبى وأبوك ، ولا أصفه بأكثر مما عزّه به أمير المؤمنين ؛ من نصيحتة له ، وإشفاقه عليه . . .

فقال لها : يا أم الرشيد ، أمر سيق ، وقضاء هم^(٣) ، وغضب من الله فذ .
قالت : يا أمير المؤمنين ﴿يَحْمُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .
فقال : صدقت ، فهذا ما لم يحمه الله ، قالت : النيب محبوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ! فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وإذا اللّيتُ أنْشَبْتُ أَغْفَارَهَا أَفَتِ كُلِّ عَمِيَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٤)
فقلت بغير رويّة : ما أنا ليحيى بتميمو يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول^(٥) :
وإذا اضْطَرَّتْ إِلَى الْفَخَاثِ بِمَجْدٍ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَهْمَالِ
هذا بعد قول الله عز وجل : ﴿وَالْكَافِرِينَ الْتِفِظْ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَأَلَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

(١) مجرّدك : يفضيك . (٢) الظنر : من يصف على ولد غيره ، الله كر والأبى .
(٣) هم : نزل ووقع . (٤) التمية : خزيمة كان العرب في باحلتهم يلقون المد منها على أولادهم وقاية لهم من البين ، والبيت لأبي ذؤيب . (٥) البيت للأخطل .

فأنطق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :
إذا انصرفتْ غشى عن الشيء لم تكذبْ إليه بوجهٍ آخر العهر قبل
قالت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً^(١) :

سَتَقْلَعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قَطَعْتَنِي - عَيْنَكَ ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدُلُ !
قال هارون : رضيت ا قالت : هَبْ لِي يا أمير المؤمنين ، قد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لَمْ يُوجِدْهُ اللهُ لِقَدِّهِ » ، فأكتبْ ملياً ،
ثم رفع رأسه وقال : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ . قالت : يا أمير المؤمنين ،
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ،
واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ^(٢) : مَا اسْتَشْفَعْتُ إِلَّا شَفَعْتَنِي ا قال : واذكر يا
يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ ا شَفَعْتَ لِقَتْرِ ذَنْبًا . فلما رأتَه قد صرَّحَ بمنهنا ، ولَا ذَمَّنْ
مطلبها ، أخرجتْ حقاً من زُمُرْدَةٍ خضراء فوضته بين يديه ، قال الرشيد : ما هذا ؟
ففتحتهُ ، وأخرجت منه ذَوَاتِهِ وَثَنَابَهُ ، وقد كَمَحَتْ جميع ذلك في السك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، أَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وبما صار
معي من كرم جسدك ، وطيب جوارحك أن تشفني في عبدك يحيى .

فأخذ هارون ذلك ، ولثمه ، ثم بكى طويلاً ، فأبكى أهل المجلس ، وذعب
البشير إلى يحيى وهو لا يظنُّ إِلَّا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رى
جميع ذلك في الحَقِّ ، وقال لها : لَحَسَنٌ مَا حَفَلَتِ الْوَدِيعَةُ . قالت : وأهل
للكفاة أنت يا أمير المؤمنين .

(١) حفا البيت والذى قبله لمن بن أوس . (٢) الآية : الملقه .

فسكت وأقل الحق ، ودضبه إليها ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . قالت : والله يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . ثم قال : وما
ذاك يا أمّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أُنسيت ألا تحبيني ولا تمنهني .

قال : أحب يا أمّ الرشيد أن تبين لي ذلك بحكمة فيه . قالت : أنصت
يا أمير المؤمنين ، وقد قلتُ غير مستقيمة لك ، ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟
قالت : برضائك عن لم يُسْخَطِكَ . قال : يا أمّ الرشيد ؛ أماري من الحق عليك
مثل الذي له ؟ قالت : بلى ! أنت أعزّ عليّ وهو أحبّ إليّ . قال : ضعك في تمهيد
بنيره . قالت : قد وهبْتُكَ وجعلتك في حلٍّ منه ؛ وقامت عنه غضبي ، وبقي
مبهوتين ، ما يُحير لقلعة .

٦٥ - كريم يجمع بين زوجين *

قال إبراهيم بن ميسون : حجبتُ في أيام الرشيد^(١) ، فبينما أنا بمكة أجول في سككها إذا أنا بسجاء قاتمة ساهية ، فأنكرتُ حالها ، ووقت أنظر إليها ، فسكتُ كذلك ساعة ثم قالت :

أمرؤ وعيلامَ تجنَّبني أخذتَ فؤادي فدبَّني !
فلو كنتَ يا عمرو خيرَني أخذتُ حناريَ فأنلتُني

فدنوت منها ، قلت : يا هذه ؛ مَنْ عمرو ؟ فارتاعت من قولي ، وقالت : زوجي . قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يهوانى وما زال يدس إلى ، ويسلق بي في كلِّ طريق ، ويشكو شدةَ وجده حتى تزوجني ، فلبث معي قليلاً ، وكان له عندي من الحبِّ مثل الذي كان لي عنده ، ثم مضى إلى جدَّة ، وتركني . قلت : صفيه لي ، فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرٌ حلو ظريف .

قلت : فضخبرني ، أتحبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لي بذلك ! وظللتُ أخزِل بها .

فوحسبتُ راحلتى ، وصرت إلى جدَّة فوفقت في اللرق أتبصرُ من يعمل في السفن ، وأصوتُ^(٢) يا عمرو ! يا عمرو ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صَنَدُ^(٣) ، فرفقه بالصَّفة .

* مصادر الشاف: ١٥٩

(١) انظر صفحة ١٦٢ . (٢) صوت : أنادى . (٣) المن : حبة السلة للطلعة ؛ يعمل فيها الطعام الخبز .

قلت : « أعمرو ، علام تَجِبُنِي ؟ » قال : هيه ! هيه ! رأيتهَا ، وسمعتَه منها !
ثم أطرق هنيهة ، وانفض يَتيه ، قلتُ : ألا ترجع ! قال : بآي أنت ! وَمَنْ لِي
بذلك ؟ ذلك والله أحبُّ الأشياءِ إليَّ ، ولكن منعَ منه طلبُ الماش . قلت : كم
يكفيك كلُّ سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت : هذه
لشرب سجين ، ورددته إليها ، وقلت له : لِمَا فَنَيْتَ أَوْ قَارَبْتَ الفناء قَدِمْتَ عَلَيَّ
وأعطيتك ، وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحبَّ إليَّ من حَبِي .

٦٦ — أعرابية على قبر زوجها *

قال الأعمى^(١) : دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ، ومضى صاحبُ لي ، فلذا
جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله ، وهي تبكي بين
غزيرة ، وصوتٍ شجيٍّ اقلقتُ إلى صاحبي ؛ قلت : هل رأيتَ أُمَّيَّ من
هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !

ثم قلتُ : يا هذه ؛ إني أراك حزينة وما عليكِ زِيَّ الحزن ! فأنشأت
تقول :

فإن تسألاني : فِيمَ حَزَنِي ؟ فَأُنْفِي رهينةُ هذا القبر يا خيالِ
وإني لأستحييه والترُّبُ بيننا كما كنتُ أستحييه حين براني

ثم انلصفت في البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يا مَنْ كانَ يَنُمُ في بآلَا ، وَيَكْثُرُ في الدُّنْيَا مُواسِي
قد زرتُ قَبْرَكَ في حُلِّي وفي حُلِّي كأنني لستُ من أهل الصَّيِّبِ
أردتُ آتِيكَ فَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ أَنْ قَدْ نَسَرُّهُ مِنْ بَعْضِ هَيْثَانِ
فَن رَأَى رَأَى عَبْرَى مَوْلَانِ عجبة الزَّيِّ تَبْسُكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ !

* المقدم القريد : ١ - ٢٦

(١) الظفر صفحة ٥٤

٦٧ — على قبور القاهين*

قال الأحمسي :

دَفَنْتُ يَوْمًا فِي تَلَمُّى بِالْبَادِيَةِ إِلَى وَادٍ خَلَا ، لَا أُنِيسَ بِهِ إِلَّا يَتِ مُعْتَزٍ ^(١)
بِفَنَائِهِ أَعَزْ ، وَقَدْ ظَلِمْتُ ، فَيَسِّمُهُ فَسَلْتُ ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ
رَاحِمٌ ^(٢) ، قُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ قَالَتْ : أَوْ كَيْنَ ! قُلْتُ : مَا كَانَ بَنِيَّ إِلَّا لَلَاءُ ،
فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ الْإِنِّ فَنَاقِي إِلَيْهِ قَبِير .

قَامْتُ إِلَى قَبْرِ فَأَفْرَغْتُ فِيهِ مَاءً ، وَنَطَقْتُ غَسْلَهُ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْأَعَزِ
فَتَبَرَّهْتُ ^(٣) حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ ^(٤) مِلْءِ الْقَمْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَعَا ،
وَمَلَقْتُ ^(٥) مَمْلَأَهُ ، كَأَنَّهَا غَامَةٌ بِيضَاءُ ، ثُمَّ نَوَلْتُنِي إِيَّاهُ فَشَرِبْتُ حَتَّى تَجَبَّيْتُ ^(٦)
رِيًّا ، وَاطْمَأَنَنْدْتُ .

قُلْتُ : إِنِّي أُرَاكِ مُعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي لِلْوُحْشِ ، وَالْحِلَّةُ ^(٧) مِنْكَ قَرِيبٌ ،
فَلَوْ انْضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ ^(٨) فَأَنْتَ بِهِمْ . قَالَتْ : يَا ابْنَ أَخِي ! إِنِّي لَا أَنْسُ
بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرِجِ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي إِلَى هَذَا الْوَادِي لِلْوُحْشِ ، فَأَتَذْكُرُ
مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ أَعْيَانَهُمْ ، وَأَتَرَادِي أَشْبَاحَهُمْ ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُعْدِيَّةُ
رِجْلِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ، وَمُنْدَى أُمُومِهِمْ .

* الأملال : ٢ - ٧

(١) معتز : منفرد . (٢) الراحم : التي تحضن بيضها . (٣) تبرهنت : احتلبت الفبر وهو
بقية اللبن في الضرع . (٤) قراب : قريب . (٥) المألة : الرغوة . (٦) تجببت : امتلأت .
(٧) الحلة : وجهها حلال : بيوت الناس . (٨) الجناب : قناه الفبر .

والله يا ابن أخي ، لقد رأيتُ هذا الوادي بسمِ^(١) اللذين^(٢) بأهل أديان^(٣)
وقياب ، ونمير كالمضاب^(٤) ، وخيل كالقناب ، وضيان كالرماح ، يبارون الرياح ،
ويعمون الصباح ، فأحال عليهم الجلاء كذا^(٥) بفرقة ، فأصبحت الأمارُ دارسة ،
والحال طامسة ، وكذلك العرفين وثيق به .
ثم قالت : ازمِ بينك في هذا لللال^(٦) المتباطن^(٧) . فنظرت فإذا قبور نحو
أربعين أو خمسين . فقالت : أتري تلك الأحداث ؟ قلت : نعم . قالت :
ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو ابن عم ، فأصبحوا قد ألمات^(٨) عليهم الأرض ،
وأنا أترب ما غلهم ! انصرف راشداً رحلك الله .

(١) بسم : ملائكة . (٢) اللذين : الجانيان . (٣) الأديان : الأعجاز الطيبة .
(٤) المضاب : الجبال الصغار . (٥) كذا : كذا . (٦) للال : ما اتبع من الأرض .
(٧) المتباطن : المتطامن . (٨) ألمات : اجوت .

٦٨ - الحق أنطقها وأخرسه *

قال الشَّيْبَانِيُّ : جلس للأمون^(١) يوماً للظالم ، فكان آخر من تقدم إليه وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السَّفر ، عليها ثياب رَمَّة .

فوقفت بين يديه وقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
فنظر الأمونُ إلى يحيى بن أكرم . فقال لها يحيى : وعليكِ السلام يا أمة الله ،
تسكلى في حاجتك ؟ قالت :

يا خَيْرَ مُتَّصِفٍ يَهْدِيهِ الرُّشْدُ . ويا إِمَامًا به قد أشرَقَ البُلُودُ
تسكروا إليك عَمِيدَ القَوْمِ أَرْمَلَةٌ عَدَاً عليها ظَمُّ يُفَرِّقُهَا سَبَدٌ^(٢)
وابتَزَّ منى ضياعى بَدَا مُنَمَّهَا ظُلْمًا وفُرَّقَ منى الأهلُ والولدُ
فأطرق الأمونُ حينئذٍ ، ثم رفع رأسه إليها ، وهو يقول :

في دُونِ مَا قُلْتِ زَالِ الصَّبْرُ والجُلْدُ عَنِي ؛ وفُرِّحَ منى القلبُ والكَيْدُ
هَذَا أَوَانُ صِلَةِ المَصْرِ فأنصرفى وأحضرى الخصرَ في اليومِ التَّيَّ أَعِدُ
والجلسَ السَّبْتُ إنْ يُقَضَّ الجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ ؛ وإِلَّا الجلسَ الأحدُ
فَلَا كَانَ يَوْمَ الأُحَدِ جَلَسَ ، فكان أوَّلَ من تَدَمَّ إليه تلكَ للمرأة ،

* النسخة : ١ - ١٥ ، المجلس والساوى : ٣٥٠ (طبع ليزنجر) .

(١) موعيد الله بن الأمون بن هارون الرشيد ، من أئمة خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم
كان وزير الخلق ، عظيم الملم ، محباً للعلم ، مؤثراً لهكفة . تولى سنة ٢١٨ هـ - (٢) السبد هنا :
التفليل ، وهو في الأصل التفليل من الشعر .

قالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ قالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين - وأومأت إلى العباس ابنه .

قال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ يده فأجلسه معها مجلس الخسوم فعمل كلامها يملو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ؛ إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخضى من صوتك ، فقال للأمنون : دعي يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوزر لها^(١) ضيعتها ويحسِّن معاونتها ، وأمر لها بنفقة .

(١) أوغر للملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

٦٩ - أجارها ثم تزوجها*

قال إبراهيم بن اللدير^(١) :

جاءني يوماً محمد بن صالح^(٢) بعد أن أطلق من الحبس ، فقال لي : إني أريد اللقائ عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمري شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا .
قلت : أفضل ؛ فصرفت من كان بمحضرتي وخلوت معه .

فلما اطمأن وأكلنا واضطجنا قال لي : إني خرجت في سنة كنا وكنا ، ومعى أصحابي على القنطرة ، فأتلتنا من كان فيها فبرز منهم وملكنا القنطرة ؛ فبينما أنا أحوزها وأنيخ الجلال إذ طلعت على امرأة ، ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً . فقلت : يا فتى ؛ إن رأيت أن تدعوني بالشريف للتولي أمر هذا الجيش ؟ قلت : قد رأيته وسمعت كلامك ! قالت : سأنتك بحق الله . وحق رسول الله ؛ أنت هو ؟ قلت : نعم وحق الله وحق رسول الله . قالت : أنا جدوة بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محل من سلطانه ، ولنا فمة إن كنت ممن سمع بها قد كفك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ! ووالله لاستأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار ممي لتفتني ، فتعذها حالاً ، وهذا حلّي " حلّي " ثمنه خمسة مائة

* الأمان : ١٥٠ - ٨٧ (طبعة الساسي) .

(١) إبراهيم بن اللدير ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل العراق ومقدمهم وفوى الجلاء فيهم ، وكان الثوكل يقدسه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ هـ . (٢) محمد بن صالح : ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعراً حجازياً طريفاً من شعراء أهل بيته القنطين : توفي سنة ٢٣٨ هـ .

دينار نفذه؛ وما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل اللؤس، فليس منهم أحدٌ يمتنع شيئاً أطلبه، وادفع عني وأجني من أصحابك ومن عاري يمتنع. فوقع قولها من قلبى موقماً عظيماً. قلت لها: قد وهب الله لك مالاك وحليتك وجاهلك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها.

ثم خرجت، فتأديت في أصحابي فاجتمعوا، فتأديت فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتهم وحبيبتهم، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذنته بحرب. فأنصرفوا معي وأنصرفت.

فلما أخذت^(١) وحيت جادى يوماً السجان، وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعم أنهما من أمك، وقد خطر عليّ أن يدخل عليك أحد؛ إلا أنها أعطاني دُمْلَجَ ذهب، وجعلته لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما وما في الله هيلز. فانخرج إليهما إن شئت.

فسكرت فيمن يبيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً. ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي. فخرجت إليهما فإذا بصاحبي، فلما رأيته بكت لما رأته من تغير خلق وتقل حديدى، فأقبلت عليها الأخرى قالت: أهو هو! قالت: إني والله إنه كهُوْهُوا! ثم أقبلت عليّ قالت: فذاك أبي وأبي والله لو استطعت أن أتيك مما أنت فيه بنسى وأهلي لفعلت وكنت بذلك منى حقيقاً، والله لا تركت للمائة لك والسعى في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعنة. وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعين بها على موضعك، ورسولى يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفَرِّجَ الله عنك. ثم أخرجت إلى كسوة وطيباً ومائتي دينار.

(١) حبس الثوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ثم عفا عنه لشر مدمحه به.

وكان رسولها يأتي كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برضاها بالسجان ، فلا يمنع من شيء أريد . ثم من الله بخلامى نخطبها ؛ قالت : أما من جهتي فانا متأكدة مطيعة والأمر إلى أبي . فأتيت نخطبها إليه ، فردني ؛ فميت من عنده منكراً مستحيماً .

قال إبراهيم بن الدبر : قلت له : إن عيسى صفيحة اخي وهو لي مطيع وأنا أكفيك أمره . فلما كان من الهند قتيت عيسى في منزله وقلت له : قد جئتكم في حاجة لي ، قال : مقضية ؛ ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فبعتك ، أو كان أمراً لي . قلت له : قد جئتكم خاضعاً إليك ابنتك ، قال : هي لك أمة وأنا لك عبد وقد أجبتك . قلت : إني خطبتها على من هو خير مني أباً وأماً ، وأضرمتك صبراً ؛ محمد بن صالح العلوي . قال : ياسيدي ؛ هلا كان غير هذا فلم أزل أرفق به حتى أجاب . وبشت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحت حتى زوجته ، وبقيت الصداق عنه ^(١) .

(١) ول ابن الدبر يقول محمد بن صالح حينما أولاه وأماه على زواجه :

فبلا في الذي أولاه عرقاً قدسى من مملكتك ما تبيع
تناه غير غشقى وممهاً مع الزكيان يتجيد أو يخور
أخ واساك في كب الليالي وقد خذل الأظرب والتصير
حفاظاً حين أسلكك اللوال وحسن بفسه الرجل السبور
فلن نذكر هذا أول جيلنا ولان تكفر فذاك الكفور

٧٠ - كيف ريت ابنها ؟

قال الفضل بن يزيد : نزل علينا بنو قلمبة في بعض السنين وكنت مشغولاً بأخبار العرب ؛ أحبُّ أن أسمعها وأجمعها . فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم ، إذا بامرأة واقفة في فناء خيانتها ، وهي آخذة بيد غلام ، قلما رأيت مثله في حسنه وجهاله ، وهي تمنّيه بلسان رطب ، وكلام عذب ، تمنّين إليه الأسماع ، وترتاح إليه القلوب . وأكثر ما أسمع منها : أيّ بى ، وهو يتسم في وجهها ، قد غلب عليها الحياء وانجلجلا لا يرد جواباً ؛ فاستعنتُ مارأيت ، واستصليت ماسمت ، ثم دنوت منه وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام فوقت أنظر إليهما .

فقلت : يا حضري ، ما حاجتك ؟ فقلت : الاستكثار مما أسمع ، والمرور بما أرى من هذا السلام . فقالت : يا حضري ، إن شئت سقتُ إليك من خبره ما هو أحسن مما شاهدت من أدبه ، فقلت : قد شئتُ - يرحمك الله ! قالت : حلّته والرزق عسير ، والمعيش نكد ، حلاً خفيفاً ، حتى إذا مضت له نسة أشهر ولدته ؛ فوزّيك ما هو إلّا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله مز وجلّ وأعطى ، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ؛ ثم أرضعته حوّلين كاملين ، فلما استقرّ الرضاع قلته من خرق اللهد إلى فراش أبيه ، فنشأ كأنه شيل أسد ، أقمه برد الشتاء وحرّ الصيف ، حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى اللؤوب ، فحفظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فركّاه ، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده ، فلما أن بلغ الحلم ، واشتدّ غفله

وكل خلقه، جعلته على عتاق الخليل ففرس وتمرس^(١)، ولبس السلاح، ومشى بين بويقات الحى الخيلاء، فأخذ في قرى الضيف، وإطعام الطعام، وأنا عليه وجة، أشفق عليه من العيون أن تصيبه.

ثم اتفق أن نزلنا بمنك من للتاعل بين أحياء العرب، ففرج فتيان الحى في طلب تأير لهم، وشاء الله أن أصابه وعكة^(٢) شغلته عن الخروج، وأمن القوم، ولم يبق في الحى غيره، ونحن آمنون وادعون، ثم أدبر الليل، وأسفر الصباح، فطلت علينا غر الجياد، وطلعت الدو، وما هو إلا هزيمة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها، وهو يسألنى من الصوت، وأنا أستر عنه الخبر إشفافاً عليه وضاً به.

ولما علت الأصوات، وبرزت الخدزات^(٣)، رعى دناره^(٤)، وثار كاشور الأسد، وأمر بإسراج فرسه، وليس لأمة حربه، وأخذ زحجه بيده، ولحق محاقا القوم، فظمن أديانهم منه فرمى به، ولحق أبدهم منه قتله؛ فانصرفت وجوه الفرسان، ثم رأوه صبيها صغيراً لا مدد وراءه، فخنلوا عليه، فأقبل يؤم البيوت، ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة، حتى إذا مذهب وراءه، وامتدوا في أثره صطف عليهم، ففرق شملهم، وشنت جمعهم، وقفل كثيرهم، ومزقهم كل ممزق، ومزق كاي ممزق السهم، وناداهم: خلوا عن لئال! فوالله لا رجعت إلا به أو أهلك دونه!

فانصرفت إليه الأفران، وتمايلت نحوه الفرسان، وحملوا عليه، وقد رفضوا إليه الأستة، وعطفوا عليه بالأمة، فوثب عليهم وهو يهدير كما يهدير القنصل من وراء

(١) تمرس: تثبت ونظر، وأرى الناس أنه فرس. وتمرس: عالج الأمور، واحك بها.

(٢) الوعكة: الألم من عدة التصب. (٣) الخدزات: الحبوبيات من النساء (٤) الدنار: مائون

المنظر من الكباب.

الإبل ، وجبل لا يطف على ناحية إلا حطما ، ولا كتيبة إلا مزقا ، حتى لم يبق من القوم إلا مَنْ نجا به فرسه .

ثم ساق للال وأقبل به ، فكثير القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمع صباحا ، وأحسن رواحا من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه ضيات الحى هذه الأبيات :

تأملن فعل هل رأيئن مشله إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب !
وضاقت عليه الأرض حتى كانه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلأ حقه ونصيبه من السهرى اللدن والرهف النفس^(١)
أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك سليل للمالى وللكارم والسيب^(٢)
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف وطرف^(٣) قوى الظهر والجوف والجنب
وهزم صميح لو ضربت بحده الـ جبال الرواسى لا تعططن إلى القرب
وعرض تقى أتقى أب أحييه ويث شريف في ذرا بقلب القلب^(٤)
فإن لم أقاتل دونكن وأحى لـ كن ، وأحيكن بالطنم والضرب
فلا صدق اللاتى مشين إلى أبى يهينه . بالفارس البطل السدب^(٥)

(١) السهرى : الريح ، وهو مشروب للـ سهر ؛ رجل كان يثقب الرماح . والرهف : السيف الرقيق المد . والنسب : القاطع . (٢) الديب : السقاء . (٣) الطرف : الكرم من الخيل . (٤) قلب : أصله قلبية ، وهي قبيلة النعام ، والقلب : جمع أغلب وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان . (٥) السدب : الخفيف في الحاجة .

٧١ — خائف وجد مأمناً*

قال وهب بن ناجية الرضائي: كنت أحدم من وقت عليه النهمة في مال مصر أيام الواثق، فطلبني السلطان طلباً شديداً، حتى ضاقت حلي الرضافة^(١) وغيرها، فخرجت إلى البادية مرتداً رجلاً عزز الحار، منيع الجار، أعوذ به، وأنزل عليه.

فبينما أنا أسير إذ رأيت خيلاً، فدلّت إليها، فلتُ إلى بيت منها مضروب، وبفتائه رُمع مركوز، وفرس مربوط؛ فدنوتُ فسلمت، فردّ حليّ نسائي من وراء السيف^(٢)، وقالت لي إحطاعن: اطمنّ يا حضري، فتم منافع الضيفان بؤاك القدر، ومهدك السفر. قلت: وأنى يطمنّ للطلوب، أو يأمن للرغوب، من دون أن يأوي إلى جبك يمينه، أو يأمن أو متزعج يمينه! وقليل ما يرجع من السلطان طالبة، وانطوف غالبه! قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم، وقلب صغير، وإيم الله لقد خلعت بفناء رجل لا يضام بفناؤه أحد، ولا يجمع بساحه كبد، هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صموك^(٣) الحلي في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في قتاله^(٤)، صدوق الجوار، وقود النار؛ وبهذا وصفته أمامة بنت خزرج حيث تقول:

* عاضرات الأبرار: ٢ - ١١٦.

(١) الرضافة: علة ينداد (٢) السيف: السز. (٣) أصل الصموك التغير، والراد أنه ينفق حتى يسير فقيراً. (٤) القتال (بالفتح): القتل الحسن من فاعل واحد، وإذا كان من فاعلين فهو القتال (بالكسر).

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل مدى وكل يمانى
وفى بهما فضلاً وجوداً وسوداً ورأياً ، فذاك الأسود بن قنان
فتى لا يرى فى ساحة الأرض مثله ليوم خراب أو ليوم طمان
قال : بقلت : بإجارية ، وأنى لى به ؟ قالت : بإخدام ، مولاك ! فلم تلبث
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى للنسبين علينا أنت ؟ فبقيت
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛
وقد ضيناه ما يضمن الله على مثلك . قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا أبى حمى
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمتى ، فمن آذاه قد آذانى ، ومن كاده قد كادنى .
وأمر بيته ففُضرب إلى جانبه ، وقال : هذا يهلك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .
فلم أزل بينهم فى خفض وسعة إلى أن يمرت عنهم .

٧٢ — نَحْنُ إِلَى وَطَنِهَا*

هوى بمنزلة خلفاء بنى العباس أعرابية فتزوج بها ، فلم يوافقها هوى للذن ،
فلم تزل تمثّل وتناوّه ، مع ما هي عليه من النعم والراحة ، والأمر والنهي ؛ فسألها
عن شأنها ، فأخبرته بما تجد من الشوق إلى البراري وأحاليب^(١) الرعاء ، وورود
الياه التي تعودت ؛ فضمّ لها قصراً على رأس البرية بشاطئ دجلة^(٢) ، وأمر بالأغنام
والرعاء أن تسرح بين يديها وتراعى لها ؛ فلم يزد لها ذلك إلا اشتياقاً إلى وطنها .
ثم مرّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعربكانه ، فسمعا فتعجب وتبكي ،

حتى ارتفع صوتهما ، وعلا نحيبهما ، ثم قالت :

وما ذنب أعرابية فذقت بها صروف النوى من حيث لم تكن ظننت
تمت أحاليب الرعاة وخيمته بنجد فلم يقض لها ما تمنيت
إذا ذكرت ماء العذيب^(٣) وطيبه وبرد حصاه آخر الليل أنت
لما أنة عند المشاء وأنه مسعيراً ، ولولا أنتها لجننت

تفرج عليها الخليفة ، وقال : قد قضى ما تمنيت ، فالحق بأهلك من غير فراق ؛
فامر عليها وقت أسر من ذلك ، وسرى ماء الحياة في وجهها من حينها ، والصقت
بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وظلّ الخليفة يزورها في أهلها بين الحين
والحين .

* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٤٨

(١) الإحلاية : أن يحب لأمله وهو في الرعي لبناً ، ثم يمتدّه إليهم ، وجهه أحاليب ، والرعاء :
جمع راع . (٢) دجلة : نهر بالعراق . (٣) العذيب : موضع .

٧٣- سُمْتُ حَيَاتِي حِينَ فَارَقْتُ قَبْرَهُ*

قال محدث : سألت أبا الندى^(١) - وكان من أعلم من شأهت بأخبار العرب : هل تعرف من شعر اللقاء بنت الأبيص في ابن عمها نجدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنتُ فيمن حضر جنازة نجدة ، حتى وضعا في قبره ، وأهلنا عليه التراب ، وصدرنا^(٢) عنه غير بعيد ، فأقبلت نسوة يهلدين^(٣) ، فبين امرأة قد فاقتهن طولاً ، كالنمن الرطب ، وإذا هي اللقاء ؛ فأقبلت حتى أكبّت على القبر ، وبكت بكاءً مخرفاً ، وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها ، قتل لها : يا ذئاب ؛ إنه قد مات السلاط من قومك قبل نجدة ، فهل رأيت نساءم قتلن أنفسهن عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفن من القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها عليه ، وقالت :

سُمْتُ حَيَاتِي حِينَ فَارَقْتُ قَبْرَهُ وَرُحْتُ وَمَا لِي بِهِ يَهْلُ هَامِلُهُ^(٤)
وَقَالَتِ نِسَاءُ الْحَيِّ : قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ شَرِيفٌ فَلَمْ يَهْلِكْ عَلَيْهِ حَلَالُهُ^(٥)
صَدَقْنَ ، قَدْ مَاتَ الرِّجَالُ وَلَمْ يَمُتْ كَنَجْدَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ مَنْ يُكَادِلُهُ
فَقِي لَمْ يَصْنَعْ عَنْ جِسْمِهِ لِحْدُ قَبْرِهِ وَقَدْ وَسَّعَ الْأَرْضَ الْقَضَاءُ فَضَائِلُهُ
قَالَ : قُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَإِلَهُ يَا أَبَا النَّدَى وَأَحْسَنْتَ أَهْلُ تَرْفٍ مِنْ شَعْرِهِ
شَيْئًا آخَرُ ؟ قَالَ : نَمِ اكْتُ مِمَّنْ حَضَرَ قَبْرَ نَجْدَةٍ عِنْدَ زِيَارَتِهَا لِإِيَّاهُ لِقَامِ الْحَوْلِ ،

* مجمع الأدباء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحمد أبو الندى القنديلي القنوي : رجل واسع العلم ، راجع للفرقة بالغة وأخبار العرب وأعلامها . (٢) رجنا عنه . (٣) يتألمن في مشيتهن . (٤) يهل : ينصب ؛ وما له : دمه القاتل . (٥) أي زوجته .

فرايتها قد أقبلت حتى أكتب على القبر ، وبكت بكاء شديداً ، ثم أنشأت تقول :
 يا قهر نجدة لم أهجرك مغليبة ولا جنوتك من صبري ولا جدوى
 لكن بكيتك حتى لم أجد مذكاً من المموج ولا عوناً من الكبد
 وأستغنى جنوني من مدايحها قلت للعين : فيض من دم الكبد
 فلم أزل بذي أبك جاهدة حتى بقيت بلا عين ولا جسد
 والله يلم لولا الله ما مضيت شقي عليك سوى قتلها يدي

قال : قلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم . حضرنا في زمن الربيع ونحن في رياض خضرة ممشية ، فركب الثنيان ، وعقدوا السدب الصفرة ، في القنا الحمر^(١) ، وجعلوا يجولون فلما أردنا الانصراف قال بضنا لبعض : ألا نجعلون طريقكم على القنا ! لعلها إذا نظرت إليكم تسأل من بقي من هلك ؟

قال : نخرجنا نوثها فأصنعاها بارزة من خباياها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يلوها كسوف الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : ليلقاء ؛ إلى متى يكون هذا الوجد على نجدة ! أما أن لك أن تسأل من بقي من بقي عنك عن هلك ؟ هانحن أولاء سلوات قومك وضيائهم وجمومهم ، وفيها السادة والآداة^(٢) ، والبأس والنجدة ؛ فأطرقت ملياً ، ثم رفعت رأسها باكية وهي تقول :

صدمتم أنسكم لنجوم قوى ليوث عند مختلف السؤال^(٣)

ولكن كان نجدة بدر قوى وكهفهم للنيف على الجبال

فما حزن الهاء بلا نجوم وما حزن النجوم بلا هلال !

ثم دخلت خباياها ، وأرسلت سترها ، فكان آخر العهد بها !

(١) أي الرمال ، والقنا الحمر : الرماح . (٢) الآداة : اللهاجون ، جمع ذاتة . (٣) العوالى : جمع طالية ، وهي أعلى القنا أو النصف التي على السنان .

٧٤ - المسكلمة بالقرآن*

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه السلام، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد، فميزت ذلك، فإذا عجوز عليها دِرْعٌ^(١) من صوف وخار، قلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾. قلت لها: رَحِمَكَ اللهُ! ما تسمعين في هذا للكان؟ قالت: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾؛ فقلت أنها ضالة عن الطريق.

قلت لها: أين تريد؟ قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾، فقلت أيتها فضت حجاً وهي تريد بيت المقدس. قلت لها: أنت منذ كم في هذا الوضع؟ قالت: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾. ص: ما أرى ملك طامعاً تأكلين؟ قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾. قلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾. فقالت لها: إن مي طامعاً؛ فهل لك في الأكل؟ قالت: ﴿نَمْ أُنْمُوا الصَّيِّمَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فقلت: قد أبيع لنا الإفطار في السفر، قالت: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قلت: لم لا تكلمينني مثل ما أكلتك؟ قالت: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت: ﴿وَلَا تَقَفْ

* ذيل نثرات الأوراق: ٢-٢٤٣

(١) درج: قيس.

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُونًا ﴿١﴾ .

قلت : قد أخطأت فاجلبيه ، في حيل ، قالت : ﴿ لَا تُقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بَيْنَهُ وَاللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

قلت : فهل لك أن أحلك على ناقتي ؛ فذكرني القافلة ؟ قالت : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْمُهُ اللَّهُ ﴾ .

قال : فأخذت الناقة ، قالت : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْصُتُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ .
فَضَعْتُ بَصْرِي عَنْهَا ، وقلت لها : أركبي .

فلما أرادت أن تركب فرت الناقة ؛ فزقت ثيابها ؛ قالت : ﴿ وَمَا مَأْبِكُمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ فَعِلْنَاهَا بِإِذْنِكُمْ ﴾ ، قلت لها : أركبي ، قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ^(١) • وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٢﴾ .

فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسمى وأصيح ؛ قالت : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، فجعلت أمشي رويداً رويداً ، وأترتم بالشعر ؛ قالت : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ . قلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، قالت : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فلما مشيت بها قليلاً قلت لها : ألك زوج ؟ قالت : ﴿ بَنَاتُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ نَبِّدْكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ .

فكنت ولم أكلمها ، حتى أدركت بها القافلة ، قلت لها : هذه القافلة ؛ فمن لك فيها ؟ قالت : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؛ فقلت أن لها أولاداً .

(١) أنزل للأمير : أسأله وقرى عليه .

قلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَامَتِ الْبَيْتِ جُمُوعٌ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فقلت : أنهم أدلاء الركب .

قصص التباب والهارات ؛ قلت : هذه التباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت : ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْلِيمًا ﴾ . ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فلديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فلذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا ؛ فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : ﴿ قَابِضُوا أَحْصَ كُمْ يَوْمَ رِقْمِكُمْ ﴾ ^(١) هذه إلى المدينة فلينظر أيتها أزكى طعاما فليأكلكم يورثي منه .

ففي أحدم ، فاشترى طعاما قدموه بين يدي ، قالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْتَالِيَةِ ﴾ .

قلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها ؛ قالوا : هذه أمنا ، لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ خافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛ قلت : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

الباب الثاني

في القصص التي تشمل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة
منطقهم ، وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ،
وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف
في الإبانة والتعمير .

٧٥ - بنو أسد وامرؤ القيس *

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ ^(١) بَنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ بَدْمَقْلَرُ أَبِيهِ رَجَالَاتٌ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ نُعَيْمٍ ؛ وَكَانَ
رَجُلًا مَقِيًّا فِي بَنِي أَسَدٍ ، ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَرِثَا وَإِصْدَارًا ، يُعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ
كَانَ حَيْطًا بِأَكْثَافِ بِلَدِهِ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا عَلِمَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِتْرَافِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ ^(٢) فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ
عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ عِلَاقًا .

فَقَالُوا لَنَنْ يَبَاهُ مِنْ رَجَالِ كِنْدَةَ : مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يُخْرِجُ إِلَيْنَا ؟ فَقِيلَ لَهُمْ :
هُوَ فِي شَتْلِ بِإِخْرَاجِ مَا فِي خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الْمُدَّةِ وَالسَّلَاحِ . قَالُوا : اللَّهُمَّ غَفْرًا !
إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرِ قَتَانَسَى بِهِ ذِكْرٌ مَا سَلَفَ ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ؛ فَلْيَسْلُغْ
ذَلِكَ عَنَّا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَدْمَقْلَرُ فِي قَبَاءٍ ^(٣) وَخَفِرٍ وَرِعَامَةٍ سَوْدَاءٍ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ
لَا تُنْعِمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي الثَّرَاتِ ^(٤) - . فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ ، وَبَدَّرَ إِلَيْهِ قَبِيصَةُ فَقَالَ :
إِنَّا نَكْتُبُ لَكَ لِلْعَمَلِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الْقَهْرِ ، وَمَا تَحْدِثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَقَلَّبُ بِهِ

* الْأَمَامِيُّ : ٩ - ١٠٣ (مِثْبَةُ دَارِ الْكِتَابِ) - صَحِحُ الْأَمْعِيِّ : ٣ - ١٢٦

(١) هُوَ أَشْهُرُ شُعْرَاءِ الْبَنِي هَاشِمٍ وَأَرْفَعِهِمْ مِثْرَةً ، يَصِلُ إِلَيْهِ بَنُو كِنْدَةَ ، كَانَ قَوًى الْفَاعِلِيَّةِ
وَرَقِيقَ الْفُرُوسِ ، دَلِيلُ الشُّعْرَاءِ - تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٠ هـ . (٢) تَقَدَّمَ فِي كِفَاةٍ : أَمْرُهُ . (٣) الْقَبَاءُ :
يُتَوَبَّحُ الْجَمِيعُ الْأَطْرَافَ . (٤) الثَّرَاتُ : جَمْعُ ثَرَةٍ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَتَرَى : أَيْ قَهْرٌ ،
وَأَسْتَصِلُ فِي تَأْوِيلِهِ .

أحواله بحيث لا يحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مخرب، ولك من سؤدد
منصبيك، وشرف أغرائك^(١)، وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ بِحَيْثُ مَا حُلَّ
عليه من إقالة العترة، والرجوع عن المفرة؛ ولا تتجاوز الميم إلى فاية ألا
رجعت إليك، فوجدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم المتع
ما يطول رغباتها، ويستغرق طلباتها.

وقد كان الذي كان من الغلب الجليل، الذي حمت ذريته نزاراً واليمن، ولم
تخصم به كبدته دوننا؛ للشرف البارع الذي كان ملحجر. ولو كان يُفدى هالك
بالأفس الباقية بعده لما تجلّت كرائمنا^(٢) على مثله ببذل ذلك، ولقد بنامنه، ولكن
مضى به سبيل لا ترجع أولاه على أخراه، ولا يلحق أقصاه أدناه.

فأخذ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث
إما إن اخترت من بني أسد أشرافاً بيتاً، وأعلاماً في بناء للكرامات صوتاً،
قدّناه إليك بليسة^(٣) نذهب مع شفرات حسامك بباقي قصده^(٤)؛ فيقال: رجل
امتحن بملك عزيز عليه؛ فلم تستل سخيبته إلا بتمسكينه من الانتقام؛ أو فداء
بما يروح^(٥) على بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحبة، وكان ذلك فداء
ترجع به القصب^(٦) إلى أحنائها، لم يزدده تليط الإحن على البراءة؛ وإما أن
توادعنا حتى نضع الحوامل قسداً الأزُر، ونقد الخمر فوق الرايات.

فيكي امرؤ القيس ساعة، ثم رفع طرفه إليهم قال: قد حلت العرب أن

(١) الأعراف: جمع عرق، وهو أصل كل شيء. (٢) الكرائم: خيار الأموال. وقد يراد بها
الغوس أو الفاء. (٣) البليسة: السيف من الجدا. (٤) قصده: ما يرمى به. (٥) الخمر: الخمر.
النفق. (٦) يروح: يرجع. (٧) القصب: السيف.

لا كُفءٌ لحَبْرٍ في دم ، وإنى لن أعتاض به ناقةً أو جلاً فأَكْتَسِبَ بذلك سِيئةَ الأبد ، وَفَتَّ المَعْدُ ؛ وأما النِّظَرَةُ فَهَذَا أُوجِبَتْهَا الأَجَنَةُ في بطون أمهاتها ، وإنى لن أكون لمطعها سبيلاً ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقاً ، وفوق الأسنة عَقّاً^(١) :

إذا جالت الخيلُ في مازِقٍ^(٢) تُصافِعُ فيه المنايا النفوسا
أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل تنصرف بأسوا الاختيار ؛ لحرب وبلية ،
ومكروه وأذية ! ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلاً :

لهك أن تستوخمَ اللوتَ إن غدت كتائبُنَا في مازِقِ اللوتِ تُنْطِرُ
قال امرؤ القيس : لا والله ، لا أستوحه ، ولكن أستذِبه ؛ فريداً يكشف
لك دُجَاهَا من فُرسَانِ كندة وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كان ذِكْرُ غير هذا أولى بي ،
إذ كنتَ نازلاً برَبِّي ، ومتعرجاً بذِملِي ، ولكنك قلتَ فَأَجَبْتُ .

قال قبيصة : إن ما توقع فوق قدر الماتبة والإعتاب^(٣) ، قال امرؤ القيس :
هو ذاك !

(١) الملقن : الدم . (٢) المازِق : الضيق . (٣) الإعتاب والنحي : رجوع المتوب عليه
إلى ما يرضى الكاتب .

٧٦ - نهاية الأعرشى *

وفد الأعرشى^(١) إلى النبي عليه السلام ، وقد ملحه بقصيدته التي أولها :
 ألم تفتن عيناك ليلة أرمدا^(٢) وطوك ما عاد السليم^(٣) للمهدا^(٤)
 وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهذا^(٥)
 وفيها يقول لناقته :
 فأكبت لا أرضي لها من كلاله^(٦) ولا من حفا^(٧) حتى تزور عمدا^(٨)
 فهي يرى ما لا تزور^(٩) وذكره أنار لمرى في البلاد وأنجد^(١٠)
 متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراجي^(١١) وتلقى من فواضله يدا
 فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة^(١٢) العرب ، ما ملح
 أحدا قط إلا رضع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا صير ؟ قال : أردت صاحبكم
 هذا لأسلم . قالوا : إنه نهك من حلال ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟
 فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركت الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟
 قالوا : القمار ، قال : لكني إن قبته أن أصيب منه عوضا من القمار ، ثم ماذا ؟

* الأعرشى : ٩ - ١٢٥ (طبعة دار الكتب) ، سيرة ابن هشام : ١ - ٢٣٦ .
 (١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية ولطوف ، منحرف في الدين
 والمجاهد ، وهو أول من سأل الشعر ، واتبع به أئمة البلاد . توفي سنة ٦٢٩ م .
 (٢) رجل أرمدا : يرمد في عينيه ، والسلام على تقدير مصدر عذوف ، والتقدير : اغتناس
 ليلة أرمدا ، خلف للشافعي أقيمت ليلة به . (٣) السليم : اللديع . (٤) مهدا : اسم امرأة .
 (٥) الصناجة : الثعب . (٦) الحنا : رقة القدم . (٧) أنار : دخل الثور ، وهو كل ما انحدر
 مغريا من تهامة ، وأنجد : دخل النجد ، وهو ضد النور . (٨) تراجي : تترجم .
 (٩) كان الأعرشى يسمى صناجة العرب ، بلردة شعره . وأسأل الصناجة : اللامع بالمنج .

قالوا : الربأ . قال : ما دُنتُ ولا اُدُنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : انحر . قال : أوه !
أرجعُ إلى صُبابَةٍ قد بقيت في الِهراس ^(١) فأشربها .

قال له أبو سفيان : هل لك في خير مما همتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن
وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بهلك سَنَتَكَ هذه ، وتنظر
ما يصير إليه أمرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خَلْفًا ، وإن ظهر علينا أَيْتَهُ .
قال : ما أكرهُ ذلك . قال أبو سفيان : يا مضر قريش ، هذا الأعشى واقف لئن
أتى سُلَماً واتبعه لِيُضْرَمَنَّ عليكم نيران العرب بشمره ، فاجموا له مائة من الإبل ،
فصاوا ، فأعنها وانطلق إلى بله . فلما كان بقاع مَنفُوحَةٍ ^(٢) رَمَى به بريدٌ قتله .

(١) للهراس : جبر مغور يسح كثيراً من اللاه . (٢) منفوحة : قرية معشورة من لواحي
البيعة .

٧٧ - رثاء فوق قبر*

كان عامر^(١) بن الطفيل أفرس أهل زمانه وأسودهم، فلما مات ودُفن مرة على قبره حيان بن سلمى - وقد غاب عند موته - قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبانها على قبر عامر ، قال : ضيقم على أبي عليّ ، وأفضنم^(٢) منه فضلاً كثيراً . ثم وقف على قبره وقال : أنم ظلاماً أبا عليّ افواقه قد كنت تشن الثارة ، ونحى الجارة ، سريماً إلى الولي وعدك ، بطيئاً عنه بوعيدك^(٣) ؛ وكنت لا تصل حتى يصل النجم ، ولا تنأب حتى يهلب السيل ، ولا تمطش حتى يسطش البير ، وكنت وافقه خير ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً .

ثم انصت إليهم ، قال : هلا جستم قبر أبي عليّ ميلا في ميل !

* نغم الأمثال : ٢ - ٧٣

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأمتة ، وابن عم لبيد الشاعر المعروف ، كان منافقه يتأذى بسكاظ : حل من راجل فأعله ، أو جالع فأطبه ، أو خائف فأؤمته ؟ وكان سيد على عامر غير مدافع . وقد وفد على النبي وسمه أرويد أخو لبيد يضمن أن العمر والسوء غلب مسامحا ، وسار عامر يريد قومه فأتى في الطريق سنة ١١ هـ . (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئا ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء . (٣) الوعيد في العمر ، والوعيد في الخير .

٧٨ — بطل هذا فليثن على اللوك*

قال حسان بن ثابت^(١) : قدمت على عمرو بن الحارث ، فاعتصم على الوصول إليه ، قلت للعاجب بمدّة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوتُ البينَ كلها ثم اقبلتُ عنكم . فأذن لي ، فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابتة وهو جالس عن يمينه ، وعلقة بين عبله وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا ابن القرينة ؛ قد عرفت عيبك^(٢) ونسبك في غسان ، فارجع فإني باعث إليك بصلّة سنّية ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فإني أخافُ عليك هذين السّمين - النابتة وعلقة - أن يفضحك ؛ ونضيجتُك فضيحتي ، وأنت والله لا تحسبن أن تقول :

رِقاقُ النملِ طيّبٌ حُبْرَاتُهُمْ يُحْمِيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(٣)

فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال ذاك إلى عبيك ، قلت لها : بحقّ للوك إلا قدّماني عليكما ! قتالا : قد ضلنا ، قال عمرو بن الحارث : هات يا ابن القرينة ، فأنشأت :

* الأغاني : ١٤ - ٢٢

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر رسول الله في النبوة ، وشاعر أمّية كلها في الإسلام ، خافع عن رسول الله بشعره كأدافع عنه قومه بميوهم ، وعمر طويلا . ومات سنة ٥٤ هـ . (٢) العيب : الأمل ، والقرينة : أمه . (٣) رِقاقُ النمل : أي أن نالهم رقيقة لا يعضفونها طبا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الخيل غالبا ، وحجزة الإزار والسرّاويل : جمع شدما على الوسط من الجلب ، كناية عن عقمهم ، والسباب : يوم الصّاعين ، وهو يوم عيد عند النصارى ، وكان للمدوح نصرانيا .

فَدَرَ مَصَابَةَ بَدَنَهُمْ يَوْمًا يَجْلُقُ^(١) فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
 أَوْلَادُ جَنَّةٍ^(٢) مَعْدَ قَبْرِ آبِهِمْ^(٣) قَبْرِ ابْنِ^(٤) مَارِيَةَ الْكَرِيمِ لِلْفَضِيلِ
 يَسْتَوُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ^(٥) عَلَيْهِمْ يَرْدَى يَصْفَقُ^(٦) بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
 يُشَوِّنَ حَقِّي مَا تَهْوَى كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ لِلْقَبِيلِ
 يَبْغِي الْوَجْهَ كَرِيحَةَ أَحْسَابِهِمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
 قَلْبَتُ أَزْمَانًا طَوَالًا فِيهِمْ ثُمَّ أَذَرَ كَتَّ كَاتِي لَمْ أَقْصِرْ



قال: فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحَلُ^(٧) عن موضعه سُرُورًا، وهو يقول:
 هنا وأبيك الشمر؛ لا ما يَمْلَأُنِي به منذ اليوم! هدموا الله البتة التي قد بترت للنداح!
 أحسنت يا ابن القرينة! مات له غلام ألف دينار مَرْجُوحَةً^(٨)، فأعطيت ذلك،
 ثم قال: لك على في كل سنة مثلها.

ثم أقبل على النابغة فقال: قم يا زياد، فهاتِ التناء للسجوع، فقام النابغة
 فقال: الا انما صباحاً أتيتا الملك المبارك! السماء غطواك، والأرض وطأوك، وواللهي

(١) جلق: دمشق. (٢) جنة: هو جنة بن عمرو أبو ملوك العام، وأولاده م: الشبان
 والنفر والنيذر وجبة وأبو شمر، وكانوا جميعاً أوكا. (٣) أراد بهذا أنهم أعزاه ملبسون بمل
 ملكهم، لبسوا أصابع ريشة واحتجاج. (٤) م: مارية بنت ظالم الكندي أم الحارث الأعرج،
 وهي ذات القريظين الذين يضرب بها الخلل، فيقال لا يخلو الخن: بقرطى مارية، وأختها عند
 المنود امرأة خير آكل الزرار. (٥) البريص: فوطه دمشق. (٦) صفق الصراب: حوله
 مزجوجاً من إلقاء الماء ليصفو. والرحيق: الخمر، أو ألبانها، والسلسل: العذب البارد.
 (٧) زحل من موضعه: زحيف. (٨) مرجوحة: هي ما كان في كل دينار منها عمدة دقيرة.

فهاؤك ، والعرب وفاؤك ، والمجم حماؤك ، والحسكة جساؤك ، وللدارية^(١) شمارك ،
والمقاويل إخواؤك ، والعقل شمارك ، والحلم دتلك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ،
والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حفاؤك ، والسفاه ظهارتك ، والحمية
بطانتك ، والعلّة غايك ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ،
وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف
النساء حلاؤك ، وأنغر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان
بنياتك ، وأعذب المياه أمواتك ، وأفيض المازات^(٢) دارتك ، وأنزه الخدائق
حداؤك ، وأرفع اللباس لبسك ، قد حاف الإضرع^(٣) عاتك ، ولأم للسك
سكك^(٤) ، وجاور المنبر ترايبك^(٥) ، وصاحب النعم جسدك .

السجد آيتك ، والجبن صفاؤك ، والنصب^(٦) مناديك ، والحواري^(٧)
طماؤك ، والشهد إدامك ، وأنظر طوم^(٨) شرابك ، والأشراف مناصيك^(٩) ،
واظير فضاؤك ، والشر بساحة أعتاؤك ، والتصر منوط بلواؤك ، واغزلان مع أوية
حداؤك ، والبر ضلك . قد طحط^(١٠) عدوك غضبك ، وهزم مقابهم^(١١)
مشهدك ، وسار في الناس عدوك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والهوة رمؤك ، والأوراق لحظك ، والننى إطرارك ، وأف
ديتار موجهة إرماءك .

-
- (١) للدارية : جمع مدرة ، وهو اليد الشريف ، وللقم في اللسان واليد عند المصرة .
(٢) المازة : المحل يجمع البناء . (٣) الإضرع : الخز . (٤) السك : الجذ .
(٥) التراب : عظام المصفر . (٦) النصب : نوع من البرود . (٧) الحواري : لباب البيق .
(٨) المخرطوم : أول ما يجري من النب قبل أن يندس . (٩) جمع نصف ، وهو الخادم .
(١٠) طحط : كسر وقرقوبه إملاكا . (١١) للقبض الخيل : ما بين الفلحين إلى الأربعين .

أَخْأَخْرَكَ لِلنَّذْرِ الْاِخْمَىٰ أ فَوَافَقَهُ قَتْنَاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ، وَلَشَمَّاكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ،
وَلَاخَصَّكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ، وَتَلَطَّزُكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ، وَلَصِمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ،
وَلَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَيْبِهِ، وَتَلَطَّعْتُكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَهَبْ لِي أَسْأَرِي قَوْمِي، وَاسْتَرْهِنُ
بِفُتُوكَ شُكْرِي، فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَطْعَانَ، وَأَنَا مِنْ سَرَوَاتِ عَدْنَانَ .
فَرَضَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ، وَقَالَ: بِمِثْلِ هَذَا قَلْبَيْنِ عَلَى
الْمُلُوكِ، وَمِثْلِ ابْنِ الْفَرِيْمَةِ فَلْيَدْحِمِهِمْ . وَأَطْلِقْ لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ .

٧٩ — عُتْبَةُ وَأَعْرَابِيٌّ*

حَجَّ عُتْبَةُ^(١) سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهْدُهُمْ بِعَتْنَةٍ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا قَدْ وَلَّيْنَا هَذَا اللَّقَامَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلتَّحْسِنِ الْأَجْرُ، وَعَلَى النَّاسِ فِيهِ الْوِزْرُ، وَمَنْ حَلَّى طَرِيقَ مَا قَصَدْنَا؛ فَلَا تَمْدُوا الْأَعْتَقَ إِلَى غَيْرِنَا؛ فَإِنَّهَا تَنْقُطُ دُونَنَا، وَرَبِّ مُتَمَنِّحٍ حَقَّقَهُ فِي أُمْنِيَّتِهِ؛ فَاقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مَا قَبَلْنَاهَا فِيكُمْ وَقَبَلْنَاها مِنْكُمْ؛ وَإِيَّاكُمْ وَلَوْ^(٢) فَإِنَّهَا أُنْمِيتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ تُرْمَجَ مَنْ يَبْدَأُكُمْ؛ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبَيِّنَ كُلًّا عَلَى كُلِّ.

فَصَاحَ بِهِ أَعْرَابِيٌّ: أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ! هَذَا: لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ^(٣). قَالَ: يَا أَخَاهُ. قَالَ: سَمِعْتُ قَوْلَ: قَالَ: تَأْفَهُ إِنْ تَحْسَنُوا. وَقَدْ أَسَانَا. خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسِيئُوا. وَقَدْ أَحْسَنَّا؛ فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ بِكُمْ دُونَنَا فَمَا أَحْكَمَ بِاسْتِئْثَامِهِ، وَإِنْ كَانَ مَنَافَا أَوْلَاكُمْ بِمَكَافَاتِنَا! رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَامِرٍ بَيْنَ صَنْعَةِ يَلْقَاكُمْ بِالْمُؤَمَّةِ، وَيَقْرُبُ إِلَيْكُمْ بِالْمُتَوَلَّةِ، قَدْ كَثَرَهُ الْعِيَالُ^(٤)، وَوَعَلْتُهُ الزَّمَانَ، وَبِهِ قَرَى، وَفِيهِ أَجْرٌ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ.

قَالَ عُتْبَةُ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ، وَأَسْتَغْنِي عَنْكُمْ، قَدْ أَمَرَ نَا لَكَ بِضِيَاكَ، فَلَيْتَ إِسْرَاحَنَا إِلَيْكَ يَقُومَ بِإِطْلَاقِنَا عَنْكَ!

* الأملى: ١ - ٢٣٦

(١) هو عتبة بن أبي سفيان، أخو معاوية بن أبي سفيان، ولده أخوه معاوية لمؤنة مصر سنة ٤٣هـ، وشهد يوم الفجار مع عثمان، ويوم الجمل مع عائشة، وكان من خطباء بني أمية للمودين، وتوفي سنة ٤٤هـ. (٢) الؤ: قول للتقدم على الغائت: لو كان كذا لقلت، وقصبت، ومنه الحديث: «لَاك وَالْأَوَّلُ؛ فَإِنَّ الْاَوَّلَ مِنَ الشَّيْطَانِ». (٣) ولم يبعد: أى أنا أخو الخليفة وهو معاوية بن أبي سفيان. (٤) كثره العيال: كانوا كثيرين فطلبوه بكثرة.

٨٠ - إن من البيان لَسِحْرٌ*

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيران^(١) بن بدر وحمرو^(٢) بن الأهم؛ قال الزبيران: يا رسول الله، أنا سيدُ نعيم، وللطاعُ فيهم، والنجابُ منهم، وأخذ لم يحقهم، وأعلمهم من الظلم؛ وهذا يملُ ذلك - يعني حمراً. قال: حمرو: أجل يا رسول الله! إنه مانع لحوزتِهِ^(٣)، مطاعٌ في عشيرته، شديدُ المعارضة^(٤) فيهم.

قال الزبيران: أما إن الله قد علم أكثرَ مما قل، ولكنه حذني شرفاً! قال حمرو: أما والله لئن قال ما قال، فوالله ما علمت إلا ضيقَ البطن^(٥) زَمِرُ^(٦) للرودة، أحقُّ الأب، ثم الخلال، حديثُ النقي!

ف رأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخطف قوله، قال: يا رسول الله، رضيتُ قلتُ أحسنَ ما علمتُ، وغضبتُ قلتُ أقيحَ ما علمتُ، وما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الثانية!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لَسِحْرٌ».

* زهر الآداب ١٠٥. مجمع الأمثال: ٧-١

(١) الزبيران: اسمه حسين بن بدر، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ماضتهم، فأسلوا في سنة تسع، وولاه صدقات قومه. وأقره أبو بكر وعمر على ذلك، والزبيران في الأصل: القمر، ولقب به لحته. وبنو سنة ٤٥ هـ (٢) حمرو بن الأهم: هو عمرو بن سنان، وسمى سنان الأهم، لأن قيس بن عاصم للقرى غربه بقوس فتمت له. وبنو الأهم أهل بيت بلاغة في الجمالية والإسلام. (٣) حوزة الرجل: ما يجوز له وتلكه. (٤) المعارضة: البديهة وقوة الكلام. (٥) البطن: للناخ حول الرود، وضيق البطن: كناية عن البخل. (٦) زمر الرودة: قليلها.

٨١—عبد الله بن عباس والحطيئة*

بينما ابن عباس جالس في مجلس^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفَّ بصره ، وحوله ناس من قريش ، إذ أقبل أعرابي^(٢) يَنْظُرُ ، وعليه مُطَرَفٌ^(٣) وجبة وعمامة خبز ، حتى سَلِمَ على القوم ، فردوا عليه السلام ، قال : يا ابن عم رسول الله ؛ أَفَتَنِي ، قال : فِيمَ ؟ قال : أَتَخَافُ عَلَيَّ جُنَاحًا إِنْ ظَلَمَ رَجُلٌ فَظَلَمْتُهُ ، وَشَتَمَنِي فَشَتَمْتُهُ ، وَقَصَرَ بِي فَصَصْتُ بِهِ ؟ قال : الْغَوُ خَيْرٌ ، وَمَنْ اعْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ . قال : يا ابن عم رسول الله ؛ أَرَأَيْتَ أَمْرًا أَنَا فِي فَوْحِهِ وَغَيْرِي وَمَنَانِي ، ثُمَّ أَخْلَفَنِي وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِي ، أَيْسَى أَنْ أَهْجُوهُ ؟ قال : لَا يَصْلَحُ الْمَجَاءُ ، لِأَنَّهُ لَا بَدْءَ لَكَ مِنْ أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَظَلَمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ ، وَشَتَمَ مَنْ لَمْ يَشْتِمْكَ ، وَتَبَنَى عَلَى مَنْ لَمْ يَنْبَغِ عَلَيْكَ ، وَالْبَنَى مَرْتَبَةٌ وَخَيْرٌ ، وَفِي الْغَوِ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْفَضْلِ ؛ قال : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدَانَ الْخَثْعَابِيَّ حَلِيفُ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيَّ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَالطَّبَفَ فِي مَسَاقِهِ ، وَقَالَ : قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ يَا أَبَا ثَلَيْسَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَجْرَوْلُ ؟ قال : جَرَوْلُ ! فَلَمَّا هُوَ الْحَطِيئَةُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَقَدْ أَنتَا أَيْ مَرْدِيَّ^(٤) كِفَافٌ ، وَذَائِدٌ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، وَمَتْنٌ بِمَارِقَةٍ تَوَلَّاهَا

* الأغانى : ٢-١٩٢

- (١) مجلس رسول الله : أى المكان الذى كان يجلس فيه . (٢) هو جرول بن أوس من بني عيس ؛ كان من غول الحراء ومقتديهم ، وأبوكه كان ذا شروسة شديدة الهجاء يخاف العرب لسانه ويترصونه بآلال خوف من شره ومات سنة ٥٩ هـ . (٣) المطرف : رداء من خبز . (٤) المردى : فى الأصل حبر يرى ، ويطلق على الرجل النجاع ، يقال : مردى حروب .

أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عركت^(١) بجنبك بعض ما كرهت من أمر
الزبير فإن كان خيراً لك ، وقد ظلمت من قومين لظلمتك ، وشئت من لم يشئك .
قال : إني والله بهم يا أبا العباس^(٢) لئالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال
علي والله ! برحك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ يَجدِهم^(٣) عِلْمًا وَجَرَبَةً فَلَئِنْ بَسَمِ تَجَدَّى أَعْلَمَ النَّاسِ
سَمْدُ بْنُ زَيْدٍ كَثِيرٌ إِنْ عَدَّتهمُ وَرَأْسُ سَمْدِ بْنِ زَيْدٍ أَلْ كَثَمِ
وَالزُّبَيْرَانِ دُغَابُهُمُ^(٤) وَشَرُّهُمُ لَيْسَ الَّذِي نَابَى أبا العباسِ كَالرَّاسِ
فَقَالَ ابنُ عباسٍ : أَفَسْتَ أَلَّا حَوْلَ إِلَّا خَيْرًا ، قَالَ : أَضِلُّ .

ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ، من أشمرُ الناس ؟ قال : أمن الماضي أم
من الباقي ؟ قال : من الماضي ، قال : الذي يقول :
ومن يحمل المعروف من دون حِرْضِهِ يَعرُوه ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الْقَتْلَ يَشْتَرِ
وما بدونه الذي يقول :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْهُ عَلَى شَمْتٍ ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبُ !
ولكن الضراعة أفدته كما أفدت جرولا - يعني شه - والله يا بن عم
رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشمر الماضي ، فأما الباقي فلا تشك أني
أشمرهم وأضردهم^(٥) !

(١) عركته ما كان من صاحبه : احكه . (٢) كنية عبد الله بن العباس . (٣) البجعة :
ذئبة الأمر ويطاءه ، والراد : أنا العالم بالشيء . (٤) دغابهم : ذنبهم . (٥) أضرمهم .

٨٢ — طريق لسانه

لما وثى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد^(١) بن ربيعة بن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عباد بن زياد ، فقال له سعيد : أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت عبداً فاحفظ ما أوصيك به : إن عبداً رجلاً لثيم ، فإليك والذلة عليه ، وإن دعاك إليها من شه ، فإنها خذعة منه لك من شاك ؛ وأقلل زيارته ، فإنه طريف^(٢) مؤول ، ولا تقاخره وإن قاخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أخذه .

ثم دعا سعيد جمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استقم به على سفرك ؛ فإن صَحَّ لك مكانك من عباد ، وإلا فمكانك عندي ثمَّه فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلَّف ابن مفرغ عنده ، وخرج مع عباد ابن زياد .

قال الراوى : فلما بلغ عبيد الله^(٣) بن زياد محبة ابن مفرغ أخاه عبداً شوقاً عليه ، ولما عزم عباد على السير إلى سيستان ، جاء عبيد الله يودعه ، فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبداً أن نصعبه وأجابه إلى ذلك وقد نقى على .

فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يقنعه من

• تاريخ الطبري : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ (طبعة السامى) .

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ : شاعر عمن غزل من شعراء الحماسة ، توفى سنة ٦٦٩ هـ .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب . (٣) كان عبيد الله والى البصرة على عم - معاوية .

الناس ما يُقنعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه جلن فيجل الظنّ يتيماً ، ولا يذر في موضع ؛ وإن عبداً قدم على أرض حرب فيشتغلُ بمحروبه وخراجِ عنك ، فلا تذره أنت وتكسبنا شراً وعاراً .

قال له : لست كما علن الأمير ، وإن لمروه عندي لشكراً كثيراً ، وإن له عندي - إن أغفل أمرى - عنراً ممهداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكن نضمن لى إن أبطأ عنك ما تحبه ألا تسجل عليه حتى نكتب لى ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر لليمون .

قال الراوى : فلما قدم عبادٌ سيحستان ، واشتغل بمحروبه مع الترك وخرجه استبطاه ابن مفرغ ، ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كاضن له ، ولكن بسط لسانه ، فذمه وهجاه ؛ وكان عباد عظيم الاحية كأنها جوالى^(١) ، فدخلت الريح ففتشتها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت الهى كانت حثيثاً فمقلها خيولاً لسلينا^(٢)

فسى به الرجل إلى عباد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحمل بى عقوقه فى هذه السرعة مع الصعبة لى ، وما أؤخرهما إلا لأشقى نفس منه .

وبلغ الخمر ابن مفرغ فقال : إنى لأجيد ريح اللوت من عباد ؛ ثم دخل عليه قال : أيها الأمير ؛ إنى كنت مع سعيد بن عيان ، وقد بلغت رأيه فى ، وجعل أمره على ، وإنى اخترتك عليه فلم أغير منك بطائل ، وأريد أن تأذن لى فى الرجوع ؛ فلا حاجة لى فى صحبتك .

(١) الجوالى : الوعاء . (٢) كان قد أصاب الجند مع عباد خيل لى أعلاف دوابهم :

قال له : أَمَا اخْتِيَارَكَ إِلَيَّ فَإِنِّي اخْتَرْتُكَ كَمَا اخْتَرْتَنِي ، وَاسْتَصْعَبْتُكَ حِينَ سَأَلْتَنِي ، وَقَدْ أَجْعَلُنِي عَنْ بُلُوغِ حَقِّكَ فَيْكَ ، وَطَبْتُ الْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ قَوْمَكَ فَتَضَعُنِي فِيهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِذْنِ قَادِرٌ بِسَدِّ أَنْفُسِ حَقِّكَ . فَكَتَبَ ابْنُ مَرْغُومٍ :

ثُمَّ أَجْرَى عِبَادَ الْحَمِيلِ يَوْمًا ، بِغَاءٍ سَابِقًا ، قَالَ ابْنُ مَرْغُومٍ يَهْرَأُ بِهِ : سَبَقَ عِبَادَ وَصَلْتُ^(١) لِحَيْتِهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عِبَادًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَسُبُّهُ وَيَذْكُرُهُ ، فَطَلَبَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ . وَدَسَّ إِلَى قَوْمٍ كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْدُمُوهُ إِلَيْهِ ، فَصَلُّوا لِحَيْبِهِ وَأَضْرَبُوا بِهِ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ : أَنْ يَسْفِيَ الْأَرَاكِلَ^(٢) ، وَبُرْذَا ، فَبِثَّ إِلَيْهِ ابْنُ مَرْغُومٍ مَعَ الرِّسُولِ : أَيْبِيعُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ أَوْ وَلَدَهُ ! ثُمَّ أَضْرَبُوا بِهِ عِبَادَ حَقِّ بَاهِمِهِمَا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، قَالَ ابْنُ مَرْغُومٍ :

شَرِيتَ بَرْدًا وَلَوْ مَلَكَتْ صَفْقَتُهُ	لَا تَطْلُبُ فِي يَسْعٍ لَهُ رَشْدًا
لَوْلَا الدَّمْعُ وَلَوْلَا تَرَضُّي	مِنْ الْخَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهِ أَبَدًا
أَمَّا الْأَرَاكِلُ فَكَانَتْ مِنْ مَحْلُومِنَا	عَيْشًا لَدِيدًا وَكَانَتْ جَنَّةٌ رَشْدًا
كَانَتْ لَنَا جَنَّةٌ كُنَّا نَعِيشُ بِهَا	نَفْسُ بِيْهَانٍ خَشِينَا الْأَزْلَ وَالنَّكَدَ ^(٣)
يَا لَيْتَنِي قَبْلَ مَا نَابَ الزَّمَانُ بِهِ	أَهْلَى لَقِيتُ عَلَى عُدُوَانِهِ الْأَسْدَا
قَدْ خَانَنَا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَحْشَ عَثْرَتَهُ	مَنْ يَأْمَنُ الْيَوْمَ أَمَّنْ ذَا يَمِيشُ غَدًا !
لَا مَتْنُ النَّفْسِ فِي بُرْدٍ قَتَلَتْهَا :	لَا تَهْلِكِي إِثْرَ بُرْدٍ هَكَذَا كَمَا

(١) النسي و الحيل : هو الذي يشل الساق . (٢) كانت الأراكيل قينة لابن مَرْغُومٍ ، وَبُرْدٌ غلامه ، وَبَاهِمَا ، وَكَانَ شَدِيدَ الْفَنِّ بِهِمَا . (٣) الْأَزْلُ : الضيق والفتنة .

كم من نعيم أصبنا من لذاته قلنا له إذ تولى : ليته خلداً^(١) !
ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالي بالقام في المجلس ، فيع فرسه وسلاحه
وأثاثه ، وأقسم عنها بين غُرَمائه . فضل ذلك ، وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقية
حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذمَّ عبد وهبائه ، وهو في حبسه ، زاد ضمه
شرّاً ، فكان يقول للناس - إذا سألوه عن حبسه ماسئبه - رجل أدبه أميره ليغوم
من أودّه ، أو يكفّ من غرّه ، وهذا لتمرّى خير من جرّ الأمير ذبه على
مُداهنة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رَق له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى
البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينقل في بُدنها هارباً ، ومهجو زليلاً
وولده ، وأشماره فيهم ترد البصرة وتنتشر ونبلمهم ، ثم تعدى ذلك إلى أبي سفيان
فقدفه وسبّ ولده .

ولما تخادى في ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وانداً على
مماوية ، فكتب إليه يبيض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١)ذكروا أن الأراكة وبرداً حينما دخلا منزل المراسن قال له يرد - وكان داعية لوريا :
أندرى ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريت هذه الجارية . فقال : لا والله ما اشتريت إلا الماروقمار
والنضيصة أبداً ما جيتنا فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وبلك ! قال : نحن ليزيد بن مفرغ ،
والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره : أفزاه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان وأخوه
أمير المراءين وعنه الخليفة في أن استيئناه ، وشككك عندك ولد اجتنى وابست هذه الجارية ، وهي
تبه التي يزوجني ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهلها مما أدخلته على نفسك !
فقال : فاشهد أنك وإليها له ؟ فإن شئت أن تعضيا إليه فمضيا وإن شئت أن تكونا عندي فخللا !
قال : فكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في المجلس بما فعله ، فكتب إليه يشكر
فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يخرج الله عنه .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ،
فأبى عليه أن يقتله وقال : أذبه ولا تبليخ به القتل .

ثم جمل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فلذا شاع خبره انتقل حتى لفظته
الشام ؛ فأبى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له
الأحنف : إني لا أجبر على ابن ممية^(١) ، إنما يجير الرجل على عشيرته ، فلما على
سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأبى عمر بن عبيد الله
فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى للنضر العبدى فأجاره ، وكان عبيد الله
ابن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاعتز بذلك ، وأدرك بموضه
منه ، وطلبه عبيد الله قتيل له : قد أجاره للنضر .

فبعث عبيد الله إلى للنضر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا
دار للنضر وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر للنضر إلا بابن مفرغ قد أقبح على رأسه .
فقام إلى عبيد الله فكلّمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفي جوارى
فأبى قد أجزته .

قال عبيد الله : يا منفر ، ليمدح أباك وليمدحك ، ولقد هاني وهما أبي
ثم يجيره على ! والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرها له . فنضب للنضر ،
فقال له عبيد الله : لعلك تدل بكر يملك عندي ، إن شئت والله لأبيها
بتطبيق البتة^(٢) .

فخرج للنضر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ ، وقال له : بشما

(١) ابن ممية : زياد . (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأنمله البتة . لكل أمر لاراجة فيه .

صحبته به عباداً ! قال : بئسما صحبتي به عباد ! اخترته على سعيد بن عثمان ،
وأفقت على صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه ، ثم علمني بكل قبيح ،
وتناولني بكل مكروه ، من حبس وغرم ووشتم وضرب ، فكنت كمن شام برقا
خلباً في سحاب جهام ، فأراق ماءه طمأ فيه فلت عطشاً ، وما هربت من أخيك
إلا لما خفت أن يجرى في ما يتقدم عليه ، وقد مرت الآن في يدك ، فشاأتك
فاصنع بي ما أحببت .

فأخذ عبيد الله في تذيبه ، وأمر أن يطاق به ، بحالة سينة ، وقرن بهيمة
وخزيرة ، والصبيان حوله يصيحون به ويلحون عليه ، ثم رد إلى السجن ، وسقى
فيه من ألوان العذاب والنكال . قال يذكر ما فعل به وإمال قريش إياه :

دَارَ سَلَى بَاتَلْتُ ذِي الْأَطْلَالِ كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ !
أَيْنَ مَقَى السَّلَامِ مِنْ بَدَنَائِي فَارْجِعْ لِي تَحَقِّقْ وَسْوَائِي !
أَيْنَ مَقَى تَجَانُّبِي وَجِيَادِي وَغَزَالِي ، سَقَى الْإِلَهَ غَزَالِي !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي وَمَطْلَا سَوَّرْتُهَا لِأَرْيَحَالِي !
هَدَمَ الدَّهْرُ مَرَشَتَا قُدَائِي فَبَلَيْنَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ بِأَلِ
إِذْ دُعَانَا زَوَالُهُ فَاجْتَبَانَا كُلُّ دُنْيَا وَفَعْمُ زَوَالِ
أَمْ قَضِيئًا حَاجَاتِنَا إِلَى الْوَرَى تِ - مَصِيرُ الْوَلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصُومِي لِرُبَّنَا وَزَكَاتِي وَصِلَاتِي أَدْعُو بِهَا وَابْتِهَالِي
مَا أَتَيْتُ النَّدَاءَ أَمْرًا دَرِيئًا وَلَدَى اللَّهِ كَلْبُ الْأَعْمَالِ
أُثْبِتُ الْمَالِكَ لِلرَّهْبِ بِالْقَدَّةِ لِي بَلَفَتِ النِّكَالُ كُلَّ النِّكَالِ
فَاخْتَصَّ نَارًا تَحْذِفُ الْوُجُوهَ وَيَوْمًا يَحْذِفُ النَّاسَ بِالْأَدْوَامِ النِّتَالِ

فقد صدّيت في التماس وأدرَكَ
وكرت السنّ الصعيحة موقُ لا تُدلي فتنكراً إذ لآلي
وقرّنتهم مع الخنازير هراً ومخفى معلولة وشمال
وأطلم مع القوية: سيجناً فكهم الجبن؟ أو متى إرسالي !
ينسلُ الله ما صنعت ، وقولي راسخ منك في النظام البوالي
لوقبت الفداء أو رمت مالى قلت : خذه ، فداء نفسى مالى
لو ينهى من معشر كعب إلهه رُسا ذمّ نصرته واحتياي
كم بكاني من صاحب وخيل حافظ النبر حامد الاتصال ا



ليت أنى كنتُ الحليف لقمم وجفام أو طي الأجيال
بدلاً من عصاة من قريش أسلوى لخصم عند الفضل
غَدَلُونِي وم فاك دعوى ليس حامى الذمار بالعدل
لا تدعنى ، فذاك أهلى ومالى إنَّ حبلىك من ميتين الحال
حسرتا إذ أطلت أسر غوانى وعصيت النصيح ، صلّ ضلّالى ا
ولكن مبيد الله أرسله إلى أخيه عبّاد بيجستان ، فكلمت الجانية فيه
بالشام معاوية؛ فأرسل رسولاً إلى عبّاد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحبل من
عنده ، وقال في طريقه :

عَدَسٌ مَا لَبَّادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ بِحُوتٍ ، وَهَذَا تَحْمِيلُ طَلِيقٍ^(١)
 لِمَسْرَى لَقَدْ نَجَّاهُكَ مِنْ هَوَاةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نَسِيَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ النَّمِيمِ حَقِيقٌ
 فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مَعْلُوبَةٍ بِكِيٍّ وَقَالَ : رَكِبَ مَعِيَ مَا لَمْ يَرْكَبْ مَعِيَ مُسْلِمٌ ، عَلَى غَيْرِ
 حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ أَقَالَ أَوْلَسْتَ التَّنَاقُلَ :
 أَلَا أَبْلُغُ مَعْلُوبَةَ بَنِي حَرْبٍ
 أَظْمَ قَتْلُ :
 فَاشْهَدُ
 فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ هَوَتْ بِهَا زِيَادَا ! اذْهَبْ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ جُرْمِكَ ، أَمَا لَوْ إِيَّانَا
 تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ عَمَّا كَانَ شَيْءٌ ؛ انْطَلِقْ ، وَفِي أَرْضِ شَتَّى فَانْزِلْ . فَتَزِلْ لِلْوَصْلِ .

(١) عَسَى : اسم زَجَرِ الْبَقَالِ .

٨٣ - عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب *

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله^(١) بن الزبير قتل مصعب^(٢) أخيه أضرب عن ذكره أجمعاً حتى تحدثت به إمامه مكة في الطرق ، ثم صعد المنبر ، جلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظرت إليه والكأبة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقاً ، قلت لآخر إلى جنبي : ما له لا يتكلم ؟ أتراه يهاب للنطق ! فوالله إنه لخطيب ، فأتراه يهاب ! قال : أراه يذكر قتل مصعب سيد العرب ، وهو يقطع نذكره غير ملوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يُمرُّ من يشاء ويذل من يشاء ؛ ألا إنه لم يذل - والله - من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ولم يمز من كان الباطل معه ، وإن كان في العدة والمدد والكثرة » .

ثم قال : « إنه قد أتانا خبر من العراق ، بلغه الصدر والشقاق ، فسادنا وسرنا ؛ أتانا أن مصعباً قُتل - رحمة الله عليه ومفرته ! فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفرات الحمم لعة يحدها حميمه عند اللصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذوال الرأي والدين إلى جميل الصبر ، وأما الذي سرنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتلته شهادة له ، وأنه

* الأناشي : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير نهراتين فسار إليه عبد الملك بن مروان بجيش ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقب مصعب فقتله ، وقتل مصعب ، ودخل عبد الملك الكوفة ، وبيع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لساخيرة إن شاء الله تعالى .

إنَّ أهلَ العراق أسلموه وباعوه بأقلِّ من ، لقد قُتِلَ أبوه وعنه وأخوه وكانوا
خيارَ الصالحين ؛ إنا والله مانعوتُ حَضُّ أنوفنا ؛ مانعوتُ إلا قتلا ، قَمَعًا^(١) بالرماح ،
وتحتَ ظلالِ السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ؛ والله ما قُتِلَ منهم رجلٌ في
جاهلية ولا إسلام قط ؛ وإِنما الدنيا طارية من السَّيِّك القَهَّار ، الذي لا ينزل سلطانه ،
ولا يبید ملكه ، فإن قبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأثير البَطر ، وإن تُذبر
عنى لا أبكى بكاءً للهِتَر^(٢) . ثم نزل !

(١) قَمَع : قَتَلَ مَكَانَهُ . (٢) اللِّهَر : الذي قد عطفه من الكبر أو الرشد أو الملون .

٨٤ — عمر بن أبي ربيعة وجمل *

اجتمع عمرُ بن أبي ربيعة ، وجمل^(١) بن عبد الله المذري ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

قَدْ فَرِحَ الْوَاهِشُونَ أَنْ صَرَمْتُ^(٢) حَبْلِي بُيُوتُهُ أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُحْلِ
يَقُولُونَ : مَهْلًا لِجَمِيلٍ ، وَإِنِّي لَا أَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُيُوتَةٍ مِنْ مَهْلٍ
خَلِيلِي فِيمَا هُنَا مِنْ رَأْيَتِنَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي !
أَيْتَ مَعَ الْهَلَائِكِ^(٣) ضَيْقًا لِأَهْلِيهَا وَأَهْلِي قَرِيبَ مُوسِمُونَ ذُووُ فَضْلِي
أَفْنَى أَيْتَاهَا الْقَلْبُ الْقُجُوجُ مِنَ الْجَهْلِ وَدَعَّ عَنْكَ^(٤) جُحْلًا^(٥) ، لَا سَبِيلَ إِلَى جُحْلٍ
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَا بِهَا^(٦) لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ قَالَ لِسِرٍّ : يَا أَبَا الطَّعْطَابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ
شَيْئًا ؟ قَالَ : نَم ، قَالَ : فَأَنْشُدْنِيهِ ، فَأَنْشُدُهُ :

جَرَى نَصْحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا قَرِيبِي يَوْمَ الْجِصَابِ^(٧) إِلَى قَتْلِي
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الْقَتْلَى بِهَا كَيْتَلِ الذِّئْبِ فِي حَذْوِكَ النَّمْلِ بِالْمَلِ
فَلَنْ لَهَا : هَذَا عِشَاءٌ وَأَهْلُنَا قَرِيبٌ أَلَّا تَسْأَلِي مَرْكَبَ الْبَنْزَلِ !
فَقَالَ : فَمَا شِئْتُنَّ ؟ فَلَنْ لَهَا : أَنْزِلِي فَلَا أَرْضُ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ

* الألفاظ : ١ - ١١٥ (طبعة دار الكتب) ، زهر الآداب : ٧ - ٢٤٠

(١) جد جميل بن مسهر مثالي النزل البدوي الشيف ، نفا في البادية ، وأحببته عنه بئنة وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا وقد لقي في سبيل جبه الفتى والذهب ، مات سنة ٢٨ هـ .
(٢) صرمت حبل : قطعت الصلة بـ . (٣) الهلاك : الصالحين يتأبون الناس إجتاه معروفهم .
(٤) دَعَّ : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بئنة . (٥) جُحْلًا : طلى إليها .
(٦) طَلَا : المحبب كالمحبب : موضع رمى الجمار .

نُجُومٍ دَوَارِيٍّ تَكْتَفِفْنَ صُورَةَ من البدر، وافت غير هُوجٍ^(١) ولا عُجَلٍ
فَلَسْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةَ أَنْ يَرَى سَدُوٌّ مَقَابِي أَوْ يَرَى كَانِشَعَ فِطْلٍ
قَالَتْ - وَأَرَخْتُ جَانِبَ السَّيْرِ : إِنَّمَا مَيَّ - فَكَلِمَ غَيْرِ ذِي رَقَبَةٍ - أَهْمَلِي
قُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرَقَّبٍ وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ بِعَمَلِهِ مِثْلِي
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا وَهْنٌ طَلِيْبَاتٍ بِحَاجَةِ ذِي الشُّكْلِ^(٢)
عَرَفْنُ الَّذِي تَهْوَى قَتْلُنِ انْذَى لَنَا نَفُتْ سَاعَةً فِي بَرْدٍ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ
قَالَتْ : فَلَا تَلْبِغْنِ قَلْبِي : تَحَدَّثِي أَتَيْنَاكَ ، وَانْسَبْنِ انْسِيَابَ مِمَّا الرَّمَلِ
فَمَنْ وَقَدْ أَهْمَنَ ذَا اللَّبِّ أُنْعَمَا أَتَيْتُ الَّذِي يَأْتِينِ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجَلٍ
قَالَ جَمِيلٌ : هِيَاتِ يَا أَيُّهَا الْغُلَطَّابُ ! لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَحِيحًا إِلَّا بَالِي^(٣)،
وَاللَّهِ مَا يَخَاطَبُ النِّسَاءَ بِمَخَاطَبِكَ أَحَدٌ ، وَقَامَ مَشْمُورًا .

(١) هُوجٌ : جمع هُوجَاءٍ وهي النجيلة في السير كان بها هُوجًا وحقاً . (٢) الشُّكْلُ : دل المرأة
وغزلها . (٣) أي لا أقول مثل هذا أبداً ، وهي كلمة تحصل للتأييد .

٨٥ - لشعر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة بالقلب *

ذُكِرَ شعرُ الحارث^(١) بن خالد وشعرُ عمر بن^(٢) أبي ربيعة عند أبي عتيق في مجلس رجلٍ من ولد خالد بن الصامس بن هشام ، قال : صاحبنا - يعني الحارث ابن خالد - أشعرهما .

قال له ابن أبي عتيق : بَمَقْصَ قولك لابن أخى ! لشعر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة^(٣) في القلب ، وعلوقٌ بالنفس ، ودركٌ للحاجة ليست لشعر الحارث ، وما عَمِيَ الله عز وجل بشعر أكثر مما عَمِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة ، فغذ عنى ما أصف لك : أشعر قريش من دقِّ ممناه ، ولطف مدخله ، وسهل تخرجه ، ومثن حشوه ، وتعلقت حواشيه ، وأثارت معانيه ، وأعرب عن حاجته !

قال للفصل للحارث : أليس صاحبنا الذى يقول :

إني وما تحروا غداةً ميقى	عند الجار يسئودها النمل ^(٤)
لو بذلت أهلك ماسكنها	سُقلاً ، وأصبح سُفْهاً يملؤ
فيكاد يعرفها الخبير بها	فيردّه الإقواء والنمل ^(٥)
لعرفت مفاهاً بما احتملت	مضى الضلوع لأهلها قبل

* الأغانى : ١ - ١٠٨ (طبعة دار الكتب) ، الأملى : ٢ - ١٧

(١) انظر ص ١٥٣

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي ، اخص شعره بوصف النساء ، وعد أنب الشعراء وأوصفهم لربيت الجبال ، وكان يقيم بكة ويترى الصباغ ، وله في ذلك أخبار كثيرة تولى سنة ٨٩٣ .
(٣) النوَطة : التعلق - (٤) يسئودها : يتقلها ، والنمل : الحبيب - (٥) أثرت النار : أضررت وخلت من أهلها ، والنمل : الحبيب .

قال له ابنُ أبي عتيق : يا ابنَ أخي ؛ استقرْ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،
ولا تشاهدِ الحافظَ بمثلِ هذا ؛ أما تَنْظُرُ الحارثُ عليها حينَ قلبَ ربما ، فجعلَ عاليه
سافلَه ، ما بقيَ إلَّا أنْ يسألَ اللهَ تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل^(١) ؛ ابنُ أبي
رييمة كانَ أحسنَ صُحبةً للرَّبيعِ من صاحبك ، وأجملَ مخاطبةٍ حيثَ يقولُ :

سأثلا الرَّبيعَ بالهَيْلِ^(٢) وفُؤولَا هجعتَ شوقًا لِي النَّدَاءُ طويلا
أينَ حَيٌّ حُلُوكَ إِذْ أَنتَ مَحْضُو ف بهم آهْلُ أهلكَ جيلا !
قال : سارُوا فامنعُوا واستقلُوا^(٣) وبرغني لو استطعتُ سيلا
سَمُونَا وما سَمْنًا مَقَامًا وأحبُّوا دَمَامَةً وسَمُولَا
فانصرفَ الرَّجُلُ خَجَلًا مُذَمِّعًا .

(١) السَّجِيلُ : الطينُ الصَّخِر . (٢) الهَيْلُ : تل أسير . (٣) استقلُوا : واسلوا البعيرَ وجعلوا
في الأرواحِ .

٨٦ — ابن السَّيِّب يَغْضُرُ بِصَاحِبِهِ*

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ ؛ وإِنَّهُ
اعْتَمَدَ عَلَى يَدَيَّ إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ السَّيِّبِ^(١) فِي عَجَلِهِ ، فَلَمَّعْنَا عَلَيْهِ ، فَرَدُّ سَلَامُنَا
ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ مَنْ أَشْمَرُ ؟ أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَمْنَى عِيدُ اللَّهِ
ابْنَ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ أَوْ عَمْرٍو ابْنَ أَبِي رَيْمَةَ - قَالَ نَوْفَلُ : حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا ؟ قَالَ :
حِينَ يَقُولُ صَاحِبُنَا :

خَلِيلِيْ مَا لَالٌ لِلْعَلَى^(٢) كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ^(٣) .
وَقَدْ أَبَدَتْ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَاصْتَحَى بَهْنً فَمَا يَأْلُو عَجُولُ مَقْلَصٍ^(٤) .
وَقَدْ قُطِلَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَقْنَسْنَا مِمَّا تَكَلَّفَ شَخْصُ
يَزْدَنْ بِنَا قُرْبًا فَيَزْدَادُ شَوْقَنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ ، وَالْبَدْدُ يَنْقُصُ
وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتُ ! قَالَ لَهُ نَوْفَلُ : صَاحِبُكُمْ أَشْمَرُ بِالْقَوْلِ فِي النَّزْلِ -
أَمَعَ اللَّهُ بِكَ - وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَاقِينَ شَعْرًا .

قال : صدقت ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَمَلَ سَعِيدٌ بِسْتَنْفَرِ اللَّهِ
وَيَعْتَدُ بِيَدِهِ ، وَيُعَلِّدُهُ بِالْخُسِّ كُلِّهَا ، حَتَّى وَفَى مَائَتَهُ .

* الأَثَرُ : ٥ - ٩٢ (طبعة دار الكتب) .

(١) كان سعيد بن السَّيِّبِ تلميذًا من المُعَرِّضِ الْأَوَّلِ ، جمع بين الحديث والفقه وانزعم والورع
والعبادة ، وله في كل ذلك أخبار مأثورة ، توفي سنة ١٠١ هـ . (٢) العَلَى : جمع عطية : ما يركب .

(٣) تَنْكُصُ : ترجع وتزول وتجهج - (٤) مَقْلَصٌ : مشعر جاد في السير .

قال الراوى : فلما طارَ قُناه قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر ، ولكنى أحسبه للفخر بصلابه !

٨٧ — أُمّى همدان يهجو ويمدح*

كان أُمّى^(١) همدانَ شاعرَ أهل اليمن بالكوفة ودارسهم ، وكان مع خالد ابن عتاب بن وراق، الرابحى بالرّى ، فلما قدم خلافاً من مَنزاه خرج جواربه يتلقّيه ، وفيهِنَّ أُمٌّ ولدته كانت رفيعة القدر عنده ؛ فجعل الناس يمرّون عليها إلى أن جازَ بها الأُمّى ، وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من الشمس ، فقالت أم ولد خالد لجواربها : إن امرأتَ خالد لتفأخرنى بأبيها وعمّها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ للرّميش^(٢) !

وسمى الأُمّى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعض الناس : هذه جارية خالد ، فضحك وقال لها : إليك عني بالكُناه^(٣) ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدْرِيكَ ما فرسٌ جرورٌ^(٤) وما يُدْرِيكَ ما حنّ السلاح !
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ عدّاه الدهرُ عن سنّ الرّاح^(٥)
فأقسم لو ركبته الورْدُ^(٦) يوماً وليلته إلى وَضَحِ الصّباح

* الأُغانى : ٦ - ٥٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبادته ، ويكنى أبا الصّبح ، شاعر فصيح كقول من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد اتّقياء القراء ، ثم ترك ذلك وظل الشعر ، وتلقه المجاج صبراً حين خروجه عليه مع ابن الأعمش سنة ٨٣ هـ . (٢) تريد الأُمّى . (٣) لكناه : لثيبة .. (٤) فرس جرور : لا يتقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٥) الرّاح : الاختيال والنجدة . (٦) الورْد من الخيل : ما بين الكعبتين والأخفر .

إذن نظرت
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأذى ، وقالت : والله
ما تسكروم ، ولقد اجترى عليك ! فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعت إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أسأت سمعا ! إنما قلت :

مرتُ بنسبوةٍ مُتَعَطِّراتٍ كَمَوْنِ الصَّبْحِ أَوْ بَيْضِ الْأَدْحَى ^(١)
عَلَى شُقْرِ الْبَغَالِ فَصِدَنَ قَلْبِي بِحَسَنِ الدَّلِّ وَالْجِدْقِ لِلَّلَّاحِ
قُلْتُ : مَنْ الظَّيَاهُ ؟ قُلْنَ : سِرْبٌ بَدَأَ لَكَ مِنْ ظِلِّائِ بْنِ رِيحٍ
قَالَتْ : لا ، والله ، وما هكذا . قال . . . وأعدت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت منى لومبها لك ، ولكى أفتدى
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمت عليك يا أبا المصباح ألا تنيد في
هذا المعنى شيئا بعد ما قرط منك .

(١) الأدحى : جمع أدمية ، وهي مبيضة التمام في قرطيل .

٨٨ — أشجع الناس شعراً*

سأل يوماً عبدُ اللهِ^(١) بن مروان : مَنْ أشجعُ الناسِ شعراً ؟ قيل : عمرو بن معد يكرب . قال : كيف وهو الذي يقول :

فَاجَأَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ^(٢)

قالوا : فعمرو بن الإطنابة . قال : كيف وهو الذي يقول :

وَقَوْلِي كُلَّاءَ جَنَّتْ وَجَلَّتْ مَكَانَكَ مُحَمَّدِي أَوْ نَسْرِي^(٣)

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف وهو الذي يقول :

أَقُولُ لِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمَثَلِهَا : أَقُلِّي مِرَاحًا إِنِّي غَيْرُ مَدِيرٍ

قالوا : فبن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قل : أربعة : عباس بن مرداس

الطَّيِّبِ ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعسكرة بن شداد العبسي ، ورجل من بني مزينة .

أما عباس فلقوله :

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَفْهِيَ كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا

* بحج الأشال : ٢ - ٢٢

(١) كان عبد الله بن مروان ليلاً غافلاً جباراً ، قوى الميعة ، شديد السياسة ، حسن التدبير ، تولى الخلافة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً وكافح حتى استقرت له الأمور ، ومات سنة ٨٦ . (٢) جاشت النفس ؛ اضطربت من الفزع ، وأصل جاشت : غشت وغطت . (٣) جحيات : ارتفعت من حزن أو فزع .

(١٥ - قصص العرب - ٢)

وأما قيس بن الخطيم فقلوله :

وإني لدى الحرب التوأمين موكل جديم غسر لا أريد بقاءها

وأما عنزة بن شداد فقلوله :

إذ تتقون بني الأسيئة لم أخم^(١) عنها ولكن قد ضايق مقدمي^(٢)

وأما للزنى فقلوله :

دعوتُ بني شعافة فاستجابوا قلت : ردوا قد طلب الورود

(١) أخم : أجب . (٢) ضايق مقدمي : ضايق للوضع الذي هو قدامي من أن يدنو منه أحد .

٨٩ - الجعاج على قبر ابنه*

لما ملك أبان بن الجعاج ، وأمه أم أبان بنت النعمان بن لبيد ، ودفنه الجعاج^(١)
قام على قبره ؛ فتمنّى بقول زياد الأنجم :

الآن لما كُنْتَ أَكَلْ مَنْ مَتَى وافترّ ثابك من شَبَاةِ الْقَارِحِ
وتكاملتْ فيك للرودة كُلُّهَا وأعنتْ ذكّ بالفعالِ الصالحِ !

فلما انصرف إلى منزله قال : أريدوا خلف ثابت بن قيس الأنصاري ؛ فأتاه
قال : أنشدني مرثيتك في ابنك الحسن ، فأنشده :

قد أكَذَّبَ اللهَ من نَمَى حَنَّا ليس لكذِبِ موتهِ يَمْنُ
أَجُولُ في الدارِ لا أراك وفي الدارِ أَنَسَ جِوَارِمُ غَيْنِ^(٢)
بدلتهم منك ليت أَنهم أضحووا ويقي وبينهم عَدَنُ !

فقال له الجعاج : ارثِ ابني أبان . فقال له : لا أجذب به ما كنت أجذب بمن .
قال : وما كنت تجده ؟ قال : ما رأيته قط فسيبت من رؤيته ، ولا غاب عني قط
إلا اشتقت إليه .

فكان الجعاج : كذلك كنت أجذب أبان !

* ذيل الأمل : ٧

(١) انظر صفحة ٢٧ . (٢) ضف

٩٠ — إن صدقناك أغضبناك*

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق وسَمَّ منهمهم ، وسَخَطَ طريقهم ؛
قال له جامع الحارثي - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لينا : أما لإنهم لو أجسوك
لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك^(١) تسبك ، ولا ليلك ، ولا لذاتِ نفسك ،
ولكنهم شقوا أفعالك ؛ فدع ما يُبْغِضُكَ عنك إلى ما يُدْنِيهِمْ مِنْكَ ، واتمس
المافية بمنْ دونك تُعْطِيهِمْ فوقك ، وليكن إيقاعُك ببدو عيذك ، ووعيدُك^(٢)
ببدو عيذك .

قال له الحجاج : والله ما أرى أن أردَ بى الحكيمَ إلى طاعتي إلا بالسيف !
قال جامع : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيلار !
قال الحجاج : الخيلار يومئذُ هُـ ! قال جامع : أجل ، ولكن لا تدرى لمن
يُجْلِه الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه^(٣) ، إنك من محارب !

قال جامع :

والحربُ مُتَمِّينَا وكان محارباً إذا ما القنا أمسى من العطنِ أحمرَا
قال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخْلَعَ لسانك ، وأضربَ به وجهك .

* زمر الآداب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، القدر الفريد : ٢ - ١٥١ ، عيون
الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شئتوك : أبتضوك . (٢) الوعيد في الضرر ، والوعيد في الخير . (٣) يهناه : يهزلن .

قال جامع : إن صدقناك أغضبتك ، وإن كذبتناك أغضبتنا الله ، وغضبُ
الأمير أهونُ علينا من غضب الله.

قال الحاجب : أجل ! وسكن واشتغل ببعض الأمر ، فخرج جامع ، وانسل
من صفوف الناس .

٩١ - الحاجب يخطف *

دخل الحاجب الكوفة ؛ فصد للنبر ، فانكسر تحت قدمه لَوْح ، فلم أنهم
قد طأطأوا له بذلك ، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى ، وقال :

شاهت الوجوه ^(١) ، وثبتت ^(٢) الأيدي ، وبؤس من غضب من الله ! إذا أنكسر
عودُ جذع ضيف تحت قدم أحدٍ شديد ففاهم بالشؤم ! إني على أعداء الله تعالى
لأنكد من الفراب الأثبع ^(٣) ، وأشأم من يوم تحس مستمر ، وإني لأهيب من
لوط وقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ؛ فأى ركن
أشد من الله تعالى !

أو ما علمت ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وُليتُ عليكم أخى
محمد بن يوسف ، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله مُكاداً في أهل المين ؟ فإنه

* للخطوب ٢٣ - ٨٥

(١) شاهت الوجوه: فوجعت . (٢) ثبتت يدها: خسرنا . (٣) الأثبع: الذى يمسود ويبيض.

أمره أن يُخَيِّنَ إِلَى مُخَيِّنِهِمْ، وَيَجَاوِزَ عَنْ سُيُئِهِمْ؛ وَقَدْ أَمَرَتْهُ أَنْ يَسُوءَ إِلَى
مُحْسِنِهِمْ، وَالْأَيُّ جَاوِزَ عَنْ مِثْلِهِمْ .
وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ بِمِثْلِي : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّعَابَةَ ! وَأَنَا مَجْبِلٌ
لَكُمْ الْجَوَابَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ ! أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ
لِي وَلَكُمْ .

٩٢ - جميل أشعر الناس *

حدث أحد الرواة قال :

دخل علينا كثير^(١) يوماً وقد أخذ بطرف رِبْلَتَيْهِ^(٢) ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخبِرْتُكَ أَنَّ نَيْسَاءَ^(٣) نَزَلُ لَيْلٍ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَقْبَى لِلرَّاسِيَةِ
فَهْنِي شَهْوَرُ الصَّيْفِ عَنِ قَدَاغَتِ^(٤) فَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلٍ لِلرَّامِيَةِ !
وخبِرْتُكَ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْنَا ، ثُمَّ يَوَلَّى هُنَا وَيَجْرُهَا وَيَقُولُ : هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ
النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شَفَتْ كَدَرَتِ عَيْشَتِي وَإِنْ شَفَتْ بَدَأَ اللَّهُ أَنْصَتَ بِالْيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدٍّ يَرَى نِفْوَ مَا أُجِيتَ إِلَّا رَقَى لِيَا
ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ : هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ ؛ قُلْنَا : مَنْ نَفَى يَا أَبَا صَخْرَ ؟
قَالَ : وَمَنْ أَعْنَى سِوَى جَمِيلٍ ؟ هُوَ وَاللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ هُنَا .

* الأثافي : ٨ - ١٢٥ (طيبة دار الكتب) .

(١) كثير بن عبد الرحمن : شاعر من أهل الحجاز ، أخباره مع عزة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الرِبْلَة : كل ملاءة غير ذات لثقين ؛ كلها لثج واحد وقطعة واحدة . (٣) نَيْسَاءُ : لبي عنزة .

٩٣ - مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟

قال عبد الله بن مسلم : كتب عبد الله بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مُنَاقَلَةٌ^(١) الإخوان الأحاديث ، وقيل لك عامر الشعبي^(٢) ، فابست به إلى يحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعمي وجهزه ، وبث به إليه ، وأطراه في كتابه .
فخرج الشعمي ، حتى إذا كان بباب عبد الله قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حيّك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، ثم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعمي : فدخلت فإذا عبد الله جالس على كرسي ، وبين يديه رجل أبيض الرأس والخصية على كرسي ، فلبثت فرد السلام ، ثم أومأ إليّ ، فعدت عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم على ما بيني وبين عبد الله ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟ فسحب عبد الله من عجاجتي قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل ! قلت : يا أخطل ، أشعر منك الذي يقول^(٣) :

● أمالي المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزائن الأدب : ٢ - ١١٨ (للطبعة الثانية) ، الأفاقي : ٩ : ١٦٢ (طبعة الساسي) .

(١) المناقلة في اللغوي : أن تحده ويحدتك . (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفي اللقب ، هاشمي جليل القدر والفر العلم ، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة . توفي سنة ١٠٣ هـ .

(٣) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى الصبيان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبي صحر (مهذب الأفاقي : ٢ - ٢٣٠) .

هنا غلامٌ حسنٌ وجهه مقبلُ الخيرِ سريعُ النّامِ
للعارثِ الأكبرِ والحارثِ الأمّ نيرِ والأعرجِ خيرُ الأنامِ
ثم لمندٍ ولمندٍ ، قدّ يتّبعُ في الرّوضاتِ ماله النّامِ
خسةُ آباءٍ ثمّ ما ثمّ ثمّ خيرٌ من يشربُ صوبَ اللّامِ
قال عبد اللّك : ردّدها حلّى ، فردّدها حتى حفظها ؛ قال الأخطلُ : من
هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هذا الشّميّ ، قال : صدق والله ، النّابغة أشعرُ مني !
قال الشّميّ : ثم أقبل حلّى عبد اللّك قال : كيف أنت يا شميّ ؟ قلت : بخير -
قال : لا زلتَ به - ثم ذهبتُ لأصنعَ معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

قال : مه ! فإننا لا نحتاج إلى هذا اللّطافِ ، ولا تراء منا في قولٍ ولا فعلٍ حتى
تُفارقنا ، ثم أقبل حلّى قال : ما تقول في النّابغة ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، قد فضّله
عمرُ بن الخطّاب في غير موطنٍ على جميع الشّراء ، وذلك أنّه خرّج يوماً بياه وقد
خطّافان ، قال : يا مشرّ عطفان ، أي شرائكم الذي يقول :

حَلَفْتُ لَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وليس قرأ الله للمرء مذهبُ
ألم ترّ أن الله أعطاك سورةً ترى كلّ ملكٍ يحذونها يتذبذبُ
كانك شمسٌ وللوك كواكبُ إذ خاطلتُ لم يبدُ منهن كوكبُ
لئن كنت قد بلغتُ عن خيانة لم يملك الواسي أغشُ وأكذبُ
ولست بمستحقٍّ أن لا تله على شمتٍ أي الرجال للذهب !

قالوا : النّابغة ؛ قال : فأيتكم الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرُكِي وَإِنْ خَلْتَ أَنْ لِلنَّاسِ عَنْكَ وَاسِعٌ
خَطَاطِيفٌ^(١) حُجْرٌ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِيهِ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
قَالُوا: النَّابِئَةُ: قَالَ: أَيُّكُمْ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَى أَيْنَ تُحَرِّقُ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وَرَاحِلَتِي وَقَدْ هَدَيْتِ الْمَيُومَنَ
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا نِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَطْلُنُ فِي الظُّنُونِ
فَأَتَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَعْنَهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قَالُوا: النَّابِئَةُ: قَالَ: هَذَا أَشْمَرُ شِمَارَتِكُمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى الْأَخْضَلِ
قَالَ: أَتَحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاسٌ^(٢) بِشِعْرِكَ شِعْرَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ؟ أَوْ تَحِبُّ أَنْ تَقْلَهُ؟
قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ آيَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا؛ كَانَ وَاللَّهِ
مُتَنَدِّفٌ^(٣) الْقَنَاعَ، قَلِيلُ السَّامِعِ، قَصِيرُ الْقِرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ؟ فَأَنْشَدَهُ:

إِنَّا عَمِيرُكَ ظَلَمْنَا إِيَّهَا الظَّلْلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَأَّتْ^(٤) بِكَ الطُّوَلُ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَلَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
وَالْمَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَرَّ بِهِ عَيْنٌ، وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَقْضَلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى؛ وَلَأَمَّ الْخَطِيئُ الْهَبْلُ
قَدْ يَدْرِكُ لِلنَّاسِ بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ التَّسْتَمِيلِ الزَّلْزَلُ

قَالَ النَّمْبِيُّ: قَالَتْ: قَدْ قَالَ الْقَطَامِيُّ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا، قَالَ: وَمَا قَالَ؟

قَالَ: قَالَتْ:

طَرَقْتُ جَنْوَبَ رَحَالَتَانِ مَطْرُقٍ مَا كُنْتُ أَحَبُّهُ قَرِيبَ لَلْعَمِقِ

(١) الخطاف: حديدية حذاء تعلق بها البكرة، والمخيط: الامواج.

(٢) القياس: للابادة والساوغة. (٣) أغدق قناعه: أرسله على وجهه. (٤) يقال: طألت

طوله أي عمقه.

حتى أتيت على آخرها ، قال عبد الملك : نكلتِ الطامى أمه ! هذا والله
الشمر ، ثم قال : يا شمعى ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : انكسار .
قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : فتوتها :

وقالته والنمش قد فاتَ خطوها لتدركه : ياليف قصى على صغرا !
ألا نكلت أم الدين غدوا به إلى القبر ، ما ذا يحملون إلى القبر !
قال عبد الملك : أشعر والله منها لى الأختية حيث هو :

مهمته الكشح والسر بال منخريق عنه القميص ليسير الأيل محقر
لا يأمن الناس من ماءه ومصبحة فى كل حى ، وإن يزوه ينظر
ثم قال : يا شمعى ، لعله شق عليك مسمته ! قلت : إى والله يا أمير المؤمنين
أشد للشقة ، إى قد حدثتك فلم أذك إلا آيات النابتة فى الفلام .

ثم قال عبد الملك : يا شمعى ، إنما أعلناك هذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق
يصلولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدوة ، فلن يلبونا على
العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بلم أهل العراق . ثم ردّد على آيات لى حتى
حفظتها ، وأذن لى فانصرفت ، فكنت أوّل داخل وآخر خارج .

٩٤ — الشعبي عند عبد الملك بن مروان*

قال الشعبي : دخلت على عبد الملك بن مروان في عِلَّتِهِ التي مات فيها ، قلت :
كيف بمهلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : يا شعبي ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قيس^(١) :
كأني وقد جاوزتُ سِمينَ حِجَّةٍ خلعتُ بها عني عِنان^(٢) بلامي
رمتني بناتُ الحرمن حيثُ لأرى فكيف بمن يُرمي وليس يرَام !
فدأني أُرَمي بنبلِ رمتيها ولكني أُرَمي بنسبِ سِهام
وأملكني تأميلُ يومٍ وليس لي وتأميلُ عامٍ بمدِ ذلك وعام
على الراحين تارة وعلى العسا أتوه ثلاثا بدمعن قيلي
قلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ

سبعين حجة :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حجة خلعتُ بها عن منكبِي رِدَائِيَا
فما بلغ سِهاماً وسبعين سنة قال :
بانتَ تَشَكُّي إلى النفسِ مُجْهِشَةً وقد حملتك سِهاماً بد سبعيناً
فإن تَزَادِي ثلاثاً تَبْلُغِي أملاً وفي الثلاثِ وفاة للثمانين
فما بلغ مائة سنة قال :

* الأغانى : ١٦ - ١٥٩ (طبعة الساسي) ، مذهب الأغانى : ٢ - ٦٢

(١) هو عمرو بن قيس : حاصر لجليل مقدم : أظن في الحيرة مدة ، وخرج مع امرئ القيس في
توجهه إلى قيسر ، فات في الطريق . (٢) عنان الجلام : السير الذي يمشى به . (٣) الجش
والإجاش أن يفرح الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

وقد ستمتُ من الحياة وطولها وسؤالِ هذا انخلق كيف لبيد !
فما بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائي إن تراخت حَيَّتِي لزوم العما تُعَقِّ عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خَلَتْ أدبَ كَأَيِّ كَلِمَاتٍ رَاكِع
فما بلغ الثلاثين ومائة سنة ، وقد حَضَرَتْهُ الوفاة قال :

تمنى ابْنُكَأَيَّ أَبٍ بِمِشْأَيُوهَا وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرَ !
فإن حان يوما أن يموت أبوكا فلا تَحْنِشَا وَجْهَهَا ولا تَحْلَقَا الشَّعْرُ
وقولا : هو للره الذي لا صَدِيقَه أضاع ، ولا حَانَ الخليل ولا غَدَر
إلى الحول ثم اسمُ السَّلامِ عَلَيْكَ ومن يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا قَدْ ائْتَدَرَ^(١)

قال الشعبي : فتبسم عبد لك وقال : لقد قويت من نسي بقولك يا عامر ،
وإني لأجد خفا وما بي من بأس ، وأمر لي بصلّة . وقال لي : اجلس يا شعبي !
لقد نسي ما بينك وبين الليل . فجلست لخدمته حتى أُمِيتُ وخرجت من عنده ،
فأصبحت حتى سمعت الراعية في داره^(٢) .

(١) اعتذر : آني يذخر . (٢) الراعية : الصراخ والصوت .

٩٥ - تلطف عبد الله بن الحجاج*

كان عبد الله بن الحجاج شجاعاً فاتكاً صُلوفاً من صمالك العرب ، وكان مقرباً إلى النعمان ، فكان نعم خرج مع عمرو بن سميد على عبد الملك ابن مروان .

فلما غفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكباً ، واختال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حجرة^(١) . قال له : مالك يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال : لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ قال : كُلْ . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويسجب من فعله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خرواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبد الله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإني مما قيت من الحوادث موجه
منع التراؤفت نحوك هارباً جيش يجره ، ومقنب يلجم^(٢)

قال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ؟ قال عبد الله :

إن البلاد على وحي عريضة وعيرت مذاهبها ، وسد الطلع

قال عبد الملك : ذلك بما كسبت يدك ، وما الله بظلام للعبيد ، قال

عبد الله :

* الألفاظ : ١٢ - ٢٥ (طبعة المسمى) .

(١) حجرة : متفرداً في ناحية : (٢) للاتب : جماعة الخيل تجتمع لفارة ، ويطع : يضيء .

إِنَّ الْقَى يَحْيِيكَ مَنَا بَدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحْيَانِهِ مَتَوَدَّعْ
 آتَى رِضَاكَ وَلَا أَعُودَ لِمَثَلِهَا وَأَطِيعَ أَمْرِكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ
 قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا لَا يَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَدَ لِمَرْفَعَةِ بَيْتِكَ وَبِذَنْبِكَ ، فَلِذَا عَرَفْتَ
 الْحَوْبَةَ ^(١) قَبِلْتَ التَّوْبَةَ ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
 وَقَدْ وَطِئْتُ بَنِي سَمِيدٍ وَطَاءَةً وَابْنَ الزَّيْبِ فَمَرَّشُهُ مَتَضَمُّعُ
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : اللَّهُ الْحَمْدُ وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَازَلْتُ تَعْرِبُ بِمَنْكَبِكُمْ عَنْ مَنْكَبٍ تَمَلُّوْا وَيَسْأَلُ غَيْرَكُمْ مَا يَرْفَعُ
 لَا يَسْتَوِي خَالِي نَجْوَى أَفْلُ وَالتَّعْرِيبُ مَتَبَلِّغٌ إِذَا مَا يَطْلُعُ
 وَصِيَّتْ أُمِيَّةٌ وَاسْطَلِينَ قَوْمَهُمْ وَوُضِعَتْ وَسْطُهُمْ فَنَمَ لِلْوَضْعِ
 يَتَّ أَبُو الْعَاصِي بِنَاءَ رِبْوَةٍ عَلَى الشَّارِفِ عَزَّهُ مَا يُدْفَعُ
 قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : إِنْ تَوَرَّيْتُكَ عَنْ شُكِّكَ لَتَرِيَنِي ، فَأَيُّ الْقِسْمَةِ أَنْتَ !
 وَمَاذَا تَرِيدُ ؟ قَالَ :

حَرَبْتُ ^(٢) أَصْدِيْقِي يَدُ أَرْسَلَهَا وَإِلَيْكَ بَدَ مَعَادَهَا مَا تَرْجِعُ
 وَارَى الَّذِي يَرْجُو تَرَاثَ عَمْدٍ أَفَلَتَ نَجْمَهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْعُكُ
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
 فَارْحَمْ أَصْدِيْقِي الَّذِي كَانَهُمْ حَجَلِي تَدْرِيْجَ بِالشَّرِيَّةِ وَقَعُ ^(٣)
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا أَنْشَهُمُ اللَّهَ ، وَأَجَاعُ أَكْبَادَهُمْ ، وَلَا أَتَقِي وَلِيْدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
 فَلَنْهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

(١) الْحَوْبَةُ : الْإِثْمُ . - (٢) حَرَبَ : حَلَبَ مَالَهُ ، وَأَصْدِيْقِي : تَصْغِيرُ صِيَّةٍ . (٣) الْحَجَلُ :
 حَيَوَانٌ ، وَالشَّرِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِبَنِي جَدٍ .

مال لم عما يُصَنَّ جمعه يوم القليب فخيرَ عنهم أجمع
قال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حله وأفتته في غير حقه ، وأرسلت
به لمشاقة أولياء الله ، وأعددت له مساواة أعدائه ، فزعه منك إذا استظهرت به على
معصية الله . قال عبد الله :

أذنوا لترحمي وتجرّفاً^(١) فأراك تدفني ، فأين المدفون

فقسم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج ؛
وقد وطئت دارك ، وأكلت طعمك ، وأنشدتك ، فإن قتلني بعد ذلك فأنت
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده قال :

ضات ثياب اللّيسين وفضّلهم عني ، فألبسني ثوبك أوّسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءه كان على كتفه ، وقال : البسه لا لبست ! فالتحف به ،
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طعماً في أن يقوم بعض
هؤلاء فيقتلك . فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلد ، وانصرف آمناً ، وأتم حيث
شئت !

— نُصَيْبٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ بْنِ مَرْوَانَ *

قال نُصَيْبٌ ^(١) : قَاتُ الشَّعْرِ وَأَنَا شَابٌّ فَأَجِيبْنِي قَوْلِي ؛ فَبِلَّتْ آتَى مَشِيخَةٍ
 مِنْ بَنِي صَمْرَةَ ، وَمَشِيخَةٌ ^(٢) مِنْ خُرَازْمٍ ، فَأَتَيْدُهُمُ الْقَصِيدَةَ مِنْ شَعْرِي ، أَنْسُبُهَا إِلَى
 بَعْضِ شِعْرَانِهِمُ اللَّاضِينَ فَيَقُولُونَ : أَحْسَنُ وَاللَّهِ ! هَكَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ ! وَهَكَذَا
 يَكُونُ الشَّعْرُ .

فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلِمْتُ أَنِّي مُحِينٌ ؛ فَازْمَعُوا وَأَزْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى
 عَبْدِ الْمَرْزُوقِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ ؛ فَكَلْتُ لِأَخِي أُمَامَةَ - وَكَانَتْ عَاقِلَةً جَلِيلَةً -
 أَيْ أَخِيَّةً ؛ إِنِّي قَدْ قُلْتُ شِعْرًا ، وَأَنَا أُرِيدُ عَبْدِ الْمَرْزُوقَ بْنَ مَرْوَانَ ، وَأَرْجُو أَنْ يُعْتَقِكَ
 اللَّهُ بِهِ وَأَمْلِكَ وَمَنْ كَانَ مَرْفُوعًا ^(٣) مِنْ أَهْلِ قَرَابَتِي .

قُلْتُ : إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ! يَا بِنْتُ أُمٍّ : أَتَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْخُلَطَّاءُ : السَّوَادُ ،
 وَأَنْ تَكُونِ ^(٤) ضَحْكَةً لِلنَّاسِ ! قُلْتُ : فَاسْمَعِي . فَأَنْشَدْتُهَا فَسَمِعَتْ ، فَقَالَتْ :
 يَا ابْنَتِ ! أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ! فِي هَذَا رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فَارْجِعِي عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

فَخَرَجْتُ عَلَى قَدْوَدٍ لِي حَتَّى قَدِمْتُ لِلدِّينَةِ ، فَوَجَدْتُ بِهَا الْفَرَزْدَقَ فِي مَسْجِدِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَارْجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَنْشِدُهُ وَأَسْتَنْشِدُهُ ، وَأَعْرِضْ
 عَلَيَّ شَعْرِي . فَأَنْشَدَنِي ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ! أَمَّا شِعْرُكَ الَّذِي تَطْلُبُ بِهِ لِقَاءَكَ الْفُلَّ :

بِشِعْرِي

* الْأَغَانِي : ١ - ٣٢٥ (طَبِيعَةُ دَارِ الْكِتَابِ) .

(١) هُوَ نُصَيْبُ بْنُ رِيَّاحٍ . كَانَ رَقِيبًا لِبَنِي الْعَرَبِ ، ثُمَّ اشْتَرَاهُ عَبْدُ الْمَرْزُوقِ ، وَكَانَ شَاعِرًا خَلَّاهُ
 مَقْدَمًا فِي النَّسَبِ وَالْمَدْحِ ، وَكَانَ عَنِيضًا كَبِيرَ النَّفْسِ يَحِيدُ مَلَأَهُ لِلْعُرْكِ وَمُرَائِيهِمْ ، تَوَلَّى سَنَةَ ١٠٠ هـ .
 (٢) الْمَشِيخَةُ : الشَّبَابُ . (٣) مَرْفُوعًا : مَرْفُوعًا . (٤) الضَّحْكَةُ يَكُونُ الْمَاءُ : مَنْ
 يَضْحَكُ الْمَاءُ مِنْهُ .

نم . قال : قلت في شيء . إن استطعت أن تكتم هذا على شمس فاضل !
فانقضت^(١) عرفاً !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع
ما قال لي الفرزدق ؛ فأومأ إلىي ؛ فقلت إليه ، فقال : ويحك ! أهدأ شعرك الذي
أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : قد والله أصبت ، ولئن كان هذا الفرزدق
شاعراً لقد حدّثك ، فإننا لنعرف بحاسن الشعر ؛ فامض لوجهك ، ولا يكسر نك .
فسرّني قوله ، وعلت أنه قد صدّقني فيما قال ، فاعترمت على اللقي ، فضيت
قلمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس ، فنحيت
عن مجلس الوجوه ، فكنت وراءهم ، ورأيت رجلاً جاءه بئلة ، حسن الشارة ،
سهل للدخل ، يؤدّن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أمأشي بئلته ،
فلما رأيته قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ! أنا رجل من أهل الحجاز ، شاعر ، وقد
مدحت الأمير ، وخرجت إليه راجياً معروفته ، وقد ازدريت فطردت من الباب ،
ونحيت عن الوجوه . قال : فأندفني . فأنشدته ، فحجبه شعري ، فقال : ويحك !
أهدأ شعرك ؟ فإياك أن تفتحل ! فإن الأمير راوية عالم بالشعر ، وعندة رواة ، فلا
تنقضني ونسك ، قلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! قل أبياتاً
تذكر فيها خوف^(٢) مصر وفضلها على غيرها ، والقي بها غداً .

فندوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سرى المم تشبني إليك طلائعهم
بمصر وبالحوف اعترقني رواثهم

(١) انقضت عرفاً : تدفقت عرفاً . (٢) الحوف : بصر حوفان : الشرق والغرب وما متصلان .

وبات وسادى ساعد قل لحمة
عن العظم حتى كاد تبذوا أشاجع^(١)
قال : وذكرت فيها النيت قلت :
وكم دون ذلك المارض البارقي الذى
تمشى به أفتاء^(٢) بكر ومنهج
فكل سبل من تسلمة طيب
أعسى على برق أريك وميضه
إذا اكشحت عينا محب بضوئه
تجافت به حتى الصباح مضاجعه
قال : أنت والله شاعر ! احضر^(٣) بالباب حتى أذكر^(٤)ك للأمير .

قال : فجلست على الباب ودخل ، فما ظفنت أنه أمكنه أن يذكرنى حتى دعا
بى ، فدخلت على عبد العزيز ، فسكت ، فصمت فى بصره وصوب^(٥) ، ثم قال : أنت
شاعر ، ويطك اقلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدنى ، فأنشدته فأعجبه شعرى .
وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أمين بن خزيمة الأسدى بالباب . قال :
انذن^(٦) له ، فدخل فاطمان ، فقال له الأمير : يا أمين ، كم ترى نحن هذا المبد؟ فنظر إلى
قال : والله لنم الفادى فى أثر الخفاض^(٧) ، هذا أيها الأمير ؟ أرى عنده مائة دينار .
قال : فإن له شعراً وفصاحة ! قال لى أمين : أقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :
قيته ثلاثون ديناراً . قال : يا أمين ، أرفعه وتحاضه أنت ؟ قل : لكونه أحق
أيها الأمير ، ما لهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعر ؟ قال : أنشدته
يانصيب ، فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بسبب ظاهر الكتف . (٢) أفتاء بكر ومنهج :
أخلط الناس . (٣) الدوافع : مسایل اللاء . (٤) الخفاض : الموائل من التوق ، وهو يريد :
لنم هذا المبد يرمى الإبل .

قال له عبد العزيز : كيف نسبح يا أيمن ؟ قال : هو أشعر أهل جيلته . قال :
هو والله أشعر منك . قال : أمتي أيها الأمير ! قال : إني والله منك . قال : والله
أيها الأمير إنك كدلولٌ طريف^(١) . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت
كذلك ما صبرت عليك تنازعي الصحة ، وتواكلي الطعام ، وتسكني على وسائدي
وفروشي ، وبك ما بك ! وكان يا أيمن يياض .

قال : انذن لي أن أخرج إلى بشر بالمرأى^(٢) ، واحملني على البريد . قال :
قد أذنت لك وأمر به فحمل على البريد إلى بشر ، فقال فيه يمدحه ويمرض بأخيه
عبد العزيز :

ركبتُ من اللقَمِ في جُمادى	إلى بشر بن مروان البريدَا
ولو أعطاك بشرُ ألفَ ألفٍ	رأى حقاً عليه أن يزيدَا
أميرَ المؤمنين أقمِ ببشرٍ	عمودَ الحسَنِ إنَّ له حمودَا
ودعْ بشرًا يؤمُّهم ويحدثُ	لأهل الرِّيحِ إسلامًا جديدَا
كانَ النَّجَّاحُ ناجِ بني هِرَقْلٍ	جلودَه لأعظمِ الأيامِ عيْدَا
على ديباجِ خُدَّي وَجْهَ بشرٍ	إذا الألوانُ خالفتِ الخُفودَا ^(٣)

قال : فأعطاه بشر مائة ألف درهم .

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد . (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز
ابن مروان . (٣) في قوله مدحاً يمرض بكلف كان يوجه عبد العزيز بن مروان .

٩٧ — سليمان بن عبد الملك وسميه*

أُقْبِلَ على سليمان^(١) بن عبد الملك فقي من بني عيسى وسيم^(٢) ، فأجبه ،
قال : ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال : ابن من ؟ قال : ابن عبد الملك ! فأعرض
عنه ؛ وجعل يفرض^(٣) لِيَنْ دونه ، فلم التقي أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه .

قال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت أحمك ، ولا شقي اسم يوافق اسمك ،
فأعرض ؛ فلما أنا سيف يديك ، إن ضربت به قطعت ، وإن أمرتني أقطعت ؛
وبهم في كنفاتك أشتد إن أرسلت ، وأغدُّ حيث وجهت .

قال له سليمان وهو يختبره : ما قولك يا فقي لو قتيت عدوا ؟ قال : أقول :
حسب الله ونعم الوكيل أقال سليمان : أكنت مكثفياً بهذا لو قتيت عدوك دون
ضرب شديد ؟

قال الفقي : إنما سألتني يا أمير المؤمنين : ما أنت قاتل ؟ فأخبرته ، ولوسألتني
ما أنت فاعل ؛ لأنبأتك ، إنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى بشقف^(٤) ،
ولطمنت بالرمح حتى يتصفأ

فأجيب به سليمان وألحقه في العطاء بالأشراف ، وتمثل :
إذا ما اتقى الله التقي ثم لم يكن على قومه كغلا قد كسل التقي

* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٧٢

(١) كان سليمان ملكاً غيوراً ، نهياً يجب الطعام ؛ كما كان فصيحاً لئاً ، توفي سنة ٩٩ هـ
(٢) يقال : أفرس له : إذا جمل له فريضة ، والفريضة البير للأخوذ في الزكاة ، ثم ألح فيه حتى
سوى البير فريضة من غير الزكاة . (٣) التصفيف : التصريح .

٩٨ — عقيد الندي *

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنتك مُستَديراً . قال : ومن بك ؟ قال : موسى شهوات^(١) . قال : وماه ؟ قال : سمع^(٢) في ، واستطال في عرضي .

قال : يا غلام ؛ هل بموسى ، فأنتي به ، فأنتي به ، قال : وبك ؛ أسمعته به واستطال في عرضي ؛ قال : ما فعلت يا أمير المؤمنين ، ولكي مدحت ابن عمه فغضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جارية لم يبلغ ثمنها جدي^(٣) ، فأنته وهو صديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فأنت ابن عمه سعيد ابن خالد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا : قال : تمودُ إلى ؛ فتركته ثلاثاً ثم أنته ، فسأل من إذني ، فلما استقر في المجلس قال : يا غلام ؛ قل لقيمي : هاتِ وريتي .

فتفتح باباً بين بيتين ، وإذا بجارية ، قال لي : أهدم بيتك ؟ قلت : نعم ،

* الأغانى ٣ : ٣٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو موسى بن هار مولى قريش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات قلب غلب عليه ، كان سؤولاً ملحفاً ، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يهجه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس يباكي ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتى هذا ، فلقب موسى شهوات . (٢) سمع به في الناس : شهر موصفه . (٣) الجدة : التي ، ويريد هنا ماعنده من مال .

فَذَكَاءُ بِي وَأُمِّي ! قَالَ : اجْلِسْ : ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ ؟ قُلْ لِقِيْمَتِي : هَاتِي طَبِيْعَةً ^(١) نَفَقَتِي .
فَأَتَتْ بِطَبِيْعَةٍ ، فَنَزَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِذَا مِائَةُ دِينَارٍ ، فَرَوَتْ فِي الطَّبِيْعَةِ . ثُمَّ قَالَ :
عَتِيْدَةٌ طَبِيْعِي ^(٢) ، فَأَتَتْ بِهَا ! ثُمَّ قَالَ : مِلْحَقَةٌ ^(٣) فَرَأَيْتُ ، فَأَتَتْ بِهَا ؛ فَصَيَّرَ مَا فِي الطَّبِيْعَةِ
وَمَا فِي الْعَتِيْدَةِ فِي حَوَاشِي الْمِلْحَقَةِ ، ثُمَّ قَالَ : شَأْنُكَ بِالْجَارِيَةِ وَاسْتَمِنْ هَذَا .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فَذَلِكَ حِينَ قَوْلُ مَاذَا ؟ قُلْ : قُلْتُ :

أَبَا خَالِدٍ - أَغْنَيْ سَعِيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَخَا الْعُرْفِ ، لَا أَعْنِي ابْنَ بَنَتِ سَعِيْدٍ
وَلَكِنِّي أَغْنِي ابْنَ عَائِشَةَ الَّتِي أَبُو أَبِيهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيْدٍ
عَقِيْدٌ ^(٤) النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَوَلَّى مَا لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيْدٍ
دَعَاؤُهُ دَعَاؤُهُ إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْ أَحَابِيْكُمْ بِرَقُودٍ
فَقَتَلَتْ أَنْسًا هَكْذَا فِي جُلُودِهِمْ مِنَ الْفَيْظِ لَمْ تَقْتُلَهُمْ بِحَمِيْدٍ
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : عَلَى يَا غُلَامُ بِسَعِيْدِ بْنِ خَالِدٍ ، فَأَتَتْ بِهِ ، قَالَ : زَأْحَقٌ مَا وَصَفَكَ
بِهِ مُوسَى ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ . قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ . قَالَ : فَمَا طَوَّقَتْكَ هَذِهِ الْأَفْصَالُ ؟ قَالَ : دَيْنٌ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ دِينَارٍ .
قَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا ، فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ مِائَةُ أَلْفَ دِينَارٍ .
قَالَ الْخَارِثُ : فَلَقِيتُ سَعِيْدَ بْنَ خَالِدٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَهُ : مَا ضَلَّ لِلنَّالِ الْقِي
وَصَلَّكَ بِهِ سُلَيْمَانُ ؟ قَالَ : مَا أَصْبَحْتُ وَأَلْفُ أَمْلَكٍ مِنْهُ إِلَّا خَبِيْنٌ دِينَارًا . قُلْتُ :
مَا أَغْتَالَهُ ؟ قَالَ : بَخْلُهُ ^(٥) مِنْ صَدِيْقٍ ، أَوْ قَاقَةٍ مِنْ ذِي رَحِمٍ .

(١) الطَّبِيْعَةُ هُنَا : جَرَابٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ طَبِيْعِي . (٢) الْعَتِيْدَةُ : الْمِلْحَقَةُ يَكُونُ فِيهَا طَبِيبُ الرَّجُلِ أَوْ
الْعُرُوسِ . (٣) الْمِلْحَقَةُ : لِلْمِلْحَقَةِ . (٤) عَقِيْدَةُ النَّدَى : حَلِيفَةُ الْكَرَمِ . (٥) الْمَلَّةُ :
الْمُحَاجَّةُ وَالْفَقْرُ .

٩٩ - خليفة يطفى الفقراء ويمنع الشراء^(١)

لما استخلف عمر^(٢) بن عبد العزيز وفدت إليه الشراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فاقاموا بيابه ألياماً لا يَأْذَنُ لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرملة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يَا نَيْتَ الْجُلِّ الرَّجِي مَعْلِيَّتِهِ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلَغَ خَلِيفَتِنَا إِنْ كُنْتَ لَا قِيَهُ أَيْ لَدَى الْبَابِ كَالْعُقُودِ^(٣) فِي قَرْنٍ
وَحْشٍ الْكَانَتْ مِنْ أَمَلِي وَمِنْ وَلَدِي نَائِي الْهَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

فقال : نعم أبا خزيمة^(٤) ونعمى عين ؟ فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الشراء بياك ، وأقولهم باقية ، وسهامهم مستونة .

قال : يا عدى ، مالى وللشراء ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مَدَحَ وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل مسلم - قال : مَنْ مَدَحَهُ ؟ قال : عيسى بن مِرْدَاس ؛ فكساه حلة قطع بها لسانه .

* القند الفريد : ١ - ٨ - ١٠ ، بحراب الأوراق : ١ - ٧١

(١) ولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء علماً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً ، سارسمة رضية ، وسلك للتل الأجل في الحكم . تولى سنة ١٠١ هـ .
(٢) صفته : أوتقه - (٣) هو جرير -

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابنُ حَكِّمٍ هَرُبَ بَنُ أَبِي رِيعةَ التُّرُشِيِّ .
قال : لا قَرَبَ اللهُ قُرَابَتَهُ ، ولا حَيًّا وَجْهَهُ ؛ أليس هو القاتل :

ألا لَيْتَ أَنِّي بَوْمَ تَذُنُونِيَّ شِمْتُ الذي مابينَ عَيْنَيْكَ والْقَمَرِ
وليتَ مَهْورَى كانَ رِيْقَكَ كَلَّهُ وليتَ حَنَوطِي منَ مُشاشِكَ^(١) والدمِ
وليتَ سَلَمِي في القَبورِ ضَجِيعِي هنا لك أَوْ في جَنَّةٍ أو جَهَنَّمِ
فليتَ عَمِّي قاءِها في الدُّنْيا ، ثم يسلُ حَمَلًا صالِحًا ، والله لا يَدْخُلُ عَلى أَبَدًا .
فمن بالباب غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال : جَبيلُ بنُ مَعْمَرِ الضَّرَفِيِّ .

قال أليس هو القاتل :

ألا لَيْتَنَّا عَمِّيًا جَمِيعًا وإنْ نَمَتُ يُوافِقُ لَدَى اللَّوْنِ ضَرْبِي ضَرْبُهَا
فأنا في طُولِ الحَيَاةِ براغِبٍ إِذا قِيلَ قَلَسَوِي عَلَيْها صَفِيحُهَا^(٢)
أَتَلَّ نَهَارِي لا أَرَاهَا وتَلَقَّى معَ اللَّيْلِ رُوحِي في اللَّثامِ ورُوحِها
والله لا يَدْخُلُ عَلى أَبَدًا . فمن بالبابِ غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال : كَثِيرُ عِزَّةٍ ،
قال : أليس هو القاتل :

رُقَبَانُ مَدِينِ وَالْقَبَيْنِ عَهْدَتَهُم يَسْكُونُ منَ حَدَرِ التُّرَاقِ قُومُوا
لو يَسْمَعُونَ - كما سَمِعْتُ حَدِيثَهَا خَرُّوا لِمَزَّةٍ رُكْعًا وَسَجُودًا
أَمَدَهُ اللهُ ! فَوَاللهِ لا يَدْخُلُ عَلى أَبَدًا . فمن بالبابِ غيره ممن ذَكَرتُ ؟ قال :
الأَحْوصُ الأَنْصَارِيُّ . قال : لا دَخَلَ عَلى أَبَدًا ، أليس هو القاتل - وقد أَفْسَدَ
عَلى رَجُلٍ منَ أَهْلِ المَدِينَةِ جَارِيَتَهُ حَتَّى هَرَبَ بِهَا مَنَّهُ :
اللهُ يَبْنِي وَيَبْنِي سَيِّدُهَا يَفْرُقُ عَنِّي بِهَا وَأَنْبَسُ

(١) اللثام : رِعَوسُ الظَّامِ ؛ مثلُ الرِّكْبَيْنِ واللَّرَقَيْنِ ولِلثَكَيْنِ . (٢) الصَّفائحُ : الحِجَابَةُ الرِّيفَةُ ؛ واحِدَتُها صَفِيحٌ وَصَفِيحَةٌ .

فن بالباب غيره من ذكرت؟ قال : همام بن غالب الفرزدق ! قال : أليس هو القاتل :

هما دلتان من ثمانين قامة كما انقضَّ بازٍ أقمُ الریشِ كاسِرُهُ
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا : أحيى رَجَئى أم قتيل نَحْاذِرُهُ ؟
هَلَّتْ : ارتقا الأسباب لا يشمروا بنا ووليت فى أعقابٍ لَيْلٍ أبَادِرُهُ
والله لا دخل على أبداً . فن بالباب غيره من ذكرت؟ قال : الأخطل التغلبي .
قال : أليس القاتل :

ولستُ بصائم رَمَضانَ عَمَرى ولستُ بأكَلٍ لِمَ الأضاحى ^(١)
ولستُ بزاجر عَناءٍ ؟ بَكُوراً إلى بَطْنِحاءٍ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
ولستُ بِجَانِمٍ كَالْمَيِّتِ يَدْعُو قبيل الصبح حتى على الفلاح
ولكنى سائِريها تَهْمُولا ^(٢) وأسجد عند مُنبِجِ الصُّباحِ ^(٣)
أُنْبِئُهُ - أُنْبِئُهُ الله - عني فوالله لا دَخَلَ على أبداً ، ولا وَطِئَ لى باطلاً .
فمن بالباب غيره من الشعراء عن ذكرت؟ قال : جرير ، قال : أليس هو القاتل :
دُمُ للنازل بَسَدَ مَنْزِلِهِ اللَّوى والعيش بَسَدَ أولئك الأيامِ
طَرَفَتِكَ صَائِدَةُ الْقَلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وقت الزيادة فارجى بسلام
فَإِنْ كَانَ وَلَا يَدْفَعُهَا ، فَأَذْنُ لَهُ .

قال عدى بن أرطاة : ففجرتُ إليه ، هَلَّتْ : ادخل يا جرير . فدخل وهو يقول :

إِنَّ الذى بَمَثِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا جعل الخِلافةَ فى إِمَامٍ عادِلٍ

(١) الأضاحى : جمع أضحية ، وهى شاة يضحي بها . (٢) النفس : البازل الصلبة من الإبل .
(٣) الشمول : البارد من الحر . (٤) انبج الصبح : أضاء وأشرق .

وسع الخلائق عدلُهُ ووقاؤهُ
 واللهُ أنزلَ في الكتابِ فريضةً
 إني لأرجو منك خيراً عاجلاً
 وللتَّسُّ مولى بمحبِّ العاجِلِ
 فلما مثلَ بين يديه قال : يا جبرير ، اتقِ الله ، ولا تقل إلا حقاً ، فأنشأ
 يقول :

كم بالجمامة من شمتاء أُرْسِلَ
 ممن يسدُّك تسكفي قَدْرٍ واللهِ
 أأذكر الجَهْدَ والبلوى التي نزلتْ
 إنا لنعرجو - إذا ما النَيْثُ أخلفنا -
 نال الخلافةَ أو كانت له قَدْرًا
 كما أتى رَبَّهُ موسى على قَدْرٍ
 هذى الأرامِلُ قد قُضِيَتْ حاجتها
 فمنَ حاجةِ هذا الأرمِلِ اللهَ كرا
 الخبيرُ ما دمت حياً لا يفارقنا
 بوركْتَ يا عمرُ الخيرات من عُمرِ
 فقال : يا جبرير ، ما أرى لك فيها هامناً حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابنُ
 سبيلٍ ومقطع به ! فقال له : ويحك يا جبرير ! قد وُلِّينا هذا الأمر ، ولا نملكُ إلا
 ثمانيةِ درهم ، فإتاه أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطها لثلاثة
 الباقية .

فأخذها جبرير ، وقال : واللهِ يا أمير المؤمنين لى أحبُّ مالٍ اكتسبته ، ثم
 خرج ، فقال له الشراء : ما وراكم ؟ قال : ما يسودكم ! خرجتُ من عند خليفة يعلو
 القبراء ، ويمنع الشراء ، وإني عنه لراض ، وأنشد :
 رأيتُ رُوقَ الشيطانِ لا تَسْتَفْزُهُ
 وقد كانَ شيطاني من الجنِّ راقبها
 (١) درج : معنى :

١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز*

قال حماد الراوية :

دخلت المدينة خمس العلم ، فكان أول من لقيت كثير^(١) عزة ، قلت :
يا أبا صخر ؟ ما عندك من بضاعة ؟ قال : عندي ما عند الأحوص^(٢) ونصيب^(٣) .
قلت : وما هو ؟ قال : إنما أحق بإخيارك . قلت له : إنا لم نعت للطي نحومك
شهرأ نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكر^(٤) ، وقل من يقل ذلك ، فأخبرني عما
سألتك ليكون ما أخبرني به حديثاً أخذه منك .

قال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قدمت أنا ونصيب
والأحوص ، وكل واحد منا يدرك بسابته عند عبد العزيز وإخائه لمر . فكان
أول من لقيت مسلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ في العرب ، وكل واحد منا ينظر
في عطفه لا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مشوانا ،
ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يسعى الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه
لنا في هذا الأمر وجهاً . قال : إن كان ذودين من آل مروان قد ولي الخلافة قد
جى من ذوى دنيام من يقضى حوائجكم ، ويفعل بكم ما أتم له أهل .

فألقنا على بابه أربعة أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا
يؤذن . قلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتعظفت من كلام عمر شيئاً فأتيت

* الأثران : ٩ - ٢٥٦ (طيبة دار الكتب) ، البلد الغد الجديد : ١ - ٢١٣

(١) انظر صفحة ٢٢٥ - (٢) انظر صفحة ١٤٨ .

للسجد فَاَنَا أَوَّلُ مَنْ حَنَظَ كَلَامَهُ ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرٍ زَادٌ لِأَعْمَلِهِ ، فَزِدُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى ، وَكُونُوا كَنَاعِينَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَعِذْ طَلِبًا لِهَذَا وَخَوْفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطْلُونَ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَفْتَسُوا قُلُوبَكُمْ ، وَتَضَاهُوا لِدُوكُمْ » .

« واعلموا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْلُنُ بِالدُّنْيَا مِنْ وَثِقٍ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يَدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْلُنُ بِالْإِدْبِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمُرَّكُمْ بِمَا أَنْهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتُخَسَّرَ صَفَّتِي ، وَتَبْذُرَ عَيْلَتِي ، وَتَهْلِكَ مَسْكَنَتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَجَعَ لِلْجَدِّ بِالْبُكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرُوقَ بُلٍّ ثَوْبَهُ ، وَفَلَّطْنَا أَنَّهُ قَاضٍ نَجْمُهُ . فَبَلَّغْتُ إِلَى صَاحِبِي قُلْتُ : جَدُّكَ لَمَرٍ مِنَ الشَّرِّ غَيْرَ مَا أَمْسَدَنَاهُ ، فَبَلَّغْتُ الرَّجُلَ بِدُيُوبِي .

ثُمَّ إِذَا مَسَلَمَةُ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَدَا مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَخَلْنَا فَنَلْنَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ طَلِ التَّوَّاءَ^(١) ، وَقُلْتَ الْغَائِمَةَ ، وَتَحَدَّثْتُ بِمِثَالِكَ إِيَّانَا وَفَوَّذُ الرَّبِّ .

قَالَ : يَا كَثِيرٌ ؛ أَمَامَ عَمَلٍ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْلُومِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمَوْلَانَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالنَّارِ مِينٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ أَفَنْ مَوْلَاهُ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَالٌّكَ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطِعٌ بِهِ ؛ قَالَ : أَوَلَيْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : مَا أَحْسَبُ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْقَطِعًا بِهِ .

(١) التَّوَّاءَ : اللُّكْتُ وَالْإِذْمَةُ .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك .

قلت :

وَلَيْتَ لَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّ وَلَمْ تُخَفِّ بَرِيئًا وَلَمْ تَنْجِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِاللَّيِّ ضَلَّتْ ، فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ لَبِثْتُ لُبْسَ الْهَلُوكِ^(١) ثِيَابَهَا وَأَبَدْتُ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِصْمَرٍ
وَتَوَمَّضْتُ أَحْيَانًا بَيْنَ مَرِيضَةٍ وَتَبَسَّيْتُ عَنْ مِثْلِ الْجُنَانِ لِلنَّظَمِ
فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا مَشْمُوزًا كَأَنَّمَا سَقَطَتْكَ مَدُوقًا^(٢) مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْتَعٍ وَمِنْ بَحْرَهَا فِي مُزِيدِ النُّوجِ مُنْتَمِعٍ
وَمَا زِلْتُ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ صَدَدْتُ بِهَا أَهْلَ الْبِنَاءِ الْقُدَمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلَكُ غَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ لَطَالِبَ دُنْيَا بَدَهُ مِنْ نَكَمٍ
تَرَكْتُ الَّذِي يَفْقَى وَإِنْ كَانَ مُوَهَّجًا وَآتَوْتُ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مَصْمَرٍ
فَأَعْرَضْتَ بِالْقِسَافِ وَتَوَمَّعْتَ لِلَّذِي أَمَامَكَ فِي يَوْمِ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْغُلْفِيَّةَ مَانِعًا سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيَتْ وَدَرَمٍ
تَمَّامًا لَكَ^(٣) هَمٌّْ فِي الْفَوَادِ مُوَزَّقٌ صَدَدْتُ بِهِ أَهْلَ لِنَالِ الْبُزْلِ
فَأَبِينِ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالغَرْبَ كُلَّهَا مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَهْمٍ
يَقُولُ : أَمِيرُ لِنُؤْمِنِينَ ظَلَفَتِي بِأَخْذٍ لِدِينَارٍ وَلَا أَخْذٍ دِرْهَمٍ
فَلَوْ يَسْطِيعُ الْمَلُوفُ لَتَسَمَّوْا لَكَ الشُّطْرُ مِنْ أَعْلَامِهِ غَيْرُ نُدَمٍ
فِيثَتْ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ مُنْذِرٌ مُطِيفٌ بِالْقَامِ وَزَمَرٌ

(١) الهلوك من 'الماء' : الفاجرة للنفاطة على الرجال . (٢) مدوفاً : غلوفاً . والهم : السهم .

(٣) سما لك : ارتفع .

فأزيع بها من صَفَقَةٍ لمباير وأعظم بها ثم أعظم بها أعظم !
 فقال يا كثير ! إن الله سألني عن كل ما قلت . ثم تقدم إليهِ الأُخوص
 فاستأذنه ، فقال : قل ، ولا تُقل إلا حَقًّا ، فإن الله سألني . فأنشده :

وما الشرُّ إلَّا خطبةٌ من مؤلفٍ بمنطقي حقٍّ أو بمنطقي باطلٍ
 فلا تقبلنَّ إلَّا الذي وافق الرضا ولا ترجعنا كالنساء الأراذل
 رأيناك لم نعدِلْ عن الحقِّ يمنةً ولا يسرةً فعل الظالم الجادل
 ولكن أخذت الفصدَ جهدك كلهً وثقفو مثال الصالحين الأوائل
 قلنا ولم نكذب بما قد بدّا لنا ومن ذا يرُدُّ الحقَّ من قولِ فاذل !
 ومن ذا يرُدُّ السهمَ بعد مروقِهِ على فوقِهِ إن عار^(١) بن نزع تاييل
 ولولا الذي قد عودتنا خلافتَ غطاريث كانت كالليث البواسيل
 لما أخذت شهرًا برحلي جسر^(٢) قلُّ متون البيد بين الراوحي
 ولكن رجونا منك مثل الذي به صرنا قديمًا من ذويك الأفاضل
 فإن لم يكن لشر عندك موضعٌ وإن كان مثل الدر من قول قائل
 وكان مُصيبًا صادقًا لا يسييه سوى أنه يثني بناء للنازل
 فإن لنا قُرْبى ونحس مودةً وميراث آباء مشوا بالناصل^(٣)
 فذاذوا عدو السلم من عَمَرِ دراهم وأرستوا حمود الذين بعد تاييل
 قبلت ما أعطى الهَيئدة حيلةً على الشر كهبان سديس وبازل^(٤)

(١) السهم المأثرة الذي لا يدري من أين أتى . (٢) الجسرة النافذة للطيبة . (٣) الناصل :
 جمع ناصل وهو الياف القاطع . (٤) هنيئة : اسم للعائنة من الإبل خاصة ، ويريد يكسب كعب
 ابن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في النافذة ، والبازل : ما بلغ النافذة .

رسولُ الإلهِ للصطفى بنبوةٍ عليه سلامٌ بالضحى والأمانيل
فكلُّ القى عدَدْتُ يَكْفِيكَ بضهُ ونيلُك خيرٌ من بحور السوائل
فقال له عمر : يا أحوص ؛ إن الله سألُك عن كل ما قلت .

ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاء ، فأبى أن يأذنه ؛ و غضب غضباً شديداً ،
وأمره باللعاق بدابق^(١) ؛ وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي
فأواسيكم منه . فانتظرونا حتى خرج ، فأسرلى وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر
لنصيب بمائة وخمسين درهماً . فإرأيت أعظمَ بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ،
اجتمعتُ بها وصيفةً قطعتُها الفناء ، فبعتها بألف دينار .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

١٠١ - إيجاز في المقال وبلاغة في البيان*

قال سُفيان الثوري :

كنا عند هشام^(١) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الجبل - وكان شبيب
الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرتُ كلامهم .
وكان محمد بن الجهم أعظمَ القوم قدراً ، وأكبرهم سنّاً ، وأفضلهم رأياً وحلاً ؛
فقال : أصاح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ،
وأكثرت وأطنبت ، والله ما يبلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ،
وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال : أفأوجزُ أم أطنب ! قال :
بل أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسن ، وزينك بالقوى ، وجمع لك
خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكركم ؟ قال : هات ، قال : كبرت سني ،
ونال الدهر مني ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري ، وبنى قري فصل !
قال : وما الذي بنى قريك ، ويجبر كسرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ،
وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيات يا بن أبي الجهم ! بيت المال لا يحتملُ
ما ذكرت . فقال : إن الله آتاك لجللك ، فإن قطيناً خفّاً أدّيت ، وإن تمنعنا

* القيد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأملال : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤
(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان وزير العدل ، حلياً غليظاً ، امتدت
أيامه ، وجرى فيها كثير من أئمة قبح . توفي سنة ١٢٥ هـ .

فَسَأَلَ الَّذِي يَدُهُ مَاحُوِيَةٌ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ جَمِلُ الْعَطَاءِ مُحِبَّةٌ ، وَالنَّمْعِ مَبْغِيَّةٌ ؛ وَافْتَرَى لِأَنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُرْفَضَكَ !

قَالَ : فَأَنْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَقْضِي بِهَا دَيْنًا فَدَحَى^(١) قَضَائِهِ ، وَقَدْ عَنَانِي حَمَلُهُ ، وَأَضْرَبَنِي أَهْلُهُ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ؛ تَنْفَسْ كُرْبَةً ، وَتَوْدِ أَمَانَةً . وَأَنْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَزُوجُ بِهَا مَنْ أَدْرَكَ مِنْ وَهْي . قَالَ : نَمَّ الْمَسْلُوكُ سَلَكْتَ ، أَغْضَضْتَ بَصْرًا ، وَأَعْقَفْتَ وَلَهًا ، وَفَضْتَ نَسْلًا . وَأَنْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَبِيشُ بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي ؛ وَتَكُونُ دُخْرًا لِمَنْ بَقِيَ بَعْدِي .

قَالَ : فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمَا سَأَلْتَ . قَالَ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحِمَ خَيْرًا أَسْمَخَ خَرَجَ .

فَأَتَيْهِ شَمَامٌ بِبَصْرَةٍ ، وَقَالَ : تَأَلَّفَ مَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَلُفَّ فِي سَوْالٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ! هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْقَرَشِيُّ . أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا نَتَرَفَّعُ الْحَقَّ إِذَا تَزَلَّ ، وَنَكْفُرُ الْإِسْرَافَ وَالْبَخْلَ ، وَمَا نَسْطِي تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ قَتِيرًا ، وَمَا نَمْنَعُ إِلَّا خَزَانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا أُذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْتْنَا ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَاتِلٍ يَصْدُقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَصْحَقُ ، مَا جَبَّهْنَا^(٢) قَاتِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ، وَنَسْأَلُ الَّذِي يَدُهُ مَا اسْتَعْفَظْنَا أَنْ يُجْزِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَسْطِي الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ^(٣) ؛ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ! قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ؛ قَالَ : إِنَّهُ مَبْتَلَى ، وَلَيْسَ لِلْمَبْتَلَى كَالْمَبْتَلَى .

(١) فَدَحَى : أَفْطَى . (٢) جَبَّهَ : لَقِيَ بِتَأْيِيدِهِ . (٣) يَقْدِرُ : يَضِيقُ .

١٠٢ - سميت فأكديت ، ووجعت فرزقت*

وفد عروة^(١) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألت القاتل :

قد علمت وما الإشراف^(٢) من خلق أن الذي هو رزق سوف يأتي
أسمي له قيمتي تطلبه ولو قدمت أناني لا يسبي
وأراك قد جئت من الجواز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛
زادك الله بسطة في العلم والجسم ، ولا رد وأفدك غائباً . والله لقد بالنت في الوعد ،
وأذكرتني ما أنسانيه البحر !

وخرج من فوره إلى راحته ؛ فركبها وتوجه راجعاً إلى الجواز ، فلما كان الليل
ذكره هشام وهو في فراشه ، قال : رجل من قريش قال حكمة ، وفد إلى
نجبته وردته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لاجرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

* الشعر والشعراء : ٩٦٠ ، السخرط : ١ - ١٧ ابن خسكان : ١ - ٢١٢
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الفزل عفيف رائق ؛
وقلت عليه سكينه بنت مرة ، فقالت له : ألت القاتل :

إذا وجعت أولو الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء اللوم أبعد
حبى بردت يرد الماء ظاهره لمن تسار على الأحشاء تنهد !
فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القاتل :
قلت : وأيتتها سري ويحت به قد كنت عندي تحب السر فاستر
ألت تجسر من حولي ؟ قلت لها غطي هويك وما ألقى على بصري !
قل : نعم ، فالتفت إلى جولوبها وقالت : من الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .
(٢) الإشراف : الطامع للأمر .

ثم دعا مولاه ، وأعطاه ألفي دينار . وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطه إياها ؛ فأدركه وقد دخل بيته ، فصرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .
قال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سميت فأكدبت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني رزقي .

١٠٣ — هذا الذي تعرف البطحاء وطائفة*

جعج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساه أهل الشام ، فجهد أن يستلج الحجير ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علي بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة - فطاف بانيته ، فلما بلغ الحجير الأسود تنحنى الناس كلهم ، وأخروا له الحجير ليستلمه هيبة وإجلالاً .

فناظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا ؟ أصلح الله الأمير ! قال : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف أن يرغّب فيه أهل الشام ، ويسموا منه ، فقال الفرزدق - وكان ذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسأني بإشامي . قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء^(١) وطائفة والبيت يعرفه والحيل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العزم

* الأغانى : ١٤ - ٧٥ (طبع نسائي) ، المحاسن واللبوى : ٢٣١ (طبع ليزج) .

(١) البطحاء : سبيل واسع في بلاد الحمير .

إذا رأته قريشٌ قال قائله : إلى مكاريه هذا ينتهي الكرمُ
بكادُ يمسكه عرقانٌ (١) رايحه
فليس قولك : من هذا بضائره
الترابُ تصرف من أنكرت والجعمُ
فيه هشام فقال في حبه :

أعجبتني بين المدينة والقي إليها قلوب الناس يهوى منيها !
بقلبُ رأساً لم يكن رأس سيدٍ وميتاً له حواء بادٍ عيوبها
فبت إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم ،
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به .
فردّها ، وقال : ما قلتُ ما كان إلا لله ، وما كنت لأرّز (٢) عليه شيئاً ، قال له
علي : نحن أهل بيت إذا أخذنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرقان : منصوب على أنه مفعول له . (٢) الخطين : حجر الكعبة أو جدوها ، أو ما بين
الركن وزمزم والحمام . (٣) رزاه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

١٠٤ — واعظ الملوك*

قال خالد بن صفوان بن الأهم^(١) :

أوفدني يوسف بن عمر التقي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق
قدِّمْتُ عليه ، وقد خرج بَرَّاجته وحشمه وفاشيته^(٢) وجلسائه ، فنزل في أرض
قاع صَحَّاح ، فتألف^(٣) أفتيح^(٤) ، في عام قد بكر ونمَّيَّه ، وتناجى وليه^(٥) ، وأخذت
الأرض فيه زيتنها على اختلاف ألوان نَبْتِها ؛ من نَوَّرَ ربيع مَوتِق^(٦) ، فهو في
أحسن منظر ونَجْمٍ ، وأحسن مُسْتَمَطَرٍ ، بصيِّد^(٧) كان ترابه قطعُ الكافور .
وقد ضُرب له سُرايِق من حَبَرٍ^(٨) ، كان يوسف بن عمر صنمه له باليمن ، فيه مُسْطَاطٌ
فيه أربعة أفرشة من خَزَرٍ أحمر ، مِثْلُهَا مَرِاقُهَا ، وعليها دُرَاعَة^(٩) من خَزَرٍ أحمر
مِثْلُهَا حَامَتُهَا ، وقد أخذ للناس مجالسهم .

فأخرجت رأسى من ناحية السباط^(١٠) ، فنظر إلى شَيْبَةِ الْمُسْتَنْطِقِ إلى
قَلَّتْ : آمَنَ اللهُ عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قَلَّدَكَ من هذا الأمر رُشْدًا ،
وعاقبة ما يَبْتُولُ إليه حُفْدًا ؛ وأَخْلَصَ لك بالثَّقَى ؛ وكَثُرَ لك بالنماء ، ولا كَدَّرَ عليك

* الأغانى : ٢ - ١٥٣ (طبعة دار الكتب) . معجم الأدباء : ١١ - ٢٧

(١) كان خالد خطيباً بليغاً ولماً سبيحاً ، حسن السر ، جيد للتأدية ، مات سنة ١٣٣ هـ .
(٢) فاشية الرجل : من يتابعه من زواره وأصدقائه . (٣) القاع المصحح : الأرض المجرداء
الخشوة ، والثناثف : جمع تنوفة ، وهي أرض لا تيس بها ولا ماء . (٤) الأفتيح : الواسع .
(٥) الوسى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الثاني على الوسى . (٦) موق : معجب .
(٧) الصيِّد : التراب أو وجه الأرض . (٨) الحبر : جمع الحبرة ، وهي نوع ملسج من اليمن
فيه قلع . (٩) الدُرَاعَة : الثوب المشقوق من الأمام . (١٠) السباط جمع سبط ، وهو الصف
من الناس وغيرهم .

منه ما صفًا ، ولا خالطَ سروره بالذى قد أصبحت للسلمين رقة ، إليك يقصدون في أمورهم ، ويفزعون في مظالمهم ، وما أجد شيئًا - يا أمير المؤمنين - هو أبلغ في قضاء حقك وتوفير مجلك ، وما من الله على به من مجالستك ، من أن أذكرك نِعَمَ الله عليك ، وأنبئك لشكرها ؛ وما أجد في ذلك شيئًا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من اللوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

فاستقوى هشام جالسًا - وكان مُحْكَمًا - ثم قال : هات يا ابن الأهم ! قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن سلكا من اللوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى انطورتين والسدير^(١) في عام قد بكر وسيبه ، وتنايع ولَّيه ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مُستعطر ، بصيد كان ترابه قطع الكافور ، وكان قد أعطى قتاة^(٢) السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ؛ فنظر فابتد النظر ؛ ثم قال جلساته : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحد أعطى مثل ما أعطيت ؟

وكان عنده رجل من بقايا حلة الحجة^(٣) ، وللغى على أصب الحق ومناهجه - ولم تمل الأرض من قائم لله بالحجة في عباده - قال : أيها اللوك ! إنك سألت من أمير ، أخذتني في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : رأيت^(٤) هذا الذي أنت فيه ، أم شيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثًا وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك ، كما صار إليك من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أشجبت بشيء يسير تكون فيه قليلًا ، وينيب عنك طويلا ، وتكون غدا بحسبه مُرتبًا . قال : وعيك ! فأين للهرب ؟ وأين للطلب ؟ قال : إني أن تميم

(١) الخورق والسدير : قصران بالحيرة . (٢) القتاة : الثياب . (٣) الحجة : البرهان . (٤) رأيت : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَسَاكٍ وَسِرِّكَ وَأَمَصَّكَ^(١) وَأَرْصَمَّكَ^(٢) ،
وَأَمَّا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ ، وَتَخْلَعْ أَطْيَارَكَ^(٣) ، وَتَلْبَسَ أَمْسَاكَ^(٤) ، وَتَعْبُدَ رَبِّكَ ، حَتَّى
يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ !

قَالَ لِلَّهِ : فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ فَاقْرَعْ عَلَى بَابِي ؛ فَإِنِّي مُخْفَرٌ أَحَدَ الرَّأْيَيْنِ ، فَإِن
اخْتَرْتُ مَا أَنَا فِيهِ كُنْتُ وَزِيْرًا لَا يُنصَى ، وَإِنِ اخْتَرْتُ فَلَوَاتِ الْأَرْضِ وَقَفَرُ
الْبِلَادِ كُنْتُ رَفِيقًا لَا يَخَالَفُ .

فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ قَرَعَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ وَضَعَ تَاجَهُ ، وَخَلَعَ أَمَامَ مَارِهِ وَلَبَسَ
أَمْسَاكَ ، وَتَهَيَّأَ لِلْسَّيَاحَةِ ، فَلَزَمَا وَاللَّهُ الْجَبَلَ ، حَتَّى أَتَاهُمَا أَجْلُهُمَا ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ
عَلَى بْنِ زَيْدٍ ، أَخُو بَنِي تَيْمٍ :

أَيُّهَا الشَّامُ الْمَعْرُوفُ بِالْفَخْرِ . . . أَنْتَ لِلْبَرِّاءِ لِلْوَقُورِ !
أَمْ لَدَيْكَ الْمَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُور !
مَنْ رَأَيْتَ اللَّتُونَ خَلَدْنَ أَمِنْ خَالِيهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِير !
أَيْنَ كَسْرَى ، كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مُلُوكُ الرَّومِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحَضَرِ^(٥) إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِ وَالْمُخَابِرُ^(٦)
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَمَا سَأَلُ^(٧) ظَهْلِي فِي ذَرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهْبُهُ رَيْبُ اللَّتُونَ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ ، فَبَابُهُ مَهْجُورُ

(١) يَقَالُ أَمَصَّيْتُ : أَحْرَقْتِي وَهَوَّيْتُ عَلَى . (٢) أَرْصَمْتُ : أَوْجَعْتُ . (٣) الطَّيْرُ : التَّوْبُ الْخَالِقُ .
(٤) اللَّحْجُ : الْكِسَاءُ مِنَ الصَّرِيقَاتِ ، وَيُصَمِّغُ عَلَى مَسَاحِ عَلَى تِلْكَ . (٥) الْحَضَرُ : قَصْرٌ بِجِبَالِ
تَكْرِيتَ بَيْنَ دَجَلَةَ وَأَنْفَرَاتِ بَنَاهُ الصَّبْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، مَلِكُ الْجَزِيرَةِ . (٦) الْمُخَابِرُ : نَهْرٌ بِالْجَزِيرَةِ
(٧) الْكَلْسُ : مَا يَدْنِي بِهِ التَّرْلُ وَغَيْرُهَا .

وتذكر: ربّ الخورتنى إذ أشرف يوماً وللهذى^(١) تنصير
 سرّة ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً^(٢) والسدير
 فارغوى قلبه قال: وما غبطة حتى إلى المات يصير
 ثم بعد الفلاح والملك والإمة^(٣) وأرسلهم هلك القبور
 ثم صاروا كأنهم ورق جفّ فأوت^(٤) به الصبا والدبور
 فبكى هشام حتى اخضلت^(٥) لحيته، وبكت حماته، وأسر بنزع أبنيه، وقل
 قراجه وحشيه وغاشيته وجلسائه، ولزم قصره.

فأقبلت الموالى والعثم على قالوا: ما أردت بأمر المؤمنين أفسدت عليه.
 لذته، ونفّضت عليه مأذجه. قلت: إليكم حق، فإني علمت الله عز وجل
 ألا أخلو بلك إلا ذكرته الله عز وجل!

(١) يريد بهذه الجملة: أن التفكير طريق الهدى. (٢) معرضاً: متصفاً. (٣) الإمة: النسة.
 (٤) أوت: خفيت. (٥) اخضلت: ابطت.

١٠٥ - إن خلافاً أدلّ فأمل*

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله
خالد بن عبد الله التميمي ، فالتقيته جالساً على كرسى في بركة ، ماؤها إلى
الكميين ، فدعا لي بكرميتي فجلسْتُ عليه ، فقال : يا خالد ؛ ربّ خالفر جلسْ بجلك ،
كان الوط بقلي ، وأحبّ إليّ !

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن جيلك لا يضيّقُ عنه ، فلو صنعتَ عن بُرمه !
فقال : إن خالفاً أدلّ فأمل : وأوجفَ فأجف ، ولم يدع راجعَ مرجاً ، ولا
لمودةٍ موضاً ، ثم قال : ألا أخبرك عنه يا بن صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه
ما بدأني بسؤال حاجة قطّ مذ قدّم العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها . قلت :
فذلك أحرى أن ترجع إليه ، فقال متعطلاً :

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكذبْ إليهِ بوجهٍ آخر الدهر قبلُ
قال خالد : ثم قال لي هشام : حاجتك ، قلت : تزيدني في عطائي عشرة
دنانير . فأخرق ثم قال : ولم ؟ وفيه ؟ البائدة أحدثتها فتميتك عليها ، أم لبلاء
حسنِ أبليتك عند أمير المؤمنين ، أم للمذايا بن صفوان ! إذن يكثر السؤال ولا يحصلُ
ذلك بيت المال ! قلت : يا أمير المؤمنين ، وهلك الله وسدّك ، أنت والله كما
قال أخو خراعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءه قرابةٌ قرّبي أو صديقٌ توافقه

مَنَعَتْ وَبَعْضُ النَّعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ^(١) الْمَالَ إِلَّا حَقَّاقَةً
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا لَئِي حَمَلْتَ عَلَى تَرْيِينِ الْإِسْلَامِ لَهُ ؟ قَالَ :
أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَحَ غَيْرِي فَيَكْفُرَ مِنْ يَوْمِهِ !

١٠٦ - أبو النجم عند هشام بن عبد الملك *

ورد أبو النجم^(٢) على هشام بن عبد الملك في الشعراء ، قال لم هشام : صفوا
لي إبلًا قَطَّعَ رِوَاهَا^(٣) وَأَوْرَدَهَا ؛ وَأَصْدَرَهَا ؛ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشُدُهُ ،
وَأَنْشُدُهُ أَبُو النجم :

• الْحَذُّ لَهْ الْوُحُوبِ الْبَجَزِيلِ •

حتى بلغ إلى ذكر الشمس ، قال : « وهى على الأفق كمين ... » وأراد أن
يقول « الأحول » ، ثم ذكر حَوَاقِةَ هشام ؛ فلم يتم البيت وأرّج عليه .
قال هشام : أجزّ البيت ؛ قال : « كمين الأحول » وأتمّ القصيدة ، فأمر
هشام فَوَجَّيْ^(٤) عَنقَهُ ، وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ؛ وَقَالَ لِمُصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رِبِيعُ ؛
إِنَّكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا أَفْكَتَمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ أَنْ يَرَوْهُ فَقَعَلَ .
قال أبو النجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سَلَمٌ بِنَ كَيْسَانَ الْكَلْبِيِّ

(١) انقضى الشيء : أخذه في سرعة ، ويضد إلى مضولين .

• الأغانى : ١٠ - ١٥٥ (طبعة دار الكتب) ، وفيه الأمل : ٦ - ٢٣٩

(٢) اسمه الفضل بن قدامة ، أحد رجال الإسلام القبول للقدمين ، وفي الطبعة الأولى منهم .

(٣) قطر الإبل : قرب بعضها من بعض على لسان .

(٤) وجىء : وجأه باليد والكمين إذا غمره .

وعزرو بن سلطان التتلي، فكنتُ آتياً سائياً فأنتديتُ عنده، وآتتُ عمراً فأنتسيتُ عنده، وآتتُ للمسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلةً ، وأمسى لقيس^(١) النفس ، وأراد محدثاً يحدّثه ؛ فقال لخادم له : انفي محدثاً أعرابياً شاعراً يروى الشعر .

فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضربه برجله ، وقال له : قم أجب أمير المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إيتاك أبنى ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشَّمع بين يديه يزهر^(٢) .

فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طربك ! قال : اجلس ، فأناله وقال له : أين كنت تأوى ؛ ومن كان يُنزلك ؟ فأخبره الخبر . قال : وكيف اجتماعا لك ؟ قال : كنت أنتديتُ عند هذا وأتسيتُ عند هذا . قال : وأين كنت تبيت ؟ قال : في للمسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لك من الولد وللإل ؟ قال : أمّا للإل فلا مال لي ، وأمّا الولد فلي ثلاث بنات وبنتي يقال له شَيْبان .

فقال : هل زوجت من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ؛ زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تَجْمِزُ^(٣) في آياتنا كلها نعاماً .

قال : وما وصيت به الأولى ؟ قال :

(١) لقيس النفس : ضيق النفس .

(٢) يزهر : يتلألأ . (٣) تجمز : تدمو وتوسع .

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ^(١) قَلْبًا حُرًّا بِالْكَفْرِ خَيْرًا وَالْحَمَاءِ شَرًّا
لَا تَسْأَلُنِي ضَرْبًا لَهَا وَبَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُومَ الْحَيَاةِ مَرًّا
وَإِنْ كَسَتْكَ ذَهَبًا وَذَرًّا وَالْحَيِّ مُجِيبُهُمْ بَشَرًا
فَضَحَكَ هَشَامٌ ، وَقَالَ : فَاقْلَتِ لِلْآخَرَى ؟ قَالَ : قَلْتُ :

سَيِّئُ الْحَمَاءِ وَابْهَي^(٢) عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَتْ فَارْزُقْنِي إِلَيْهَا
وَأَوْجِى بِالْفَقِيرِ^(٣) رَكْبَتِهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْبَيْهَا
وِظَاهِرِي النَّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تَحْجَرِي الذَّهْرَ بِهِ ابْلَغْتِهَا

قَالَ : فَضَحَكَ هَشَامٌ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وَسَطَعَ عَلَى قَفَاهُ . قَالَ : وَعَلِك !
مَا هَذِهِ وَصِيَّةٌ يَقُوبُ وَلَدَهُ ؟ فَقَالَ : وَمَا أَنَا كَيَقُوبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فَاقْلَتِ
لِلثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : قَلْتُ :

أَوْصِيكَ يَا بَنِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْمَدَكَ الْقَرَائِبُ
وَالْجَارُ وَالضَيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يَرْجِعُ لِلسَّكِينِ وَهُوَ خَائِبُ
وَلَا تَفِي أَظْفَارُكَ السَّلَامِبِ^(٤) مِنْهُمْ فِي وَجْهِ الْحَمَاءِ كَاتِبُ
وَالزَّوْجُ إِنْ الزَّوْجُ بَشِ الصَّاحِبُ

قَالَ : فَكَيْفَ قُلْتَ لَهَا هَذَا وَلَمْ تَزُوجِ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ فِي تَأْخِيرِ زَوْجِهَا !
قَالَ : قُلْتُ فِيهَا :

(١) كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ . (٢) جَهَتْ : قَلَفَهُ بِالْبَاطِلِ ، وَقَالَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْعَلُ . (٣) الْقَبْرِ : الْمَجْرُ
يَتْلُو الْكَفَّ . (٤) السَّلَامِبُ : الطَّوِيلَةُ .

كَانَ ظَلَامَةٌ أُخْتُ شَيْبَانَ بَيْتَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّاسُ قُلْ كُلُّهُ وَصَيْبَانَ^(١) وَلَيْسَ فِي الرَّجُلِينَ إِلَّا خَيْطَانُ
فَهِيَ الَّتِي يُدْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

صَالِ هَشَامَ لِحَاجِبِيهِ : مَا فَعَلْتَ الدَّانِيَرُ الْمُخْتَوِمَةُ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِقَبْضِهَا ! قَالَ :
هِيَ عِنْدِي ، وَوَزَنَهَا خَمْسَمِائَةَ أ قَالَ : فَادْفِئْهَا إِلَى أَبِي النِّجَمِ ؛ لِيَجْعَلَهَا فِي رَجُلٍ
ظَلَامَةٍ مَكَانَ الْغُلَيْطِينَ !

(١) الصَّيْبَانُ : جَمْعُ الصَّوَابَةِ ، وَهِيَ : بَيْضَةُ الْفُلِّ ؛ جَمْعُهُ صَيْبَانُ.

١٠٧ - لا يُعرف الكلام إلا بنشره *

قُحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، قدمت العربُ من أحياء القبائل ،
فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة
سنة ، عليه ثَمَلْتَلْت وله ذؤابة . فَأَحْجَمَ القومُ وماجوا هشاماً ، ووقفت مِنْ
هشام على درؤاس فاستصفره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحدٌ أَنْ يَعِلَّ إلَيَّ إلا وصل
حقى الصبيان !

فلم درؤاس أنه يريد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن دخولي لم يُخلِّ بك
شيئاً ، ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام
نُشِر ، والكسوت طي ، ولا يُعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فأنشر
لا أبالك !! وأجبه كلامه .

فقال : أصابنا ثلاث سنين ، فَسَنَةٌ أذابت الشَّحْمَ . وسنة أكلت اللحم ،
وسنة نَقَت ^(١) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؛ إن كانت لله فترفعوها على
عباده المستحقين لها ، وإن كانت لم فلام تحبسونها عنهم ؛ وإن كانت لكم ،
فصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجرى التصديق ، ولا يُضَيِّع أجرَ الحسنيين .
واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد
إلا به .

فقال هشام : ما ترك التلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

* لباب الآداب : ٣٥٣

(١) النقي : منخ الطام وعشبعها ، وثقي العظم : استخرج تليه .

بأدبته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛
أرددها إلى أعطية أهل باديق ؛ فإنني أكره أن يمحى ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن
كفائتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؛ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بمش إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطال من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع^(١) .

(١) جمع صنعة ، وهي اللزوف والإحسان ، وتضعف : تزيد .

١٠٨ — أُنِجِثَ وَفَادَتُكَ، وَوَجِبَتْ ضِيَافَتُكَ*

وفد سعدُ بن مرةَ بن جُبَيْرٍ - وكان شاعراً - على الوليد^(١) بن يزيد، ففرض له في يوم من أيام الربيع، وقد خرج إلى منزله، ففصلح به: يا أمير المؤمنين؛ وأفدكُ وزاترك ومؤمك! فتبادَرَ إليه الحرس ليصدّوه عنه، فقال: دعوه، اذُنْ إلى. فدنا إليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من أهل الحجاز، شاعر، قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع مني أربعة أبيات، قال: هات؛ فقال:

ثَمِنْ^(٢) اللِّخَايِلِ نَحْوِ أَرْضِكَ بِلَحْيَا^(٣) وَقَمِينَ رَكْبَانًا يُرْفِكَ قُلُوبًا
قال: ثمّ مه؟ قال:

فَصَدَنَ نَحْوَكُ لِمَنْبَغِنَ لِحَايَةٍ إِلَّا وَقُوعَ الطَّيْرِ حَتَّى تَرْحَلَا
قال: إن هذا السيرَ حديث، ثمّ ماذا؟ قال:

بِمِدَنَ نَحْوِ مَوْطَى حِجْرَاتِهِ كَرَمًا، وَلَمْ تَعْدِلْ بِذَلِكَ مَعْدِلًا
قال: وقد وصلت إليه، فمه؟ قال:

لَا حَتَّ لَهَا نِيرَانُ حَتَّى قُطِّلَ^(٤) فَاخْتَرَنَ نَارَكَ فِي النَّزَلِ مَنْزِلَا
قال: فهل غيرُ هذا؟ قال: لا، قال: أُنِجِثَ وَفَادَتُكَ، وَوَجِبَتْ ضِيَافَتُكَ، أعطوه أربعة آلاف دينار، فقبضها وَرَحَلَ!

* الأغانى: ٧ - ٢٢ (طبعة دار الكتب).

(١) كان الوليد قبل أن يل الخلافة من فتيان بني أمية وطرفاتهم وشرائهم، ولما أول الخلافة اتهمك في النهب والفسراب وساحق انتفاء، مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ (٢) ثمت غيايل القى: إذا تطلعت نحوه يصبرك منتظراً له (٣) الحيا: المصّب واللتر (٤) قطل: اسم لوضحين أحدهما قرب البلاء من أرض دمشق، والثاني بين حمص ودمشق.

(١٨ - قصص العرب - ٢)

١٠٩ — شاعر بني هاشم *

لما قال الكُميت^(١) بن زيد الأسديّ الهاشميّات قدم البصرة ، فأثى الفرزدق ،
 فقال : يا أبا فراس ؛ إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟
 فانتسب له . فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : قُتِلَ عَلَى لِسَانِي ، قُتِلْتُ شِعْراً ،
 وأُحِبُّتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ مَا قُلْتُ ، فَإِنْ كَانَ حَسَناً أَمَرْتُنِي بِإِذَاعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ
 غَيْرَ ذَلِكَ أَمَرْتُنِي بِسُتْرِهِ ، وَسُتْرَتِهِ عَلَيَّ . قال : يا ابن أخي ؛ أَحَسِبَ شَرَكِي عَلَى
 قَدَرِ عَقْلِكَ ، فَهَاتِ مَا قُلْتَ وَاشْدَأْ ، فَأَنْشُدْهُ :

طَرِبْتُ سَوْماً شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ^(٢) أَطَرَبَ وَمَا لِبَاءِ مَنِي ، وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ !
 قال : بلى ؛ فَإِنَّكَ فِي أَوَانِ اللَّعْبِ فَالْعَبْ . قال :

وَلَمْ يَلْهِي دَارَ وَلَا رَسْمَ مَنَزِلٍ وَلَمْ يَقْطَرْ بَنِي^(٣) بَنَانٌ يُخْضِبُ
 قال : فَمَا يَطْرِيكَ يَا بِنَ أَخِي ؟ قال :

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَرْجُرُ الطَّيْرَ مَهْمَا أَصْلَحَ غَرَابٌ أَمْ تَهْرَضَ نَمَلٌ^(٤)
 قال : فَمَا أَنْتَ ؟ وَبِمَكِّ ! وَإِلَى مَنْ تَسُو ؟ قال :

* خزائن الأدب : ٤ - ٢٣٧ (الطبعة الأميرية) ، للمرحوم : ٢ - ١٩٠

(١) نَسَبَ الكُميت قِيَّ الكوفة وتَأَدَّبَ عَلَى عِلْمَانِهَا ، وَأَخَذَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَطَالَعَ الشَّعْرَ حَتَّى
 نَبِهَ شَأْنَهُ ، وَتَمَسَّكَ بِالْوَلَاءِ وَالْهَاشِمِيِّينَ يَمْدَحُهُمْ وَيُنَادِيهِمْ بِالْإِثْمِ ، وَقَدْ لَقِيَ فِي سَبِيلِ مَذْهَبِهِ الشَّيْءَ بِلاَ
 كَثَرَةٍ ، وَقَدْ أُنْشِرَ الْقِتَّةُ بَيْنَ عِدَّتَيْنِ وَقُطِّلَانِ ، وَقُتِحَ لِشَيْخَةِ طَرِيقِ مَنَاظَرَةٍ خَصَمُوهُمْ بِالشَّعْرِ ، وَتَوَلَّى
 سَنَةَ ١٣٦ (٢) الْبَيْضُ : جَمْعُ بَيْضَاءَ ، يَرِيدُ النِّسَاءَ (٣) رَسْمٌ : أَمْرٌ ، وَيَطْرِي : يَحْصُلُ
 عَلَى الضَّرْبِ (٤) الزَّجَرُ الْعَبِيرُ : هُوَ الْبَيْتُ وَالْمُتَشَاوِمُ بِهَا ، وَالْغَرَابُ أَعْلَمُ مَا كَانَتْ الْمَرْبُ تَطْلِعُ
 بِهِ . وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبَيَافَةِ .

ولا الساعات^(١) البارحات عشية أمر سليم القرن أو مرّ أعصب
قال : أئما هنا قد أحنت فيه ، قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنبي وخير بني حواء والغدير يطلب
قال : من هم ! ويحك ! قال :

إلى نفر البيض^(٢) الذين يحبهم إلى آخر فلبا نابی : أترى
قال : أرخني ، ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رطل^(٣) النبي فإني بهم ولم أرضى مراراً وأعصب
قال : لله درّ بني أليك ! أحببت وأحنت ؛ إذ عدت عن الزعاف والأوباش ؛
إذن لا يصرد^(٤) سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فأنت واقف أشعر من مغي ، وأشمر
من بقي .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،
فصا بلغ من اللوعة قوله :

وقليل بالطف^(٥) غودرَ منهم بيت غوغاه أمة وطعام
بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميّ ! لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن
لك ما قل رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا
أهل البيت !

(١) الساعات : ماولاك مياسته ، والبارح : ماولاك مياسه ، وكان أهل نجد يقينون بالأول
ويشاءمون بالثاني ، وأهل البادية على العكس . والأعصب . الثور للكبور القرن ، وكانوا
يشاءمون به . (٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف . (٣) الرطل : القوم والقبيلة (٤) صرد
نهم : أخطأ . (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقيل الطف هو الحجة عليه السلام .

فخرج من عنده فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَأَنشده، فقال له : إن لي ضيفةً
أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدتُ لك بذلك شهوداً ،
وناوله إياها !

فقال : بأبي أنت وأمي ! إني كنتُ أقولُ الشعرَ في غيركم أريدُ بذلك الدنيا
واللآل ، ولكني - والله - ما قلتهُ فيكم إلا لله ، وما كنتُ لأخذ على شيء جلتهُ الله
مالاً ولا نعمةً ؛ فآلَحَ عَبْدُ اللَّهِ عليه ، وأبى من إعاقته .

فأخذ الكيِّتَ الكتابَ ومضى ؛ فكثَّ أيلما ، ثم جاء إلى عبد الله فقال :
بأبي أنت وأمي ؛ يا ابنَ رسولِ الله ! إن لي حاجةً ؟ قال : وما هي ، وكلَّ حاجة لك
مقتضية ؟ قال : كاتنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتابُ قبْلَه ، وترجمُ
العِصمة . ووضعَ الكتابَ بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونَهَضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأَخَذَ ثَوْباً ، فذفضه إلى
أربعة من غلمانه ، ثم جَلَّ يَدْخُلُ دُورَ بَنِي هاشم ويقول : يا بني هاشم ، هذا
الكيِّتُ قالَ فيكم الشعرَ حينَ صَمَتَ النَّاسُ عن فَضْلِكُمْ ، وعرضَ دمه لبني أمية ،
فَأَتَيْبُوهُ بما عذرتُم ! فيطرحُ الرجلُ في التَّوبِ ما قدرَ عليه من دراهم ودنانير ؛ وأُعْلِمُ
النساءَ بذلك ؛ فكانت للراة تبت ما أسكنها ، حتى إنها لتتخلعُ الخَلْيَ عن
جسدها . فاجتمع من الدنانير والدرهم ما قيمته مائة ألف درهم .

فجاء بها إلى الكيِّتِ فقال له : أتيناك بمجد للقتلِ ، ونحن في دولة عدونا ، وقد
جمنا هذا للآل ، وفيه حلَى النساءِ كما ترى ، فاستعينَ به على دمرك . فقال - بأبي أنت
وأمي ! قد أكثرُ ثم وأطيتُم ، وما أردتُ بملحى إياكم إلا اللهَ ورسولَه ، ولم أكُ
لأخذ لتلك ثمناً من الدنيا ، فأردَّده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكلِّ حيلة

فَأَيُّ ، قَالَ : إِنْ أَيْتَ أَنْ تَبْلُ فَايَ رَأَيْتَ أَنْ تَهْلُ شَيْئًا يَنْضَبُ مِنْهُ بَعْضُ النَّاسِ ؛
أَمَلُ فَتَنَةٍ تَحْلُثُ فَيُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ أَحِبَّائِهَا بَعْضٌ مَا يَجِبُ .

فَاجِدًا الْكُفَيْتَ ، وَقَالَ قَصِيدَتُهُ^(١) الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا قَوْمَهُ مُنَاقِبَ مِنْ مَضَرٍ ،
وَرِييَمَةَ^(٢) وَإِيَادَ وَأَعَارَ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا مِنْ تَضْفِيلِهِمْ وَيَطْلُبُ فِي وَصْفِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ
مِنْ قُضْعَانَ .

فَنَارَتْ الْمَصِيئَةَ فِي الْبَلَاءِ وَالْخُفْرِ ، وَاعْرِفَ أَهْلَ الْيَمَنِ إِلَى الدَّعْوَةِ الْمِيَّاسِيَّةِ ،
وَأَحْبَبَ ذَلِكَ اسْتِقَالَ الدَّعْوَةَ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ .

(١) مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَجِئْتُكَ اللَّهُ إِذْ سَمِعْتُ زَوْجًا وَأَسْكَنَهُمْ بِمَكَاءٍ هَلْبِنَا
لَنَا جِلَّ لِلْكَارِمِ خَالِصَاتِ وَقَتَايَ الْفَنَاءِ وَتَنَا الْبُجَا
وَقَدْ نَسَّ دَمِيلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ عَلَى الْكُفَيْتِ ، وَذَكَرَ مُنَاقِبَ الْيَمَنِ وَفَضَائِلَهَا مِنْ مَلُوكِهَا كَمَا هَلْ
الْكُفَيْتِ ، وَذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مِنْهَا :

أَتَيْتُكَ مِنْ مَلَايِكَةٍ يَا هَلْبِنَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ مَرَّ الْأَرْيَمَا
أَلَمْ تَحْزَنْكَ أَحَدًا لَقَائِي يَهْدِيكَ الْقَوَائِبُ وَالْقُرُومَا
(٢) كَانَ الْكُفَيْتُ مِنْ شُعْرَاءِ مَضَرَ وَأَلْقَاهَا لِلتَّصْنِيعِ عَلَى الْمُصْطَفَايَةِ لِلتَّارِعِينَ بِالْمَثَابِ .

١١٠ - إِنْ مِجْنَى يَنْلَبْ شَوْكْ*

لِما تَوَقَّى السِّفاحَ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ^(١) عَلَى النَّصُورِ ، وَالنَّاسُ عَنْدهُ يَمْزُونَهُ

هَـالَ :

أَمِيتَ بِالْأَنْبَارِ بَابَ عَمْدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عَقْرِهَا^(٢) تَحْوِيلًا
وَيْلَى عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كَلِّهِمْ وَبَلَا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِمَعْبَرَةٍ وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرَّجَالُ عَوِيلًا
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ بَابَ عَمْدٍ فَجَلَّتْ لَكَ فِي التُّرَابِ عَمْدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِمَدِّكَ كَلِّهِمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَعَ مِنْ سَأَلِ بَحِيلًا
أَلْتَقَوْنِي أَخْرْتُ بِمَدِّكَ لَقِي تَدْعُ الْعَزِيزُ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا ؟
فَلَا حَافِزَ يَمِينٍ حَقِّ بَرَّةٍ نَأْفَهُ مَا أُعْطِيتُ بِمَدِّكَ سُولًا^(٣)

قَابَكِي النَّاسَ قَوْلُهُ ؛ فَغَضِبَ لِلنَّصُورِ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : لَنْ سَمَعْتُكَ تَنْشُدُ
هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَقْطَلَمَنْ لِسَانِكَ ، قَالَ : بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
كَانَ لِي شُكْرُهَا ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي مِنَ الْبَدْوِ ، كَمَا جَاءَ اللَّهُ بِأَخُوهُ يُوسُفَ إِلَيْهِ ،
قَالَ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ : ﴿ لَا تَزِرُ وَكَرْبُكُمْ أَلْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

* الألفاظي ١٠ - ٢٤٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زناد بن الجون ، كوفي اللسان ، كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد ثم
أعطاه ، نبع في الشعر واقطع إلى السِّفاح والنَّصُور والهدى ، وكانوا يقدمونه ويطاونه ويحتلبون
عاشته ونواجره ، توفي سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر النصار : أصلها ووسطها (٣) السؤل : يهز ولا
يهز : ما سأله .

فَسُرِّيَ عَنِ النَّصُورِ ، وَقَالَ : قَدْ أَقْلَنْكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَتَلَّ حَاجَتَكَ ! قَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ كَانَ أَبُو الْبَيْسِ أَمْرًا بِمِثْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَخَمْسِينَ نَوْبًا ، وَهُوَ
مَرِيضٌ ، وَلَمْ أَقْبِضْهَا ؛ قَالَ النَّصُورُ : وَمَنْ يَنْلُمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ . وَأَشَارَ إِلَى
جَمَاعَةِ تَمَنٍ حَضَرَ .

فَوَثَبَ سَلِيحَانُ بْنُ مُجَالِدٍ ، وَأَبُو الْبُتْهِمِ ؛ قَالَا : صَدَقَ أَبُو دُلَامَةَ ، نَحْنُ نَلْمُ ذَلِكَ ،
قَالَ لِلنَّصُورِ لِأَبِي أَيُّوبَ الْخَلَّازِنِ - وَهُوَ مَقْبِيطٌ : يَا سَلِيحَانُ ، ادْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَسِيرْهُ إِلَى هَذَا
الطَّلَفِيَّةِ - بِمَعْنَى : عَبْدَ اللَّهِ ^(١) بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِالشَّامِ ، وَأُظْهِرَ الْخِلَافَ -
فَوَثَبَ أَبُو دُلَامَةَ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَصَيْفُكَ بِاللَّهِ أَنْ أَخْرَجَ مَعَهُمْ ، وَاقَّةُ
إِلَى مَشْتُومٍ !

قَالَ لِلنَّصُورِ : امْضِ ، فَإِنْ يُنْفَى يَنْلُبُ شَوْمُكَ - قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاقَّةُ
مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يُجَرَّبَ ذَلِكَ مَعِي عَلَى مِثْلِ هَذَا الْمَسْكَرِ ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَيُّهَا يَنْلُبُ :
يُنْمُكَ أَمْ شَوْمِي ؟ إِلَّا أَنِّي بَنَفْسِي أَوْتَقُّ وَأَعْرِفُ وَأَطُولُ تَجْرِبَةً .

قَالَ : دَعْنِي وَهَذَا ؛ فَإِنَّكَ مِنَ الْخُرُوجِ بَدَأْتَ . قَالَ : فَإِنِّي أَصْدُكَ الْآنَ ، شَهِدْتُ
وَاللَّهِ ثَمَنَ عَشْرٍ عَسْكَرًا ، كُلُّهَا هُزِمَتْ ، وَكُنْتُ سَبِيحًا ، فَإِنْ ثَلُثَ الْآنَ - عَلَى
بَصِيرَةٍ - أَنْ يَكُونَ عَسْكَرُكَ تَمَامَ الشَّرِينَ فَاقْتُلْ .

فَضَحَكَ النَّصُورُ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَخْتَلَفَ مَعَ عِيْسَى بْنِ حَوْسَى بِالْكُوفَةِ .

(١) هو عبد الله بن علي ؛ عم الخليفة النصور ، خرج عليه ودعا لثنه ، فوجه إليه النصور
أبا مسلم .

١١١ - قتلهم الشعر *

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره، وبنو هاشم دونه على الكراسي، وبنو أمية على الوسائد، قد نُفِيت لهم - وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسي - فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين؛ بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود ركب على نجيب، مُتَمِّمٌ^(١)، يستأذن ولا يُخْبِرُ باسمه، ويحلف ألاّ يتحسر القَتَامَ عن وجهه حتى يراك؛ قال: هذا مولاي سُذَيْفٌ، يدخل؟ فدخل، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله، حَذَرَ^(٢) القَتَامَ عن وجهه ثم سلم، ودنا وقبل يده، ثم انصرف إلى خلفه، فقام مقام مثله، وأنشأ يقول:

أصبحَ الْكَلْبُ ثَابِتَ الْآسَاسِ بِالْبَهَائِلِ^(٣) من بني العباسِ
بالصُّدُورِ لِلْقَدَمَيْنِ قَدِيمَا وَالرُّهُوسِ الْقَتَامِ^(٤) الرَّؤُوسِ^(٥)
يا أَمِيرَ الطُّهْرَيْنِ مِنَ الذَّمِّ وبأرأسٍ مُنْقَهَى كُلِّ رَأْسٍ
أنتَ مَهْدِيْ هَاشِمٍ وَهَذَا هَا كَمِ أَنْتَ رَجُوكَ بِسَدِ إِيَّاسٍ
لَا تُقَيِّنُ عَبْدٌ شَمْسَ عِثَارَاً وَأَقْطَعَنَّ كُلَّ رَقَّةٍ^(٦) وَغِرَاسٍ
أَتَرْتُمَا بَحِثَ أَنْزَلَهَا إِلَهُ بَدَارِ الْهَوَافِ وَالْإِنْفَاسِ

* الأغانى ٤ - ٣٤٥ (طبعة دار الكتب)، المحاسن والساوى ٤١٠، (ليزج).

(١) تَمَّ الرجل: وضع القَتَامَ؛ وهو رد العمامة على الوجه. (٢) حذر القَتَامَ: حله من علو إلى سفلى. (٣) البهائل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير. (٤) القَتَامَ: السيد الكثير الخير، الواسع الفضل. (٥) الرؤاس: الولاة والحكام. (٦) الرقعة: النسخة الطويلة التي تقوت اليد.

خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحزب للوآسى
أقسمهم أيها الخليفة وأخيم^(١) عنك بالسيف شاة^(٢) الأرجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد^(٣) وقتيل^(٤) بجانب للهراس
والإمام^(٥) الذي بحرّان أمسى رهن قسر في غربة وتامى
فلقد ساءنى وساء سوائى قربهم من نمارق وكرامى

فضير لون أبى العباس ، وأخذ زعم^(٦) ورعدة ؛ فالتفت بمض ولد سليمان
ابن عبد الملك إلى رجل منهم ، وكان إلى جنبه ، قال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل
أبو العباس عليهم ، قال : أرى قتلاكم من أهل قد سلقوا وأنتم أحياء تلتذذون
في الدنيا ، خذوم ؛ فأخذتهم الخراسانية وضربهم فأهبطوا ؛ إلا ما كان من
عبد العزيز بن مر بن عبد العزيز فإنه استجار بلود بن حل ، وقال له : إن أبى
لم يكن بكأبائهم ، وقد علت صنيته إليكم ؛ فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال له :
قد علت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا ترفى وجهه ،
وليكن بحيث تأتته ، وكتب إلى عماله في النواحي يقتل بنى أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس ؛ وهو الفخر . (٢) هو زيد بن حل بن الحسين بن حل بن أبى
طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك . (٣) للهراس : ماء يأخذ ، ويصق بالقتل حزة بن عبد
الطلب ، قتل يوم أحد غلام لجبير بن مطعم ؛ اسمه وحسى . (٤) الإمام اتقى بحرّان : هو إبراهيم
الإمام ، رأس الدولة الباسية ؛ قتل مروان بن محمد صبرا وحيا . (٥) الزبح : حية الرعدة
تأخذ الإنسان .

١٢٢ - للنصور أحق بشعر طريف*

قال أبو بكر الهذلي: سرتُ مع أمير المؤمنين للنصور^(١) إلى مكة وسائرته يوماً، فرض لنا رجل على ناقة حراء تنهب في الأرض، وعليه جبة خز وعملة حدنية، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض، سرى الهيثية.

فصارأه أمرني أن أدمعه، فدعوته فجاء، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه ومن ولآه الصدقة، فأحسن الجواب، فأعجبه ما رأى منه، قال: أنشدني، فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء، وحذته حتى أتى على شعر لطريف ابن تميم المنبري، وهو قوله:

إن قتاني لنبيح^(٢) لا يؤيسها^(٣) غمرُ الثقاف^(٤) ولا دُهن ولا ناز
مق أجرج خاتفاً تآمن مسارحه^(٥) وإن أخيف آمتنا خلق به الدار
إن الأمور إذا أوردتها صدرت إن الأمور لها وزد وإصدار

قال: ويحك! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر؟ قال: كان أختل العرب على عدوه وطأة، وأدركهم ثأر، وأدبنتهم خيبة^(٦)، وأصلبهم قتاة لمن رام

* المنبري: ٩ - ٢٩٨.

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وأساساً وعظماً وبناتاً. توفي سنة ١٥٨ هـ. (٢) النبح: شجر من أشجار الجبال؛ تتخذ منه القسي. (٣) التأييس: التذليل والتأخير؛ أي لا يؤثر فيها شيء. (٤) الثقاف: ما تقوم به الرماح. (٥) للسارح جمع مسرح؛ وهو الوضع الذي تفرح إليه الماشية بالنداء للرعي. (٦) الخيبة: الخس؛ ويسمون الخيبة: مبارك النفس.

حَضَمَهُ، وَأَقْرَامَ لُصِيفِهِ، وَأَحْوَطَهُمْ مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ ؛ أَجْمَعَتِ الْعَرَبُ بِكَافٍ فَكَلَّمَهُمْ
أَقْرَبَ لَهُ بِهِذِهِ الْخِلَالِ ، غَيْرَ أَنَّ امْرَأً أَرَادَ أَنْ يَقْصُرَ بِهِ قَالًا : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِبَعِيدِ
النَّجْمَةِ^(١) ؛ وَلَا قَاصِدِ الرَّمِيَةِ^(٢) ؛ فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَعَلَ عَلَى فَمِهِ أَلَّا يَأْكُلَ
إِلَّا لَمْ قَنْصَ يَمْتَنِعْهُ ، وَلَا يَنْزِعَ كُلَّ عَامٍ عَنْ غَزْوَةِ يَبِطُ فِيهَا أَثَرَهُ .
قَالَ : يَا أَخَا تَيْمٍ ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِذْ وَصَفْتَ صَاحِبَكَ ، وَلَكِنِّي أَحَقُّ بِبَيْتَيْمَنَةٍ ،
أَنَا الَّذِي وَصَفْتُ ، لَا هُوَ !

(١) النجمة : اللطم في طلب الكلاء . (٢) قصد الرمية : أصابها .

١١٣ - الحجة مفتاح كل خير*

دعا للنصور بالربيع^(١) قال : سَلِّ مَاتِرِدَا هَدَّ سَكَتَ حَقِّ نَقَتْ ، وَخَفَتْ
حَقِّ تَقَلَّتْ ، وَأَقَلَّتْ حَقِّ أَكْثَرَتْ !

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَرْهَبُ بِخُفِّكَ ، وَلَا أَسْتَعِيزُ فُضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَمِ
مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ
يَوْمِي ! وَلَوْ جَازَ أَنْ يُشْكِرَكَ مِثْلِي بَنِيرُ الْخُلَعَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لِفَضْلِكَ أَحَدٌ .

قال : صَدَقْتَ ، عَلَى يَهَذَا مِنْكَ أَهْلُكَ هَذَا الْحُلْ ، فَسَلِّ مَا شِئْتَ !

قال : أَسَأَلَكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ الْفَضْلُ^(٢) ، وَتَوْثِرَهُ وَتُحِبَّهُ ! قال : يَا ربيع ؛
إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يَوْهَبُ ، وَلَا رِثْيَةٌ تَبْدَلُ ، وَإِنَّمَا تَوَكَّدُهُ الْأَسْبَابُ ! قال :
فَاجْعَلْ لَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ !

قال : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُ بِأَلْفِ دَرَمٍ ! وَلَمْ أُصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُو مَيِّ ؛
لَتَعْلَمَ مَالَهُ عَتْدَى ؛ فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَعْنِي بِهِ بِحَقِّي .

ثم قال : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهَ الْحِجَّةَ يَا ربيع ؛ قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ،
وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ؛ تُسْتَرَّبُ بِهَا عَيْنُكَ عِيَّوُهُ ، وَتُصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ !
قال : صَدَقْتَ .

* زمر الآداب : ٢ - ٢٩٩

(١) هو الربيع بن يونس ، ختم النصور ، ثم تدرج في المناصب هنده إلى أن استوزره ، وكان
جليلا نبلا طرفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ . (٢) هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد
وزر الرشيد يد البرامكة ؛ ولابنه الأمين .

١١٤ — المنصور والشعراء *

قال الريح بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ! إن الشعراء
ببابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، وشذت ثقتهم ، قال : اخرج إليهم ، وسلم
عليهم ، وقل لهم : مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ فلا يصف الأسد ؛ فَإِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ ،
وَالْحَيَّةُ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ دُوبِيَّةٌ تَأْكُلُ التُّرَابَ ؛ وَلَا الْجَبَلُ ؛ فَإِنَّهُ جَبَرُ أُمَمٍ ،
وَلَا الْبَحْرُ ؛ فَإِنَّهُ عَيْنُ لَحِيبٍ ^(١) ؛ فَمَنْ لَيْسَ فِي شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَلْيَدْخُلْ ،
وَمَنْ كَانَ فِي شِعْرِهِ شَيْءٌ مِنْهُ فَلْيَنْصَرَفْ . فَأَبْلَتْهُمْ ؛ فَأَنْصَرَفُوا كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ^(٢) بْنَ
هَرَمَةَ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَارِيعٌ ، فَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ .

فَأَدْخَلَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلَّ لَهُ يَارِيعٌ ؛ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَجِيئُكَ غَيْرُهُ ،
فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مِنْهَا :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ ^(٣) سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّمَهَا ^(٤) فِيهَا عَقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأَمَّ الْقِيَّ أَمْنَتَ أَمْنَةِ الرَّدَى وَأَمَّ الْقِيَّ خَوْفَتَ بِالْأَسْكَالِ تَاكُلُ

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٦ . العقد الفرید : ١ - ١٦٥ ، ذیل زمر الأدب : ١٨١ الفروع :
١٨٥ ، الأغاني : ٦ - ١٠٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) لب : ذو لب ، وبصر ذو لب : إذا سمع اضطراب أمواجه . (٢) هو إبراهيم بن علي
ابن هرمة النسب إلى قريش ؛ نشأ بالمدينة ، وأخذ عن الرواة والمقدمين ولتأدين كثيراً ، وقال
لشعره وأجاد . وتوفي سنة ١٥٠ هـ . (٣) الحفافين : الجانين . (٤) كرمها : أرجبها ،
والتائل : الطلاء .

قال له النصور : أما لقد رأيتك في هذه البار قاعاً بين يدي عبد الواحد بن
سليمان تلشده قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قاذمة الجناح

فقطع ابن هرمة حتى ما قدر على الاعتذار ، قال له النصور : أنت رجل
شاعر طالب خير ، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة
دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هرمة رجل منافق
يختلف لا يبق شيئاً ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها ، يجزى عليه منها
ما يكتفي ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك قتل .
قال : اضلوا ذلك به .

١١٥ - المؤمل يمدح المهدي*

وفد للمؤمل^(١) بن أميل على للهدى بالرّى فامدحه ، فأمر له بشرين ألف
درم ، فأقبل الخبير بالنصور ، فكتب إليه أن يمدّله ويقول : إنما كان سيّلك أن
تأمر للشاعر بمد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب للهدى
ياخذ الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شخّص إلى مدينة السلام .

فكتب إلى للنصور غيره ، فأخذ للنصور قائداً من قواده إلى النهر وان
يتصفّح وجوه الناس رجلاً رجلاً بمن يمرّ به حتى يظهر للمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها للمؤمل ، فسأله : من أنت ؟ قال :
أنا للمؤمل بن أميل الحارثي الشاعر ، أحد زوّار الأمير للهدى ، قال : إنّاك
طلبت .

قال للمؤمل : فكاد قلبي يتصدع خوفاً من أبي جعفر ، وقبض علىّ ؛ ثم أتى
بني وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسلمت تسليم مروع ، فردّ السلام ،

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مذهب الأئمة : ٤ - ١٣٥ ، أمالي الزجاني : ٢٦ ، ذيل زهر
الأدب : ٨٤ ، المنبر : ١٨٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣
(١) شاعر كوفي من عترة الدولة : الأموية والعباسية ، وانتقل إلى الهدى في حياة أبيه
وبعد ، وكان في شمره ابن ، وله طبع صالح . (٢) الهدى هو ابن أبي جعفر النصور والحليفة بعده ،
كان فطناً كريماً شديداً على أهل الإلماد ، كثير الجلوس بنفسه للنظام . توفي سنة ١٦٩ هـ .

وقال : أُنَيْتَ غُلَامًا غِرًّا كَرِيمًا تَخْدَعْتَهُ ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أُنَيْتَ مُلْكًا
جَوَادًا كَرِيمًا فَدَحَتْهُ خِفْلَتُهُ أُرْبُحِيَّتُهُ عَلَى أَنْ وَصَلَنِي وَبَرَّانِي ؛ فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَحَبَّهِ ،
فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي مَا قَلَّتَ فِيهِ ، فَأَنْشَدَهُ :

مَثَابَةٌ ^(١) صُورَةُ الْقَمَرِ لِلنَّيْرِ	هُوَ لِلْهَدْيِ إِلَّا أَنْ فِيهِ
أَنَارًا يُسْكِلَانِ عَلَى الْبَصِيرِ	تَمَثَابَةٌ ذَا وَذَا قَهْمًا إِذَا مَا
وَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجُ نُورٍ	فَهَذَا فِي الضِّيَاءِ سِرَاجُ عَدْلٍ
عَلَى ذَا النَّابِرِ وَالسَّرِيرِ	وَلِيَكُنْ فَضْلُ الرَّحْمَنِ هَذَا
وَمَاذَا بِالْأَمِيرِ وَلَا الْوَزِيرِ	وَبِالْذَلِكَ الْمَزِيزِ هَذَا أَمِيرٌ
مُنِيرٌ عِنْدَ قَهْمَانِ الشُّهُورِ	وَقَهْمُ الشَّهْرِ يُنْمِدُ ذَا، وَهَذَا
بِهِ تَمَلُّوْا مُفَاخَرَةَ النَّخُورِ	فَيَأْتِي خَلِيفَةُ اللَّهِ لِلصَّقَى
إِلَيْكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالْوَعُورِ	لَئِنْ قُتِيَ الْمُلُوكُ وَقَدْ تَوَافَوْا
تَرَاهُمْ بَيْنَ كَأَبٍ أَوْ حَسِيرِ	لَقَدْ سَبَقَ لِلْمُلُوكِ أَيْبُوكَ حَتَّى
وَمَا بَكَ حِينَ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ	وَجِئْتَ وَزَاهَهُ تَجْرِي حَتِيئًا
بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ	قَالَ النَّاسُ : مَا هَذَا إِلَّا
لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ	فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبْقِي
قَدْ خُلِقَ الصَّغِيرُ مَعَ الْكَبِيرِ	وَلِنْ يَنْجِ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرِ

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مثابه : جمع عبه على غير قياس .

أين للال؟ قال : ها هو ذا ! قال : يلربيع؛ أعطه منه أربعة آلاف درهم ،
وخذ الباقي .

قال المؤمل : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فأليت على غنى ألا أدخل العراق
والمصنور بها ولاية .

فلما صارت الخليفة إلى المهدي رقت إليه رقعة ذكرت فيها قصتي ، فلما قرأها
ضحك حتى استلقى ، وقال : هذه مظلة أناس عارف ؛ ردوا عليه ماله ، وزيدوا
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

١١٦ — مبالغ وعطايا*

أَهْدِيَتْ جارية يمانية إلى أبي جعفر المنصور ، فأنشدته شعرا مروان بن أبي حفصة^(١) يمدح به السريّ بن عبد الله ، ويذكر فيه وراثة العباس ، فألمأ : لمن هذا الشعر ؟ فأخبرته ، فأمر بإحضار مروان ، فوافاه بالريّة^(٢) حاجا ، فلقى الربيع بن يونس والمنصور عليل ؛ الملة التي مات فيها . فقال : كُنْ قريبا حتى ندعو بك ، فلم تزل الملة تشتد به حتى مات قبل أن يصل إليه مروان ، فقال له الربيع : الحق بالمهدى^(٣) ولا تتخلف عنه ؛ وانصرف مروان إلى البصرة ، فجلسها طريقا ، وعليها بشر بن المنذر واليا ، فأوفده بشر فيمن أوفده ، وأعطى كل رجل ألف درهم ، فقدم مروان على المهدي ؛ وقد ملحه بأربع قصائد . فأعطاه المهدي ثلاثين ألف درهم ، فانصرف إلى البصرة .

ثم عاد بعد ذلك ، فطلب الوصول بيعقوب بن داود^(٤) ، فأقام نحوًا من سنة ، وغضب المهديّ على يعقوب بن داود .

قال مروان : بيتنا أنا واقف على باب المهديّ إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال : يا بن أبي حفصة ؛ ذكرك أمير المؤمنين آتيا ؛ وهو يراك أشعر الناس ، غير أنه يقول : لا حاجة لنا فيما قبلك ؛ فانصرف عن بابنا .

* الحسن والداوي : ٢٤٠ (طبع ليزج) ، الفرج بعد الشدة : ١ - ٧٣

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتر إلا في دولة بني العباس ، مدح للمهديّ وسنن بن زائدة والرشيد ، وبعد من يقول الشعراء : مات سنة ١٨١ هـ . (٢) الريّة : من قرى المدينة . (٣) انظر صفحة ٣٨١ . (٤) كان يعقوب وزير للمهدي ، وكان على المنزلة عنده ، موضع ثقة منه ، ثم قُتِل عليه وجبه ، وما زال في حبه حتى تولى الرشيد وأخرجه منه .

فانصرفت مضموماً ، ثم تذكرت رجلاً أحدث عنده ، وآنسُ هديه ، فأتيت
يزيدَ بنَ مزَيدٍ ، فشكوتُ إليه ما قال لي خالد بن يزيد . قال : أدلك على رجل
صدوق ، له رقةٌ ، لله بفمك اقلت : ومن هو ؟ قال : الحسن الحجاب ، فقلت
إلى الحسن ، فشكوتُ إليه ما حكاه خالد من رأي أمير المؤمنين ؛ قال : بل ذلك من
يعقوب بن داود . قلت : بأبي أنت وأمي ! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا
فيه ! قال : ذلك كما أقول لك ، فانصرفتُ ؛ وقلت :

أتاني من الهدى قولٌ كأنما به احترأني مدمنُ الضننِ جادغُ
وقلتُ وقد خفتُ التي لاشوى لها^(١) بَلَا حَدَثٍ : إني إلى الله راجعُ
وما لي إلى الهدى لو كنتُ مُذنباً سوى حليمِ الصافي من النسيِ شافعُ
ولا هو عند الشظمنه ولا الرضا بغير الذي يرضى به اللهُ صانعُ
عليه من التقوى رداً بكنهه وللحق نورٌ بينَ عينيه ساطعُ
يُغضُّ له طرفُ العيون ومرقته على غيره من خشيَةِ الله خاشعُ
هل البابُ مُغضٍ إليك يا هاشمِ قُدْرِي إِنْ أَفْعَى بِي الْبَابُ ناصعُ
أنتِ امرأٌ أطلقتَهُ مِنْ وَثاقِهِ وقد أنشيتُ في أخذِ عِيهِ الجوامعُ^(٢)
وَجَلَى ضبابُ المدمرِ عنه وراشهُ وَأَنْهَضَهُ مَمْرُ وَفِكَ للتابعُ
قلتُ : وزيرُ ناصحٍ قد تناهتْ عليه بإصْامِ الإمامِ الصنائعُ
وما كان لي إلا إليك ذريعةٌ وما عَظَمَ إِلَّا إِلَيْهِ الذرائعُ
وإن كان مطلوبٌ على القدرِ كَشَعُهُ نَمِ أَدْرِ مِنْهُ مَا يُجْنِ الْأَطْطَاعُ

(١) لاشوى لها : لا يبرء لها .

(٢) الجوامع : جمع الخفاصة : القل .

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيَحْشُرُ يَقُوبُ بْنُ دَاوُدَ خَائِبًا بَلُوحُ كِتَابٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرُ
بَدَأَ مِنْكَ لِلْهَدْيِ كَالصَّبِيحِ سَالِحًا مِنَ اللَّيْلِ مَا كَانَتْ تُجِنُّ الضَّامِرُ
وَهَلْ لِي بِبَاضِ الصَّبِيحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ لِحَابِ الدُّجَا مِنْ غُلْمَةِ الْإِيلِ سَارُ
أَمَزَقَ فَوْقَ النَّقَى كَثْرَ نَتْنِهَا تَمَلَّيْتُ إِلَّا أَفْلَحْتُ مِمَّا تُحَاذِرُ
ثُمَّ أَتَيْتُ الْحَسَنَ بِدِ يَوْمَيْنِ ، قَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَنْشَدْتُهَا إِيَّاهُ ، قَالَ :
ا كَسَبَهَا لِي . قُلْتُ : قَدْ فُتَّ . قَالَ : هَاتِيهَا ، فَتَنَاوَلَهَا ، وَقَالَ : لَسْتُ وَاضِعَهَا
مِنْ يَدِي حَتَّى أَضْمَهَا فِي يَدِ الْهَدْيِ ، ثُمَّ مَضَى .

وَأَتَيْتُهُ مِنَ النَّدَى ، قَالَ : مَا وَضَعْتُمَا مِنْ يَدِي حَتَّى وَضَعْتُمَا فِي يَدِ الْهَدْيِ !
فَرَأَاهُمَا فَرَّقَ لَكَ وَأَمَرَ بِإِدْخَالِكَ عَلَيْهِ ؛ فَاحْضَرِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ .

فَحَضَرْتُ ، فَفَرَّجَ عَلَيَّ ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَانِكَ ، وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَجْلِسَ لَكَ يَوْمًا بِشِرْكِكَ فِيهِ وَيَبْلُغَ بِكَ . قُلْتُ : فَقَى ؟ بَأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ! قَالَ :
يَوْمَ الْخَمِيسِ .

فَضَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَإِذَا وَجْهُ بَنِي الْعَبَّاسِ يَدْخُلُونَ عَلَى الْهَدْيِ ، فَلَمَّا
تَنَاقَلَ الْمَجْلِسَ دَعَانِي فَدَخَلْتُ فَسَلْتُ فَرْدَ السَّلَامِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا حَبَبُكَ مِنَ الدَّخُولِ
ا قِطَاعُكَ إِلَى يَقُوبِ بْنِ دَاوُدَ ، فَانْتَصَبْتُ الشَّيْثَ بِمَا قُلْتُ فِي يَقُوبَ ، فَأَنْشَدْتُهُ ،
ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ :

طَرَفْتُكَ^(١) زَائِرَةً خَيَّيْهَا يَبْضَاءُ تَحْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا

(١) طرق اليوم : أنام ليل .

قَادَتْ فُؤَادَكَ فَاسْتَغْلَا وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا^(١) فَأَمَّا هَا
فَانصَتِ النَّاسَ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِي :
هَلْ تَلْمِزُونَ مِنَ السَّمَاءِ بُحْبُوحَهَا بَأْ كَفْكُمْ أَوْ تَسْتَفْزُونَ هَلَالَهَا !
أَوْ تَجْتَمِدُونَ مَقَالَةً عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَقَهَا النَّوَى قَالَهَا
شَهِدَتْ مِنَ الْأَهْلِ آخِرَ آيَةٍ بِرَأْسِهِمْ^(٢) فَأَرَدْتُمْ لِإِبْطَالِهَا
فَأَصْبَحَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جِزَالُكَ خَيْرٌ أَهْلًا : اشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرَفُ ،
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجْزِي خَيْرًا ، ثُمَّ أُنْشِدَتْ :

• أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحْيَةِ عَائِد •

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :
أَبَادَى بَنَى الْمِبَاسِ يَمِضُ سَوَابِغُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ هَوَائِدُ
فَهُمْ يَمْدُ لَوْنِ السَّجَلِكِ مِنْ قُبَّةِ الْهَدَى كَمَا يَمْدُ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ التَّوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزٍّ لِلسَّيْنِ ، وَإِنَّمَا بَنُوهُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
يَرَيْنُ بَنَى سَاقِي الْجَمِيعِ^(٣) خَلِيفَةً عَلَى وَجْهِهِ نَوْرٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ
يَكُونُ غَيْرَ كَرَأٍ نَوْهٌ مِنْ حِذَائِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقِ رَاقِدُ
كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّادًا رَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ خَالَفِ الْحَقِّ مِنْهُمْ سَقَّتَهُ بِدُ لَوْنِ الْحَقُوفِ الرَّوَاعِدُ

(١) استغلا : اغتاد ، والصبأ : الشوق . (٢) الرأس : ما يتركه البيت لورثته ، ومعنى آخر آية من سورة الأهل قوله تعالى : « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَيْنَهُمْ أَوْلَى بِمِثْلِ كِتَابِ اللَّهِ » . (٣) يميز لل سقاية الحاج ، وهي ما كانت قرش عليه الحاج من الزيت للتبوء في الماء ، وكان يليها الماء ابن عبد الطالب ، جد الخلفاء عباسيين .

فأشار إلىّ ، فأمسكتُ . قال : يا بني العباس ، هذا شاعركم للقطع إليك ،
للمادى فيكم ، فأعطوه ما يسره . قلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ،
وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، قال : أنا فترض عليهم لك مالا ، فترض
على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على
القوم على قدر حالهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والربيع
يكتب كل ما فرض على كل رجل منهم .

قال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأخذنا فبا
أدخلتهم فيه ؛ فجعل عليه ألفا ، وعلى الربيع أثنين ؛ فمّت أربعين ألفا .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ من لي بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الربيع .
ثم قال : إن أمير المؤمنين يسطيك من صلب ماله . فأمر لي بثلاثين ألف درهم
في ثلاث بدر^(١) غني . بهن ؛ فطرحن قريبا ، فدعوت وشكرت ، قال : يا ابن
أبي حفصة ؛ سعيبتك صلاتي ويرى ، ويأتيك متى ما يؤذك إلى النفي .

قلت : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت من قبولك وبشرتك وسرورك بما سمعت متى
ما سأزاد به شعرا ، وستسمع ويبفك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، لا يبلغ ما أعطيتني
لشاعر بدي ، قال : أجل اقلت : وآذني في زيارتك ، قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لي عدو فيك ، وفي أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين
ألا يجمل لأحد على سلطان دونه أقال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ،
قلت : اكتب إلى بذلك كتابا ، فأمر بالكتاب بذلك فانصرف .

فلما صرت خلف السور خرج إلى خادم عندئذ فيه أوبة أعواب وشئ وموب

(١) البيرة : كس في عمرة آلاب .

خَزَّ^(١) وَجَبَّةً وَقِيمَ . قَالَ : أَلَيْسَ بِهِ وَأَعِيدُوهُ إِلَيَّ ؛ فَلَبِثَ الْخَزَّ وَالْوَشَى عَلَى الثَّيَابِ
الَّتِي كَانَتْ عَلَىَّ ، وَأَقْبَيْتُ الْقَعِيمَ عَلَى أَحَدِ مَنَكِيحِي وَالْجَبَّةَ عَلَى اللَّسِيبِ الْآخَرِ .
قَالَ لِي : يَا بَنَ أُمِّي حَقِصَةً ؛ أَدْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا ، وَقَدْ مَثَلَتْ بِنَفْسِكَ !
قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ كِرَامَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مَا خَلَعْتُ مِنْهَا شَيْئًا أَطِيقُ حَمْلَهُ .
ثُمَّ دَخَلْتُ فَلَمَّا رَأَيْتُ بَقِيمَ ، ثُمَّ قَالَ : مُطَرِّفٌ^(٢) ، فَأَبْلَثُوا بِهِ ، قَالَ : لِلْمُطَرِّفِ -
وَأَنَا قَاتِمٌ - ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ : الْمُطَرِّفُ . فَلَمَّا أَبْلَثُوا انصرفت ، وَقَعْدَتْ خَلْفَ السُّرَّةِ ،
فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ رُفِعَ السُّرُّ ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دَابَّةٍ قَعَمْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْتُ
قَالَ : لِلْمُطَرِّفِ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ ؛ فَفُشِّرَ عَلَىَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِشُرَّةٍ
مِنْ خَلْمِ الرُّومِ ، وَجَائِزَةٍ سَنِيَةٍ ، وَيَرْذَوْنُ^(٣) بِسَرِّجِهِ وَجِلَامِهِ .

(١) الْخَزَّ : الْحَرِيرُ . (٢) الْمُطَرِّفُ : تَوَبَّ لِي طَرَفُهُ عِلَاقُ . (٣) الْيَرْذَوْنَ : الْعَابَةُ .

١١٧ — فصاحة نُصيب*

وجّه الهدى نُصيباً^(١) الشاعر مولاة إلى اليمن في شراء إبل مهريّة^(٢) ، ووجه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بشرين ألف دينار ، فذّبه في الدنانير بنفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعي بخبره إلى الهدى ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على الهدى أنشدته شعراً ، قال :

تَأْتِي قِلَّةٌ مِنَ الْمُمْوِجِ	فَارَّقَ عَيْتِي ؛ وَاتَّخِذُوا هَيْجَعُ
هَمُّ نَوَالٍ لَوْ أَطَافَ بِبَيْرِهَا	بَسَلَى لَطَلَتْ صُمُّهُ تَقْصَدُ ^(٣)
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظِلَّهُ حِنْدِساً	فَخِلْتُ دَجَا ظِلْمُهَا لَا تَقْشَعُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ	سِوَاكَ مُجِيراً مِنْكَ يُدْنِي وَيَمْنَعُ
تَلَمَّسْتُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي ؟ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى رَحْمَةِ أَعْلَاكَ اللَّهُ تَشْفَعُ
لَنْ جَلَّتِ الْأَجْرَامُ ^(٤) مَعِي وَأَفْطَلْتُ	لَتَفُوكَ عَنْ جَرْمِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
لَنْ لَمْ تَسْعَى يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ	فَا مَجِزْتُ عَنِّي وَسَائِلَ أَرْبَعُ
طُبِيتَ عَلَيْهَا صِبْنَةٌ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ	عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالْهَيْبَةِ تُطْبَعُ

* الأغانى : ٢٠ - ٢٦ (طبعة الساسى) .

- (١) هو عبد نفأ باليمامة ، واشترى للهدى حياة للتصور ، فلما سمع همزه قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأعطاه صبية بالسوداء ، تولى سنة ١٧٥ هـ .
(٢) مهرة بن حيدان : أبو حنيفة ، والإبل للهريّة منسوبة إليه . (٣) سلى هنا : جيل .
(٤) الأجرام : الذنوب .

تَفَافِكَ مِنْ ذِي الْقَنْبِ تَرْجُو صِلَاةَ وَأَنْتَ تَرَى مَا كَانَ يَأْتِي وَيَصْنَعُ
وَعَفْوِكَ هَمِّنَ لَوْ تَكُونُ جَزِيَّتَهُ لَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ نَكْبَاهُ زَهْرَعُ
وَأَنْتَ لَا تَنْفَكُ تَنْمَشُ عَارًا وَلَمْ تَعْرِضْهُ حِينَ يَكْبُو وَيَنْمَعُ^(١)
وَحَلَّكَ مِنْ ذِي الْجَهْلِ مِنْ بَدِّ مَا جَرَى بِهِ عَنُقُ^(٢) مِنْ طَائِفِ الْجَهْلِ أَشْنَعُ
وَإِنِّي لَمَوْلَاكَ الْقَدَى إِنْ جَنَوْتَهُ أَنِّي مُسْتَكِينًا رَاهِبًا يَتَضَرَّعُ
وَإِنِّي لَمَوْلَاكَ الضَّعِيفِ فَأَغْفِي فَنَاقِي لَمَوْلَاكَ أَهْلًا وَمَوْضِعُ
نَمَّ تَشَقُّعُ لَهُ الْهَادِي وَأَعْتَقَهُ ، وَأَمْضَى الْمَهْدَى ذَكَ لَهُ ، وَأَمْرٌ بِمَجْدِيدِهِ فَفُكَّ عَنْهُ ،
وَخَلَعَ عَلَيْهِ عِدَّةً مِنْ الْخَلْعِ ، وَوَصَلَهُ بِالْأَنَّى دِينَارٌ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِجَارِيَةِ يُقَالُ لَهَا جَفْرَةٌ ،
جَمِيلَةٌ طَائِقَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ قَمَّ الرِّقِيْقَ : لَا أَدْفِئُهَا إِلَيْكَ أَوْ تُعْطِيَنِي أَلْفَ دَرَمٍ ، فَضَادَ
إِلَى الْمَهْدَى وَأَنْشَدَهُ :

مَا زِلْتُ تَبْغِلُ لِي الْأَمْوَالَ مَجْتَهِدًا حَتَّى لِأَصْبَحْتُ ذَا أَهْلٍ وَذَا مَالٍ
زَوَّجْتَنِي بِابْنِ خَيْرِ النَّاسِ جَارِيَةً مَا كَانَ أَبْثَالَهَا يُهْدَى لِأَمْثَالِ
زَوَّجْتَنِي بَصَّةً بِيضَاءَ نَاهِيَةٍ كَانَتْهَا ذَرَّةً فِي كَفِّ لَأَلٍّ^(٣)
حَتَّى تَوَهَّجَتْ أَنْ اللَّهُ مَجْلِبُهَا بِابْنِ الْخِلَافَةِ - لِي مِنْ خَيْرِ أَمْحَالِ
فَسَأَلَنِي^(٤) سَالِمٌ أَلْفًا قَتَلَتْ لَهُ : أُنْفَى الْأَلْفِ ؛ بِأَقْبَضَ مَنْ سَأَلَ !
مَهَبَتْ أَلْفُكَ إِلَّا أَنْ أَجِيءَ بِهَا مِنْ فَضْلِ مَوْلَى لَطِيفِ الْمَنْ مِفْضَالِ
فَأَمَرَ لَهُ الْمَهْدَى بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَلَسَالِمَ بِأَلْفِ دَرَمٍ .

(١) الخنق : الظلم . (٢) العنق في الأصل : نوع من البير . (٣) الآل : بالهمزة الأولى .

(٤) سألني : سألني .

١١٨ — أئمة الخلافة منقادة*

جلس المهدي لشراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار^(١) وأشجع^(٢) ؛ وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعطيه ، وكان في القوم غير هذين أبو الصامية^(٣) ، قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبي الصامية قال : يا أخا سليم ! أهدنا ذلك الكوفق الملقب ؟ قلت : نعم ! قال : لا جرى الله خيراً من جمعتنا معه . ثم قال له المهدي : أنشد ، فقال : ويمك ! أوئسئتند أيضاً قبلنا ! قلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لي بدى ماله أدلاً فاحيل إذ لآها
والا قيم تجت وما جيت سقى الله أطلآها
ألا إن جارية للإمام قد أسكن الحسن يربأها
مشت بين حورٍ قصار البطل تجاذب في الشى أكفأها
وقد أنصب الله نضى بها وأنب بالقوم عذأها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويمك يا أخا سليم ! ما أدرى من أى أمرية أعجب : أم من ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

* الأغانى : ٤ - ٣٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو فارس الأصل ، أخذ أبوه في سبي للعراق بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعتق .
ولد أمى شيخ النظر ، وبيع في الشعر ، فكان رئيس شعراء العصر العباسى غير مدافع ، وتولى سنة ١٦٧ هـ . (٢) أبو الصامية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وطالع الشعر صيا خليفاً ، ثم أُلِمَ بملابغ التشكيبين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره . مات سنة ٢١١ هـ .

أنتَ الخَلْقَةُ مُقَادَّةٌ إِلَيْهِ تَجْرُرُ أَذْيَالَهَا
فَمَنْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَأَى أَحَدٌ غَيْرُهُ زُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطْلِعْ بَنَاتُ^(١) الْقُلُوبِ لَنَأَ قَبِيلَ اللَّهِ أَعْمَانَهَا
وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَنِي «لَا» إِلَيْهِ لَيُبَيِّنُ مَنْ ظَلَمَ

قال أشجع : قال لي بشر ، وقد اهتمز طرباً : وبمك يا أخا سليم أترى
الخليفة لم يطر عن فرائضه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي .

١١٩ — صريح النَوَّانِي*

خرج مُسْلِمٌ^(١) بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميريّ بباب الرشيد ، فلم فردّ عليه السلام ، ورحّب به ، وسأله عن شأنه فخبّره ، وسأله أن يقرّبه من الخليفة ، وأن يحتال حتى يمدّ في ممّا زحيه ، ومن يجرى عليه أرزاقه ! فقال له الحميريّ : سأنتقي لوصولك إلى أمير المؤمنين .

فدخل الحميريّ ، فأصاب أمير المؤمنين لَيسَ^(٢) النفس ، قد اشتعل عليه الفكرُ في سرعة تحقّي أمور الدنيا ، وأنه لا يُقَسَّبُ منها شيء إلا كان كالظلمة الزائل ، والسراب الخالد ! قال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ أظننّ أن هذا الفكر يحبسُ عليك الأيَّام ، ويمنعك عما لا يستمتع به ؛ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكماً يقول : اللهمّ مفسدةً للنفس ، ومصلحةً للفهم ، ومشدّةً للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال لقمان الحكيم : من ملك يستأثر ، ومن لا يَنْقَشِرْ يندم ، اللهمّ نصف الهرم ، والفقير الموت الأَكْبَر .

* المحاسن والساوي : ٢٥٣ (طبع ليزنج) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأصغر ، كان مدحاً محبّاً ، لطيف اللسان رقيق القول ، مدح يزيد ابن يزيد والبرامكة والرشيد ، وولاه للأمن بريد جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) يقال : لفت نفسه من الشيء : انصرف .

فكان الرشيد نشيطاً ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فقدم إليه
الجبيري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلقت بالباب آنفاً رجلاً من أخوالك الأنصار ،
متقلداً في شعره وأدبه وطرْفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنه ولهوه ولعبه ومجادته
إخوانه ، ويذكر مجالس اتصل له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ،
يبحثُ والله على الصبابة والفرح ، ، ويباعد عن الهم والترح ، وكأنه قد وثق - بين
أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مبرئاً من هذه الشكوى ، زائلاً في سرور
أمير المؤمنين ، مستديماً صِلّة رحمة ، والشرّف بمجده .

فاحتفزه السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل
بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل وكان نحو الثمانين ، فوصل إليه في وقتٍ قد
كان خرج فيه من رسم الشباب وشرّته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سناً ،
وكان - ناعمك من رجل - معه فهم وتجربة وتمييز ومعرفة ، فأتمهل حتى سكن ،
ثم أذن له في الجلوس ، فأنبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أدير أعلّ الكأس لا تشرباً قبلي ولا طلباً من عند قاتلي دَحلي^(١)
فاجزّعي أني أموتُ صبايةً ولكن على من لا يحل لها قبلي
أحبّ التي صدّت وقالت لقرينها : دعيه ؛ الثريّ آمنه أقرب من وصلي
على رُبما وكَلْتُ عيني بنظرة إليها تريد القلب خَبلاً على خَبلي
كعنتُ تباريح الصباية عاذلي فلم يدْرِ ما بي ، واسترحمتُ من المَذَلِ
إلى أن قال :

إذا ما علّت منا ذُكابةً واحدٍ تمتّعت به مثنى المقيد في الوخل
فلا نحنُ ميتاً مونةً الدهر بنسةً ولا هيَ عادتْ بعدَ علّ ولا نهل
سأعلاذِ لِقْدَاتٍ متتبعِ الهوى لأمنّى هُما أو أُصيبَ ففى مِنلى
هل العيشُ إلّا أن ترُوحَ مع الصبّا وتندو صريعَ الكأس والأهين النُجلى
لجل الرشدُ يطاول لها ، ويستحسن ما حكاها من وصف شرابي ولمو
وعزّل وسهولة ألقاظ ؛ فأمر له بجال ، وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول إليه ، وجعل
الرشد وأصحابه يتناشدون قصيدته ؛ فسماه يومئذ - بآخر بيت من شعره : صريع
النوائى !

١٢٠ - الرشيد وابن مناذر *

قال ابن مناذر^(١) : حج الرشيدُ بعد إقصاءه بالبرامكة ، وحجَّ معه الفضلُ بن الربيع ، فبَيَّاتُ فيه قولاً أجدتُ تنميحَه ، وتنوَّقتُ^(٢) فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التروية^(٣) ، وإذا هو يألُ عني ويطلبني ؛ فبَدَرَنِي الفضلُ بن الربيع قبل أن أتكلم ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومادحهم - وكان البِشْرَ ظهري في وجهه لا دخلتُ - فتنكرَ وعبس في وجهي ، قال الفضل : مُره يا أمير المؤمنين أن يُشدك قولَه فيهم :

• أنا بنو الأملاك من آل برمك •

قال : أنشدني ، فأبيت ، فوعدني وأكرهني فأنشدته :

أنا بنو الأملاك^(٤) من آل برمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ويا حسنَ منظرٍ !
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقتْ يبعثي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فَتُظَلِمُ بُنْدَادٌ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى بمكة - ما حجُّوا - ثلاثة أقرير
فا صلحت إلا لجلود أكسفهم وأرجلهم إلا لأعوادٍ منبر
إذا راض يحيى الأمر ذلتْ^(٥) صمابه وحبك من رابع له ومدبر

• الأدهى : ١٧ - ٢٥ (طبعة الساسي) .

(١) هو محمد بن مناذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم بالغة ، كان في أول أمره ناسكاً متألهاً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهك وخلف ولفف أعراض أهل البصرة ، ومدح الهدي ، ومات في أيام المأمون . (٢) تنوَّقتُ فيه : بالفت في تجويده . (٣) التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة . (٤) الأملاك : للوك . (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرائق^(١) ما دعت باز مصرير^(٢)
 ثم أتيت ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وكانوا
 في طاعتك ، لم ياحقهم سخطك ، ولم تحلل بهم قسيتك ، ولم أكن في ذلك مبتدعا ،
 ولا خلا أحد من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوما قد أظنى فضلهم ، وأغنانى
 رفدهم ، فأنيت بما أوتوا^(٣) .

قال : يا غلام ؟ العلم وجهه ، فطلمت والله حتى سدرت^(٤) وأظلم ما كان بيني
 وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمتك ، ولا تركت
 أحدا يملك شيئا في هذا العام ! فصحبت حتى أخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا في نفسى وحالى ، وما جرى على : لا والله
 ما عندى ما يكتفى عيالى ليدم ، فإذا شاب قد وقف على ؟ ثم قال : أعز على^(٥) والله
 يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صرة^(٦) ، وقال : تبلغ بما في هذه اظلفتها
 دراهم ، فإذا هي ثلثائة دينار ، قلت : من أنت ؟ جلانى الله فذاك ! قال : أنا أخوك
 أبو نواس ، فاستمن بهذه الدنانير واعذرى ، قبلتها وقلت : وصلى الله بأخى ،
 وأحسن جزاءك !

(١) الغرائق : جم غرنوق ؛ وهو طائر أبيض من طيور اللام . (٢) المصرير : من يرجع
 بصوت . (٣) سدر صره : أظلم ولم يصر .

١٢١ - رِيَّةُ الرَّقَى يَدْحُ فَلَا يَنَابُ*

امتدح رِيَّةُ الرَّقَى^(١) العباس بن محمد بن علي؛ بقصيدته لم يُسبق إليها ،
يقول فيها :

لو قيل للعباس : يا بن محمد ؛ قل : « لا » وأنت تحب ما قلما
ما إن أعد من الكارم خصلةً إلا وجدتك معها أو خالفا
وإذا للوك تساربت في بلدته كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن للكارم لم تزل ممتولة^(٢) حتى حلت براحتيك عقالها

فيبحث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين
كاد أن يحن غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقة
من حيث لا يدري العباس ، فقبل الرسول ذلك ، فأخفها ربيعة وأمر من كتب
في ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المملو لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت حمياعاً كذبت عليك فيها واقتريت

* الأغانى : : ١٥-٣٨ (طبعة الساني) ، نهاية الأرب : ٣-٢١٥ ؛ معجم الأدباء : ١١-١٣٤
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومثواه . وكان من الشعراء للكثيرين
المحبين ، ولكن غل ذكره عن بلطه ليمده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء وخالطة الشعراء ،
ومع ذلك فاعدم منفصلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ . (٢) غفل البير : هدد وطلبه إلى فرائسه ،
وهو استشارة من هفأ .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَمَّها في الوضع الذي أَخَذَها منه ، قتل .
فلما كان من الند أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غَضِبَ ، وطم
من قُوَّره ، فركب إلى الرشيد . وكان أثيراً^(١) عنده يبعثه ويقلمه ، وكان قدّم
أن يخلب إليه ابنته . فرأى الرشيد الكرامة في وجهه ، قال : ما شأنك ؟ قال :
هاني ربيعة الرقي .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أتجوع معي وآثرَ خلقي الله عندي لقد هممتُ أن
أضرب عنقك ! قال : يا أمير المؤمنين ، والله قد امتلجته بقصيدة ما قال أحدٌ مثلاً
من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، وقد بالت في الثناء ، وأكثر من الوصف ؛
فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإحضارها فلي .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غَضَبُهُ ، وأحبَّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس
 بإحضارها ، فسلَّكاً عليه ، قال له الرشيد : سألتك بحني أمير المؤمنين إلا أمرتَ
 بإحضارها . فأحضرت ، فإذا فيها القصيدةُ بينها ؛ فاستصحبها واستجداها ، وأعجب
 بها ، وقال : والله ما قال أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء مثلاً ، ولقد صدق
 ربيعةُ فيه .

ثم قال للعباس : كم أُنَبِّئُ عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وغصَّ بربته ،
 قال ربيعة : أنا بنى عليها بدينارين يا أمير المؤمنين ! تخوَّم الرشيد أنه قال ذلك من
 للوجدة^(٢) عليه ، قال : بما بنى يَزَنِي كم أعابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين
 ما أنا بنى إلا بدينارين .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سورة لك الآية

(١) أنهما : مكربا . (٢) الوجدة : الغضب .

حال فعلت بك من إناجه ؟ أفقه مال ؟ فوالله لقد موّلتك جهدي^(١) ، أم اضطلع
للادة منك ؟ فوالله ما اضطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأمل الذي لا يُدانيه شيء ، أم
نصّك ؟ لا ذنب لي ! بل نصّك والله فعلت بك ذلك حتى فضحت أجدالك
وفضحتي وفضحت نصّك ؛ فتكسّ العباس رأسه ، ولم ينطق .
قال الرشيد : يا غلام ؛ أعطِ ريبة ثلاثين ألف درهم وخيلة ، واحمله على
بصلة .

ثم قال له : بما بقي لا تذكره في شيء من شريك تمرّيضاً ولا نصريحاً ، وفقر
الرشيد مما كان قدّم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاه وأطراحاً .

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، واجتهد : الساقطة .

١٢٢ - شاعر بين يدَي الرشيد*

قال أحد بن سعيد الباعلي : كنتُ عند الرشيد ، فدخل عليه أشجع^(١) السلي
وَمَنْصُورُ الْخَمْرِي^(٢) ، فَأَنشَدَهُ أَشْجَعُ :

قَهَرٌ عَلَيْهِ نَحْيَةٌ وَسَلَامٌ أَقَتَ عَلَيْهِ جَانِهَا الْأَيَّامُ
قَهْرُ سُقُوفِ اللَّزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهُدَى أَعْلَامُ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالتَّقَتْ لَدَيْهِ فِيهِ سَلَامَةٌ وَسَلَامُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ كُتُوبَهَا الَّتِي نَسَجَ الرَّبِّيعُ وَزَخَرَفَ الْإِرْهَامُ^(٣)
أَدَّتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ وَقِرَابَةٌ وَشَجَتْ^(٤) بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْمَدَى وَأَمْطَرَتْ هَامًا لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامُ
وَإِذَا سَيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْمَدَا طَارَتْ لَهَا عَنْ الرُّعُوسِ الْمَهَامُ
نَنُتِي عَلَى أَيْتَامِكَ الْأَيَّامُ وَالشَّاهِدَانِ : الْحُلُّ وَالْإِحْرَامُ
وَمَا يُلَاحِظُ قَوْلَهُ :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنِي عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ : ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِنْطِلَامُ

* أمالي الرافعي : ٤ - ١٧٨ ، الأفاقي : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسي) .

(١) هو أشجع بن عمرو السلي ، نفاً باليمرة وقال الشعر وأجاده ، وعد من الشعراء ، ثم اصل بالبرامكة ؛ واختص بـيضر بن يحيى فأعجب به وأوصله إلى الرشيد . (٢) منصور الخمري : نفاً في الجزيرة بين التهرين ، أخذ عن كلثوم الثاني ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومنهم من قال لصر الساسي ووصل به إلى الرشيد . (٣) الرحمة : المطر الضعيف العام ، والجمع رمم (كتب) ، يـأرجمت السماء : أتت بالرمم . (٤) وشجت : علفت .

فَإِذَا تَبَّه رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا
فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ ، وَأَوَامَاتُ إِلَى أَشْجَعِ أَنْ يَقْلَعَ الشَّعْرَ ، إِذْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
لَا يَأْتِي بِمِثْلِهَا فَلَمْ يَفْعَلْ . وَلَمَّا أَنشَدَهُ مَا بَدَأَهُمَا قَرَّرَ الرَّشِيدُ وَضَرَبَ بِمِغْصَرَةٍ (١)
كَانَتْ بِيَدِهِ الْأَرْضُ ، وَاسْتَنْشَدَ مَنْصُورًا الْغَمْرَى قَمَرًا وَاقِفًا فِي قَصِيدَةٍ قَلَمًا قَوْلُ
الرَّبِّ مِثْلَهَا ، وَمَطْلَعَهَا :

مَا تَنْقُضُ حَسْرَةً مَنِي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجِعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِلَذَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُهَا خَدَعُ
وَلَا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

مَا صَكَنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ غَيْرَتِهِ حَتَّى أَهْضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَّعُ
قَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ لَا يَهْتَبِي أَحَدٌ بِمِيشٍ حَتَّى يَخْطُرَ فِي رِءَاءِ الشَّبَابِ .
وَلَا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

أَيُّ أَمْرٍ بَاتَ مِنْ هَارُونَ فِي سَخَطِ قَلْبِيسٍ بِالصَّارَاتِ الْخَمْسِ يَنْفَعُ
إِنْ لِلْكَارِمِ وَلِلْمُرُوفِ أَوْ دِيَّةُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تُنْتَجِعُ
إِذَا رَفَعْتَ امْرَأَةً قَالَهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّعِ
نُضِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُمْلَعَةُ يَوْمِ الْوَعَى وَالنَّبَايَا بَيْنَهُمْ قُرْعُ
رَمَى الرَّشِيدُ بِأَنْطُلُوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَلَحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ ،
وَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ :

(١) المِغْصَرَةُ : مَا يَتَوَكَّنُ عَلَيْهِ ، كَالْمِصْرَةِ ، وَمَا يَأْخُذُهُ لِلَّذِي يَتَجَرَّبُ بِهِ إِذَا خَلَبَ وَالْمُخْطَبُ
إِذَا خَلَبَ .

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غزيتك أن تقطع فلم تقطع ،
ويط ! ولم تأت بشيء ، فهلأت بسد اليتيم أو خروست ، فكنت تكون
أشمر الناس

١٣٣ — يبابك أنزلت حاجتي *

قصده أعرابي مالك بن طوق التتلي^(١) صاحب الرحبة^(٢) ، وكان رث الميتة ،
زوي الحال ، فنعج الحال من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد
الزعة حول مدينته ؛ فاعترض له الأعرابي ، فردّه رجالة ازدراء به . فلم ينعن ؛
بل اقترب منه حتى أخذ بعتان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك^(٣)
من شر حرّسك ! فتهنئهم^(٤) منه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تُصنّى إلى
كلامي بسمك ، وتنظر إلى بطرّك ، وتُقبل على وجهك ، ثم أنشد :

يبابك دون الناس أنزلت حاجتي وأقبلت أسنى نحوه وأطوف
ويعنى الحجاب والليل منبّل وأنت بيدّ الرجال صفوف
يطوفون حولي عابسين كأنهم ذئلب جيلع يمين خروف
فكيف وقد أبصرت وجهك مقبلا ترذأمرأ وألك وهو ليف
وما لي في الدنيا سواك وما لي تركت ورائي مريع^(٥) ومصيف

* غرر الحاصلين : ١٦٨

(١) مالك بن طوق : أحد ندماء الرهيد ، أفضله أرمنا بناها ونهت إليه ثم خرج على الرهيد
فأخذ إليه الجيوش حتى خفروا به ، وحس ، ثم عفا عنه . (٢) مدينة جميلة بين بغداد والرقّة .
بناها مالك على القرات ، وساعده الرهيد على بناها بالأموال والرجال . (٣) عاذ به : لجأ إليه .
(٤) تهنئهم : زجرهم وكفهم . (٥) اللرع : منزل القوم في الميع خاصة .

فجئتُك أبتى الخير منك فراعنى يبابك من ضرب المييد صنوفُ
فلا تَجَمَلَنَّ لى نحو بابك سودة قلبي من صنْعِ القساء مخوف
فضحك مالك ، ثم قال لحراسه : مَنْ يطليه دوما بدرهمين ؟ فأتمَّ كلمته حتى
نُزِثت الدرام على الأمراء من كل جانب حتى تحوّر ، واخطط لديه الحابل بالنابل ؛
لكثرة ما أُعطي .

فشد ذلك النفت إليه مالك ، وقال له : هل جئت لك حاجة يا أبا العرب ؟
قال : أنا إليك فلا . قال : وإلى من ؟ قال : إلى الله أن يعينك للعرب ؛ فإنهم
لن يزالوا بغير ما جئت لهم !

١٢٤ - النكث في البيع خير من خيانة الشريك*

جلس مالك بن حلوف في قصره ، في شُباكٍ مظل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جِلساؤه ؛
فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ مُخَبِّ^(١) به ناقته . فقال : إِيَّايَ أَرَادَ ، ونَحْوِي قَصْدُ ، ولَمَلْ مِنْهُ أَدْبَا
يُنْضَعُ بِهِ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِذْخَالِهِ .

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : مَا أَقْدَمَكَ بِأَعْرَابِيٍّ ؟ قَالَ : سَيِّبُ^(٢) الْأَمِيرِ ، وَرَجَاهُ
نَاقَتُهُ ؛ قَالَ : هَلْ قَدِمْتَ أَمَامَ رَغْبَتِكَ وَسِيْلَةٍ ؟ قَالَ : نَمَّ ! أَرْبَعَةُ أَيْيَاتٍ قَلَّتْهَا بِنَظَرِي
الْبَرِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا يَبِيبُ الْأَمِيرُ مِنَ الْبَيْتَةِ وَالْجِلَالِ اسْتَعْفَرْتُهَا وَاسْتَصْفَرْتُهَا .
قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُنْشِدَنِي أَيْيَاتَكَ عَلَى أَنْ نَجِيزَكَ عَلَيْهَا أَلْفَ دَرَمٍ ؛ فَإِنْ كُنْتَ مِنْ
أَحْسَنَ رَحِمْنَا ، وَإِلَّا قَدْ نِلْتَ مَرَادَكَ ، وَرَبِحْتَ ! قَالَ : رَضِيتُ ، وَأَنْشَدَهُ :

وَمَا زِلْتُ أَخْشَى الدَّهْرَ حَتَّى تَمَلَّقْتُ يَدَايَ بَيْنَ لَا يَبْقَى الدَّهْرُ صَاحِبُهُ
فَلَمَّا رَأَى الدَّهْرُ نَحْتُ جَنَاحِهِ رَأَى مَرْنَقِي صَبَا مَنِيْعًا مُطَالِبُهُ
رَأَى بِحَيْثُ النِّجْمِ فِي رَأْسِ بَاذَنْخِ^(٣) تُظَلُّ الْوَرَى أَكْنَافُهُ وَجِوَانِبُهُ
فَتَى كَسَاهُ النِّيشُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا قُحِطُوا^(٤) بِجَادَتِ عَلَيْهِمْ سَحَابَتُهُ

قَالَ : وَاللَّهِ ظَفَرْنَا بِأَعْرَابِيٍّ ، وَرَزَقْنَا الْفَلَاحَ^(٥) عَلَيْكَ ، وَاللَّهِ مَا قِيَمَتْهَا إِلَّا
عَشْرَةُ أَلْفِ دَرَمٍ . قَالَ : فَهَلْ لِي صَاحِبًا شَارَكَتُهُ فِيهَا ، وَمَا أَرَاهُ يَرْضَى بَيْعِي .

* ذَيْلُ زُحْرِ الْأَدَابِ : ٢٨٢

(١) الخَبِيبُ : نَوْعٌ مِنَ الْبَيْرِ . (٢) الْبَيْبُ : الطَّاءُ وَالْعُرُوفُ . (٣) بَاذَنْخٌ : نَاقَةٌ . (٤) قُحِطُوا : قُطِعُوا .
أَسَابِهِمُ الْقَطْعُ ، وَهُوَ الْجَنْبُ . (٥) الْفَلَاحُ : الْتَوَرُّ وَالظَّفَرُ .

قال : أترأى حديثك غشك بالنكث^(١) ؟ قال : نعم ! وجلت النكث في البيع خيراً من خيانة الشريك ، فأمر له بشرة آلاف دينار .

١٢٥ - باتت تمعّرنى الإكثار والمدّما*

قال الأصبى : قيت أعرايياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدنى وأنشدنى :

ليس المي طول السؤال وإتّما نَعْلَم المي طول الكوت على الجبل
فكنّ سائلاً عما عَنَّاك فإتّما خلقت أخوا عَقْل لتسأل بالعقل
ثم رجعت إلى البصرة فكتبت بها حيناً ، ثم قدمت البادية ، فلما بالأهر إلى
جالس بين ظهري قوم ، وهو يقضى بينهم ، فأرأيت قضية أخطأت قضية الصالحين
من أفضيته ، ثم جلست إليه وقلت : يرحمك الله ، أما من رشوة ! أما من هدية !
أما من صيلة ! فقال : إذا جاء هذا ذهب التوفيق . فشكوت إليه ما ألقى من
عَذْل حليقة لي إياي في طلب المعيشة ، قال : لست فيها بأوحد ، وإني لأشريكك ،
وقد قلت في ذلك شعراً . قلت : أنشدني ، فأنشدني :

باتت تمعّرنى الإكثار والمدّما لما رأيت لأخيها المال والخدماء
عُفّ رأيك ما الأرزاق من جَلَدٍ ولا من العجز بل مقسومة قسماً
يا أمة الله إني لم أدع طلباً للرزق فقد تعلّمين بالشرق والشاماً

(١) يتقش العبد .

لو كان من جليل ذال لئلا أو أدب
أرض من العيش ما لم يحوي معه
واستشمرى العبر على الله خالقنا
لا نحوي إلى ما هو بذل له
بالله سرك أرب الله خولتي
ما بررتي أني خولت ذاك ولا
وأني لم أفد عقلًا ولا أدبًا
فسيرة للره أخرى في معانيك من
قال : فوالله ما أنشدتها زوجي حتى حلفت ألا تمدنني أبدًا .

١٣٦ - سكنت على والله الحمى *

قال الأصمى : نزلت ليلة في وادي بني المنبر ، وهو إذ ذاك غلي ^(١) بأهله ،
فلما خيبة يريدون البصرة ، فأحببت أصحابهم ، وأقت ليلى تلك ، وإني لوصيب ^(٢)
محموم ، أخاف ألا أستنسك على راحلي ، فلما أظنوا لي رحلوا أيقظوني ، فلما رأوا
حالي حلو ، وركب أحدهم ورائي يمكني ، فلما أمتوا السير تنادوا : ألا فني
يحدو بنا أو ينشدنا ؟ فلما منشد في سواد الليل ينشد بصوت ندر حزين :
لسمرك إلى يوم بانوا ظم أمت ^(٣) خفافا ^(٤) على آثارهم لصبور
غداة للنقى ^(٥) إذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
قلت قلبي حين خف به الهوى وكاد من الوجد للير ^(٦) يلير :
فهنا ولما تمض ليلين ليلة فكيف إذا مرت عليه شهورا
وأصبح أعلام الأحبة دونها من الأرض قول ^(٧) نازح ومسير
وأصبحت يجلدى الهوى منهم الثوى أزيد اشفاقا أن يمين بهر
عسى الله بد النأي أن يسف الثوى ويجمع شمل بسلا وسرود
قال : فسكنت والله على الحمى ما أحس بها ؛ وقلت لرفيقي : انزل يرحلك الله
إلى راحلتك فإني متياسك ، وجزاك الله من الصعبة خيرا !

* أمالي للرفعي ٢ - ١٤٢

(١) غلي : كآمل . (٢) الوصب : للرض . (٣) قال : مات خفافا ؛ أي مجاذ . (٤) لتي :
طريق القرب لله العام ، كان في الجبلية يركبه أهل تهامة . (٥) للير : الشديد . (٦) القول :
بعد الفتحة .

١٣٧ - عجزز تُلشد الأصمى شعرا

قال الأصمى: إني لفي سوق، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب، كان
مزوّجاً بالبصرة؛ إذ أقبلتُ بموزٍ على ناقٍ لها، حسنة البرّة، فيها باقٍ جمال،
فأنانختُ وعَقَلْتُ ناقها، وأقبلتُ تنوِّكاً على محبِّين^(١) لها، فجلستُ قريباً منها،
وقالت: هل من مُفسدٍ؟ قلتُ للكلابي: أبغضك شيء؟ قال: لا، فأنشدها
شعر البشّر بن هبذ الرحمن الأنصاري:

وقصيرة الأمام^(٢) ودَّ جليتها لوباع^(٣) مجلسها بقندٍ حميمٍ
من مُخَذَّيات^(٤) أخى إلهى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من يقر الجلواء^(٥) كأنما خفر الحياء بها رُداعٍ سقيم^(٦)
قال: فبعثتُ على ركبتيها، وأقبلتُ تمحّرش^(٧) الأرض بمحبّتها،
وأنشأتُ قول:

قفي يا أميم التلي رأ تحمية ونشك الهوى ثم اضلي مابدا لك
فوق قلت: طأ في لئلا أعلم أنه هوى لك أو مدني لنا من وصالك
لقد مت رجل محوها فوطئتها هدى منك لي أو صلة من صلالك
سلى البانة المليء بالأنجوع النوى به البان هل حيث أطلال دارك؟

• أمال المرتضى ٢ : ٣٨

(١) المحبّين: الصا للموجة. (٢) يريد: أن أيام جليتها قصير، إذ أن أيام السرور موصولة
بالنصر. (٣) باع: اشترى، وهو من الأضداد. (٤) يقال: أحذيت الرجل: أعطيته.
(٥) الجلواء: مومع. (٦) الرّداع: الوجع في الجسد، وكأنه أراد أنها متقبضة منكسرة من
الملاء، كما يتغير لون الغدير. (٧) تمحّرش الأرض: تحفّشها.

وهل قتُ في أطلالين عشيّة مقام أخى البأساء واخترت ذلك؟
 لهبتك إمساكى بكنى على الكنى ودرقاق عيني خشية من زوالك^(١)
 قال الأحمسي : فأظلت على والله الدنيا بجلالة منقطعها ، وفصاحة لهجتها
 فدنوت منها وقلت : أنشدتك الله لما زدتنى من هذا / فرأيت الضحك في عينها
 وأنشدت :

ومستخفيات ليس يُخفين زُرُنّا يسعينا ذبال الصباية والشكل^(٢)
 جَمَعْنَ الهوى حتى إذا ما مَلَكْنَهُ نَزَعْنَ وقد أَكْثَرْنَ فِينَا من القتل
 مريضات يرجع الطرف خُرم عن الخنا تألفن أهواء القلوب بلا بَدَل
 مَوَارِقُ من خَتَلِ الحب ، عواطف بِخَتَلِ ذوى الأبواب بالجدِّ والهزل
 يَمْنَعُنَّ السُدَّالَ فِينَ ، والهوى يَحْذَرُنَّ من أن أطلع ذوى السُدَلِ

(١) الزبال : الفاترة . (٢) الدهر (بالفتح والكسر) : دل الرأه وغزلها .

١٢٨ - الأوصى وبعض الأعراب*

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأوصى ، في رياض من للناكرة ،
تجسّس ثملها ، وتجسّس أنوارها ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن
قريب الأوصى ، قال : رحم الله الأوصى ! إنه لملنٌ حكيمٌ ، وعجُرُ علمٌ ، غيرُ أنه
لم ترَ قط مثل أمرأى وقف بنا فسلم ، قال : أبكم الأوصى ؟ قال : أناذاك ! قال :
أتأذنون بالجلوس ؟ فأذناه ، ومجيبنا من حُسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !
قال : يا أوصى ! أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أحمقهم معرفة بالشعر
والمرئية ، وحكايات الأعراب ! قال الأوصى : منهم من هو أعلم منى ، ومن
هو دونى !

قال : أفلا تشددنى من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيبه على شعر أصحابنا !
فأنشده شعرا لرجل امطرح به ملة بن عبد الملك :

أمسلم أنت البحر إن جاء وارداً وليت إذا ما الحرب طار عقالها^(١)
وأنت كيف اليتنوائى^(٢) إن غدت حوادث من حرب بسب عبالها
وما خلقت أسكرومة^(٣) في امرئ له ولا غاية إلا إليك مآبها
كأنك دبائى عليها مؤكل بها ، وعلى كفتيك يجرى حسابها
إليك رحلتنا العيس^(٤) إذ لم نجد هنا أخا حقة يرضى لديه ثوابها

* زهر الآداب : ٢ - ١٠٠

(١) طار عقالها : كناية عن اشتداد الحرب - (٢) اليتنوائى : منسوب إلى رجال الهند .

(٣) الأسكرومة : قل السكرم - (٤) العيس : الإبل يخاطب يا عيسا عقرة .

فجسم الأعرابي ، وهز رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :
يا أصمعي ! هذا شعرٌ مهلهلٌ ؛ خلق التسج ، خوطه أكثر من صوابه ، ينلى
عيوبه حسنُ الروي ورواية للتشد ؛ يشبهون ذلك إذا امتدح بالأسد ، والأسد
أَبْرَعُ عَيْمٍ^(١) للنظر ، وربما طرده شِرْذِمَةٌ من إمائنا ، وتَلَّعَبَ به صِيَّباننا ويشبهونه
بالبحر ، والبحرُ صَبَّ على مَنْ رَكِبَهُ ، مَرَّ على مَنْ شَرِبَهُ ؛ وبالسيف ، وربما خان
في الحقيقة ، ونبا عن الضريبة ؛ ألا أنشدني كما قال صبيٌّ من حينا :

قال الأصمعي : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

أَمْضَى من النجمِ إِنْ نَابَتْ نَابَةٌ وعند أعدائه أجبرى من السيل
للسوتِ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مِنْيَقَهُ في كَرْهٍ عند لفِّ الخليلِ بالغيلِ
لوزاحمِ الشمسِ أَبْقَى الشمسِ كاسفة أو زاحمِ الصمِّ الجأها إلى الليلِ
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها ولا تراه إليها صاحب الدليلِ
يقصر الجبدُ عنه في مكابره كما يقصر عن أفصاه قولي !
قال أبو نصر : فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟
فأنشده لابن الرقاق الساملي :

وناعة تَجْمَلُو بَعْدَ أَرَاكِ مؤشِّرة^(٢) يَسِي للماقِ طيها
أراك إلى بحرٍ تَحْنُ وإِنَّا مَنَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حِينِها
فجسم الأعرابي ، وقال : يا أصمعي ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ؛

(١) عيم : كزبه . (٢) تأخير الأستان : تموزما .

ألا أنشدتني كما قلت؟ قال الأعمى: وما قلت جِئْتُ فذاك؟ فأنشده:
تعلّقَتْهَا بِكُرْأٍ وَعُثِقَتْ جِيبُهَا قلبي عن كل الوري فارغٌ بِكُرْ
إذا احجبت لم يكفك البدر ضوءها وتكفيك ضوء البدر إن حجب البدر
وما المهر عنها إن صيرت - وجدته جيلا ، وهل في مثلها يحسن الصير
لو أن جلد القدر^(١) لامس جلدنا لكان لِمَسِّ القدر في جلدنا أثر
فقال لنا الأعمى: اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف لُدى في رقائق الأكباد .
وأقام عندنا شهرا - فجميع له الأعمى خمسمائة دينار ! وكان جماعتنا في الحين بعد
الحين ، حتى ملت الأعمى وفرق أصحابنا !

(١) القدر : منار النفل .

١٢٩ - سِرُّ مُرْتَجِل *

جلس جعفر^(١) بن يحيى بالصالحية^(٢)، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له، فبعده
أمرأى من بنى هلال، فاشتكى، واستنح^(٣) بكلام فصيح، ولفظ مثله يطفئ
المشول.

قال له جعفر: أتقول الشعر يا هلال؟ قال: كنت أقوله وأنا حدثٌ أتعلمُ
به، ثم تركته لما صرتُ شيخاً، قال: فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور، فأنشده قوله:
لَيْنَ الدِّيارِ بِجَانِبِ الْخَمْسِ كَحِطِّ ذِي الْحَاجِلِ وَالنَّفْسِ
حقى أنى على آخرها، وكان أشجع السُّلَمَى حاضراً المجلس، فاندفع يُنشد
مديحاً في جعفر، قاله لوقته على الوزن والقافية:

ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَضَالَهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلَكَ تَسْوُسُ لَهُ لِلْمَالِ ضَمُّهُ وَالْقُلُوبِ خَيْرُ سِيَّاسَةِ النَّفْسِ
فَإِذَا تَرَاهُ تَهْهُؤُكَ تَرَا جَعْفَرًا جَهْرَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ قَهْسِ
سَادَ الْبِرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْأَيُّ بِمَدِ انْخِلَافِ سَادَةِ الْإِنْسِ

قال له جعفر: صِفْ مَوْضِعَنَا، قال:

* الأناض ١٢ - ٣٢ (طبعة الساس).

- (١) جعفر بن يحيى: كان طالع القدر بيد الهبة عظيم الكرم، ذا منزلة قريبة عند الرشيد،
كما كان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البهر، فصيحا لئلا، قتل الرشيد سنة ١٨٧ هـ.
(٢) الصالحية: محلة بينداد. (٣) استنح: طلب العلاج.

قُصُور الصالحية كالمنيازي ليسن ثيابهنَّ ليوم غُرْمِي
مُطَلَّاتٍ عَلَى بَطْنِ كِسْفَةٍ أَيْدِي الْمَاءِ وَشَيْئًا نَسِجَ غُرْمِي
إِذَا مَا الطَّلُّ أَثَّرَ فِي ثَرَاهُ تَقَسَّ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِي
فَحُتِبَتْهُ^(١) السَّمَاءُ بِصَبْغِ وَرْسِي وَتَصَبَّحَتْهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِي

قَالَ جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا ياهلالي؟ قال: أرى خاطره طويع
لسانه، وبيان الناس تحت يمانه، وقد جعلت له ما تَصَلُّى به؛ فقال: بل نصلت
يا أعرابي ونرضيه، وأمر للأعرابي بمائة دينار؛ ولأشجع بمائةين.

(١) التبوُّق: شراب العنق، والمصبوح: شراب الصباح.

١٣٠ - هَوْنَتْ عَلَى الْعَرَلِ *

وَلَى الرَّشِيدِ حُفْرٌ مِنْ بَحْرِ خُرَّاسَانَ^(١) ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبَاسُ يَهْتَوْنَهُ ،
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الثَّمَرَاءُ ، فَتَأَمَّ أَشْجَعُ السُّلَى آخِرَهُمْ ، وَاسْتَبَازَنَ فِي الْإِنْتِشَادِ ، فَأَذَنَ
لَهُ ، فَأَنشَدَ :

أَنْصَبُ لِلْبَيْتِ أَمْ تَجَزَعُ	فَإِنَّ الْفَارَّ غَدًا يَنْقَعُ
غَدًا يَهْرَقُ أَهْلُ الْهَوَى	وَيَكْثُرُ بِكَ مُسْتَرْجِعُ
وَتَقَى الطَّلُولَ وَيَبْقَى الْهَوَى	وَيَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ مَا يَصْنَعُ

حَقِيَ اتَّعَى إِلَى قَوْلِهِ :

وَدَوْبُهُ ^(٢) بَيْنَ أَفْطَارِمَا	مَقْلَعِيْعُ أَرْضَيْنِ لَا تُقْلَعُ
تَجَاوَزُهَا فَوْقَ رِيَاءَةِ ^(٣)	مِنْ الرِّيحِ فِي سَيْرِهَا أَسْرَعُ .
إِلَى جَنْفِ نَزَعَتْ رَغْبَةً	وَأَيُّ فِتْنَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ أ
فَمَا دَوْنَهُ لَا مَرَى مَطْمَعُ	وَلَا لَا مَرَى غَيْرِهِ مَقْنَعُ
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حِلَّةِ	وَلَا يَضْمُونُ الْقَى يَرْقَعُ
يَرِيدُ لِلْفَوْكِ مَدَى جَنْفِ .	وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
تَوَدُّ لِيَلْفُوكَ يَا بَوَائِدَ	إِذَا ظَلَمْنَا الْخَدَثُ الْأَفْطَعُ
بَدِيْعَتِهِ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ	مَتَى رُمَتْهُ فَيُؤْمَسِّجَعُ

* الأمازي : ١٧ - ٧ (طيبة الناس) .

(١) خُرَّاسَانَ : بلاد واسعة كانت حُدُودها أول ما عَلَى الْمَرْقَا . - (٢) الدَّوْبَةُ : الفلاة .

(٣) الرِّيَاءَةُ : النِّتَاقَةُ الْكَثِيرَةُ الْبَهِيمِ .

وكم قاتل إذ رأى نروى وما في فضول النى أصنع
غدا في ظلال ندى جعفر يبرئ ثياب النى أشجع
قل خراسان تحيا قد أنالها ابن يحيى النى الأروع^(١)

فأقبل عليه جعفر ضاحكاً ، واستمعن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأفع
أخاه ، ثم أمره بألف دينار .

قال الراوى : ثم بدأ الرشيد في ذلك التدبير ، فزل جعفراً عن خراسان بعد
أن أعطاه المهد والكتاب . وعنده المقد ، وأمر ونهى ، فوجم ذلك جعفر ، فدخل
عليه أشجع وقال :

أنت خراسان نزعى عما أخطأها من جفر للرئى
كان الرشيد للمعلى أمره ولّى عليه الشرق الألبعا
نم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا
فكم به الرئى من كربة في مسلة قهر قد فرجا

فضحك جعفر ، وقال : قد هونت على الرزل ، وقت لأمير المؤمنين بالذر ؛
فنى ما شئت . فقال : قد كفانى جودك ذلة السؤال ، فأمره بألف دينار
أخرى .

(١) الأروع : من يحبك بحته وجهارة منظره أو بشجاعته .

١٣١ — أرى الأيام لا تُدنى التى أرتجى *

قال محمد بن أمية^(١) : كنت جالساً بين يدى إبراهيم بن الهيثم ، فدخل إليه أبو العافية ، وقد نلّسك وكبس الصوف ، وترك قول الشعر إلا فى الزهد .
فرضه إبراهيم ، وسرّه به ، وأقبل عليه بوجهه .

قال له أبو العافية : أيها الأمير ؛ بلغنى خبرُ فتى فى ناحيةك ومن مواليك يُعرف بأبن أمية ، يقول الشعر ، وأنشدتُ له شعراً فأجبتنى ، فما ضل ! فضحك إبراهيم ، ثم قال : لله أقربُ الحاضرين مجلساً منك .

فانضت إلىّ فقال : أنت هو قَدْ بَنَيْتُ ؟ قلت له : أنا محمد بن أمية بَنَيْتُ فداك ! وأما الشعر فلأنما أنا شابُ أصبْتُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يصبُّ الشاب . قال لى : قَدْ بَنَيْتُ ! ذاك واقعُ زمانِ الشعر وإبائهُ ، وما قيل فيه فهو غُرُوه وعبوهُ ، وما زال يُنشدنى ويؤنسنى حتى رأى أنى قد أنستُ به .

ثم قال لإبراهيم بن الهيثم : إن رأى الأسمد - أكرمه الله - أن يأسره لم ينشأ من الشعر ! فقال لى إبراهيم : يحياى يا محمد أنشدته ، فأنشدته :

رُبَّ وَغْدٍ سَنَكَ لَا أَنْهَى لِي أَوْجِبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَقُلْ

• الأمانى : ١١ - ٣٠ (طبعة الساسى) .

(١) محمد بن أمية : كاتب شاعر طريف ، كان تديباً لإبراهيم بن الهيثم .

أَنْطَلَعُ الصَّعْرَ بَطْنِي حَسَنَ وَأَجْلِي غُرَّةَ مَا تَنْجَلِي
كَلَامُ أُمِّكَ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ لِلْكُرْهُ لِي فِي أَمَلِي
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تَذْنِي الْقِيَّ أُرَتِّجِي مِنْكَ وَتَذْنِي أَجَلِي
فَبَكَى أَبُو الصَّاهِبَةِ حَتَّى جَرَتْ دَسُوعُهُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَجَمَلَ بِرَدْدِ الْبَيْتِ
الْأَخِيرِ مَهَا وَيَتَعَبُ ، وَقَامَ فَخَرَجَ وَمَا يَرُدُّهُ وَيَبْكِي ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى
الْبَابِ ا

١٣٢ - حديث عن دُعيل*

قال عمرو بن مسعدة : حضرت أبا دُكَلِّ عند المؤمن - وقد قال له : أى شئ تروى لأخى خُزاعة؟ فقال : وأى خُزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال : ومن عرف فيهم شاعراً؟ قال : أما من أعجبهم؟ فأبو الشَّيْصِ، ودُعيل^(١)، وابن أبي الشَّيْصِ، وداود ابن أبي رَزِين ؛ وأما مواليتهم فظاهر، وابنه عبد الله .

قال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دُعيل ! هات ؛ أى شئ عندك فيه ؟ قال : وأى شئ أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هَجاهم ، ففَرَّ إحسانهم بالإساءة ، وبذلَّ لهم بالنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جبل كل حسنة منهم إليزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في الطلب بن عبد الله ابن مالك - وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه ؟ وقد وفد إليسه في مصر ، فأعطاه الجزيل ، وولَّاه ؛ ولم يمنه ذلك أن قال فيه :

اضربْ نَدَى طَلْعَةٍ^(٢) الطَّلُوحَاتِ مُتَمِّدًا بُلُومِ مُطَلِّبٍ فِينَا وَكُنْ حَكَا

* الألفاظ : ١٨ - ٤٤ (طيبة الساسي) .

(١) هو دُعيل بن علي بن رَزِين ، من خُزاعة . هاجر مطبوع حبياء خبيث البنان لم يعلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ولا شئ نباهة ؛ أحسن إليه أن لم يسن ، ووقى سنة ٢٤٦ هـ . (٢) طلعة الطلحات : قيل اسمه طلعة بن عبد الله ، وأنه إسماعيلي طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإن أخاها طلحة بن الحارث ، قد تسكنه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد منحه سحبان بن وائل الباهلي ، قال :

يا طلع أكرم من دُعِي حباً وأعطاهم لئلا
منك السقاء فأعطني وعلى منحك في الشامد

فقال له طلحة : احكم ، فقال : برؤوسك الورد ، وعلامك الجواز ، وصبرك الذي يمكن كلنا ، وعصرة آلاف درهم . فقال طلحة : أب لك ! سألتني على فمرك ، ولم تأتني على قنبري ألو سألني كل جبد وكل مابة وكل قصر له لأعطيتك !

تَخْرُجُ خُرَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَحْسِبْ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا
 قَالَ لِلأَمُونِ : قَاتِلِ اللَّهَ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالْعَقَّةَ وَأَذْمَاهُ ! وَجِلَّ يَضْحَكَ .
 ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَالِبٍ ، قَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ تَحْفَظُ لِأَعْبَدِ اللَّهِ لِدَعْوِيهِ ؟
 قَالَ : أَحْفَظُ آيَاتَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَاتِبَهَا ، وَيْحَكَ ! فَأَنْشَدَهُ
 عَبْدُ اللَّهِ قَوْلَهُ :

سَفِيًّا وَزَعِيمًا لِأَيَّامِ الصَّبَالِ أَيَّامَ أَرْزُلُ فِي أُنُوسٍ لَدَائِي
 أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٍ مِنْ لِيَاكُنِي أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّيَّ ^(١)
 دَعَا عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتَّ مَطْلَبُهُ وَاقْتَفَى بِرَحْلِكَ عَنْ مَتَنِ الْجَاهِلَاتِ
 وَالْقَصْدُ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ نَحْوُ الْمُهَلَّةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ
 قَالَ لِلأَمُونِ : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللَّهِ مَقَالًا قَالًا ، وَثَالٍ بَعِيدَ ذِكْرِهِ مَا لَا يَنَالُهُ
 فِي وَصْفِ غَيْرِهِ .

ثُمَّ قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرٍ سَافَرَهُ ، فَثَالُ ذَلِكَ الْفَرْغُ عَلَيْهِ ، قَالَ فِيهِ :
 أَلَمْ يَأْنِ لِلْمَسْفَرِ ^(٢) الَّذِينَ نَحَلُّوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ اللَّاتِ رَجُوعُ ؟
 قَالَتْ - وَلَمْ أُنْكَ سِوَايَ عَمِيرَةٍ : نَقَطْنِ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ ^(٣)
 تَبَيَّنَ أَفْئِدَتُكَ حَارَ قَرَقٍ شَمْلُهَا وَتَحَلَّلَ ^(٤) شَيْئَتِ مَاذَ وَهُوَ جَمِيعُ
 كَذَلِكَ الْيَا لِي سَرْمَتُهُنَّ ^(٥) كَأَنِّي لِكُلِّ إِنَاسٍ جَذْبَةٌ وَدَرِيحُ ^(٦)
 ثُمَّ قَالَ : مَا سَافَرْتُ قَطُّ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَسَبَ عَيْنِي فِي سَفَرِي وَهَيْئَتِي
 وَمُسْلِمَتِي حَتَّى أَمُودًا !

(١) الكثرة : امرأة الأبن أو الأخ . (٢) يَأْنِ : يَنْبَغِي . وَالْمَسْفَرُ : السَّافِرُونَ .
 (٣) العبرة : العظة ، وَمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ : الْحُزْنَ وَالنَّوْقَ إِلَى الْوَطَنِ وَالْأَمَلِ . (٤) التَّحَلَّلُ :
 مَا اجْتَمَعَ مِنْ أَمْرٍ أَوْ مَا يَخْرُقُ مِنْهُ ، وَالشَّيْئَتِ : لِلتَّفَرُّقِ . وَالْجَمْعُ : الْجَمْعُ . (٥) سَرْمَتُ الْيَا لِي :
 أَصْلُهَا . (٦) جَذْبَةٌ وَدَرِيحٌ : خَالِطٌ خَيْرٌ وَشَرٌّ .

١٣٣ - دِجِيلُ عِنْدَ وَالِيِ مِصْرَ*

قال دِجِيلُ بنُ حُلٍّ : حَبِبتُ أَنَا وَأَخِي رَزِينُ ، وَأَخَذْنَا كِتَابًا إِلَى الطَّلِبِ
ابنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَتَوَلَّاهَا .

فَصِرْنَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِصْرَ ، فَصَعَبْنَا رَجُلٌ يَمُرُّ بِأَحَدِ بْنِ السَّرَّاجِ ، فَازَالَ
يَحْدِثُنَا وَيُؤَنِّسُنَا طَوْلَ طَرِيقِنَا ، وَيَقُولُ خَدَمْتُنَا ، كَمَا يَتَوَلَّاهَا الرُّقَّاءُ وَالْأَتْبَاعُ ،
وَرَأَيْنَاهُ حَسَنَ الْأَدَبِ - وَكَانَ شَاعِرًا وَلَمْ نَعْلَمْ - وَكَتَبْنَا نَفْسَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ مَقْصِدَنَا لَهُ
فَضَرَبْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فِي الْمَطْلَبِ قَصِيدَةً نَنْحُلُهُ إِيَّاهَا ، قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ* ، وَأَرَانَا
بِذَلِكَ سُرُورًا وَحُبْلًا لَهُ ، فَصَلْنَا قَصِيدَةً ، وَقَلْنَا نُنَشِّدُهَا الْمَطْلَبَ ، وَإِنَّكَ بَتَضَعُ بِهَا ،
قَالَ : نَعَمْ .

وَوَرَدْنَا بِمِصْرَ بِهِ ، فَدَخَلْنَا إِلَى الْمَطْلَبِ ، وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابًا كَانَتْ مَعَنَا ،
وَأَنْشَدْنَاهُ ، فَسُرَّ بِمَوْضِعِنَا وَوَصَفَتْنَا لَهُ أَحَدُ بْنُ السَّرَّاجِ هَذَا ، وَذَكَرْنَا لَهُ أَمْرَهُ ،
فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَقُولُ أَنَّهُ سَيُنَشِّدُهُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَحْمِلُنَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا مَثَلَ
بَيْنَ يَدَيْهِ حَدَلَ عَنْهَا وَأَنْشَدَهُ :

لَمْ آتِ مُطْلِبًا إِلَّا بِمُطْلَبٍ	وَحَمِيَّةٌ بَلَنْتُ فِي غَايَةِ الرَّبِّ
أَفْرَدَتْهُ بِرَجُلِهِ أَنْ تَشَارِكَهُ	فِي الْوَسَائِلِ أَوْ أَقْنَاهُ فِي الْكُتُبِ ^(١)
رَحَلْتُ عَيْسَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ حُلٍّ	مَا كَانَ مِنْ وَصَبٍ فِيهَا وَمِنْ نَصَبٍ

* الألفاظ : ١٨ - ٤٧ (طبعة السامى) .

(١) قال دِجِيلُ : أَخْبَرَنِي بِهَذَا لِلْكَتِّابِ الَّتِي أَوْصَلْتَهَا إِلَيَّ وَمِنْ يَدَيْهِ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَحَدًا حُلٍّ
مِنْ كُلِّ عَمَلٍ مَرَّ بِهِ .

ألقى بها ويوجي كل هاجرة^(١) نكاد قدح بين الجلد والمصّب
حتى إذا ما قضت نسكى ثيت لها عطف^(٢) الزمام فأنت سيد العرب
فأتمت^(٣) وقد ذابت مفاصلها من طول ما تصب لاقتم من شر^(٤)

فصاح مطلق: ليك ليك اثم قام إليه، فأخذ يده وأجلسه معه، وقال:
يا غلام، البدر^(٥)، فأحضرت، ثم قال: النمل، قشرت، ثم قال: الدواب،
فصيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا، وحسدناه عليه؛ وكان
حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشر، وغيظنا بكتمه إيانا نفسه واحياله
علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له، وخرجنا صغراً.

قال الراوى: ومكث دجبل أياماً، ثم ولّاه للطلب أسوان، ولكن دجبلًا
كان قد جهّاه غيظًا منه فقال:

أطلب أنت مستعذب^(٦) حماي^(٧) الأفاهى ومقتل
سأنيك إنا ورددت العراق صائف^(٨) يائرها دجبل
مؤممة بين أئنانها مخازي^(٩) تحط فلا ترحل
وضعت رجالا فاضرم^(١٠) وشرقت قوما فلم يلبوا^(١١)
إذا الحرب كنت أميراً لها فظلم^(١٢) منك أن يقتلوا
شعرك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا: مجلوا مجلوا!

(١) الهاجرة: إما تسكن في القبط نصف النهار. (٢) عطف الشيء: جابه. (٣) يثال: أمه وأمه بمعنى قصده. (٤) قب البير: إذا حتى. (٥) البدر: جمر بدرة (بفتح الباء) وهي عشرة آلاف. (٦) الحيا من كل شيء: هذته. (٧) روى هذا البيت: ولقدت قوما فلم يلبوا وماديت قوماً فما ضرهم

هَزَانِمَكَ الْفَرُّ مشهورة بِقُرْطُسٍ^(١) فَيَهِنٌ مَنْ يَنْصِلُ
فَأَنْتَ إِذَا مَا اتَّقُوا آخِرُ وَأَنْتَ إِذَا انْهَزَمُوا أَوَّلُ^(٢)

ويبلغ للطلب مجازة إياه بعد أن ولّاه ؟ فضله عن أسوان ، وأخذ إليه كتاب
المرز مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل
الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن علا
المنبر وتسمع ليضطرب ناو له الكتاب ، قال له دُعِيل : دعني أخطب ، فإذا نزلتُ
قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أملك الخطبة حتى تقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر
ممزولا .

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أي الفرس . (٢) قال دحبل : قال لي الطلب : ما تفكرت في
قوله قط :

إِنْ كَانُوا جِئْنَا بِأَسْرَةٍ أَوْ وَاحِدُونَا جِئْنَا بِطَلَبٍ
إِلَّا كُنْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَلَا تَفَكَّرْتُ وَاقِعِي قَوْلَهُ لِي :
وَعَادَيْتُ قَوْمًا فَمَا عَرِمْ وَقَدِمْتُ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبَلُوا
إِلَّا كُنْتُ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَيَّ .

١٣٤ — دِغِيلٌ وَعَلَى الرِّضَا*

قال دِغِيلُ بْنُ عَلِيٍّ: دخلتُ على عليٍّ بن موسى الرضا - عليه السلام - فقال لي:
أُنشدني شيئاً مما أُحدثتَ ، فأنشدته^(١) :

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ ومَنْزِلٌ وَخَمِيٌّ مُقَرَّرُ الرِّمَاحِ^(٢)
لَأَنَّ رَسولَ اللَّهِ بِاتْلَافٍ مِنْ مَقِيٍّ وبِلَهْزَانٍ وَالتَّقْصِيفِ وَالْجِزَاحِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَنِينِ وَحِمْرَةِ وَالسَّجَّادِ ذِي الْفَيْفَاتِ^(٣)
حق انتهيتُ إلى قولي :

بِغَيْرِ أَنْفٍ مِنْ كَهْمُولٍ وَغِيَّةٍ فَلَكَ عُنَاةٌ^(٤) أَوْ كُنْزٌ دِيَارِ
أَحَبِّ قُصَى الزَّهْمِ مِنْ أَجْلِ حُكْمٍ وَأَجْعَلُ فِيكُمْ أَنْتَرِيَّ وَبِنَارِ
وَأَكْتُمُ حُبِّيكُمْ غَلْفَةً كَالشَّعْرِ عَلِيْدٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرُ مُوَارِ
قَدْ خَلَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بِسَدِّ وَفَارِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّي مِنْ ثَلَاثِينَ جَبَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمُ الْحِمَارِ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَشْأَا وَأَبْلِسُهُمْ مِنْ قَيْتِهِمْ صِفَارِ

* الأَخَانِي : ١٨ - ٤٢ (طيبة الناصي) ، معجم الأدياب : ١١ ، ١٠٨

(١) لقد صدقه القصيدة من أحسن الشعر وفنر للدياج . (٢) الرماح : جمع رمح : وسط القار ، والتي أنه لا أنيس بها . (٣) بعد أسماء آل البيت ، وهو الثقات : علي بن الحسين بن علي ، ونعمي بنك ، لأن طول الجود أرقى ثقاته ، والثقة من الإنسان : الركية . (٤) الناة : جمع مان ، وهو الأسير .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْنُ جِسْمُهُمْ وَأَلْ زَيْدُ حَقْلُ الْقَصَرَاتِ^(١)
 إِذَا وَتَرُوا^(٢) مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَرِ مَقْبُضَاتٍ
 فَبِكَيْ حَقٍّ أَغْنَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمًا إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ اسْكَنْتَ ، فَكُنْتَ
 سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِذْ ، فَأَعَدْتُ حَقِّي انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، قَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ،
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِبَشِيرَةِ آلَافِ دَرَمٍ بِمَا ضَرِبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ وَقَعْتُ
 لِأَحَدٍ يَدًا ، وَأَمَرَنِي مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلٍّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَلْدَمُ إِلَى .
 قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبَعْتُ كُلَّ دَرَمٍ مِنْهَا بِبَشِيرَةِ دَرَاهِمٍ ، اشْتَرَاها مَعِيَ الشَّيْخَةُ ،
 غَسَلَنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَمٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا لِي اعْتَقَدْتُهُ^(٣) .
 قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ يَحْيَى : ثُمَّ اسْتَوْبَعْتُ دِرْعَمًا مِنَ الرِّضَا ثَوْبًا قَدْ لَبِسَهُ لِيُجِلَّهُ فِي
 أَكْفَانِهِ ، تَفْلَعُ جَبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ أَهْلَ قَوْمِ خَبَرُهَا ، فَذَاوَهُ
 أَنْ يَبْسِمَ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَمٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوها
 مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ شِئْتَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ نَاقِلًا ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، قَالَ لَمْ :
 إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَهْلِيكَ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكَ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا ؛ فَصَالَحُوهُ
 عَلَى أَنْ أَعْطُوهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَمٍ ، وَفَرَدَ كَثِيرًا مِنْ بَطَانَتِهَا ، فَرَضَى بِذَلِكَ !

(١) القصرات : جمع قصر (بالصرير) وهي أصل النقص ، وحقل : محلة ، والتي أن أعطاهم
 ملوثة غلظة من طول التسم . (٢) الوتر : انتشار ، أو الظلم فيه ، والقصود : أنهم إذا احتضروا
 عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء . (٣) اعتقدته : اعتنيت به .

١٣٥ - سَجَدُوا لِشِعْرِهِ^(١)

حَدَّثَ دِغِيلُ الشَّاعِرِ : أَنَّهُ اجْتَمَعَ هُوَ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو الشَّيْخِ^(٢) وَأَبُو نُوَاسٍ
فِي مَجْلَسٍ ، قَالَ لَهُمُ أَبُو نُوَاسٍ : إِنْ مَجَلَسَنَا هَذَا قَدْ شَهَرَ بِاجْتِمَاعِنَا فِيهِ ، وَلِهَذَا الْيَوْمَ
مَا بَدَعَهُ ، فَلْيَأْتِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِأَحْسَنِ مَا قَالَتْ لَيْسِيْدُهُ ، فَأَنشَدَ أَبُو الشَّيْخِ :
وَقَدْ أَهْلَوِي بِإِحْيَاءِ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مَتَاخَرٌ عَنْهُ وَلَا مُقَدِّمُ
أَجْدَ لِلْأَمَةِ فِي هَوَاكِ الْفِيْذَةِ حُبٌّ لَدَكِ فَكَيْفِي الْقَوْمِ
وَأَهْمَنِي فَأَهْمَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مِمَّنْ يَهْوَنُ عَلَيْكَ عَنْ يُكْرَمُ !
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصَرْتُ أَجْهَمُ إِذْ كَانَ حَقِّي مِنْكَ حَقِّي مِنْهُمْ
فَجَعَلَ أَبُو نُوَاسٍ يَسْجُبُ مِنْ حَسَنِ الشَّمْرِ حَقِّي مَا كَادَ يَنْقُصُ عَجْبِي ، ثُمَّ أَنشَدَ
مُسْلِمٌ آيَاتًا مِنْ شِعْرِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَأَقْسَمْتُ أَنَّنِي الدَّاعِيَاتُ إِلَى الصَّبَا وَقَدْ فَاجَأَتْهَا الْمَيْنُ وَالسَّرَ وَاقِعُ
فَضَّلْتُ بِأَيْدِيهَا نَحْوَهَا كَأَيْدِي الْأَسَارَى أَهْلَتْهَا الْجَوَامِعُ^(٣)
قَالَ دِغِيلُ : قَالَ لِي أَبُو نُوَاسٍ : هَاتِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ جِئْتَنَا بِأَمِّ
الْقَلَادَةِ ، فَأَنشَدَتْ :

إِنَّ الشَّبَابَ^(٤) وَأَيَّةُ^(٥) سَلَكَ ؟ أَمْ أَيْنَ يَطْلُبُ ؟ ضَلَّ بَيْتُ هَلْكََا

• الخلد الفرید : ٤ - ٣ ، مذهب لأدنی : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ (طبعة أوربا) .
(١) هو محمد بن رزين بن دعلج ، كان من شعراء عصره ، متوسط المجل فيهم غير نبيه الذكر
لنوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفي سنة ١٩٦ هـ . (٢) جمع جالبة : وهي القل ؛
لأنها تجمع المدين إلى النقي . (٣) أي أية سبيل .

لَا تَتَجَبَّى يَاسْتَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبْرُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ !
لَا تَطْلُبَا بَطْلَامِي^(١) أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا
ثُمَّ سَأَلْنَا أَبَا نَوَاسٍ أَنْ يُفْشِدَ ، فَأَنْشَدَ :

لَا تَتَبَّكَ هِنْدًا وَلَا تَطْرُبْ إِلَى دَعْدٍ وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ^(٢) مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأَسًا إِذَا انْعَدَّتْ فِي كَفِّ شَارِبَهَا أَخَذَتْ بِحِمْرَتِهَا فِي الْمَيْنِ وَالْخَلْدِ
فَانْخَرُ يَا قُوَّةُ ، وَالْكَأْسُ لَوَلْوَةٍ فِي كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ
تَسْتَكُ مِنْ عَيْنِهَا خُرًّا وَمِنْ يَدِهَا خُرًّا ، فَالْكُ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ
لِي نَشْوَتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ ثَوِي خَصَعَتْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَذِي
فَقَامُوا أَكْلَهُمْ ، فَجَدُّوا : قَالَ : أَفَصَلَّيْتُمُوهَا أَجْمِيَّةً ؟ لَا أَكَلَّكُمْ فَلَاتَا .

(١) الظلامة : ما أحاطه من الظلم ، والفراد هنا موته عتفاً من أثر النظر بينه ولحبه بقلبه .
(٢) الورود : الماء الذي يورود .

١٣٦ - إنما الدنيا أبو دُلف *

قال للأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حَضَرَ مِنِّي يحفظ قصيدة على
ابن جَبَلَة^(١) الأُمي في القاسم^(٢) بن عيسى إلا أنشدنا ؛ قال بعض الجلساء :
قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد من إبرار قسمة ، وما أخفها ، ولكنها مكتوبة
عندي . قال : قم فاجتني بها . ففعل وأتاه بها ، وأنشده :

ذادَ وردَ النُّي عن صدرِهِ وارغوى والهُو من وطَرِهِ
وابْتِ إلا البِكاة له ضحكات الشيب في شعرِهِ
ندى أن الشاب مَقى لم أبْلته مَدَى أَشْرِهِ^(٣)
حَسَرَتْ^(٤) مَقى بشائِئِهِ ودَوَى المحمود من نَمْرِهِ
ودمٍ أهدَرْتُ من وَشائِ^(٥) لم يُردِّ عَقْلًا^(٦) على هَدَرِهِ



دَعَجَ جَدًا قَطْطان أو مُضَرٍ في يمانِيهِ ، وفي مُضَرِهِ
وامتدَحَ من وائلي رجلاً عَصُرَ الآفاق من عَصَرِهِ

* الأمازي : ٨ - ٢٥٩ (طبعة دار الكتب) .

- (١) حل بن جبلة ، ويقلب بالكسوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف اللاماني ، مناح حسن
التصرف ، استفاد شعره في مدح أبي دلف البجلي وأبي ظالم الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف .
حتى فضله على أهل مصر كلهم مما أسخط للأمون وكان سبباً في تنقيده . - توفي سنة ٢١٣ هـ .
(٢) كنيته أبو دلف ، وكان عمله في الشجاعة وعلو المهل عند الحلفاء وعظم المناء في القاهل
وحسن الأدب وجودة الشعر مما لم يكن لأحد من نظرائه . (٣) أشر (كفرح) : مروح .
(٤) حسرت : انكسفت . (٥) الرشا : (في الأصل) ولد النطي . (٦) العقل : الفية .

لَنَسَايَا فِي مَقَانِيهِ^(١) وَالطَّيَا فِي ذُرَا حُجْرَةٍ
مَلَكٌ تَنْدَى أُنَاسِهِ كَانِلَاجِ النَّوْدِ عَنْ مَطَرَةٍ
مَسْهُولٌ عَنْ مَوَاهِيهِ كَابْتِغَامِ الرُّؤُوسِ عَنْ زَهْرَةٍ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أَمِيتٌ عَذَابٌ فِي قَرَّةٍ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُقْنٍ^(٢) بَيْنَ مَبْدَأِهِ وَمَحْضَرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُقْنٍ وَلَّى الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ يَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْمِعٌ مِنْهُ مَكْرُمَةً يَكْتُبُهَا يَوْمَ مُنْقَضَةِ

فَضْبِ الْأُمُونِ وَاعْتَظَ، وَقَالَ : لَسْتُ لِأَبِي إِنْ لَمْ أَطْعُ لِسَانَهُ أَوْ أَصْفِكَ دِمَهُ.
م قَالَ : اطْلُبُوهُ حَيْثُ كَانَ ، فَطَلَبُ قَلْبٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا أَتَّصِلُ بِهِ إِلَّا بِرَبِّ هَرَبٍ إِلَى
الْجَزِيرَةِ ، فَكُتِبَ إِلَى الْإِثَاقِ فِي طَلْبِهِ ، فَهَرَبَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَظَفَرُوا بِهِ
هَنَّاكَ ، وَأَحْيَدٌ وَجْهٌ إِلَى الْأُمُونِ .

وَلَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَبَبُهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ لِلْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ يَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْمِعٌ مِنْهُ مَكْرُمَةً يَكْتُبُهَا يَوْمَ مُنْقَضَةِ

جِئْتُنَا عَنْ يَسْمِيرِ الْكَاكِرِمِ مِنْهُ إِذْ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ

(١) اللقَاب : جمع لقب ؛ وهو جماعة الخيل كثير . (٢) قيل : إنه بينا أبو دلف يجر مع مطل
مرا بقصر ، فأخبرت منه جارتان ، فقالت إحداها للأخرى : هذا أبو دلف الذي يقول فيه
الشاعر : « إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ » فقالت الأخرى : أو هذا ؟ قد واثقه كنت أحب أن أراه
منذ سمعت ما قيل فيه ، فالتفت أبو دلف إلى مطل ، فقال : ما أنصفنا حتى بن جيلة ولا وثيقناه حتى ،
ولئن ذلك لمن كبير همي ، وكان قد أعطاه ألف درهم .

لا يَنَاقَسُ بِكُمْ أَحَدٌ، لَأَنَّهُ جَلٌّ وَعِزٌّ فَضَّلَكُمْ عَلَى خَلْقِهِ، وَاخْتَارَكُمْ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا
عَنَيْتُ يَقُولُ فِي الْقَاسِمِ أَشْكَالَ الْقَاسِمِ وَأَقْرَانَهُ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا اسْتَنْبَيْتَ أَحَدًا،
وَلَسْتُ أَسْعَلُ دَمَكَ لَنَافِعِكَ، وَلَكِنِّي أَسْعَلُهُ بِقَوْلِكَ وَكَفْرِكَ فِي شِرْكِكَ، حَيْثُ يَقُولُ
الْقَوْلُ الْقَدِيمُ أَشْرَكَتَ فِيهِ:

أَنْتَ الْقَدِيمُ تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنَازِلَهَا وَتَنْقُلُ الْعُمُرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدَتْ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أُخْرٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقِهِ وَأَجَالِهِ
كَذَبْتَ... مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،
ثُمَّ أَمْرٌ بَقَاةُ!

١٣٧ - مِدْحَةُ شَاعِرٍ وَعِطِيَّةُ أَمِيرٍ *

قال علي بن جبلة : زرت أبا دُفْلٍ بالجبل^(١) ، فكان يُظهِرُ من إكرامِي
وبرئى والتحقى^(٢) بى أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياً ؛ فبث إلى مَعْقِلِ
ابن عيسى ، قال : يقول لك الأمير : قد اضطمت عني ، وأحبك استقلت برئى
بك ، فلا يرضيتك ذلك فأنزله فيه حتى ترضى . قلت : والله ما قلعنى إلا
إفراطه في البر ، وكتبتهُ إليه :

هجرتك لم أهجرك من كُفْرِ نَمَةٍ وهل يُرَجَى نَيْلُ الزيادةِ بالكفرِ !
ولكنى لسا أنيتك زائراً فأفرطت في برئى هجرت عن الشكر
فيلان^(٣) لا آتيك إلا ملأاً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
فلن زدني برأ ترايدت جنوةً ولم تلقى طول الحياةِ إلى الحشر !
فلما قرأها معقل استحسنها ، وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير لتحببه
هذه للماني .

فلما أوصلها إلى أبي دُفْلٍ قل : فاته الله ما أشهره وأدق ممانيه ! وأهنيه
وأجابه لوقته . وكان حسن البديهة حاضر الجواب :

ألا رب ضيف طارق قد بسطته وأنسته قبل الضيافة بالبشر

* الأغانى : ٧ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) بلاد أنجيل : مدينان أدريجان والبراق . (٢) تحنى به : بالغ في إكرامه .

(٣) يريد فن الآن .

أَتَانِي بِرَجِيئِي فَمَا حَالُ دُونِهِ وَدُونَ الْقَرَى وَالْمَرْفَعِ نَائِلِي سِتْرِي
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلًا عَلَى بَقْصِدِهِ إِلَيَّ ، وَبَرًّا زَادَ فِيهِ عَلَى بَرِّي
فَزُوْدَتُهُ مَا لَا يَقِلُّ بِقِسْمِهِ وَزُوْدَنِي مَدْحًا يَدُومُ عَلَى الدَّهْرِ
وَبِثَّ إِلَيَّ بِالْأَبْيَاتِ مَعَ وَصِيفِهِ ، وَبِثَّ إِلَيَّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ؛ قُلْتُ حَيْثُ نَزَلْتُ :
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَهْوَدُ نَفْسٍ بَيْنَ مَهْدَاهِ وَنُحْتَصَرِهِ

١٣٨ — بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر *

لما شَخَّصَ أبو تمام ^(١) إلى عبد الله بن طاهر ^(٢) وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك : فاستَقَلَّ البلد ، وكان عبد الله وَجِدَ ^(٣) عليه ، وأبطأ بجائزته ؛ لأنه ثر عليه ألف دينار ، فلم يَسْتَسْهِدْ بيده رَقْعًا عنها ، قال : يحضر ضلي ، ويرفع عليّ ! فكان يبعث إليه بالشئ بعد الشئ . كاقوت : قال أبو تمام :

لَمْ يَبْقَ لِلصَّيْفِ رَسْمٌ وَلَا مَلَلٌ وَلَا قَشِيبٌ قَيْسُكُنِي وَلَا تَمَلُّ ^(٤)
عَدَلٌ مِنَ النِّعَمِ أَنْ يَسْكِيَ الصَّيْفُ كَمَا يُسْكِي الشَّابُّ وَيُكِي اللَّهُ وَالْفَزْلُ
يُنْتَقِ الْأَمَانُ اخْضَى مَعْرُوفَهَا وَغَدَّتْ بُسْرَاهُ وَهِيَ لَنَا مَنِ بِلَحَا بَدَلُ
فبَلَّغْتَ الْآيَاتِ أَبَا السَّيْثِلِ شَاعِرَ آلِ طَاهِرٍ ، فَأَيُّ أَبَا تَمَامٍ وَاحْذَرِ إِلَيْهِ لِبِدَاهِ
ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله قال : أيها الأمير ؛ أنتهاون بمثل أبي تمام ، وتغفوه افواهه لو لم يكن له ماله من النباذة في قَدْرِهِ ، والإحسان في شعره ، والشامع من ذِكْرِهِ ، لكان الغلوف من شره ، والتوقى لِقْمَةً يُوجِبُ عَلَى مِثْلِكَ رِيعَاتِهِ وَمِرَاقِبَتَهُ ،

• الأغانى : ١٥ - ١٠٢ (طبعة الناصري) .

(١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالقام ثم انتقل إلى مصر ، فروى الأدب وأحسن الشعر ، ثم سار إلى بغداد ففتح الخليفة وغيره ، وأورثهم ذكره وتقدم على شعراء عصره ، ومات سنة ٢٣١ هـ .
(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ١٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة جيدة ، ثم نشأ في كنف الأُمُونِ حيث كان أبوه من أكبر قوادسه . ثم حل عند الأُمُونِ بعد وفاة أبيه عمله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبادة أيضاً عظيمًا شاعرًا متزلا جيد الفناء . توفي سنة ٢٣٨ هـ . (٣) وجد عليه : غضب . (٤) الحمل : الثوب الخلق .

فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن شنيع ! وقد قصدك عاقباً
بك أمه ، مُتَمِّلاً إليك ركابته ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يلزمك
قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا مُبِيع فيك منه ما مُبِيع
إلا قوله :

يَقُولُ فِي قَوْمِي^(١) صَحِيٌّ وَقَدْ أَخَذْتُ مَنَا الشَّرِيَّ وَخَطَأًا لِلْهَرَبَةِ^(٢) الْقَوْدِ^(٣)
أَمْطَلَعَ الشَّمْسَ تَبْنِي أَنْ تَوْفُّ بَنَا ؟ قُلْتُ : كَلَّا ! وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
لَكِنِّي ! قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لَقَدْ نَبَّهْتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَعَاتَبْتَ فَأَوْجَعْتَ ، وَلَكِ
وَلَأَبِي تَمَامُ الْعَتَى^(٤) . اِدْمَعْ بِالْغَلَامِ ، فِدَاعَهُ . فَنَادَمَهُ يَوْمَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِي دِينَارٍ
وَمَا يَحْمِلُهُ مِنَ الظَّهْرِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً ثَلَاثَةَ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ بِدَرْقَتِهِ^(٥)
إِلَى آخِرِ عَمَلِهِ .

(١) قَوْمِي : إقليم في طبرستان . (٢) الإبل الهربية : تنسب إلى مهرة : حي في العرب .
(٣) القود : جمع أقود ، وهو الطويل النقي . (٤) أحبه : سره بعد ما ساءه ، والاسم العتي .
(٥) البقرة : الخفارة .

١٣٩ - لا يجب عليك من يَبُونُ نِيَابَةً خَوْفَ النَّبَارِ وَعِرْضُهُ مَبْنُولٌ *

ارتفع محمد^(١) بن عبد الله بن طاهر يوماً للنائمة ، وقد حضره ابنُ طالوت ، وكان وزيره وأخص الناس به وأحضرهم تلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به للمشارة ، وقد بمنأجته للزانية ؛ فمن ترى أن يكون ! وأضنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق .

قال ابنُ طالوت : فأملت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطر بهالي رجلٌ ليس علينا من مجالسته مثوة ، وقد يرى من إبرام^(٢) المجالسين ، وخلا من قل للزانيين ، خفي الوطأة إذا أدنيت ، سريع الوتية إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني^(٣) للوسوس . قال : أحنت والله فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظف وأدخل الحمام ، وألبس نياياً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، قال محمد : وعليك السلام إمامي . أما آن لك أن تزورنا على حين توفان منا إليك ، ومنازعة قلوب منا بحوك ؟ قال : الشوق شديد ، وأطلب عتيد ، وللزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ؛ ولو سهّل لنا الإذن لسهّلت علينا الزيارة !

* الأمان : ٢٠ - ٨٥ (طبعة السلي) ، للحموي : ٢ - ٢٤٥

(١) توفي سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه . (٢) أبحره : أمه . (٣) ماني للوسوس : اسم محمد بن العباس ، حاصر ابن الشرديقه ، لم يزل هجاً إلا في النزول ، وماني لقب طلب عليه .

قال : أَلَطَفْتُ فِي الاسْتِئْذَانِ ، فَلْيَلْطَفْ لَكَ فِي الْإِذْنِ : لَا يَمْنَحُ مَايَ أَى وَفَتْ
وَرَدَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ جُلَسَ ، وَدَعَا بِالْعَلَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِنَةِ جَارِيَةِ بِنْتِ الْهَدَى فَأَحْضَرَتْ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدَوْنَا فَضَعَلُوا - دَمْعِي عَلَى غُلْدَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَقَوْلِي وَقَدْ زَالَتْ بَلِيلُ حَمُولِهِمْ بَوَاكِرُ تُحْلِي : لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
قَالَ مَايَ : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَدْ أَتَانِي الْفُكْرُ وَالْمَحْمُوحُ حَائِرٌ بِحَقِّهِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْفُرِّ وَالْجَنْهَدِ^(١)
وَلَمْ يُدْرِكْ هَذَا الْأَمِيرُ بَدْلَهُ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْمَجَرِّ وَالْعَدْوِ
فَانْدَفَعَتْ تَعْنِيهِ ، قَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَطَلَقِ أَنْتِ ؟ فَاصْصِيحِي ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ
أَلَّا يَبْرَحَ لَهُ بَشْيٌ فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : مَبْلَغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَأَمَّا فَظْهَرُ
وَهَلْ بَدَأَ الشَّيْبَ صَبَوَةً !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِنَةِ هَذَا الصَّوْتِ :

حَبَّبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَيِّ قَلْتِ : يَا رِيحُ بَلْنِيهَا السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْجَنَابِ عَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوا عَنِ الرِّيحِ الْكَلَامَا
فَنَفَثَتْ ، فَطَرْبَ مُحَمَّدٌ ، وَدَعَا بِرَطْلٍ فَشَرِبَ ، فَقَالَ مَايَ : مَا عَلَى قَاتِلِ هَذَا الشَّعْرِ
لَوْ زَادَ فِيهِ :

(١) الْفُرُّ : سَوْءُ الْحَالِ ، وَالْمَجَرُّ : اللَّتَقَةُ .

فَنَفَسْتُ ، ثُمَّ قَلْتُ لَطِيفِي : أَهْ إِنْ زُرْتِ طَيْفَهَا لِلْمَا
خَصَّهُ بِالسَّلَامِ مِنْى فَأَخْشَى يَحْمُوهَا لَتَقُوتِي أَنْ تَنَامَا
لَكِنْ أَتَخَبُّ^(١) لَزْدَ الْعِصَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَقَنُّلًا إِلَى الْعَكْبَدِ^(٢)
الصادية من زلال اللآءِ ، مع حسن تأليف نظمه ، والانهاء بالمعنى إلى نهاية تمامه ؛
فَقَالَ عَمْدٌ : أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ أَمَرَ مَوْئِئَةً بِالْحَقِيقَةِ بِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالشَّاعِرِ
فَعَمَلَتْ . ثُمَّ غَفَّتْ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

بِاخْلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيْمَا^(٣) وَهَلِي ذِي صِبَابَةٍ فَأَقْبَمَا
مَا مَرَّوْنَا بِدَارِ زَيْنَبٍ إِلَّا هَفَكَ الْعَمْعُ سِرًّا لِلْكُفَمَا
فَاسْتَعْنَاهُ عَمْدٌ ، قَالَ مَانِي : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّمَدُّي لَأَخَفْتُ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
يَتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى تَتَمُّعِ ذِي لُبٍّ فَيُعْصِرَانِ إِلَّا عَنْ اسْتِغْصَانٍ لَهَا ، قَالَ عَمْدٌ :
يَا مَانِي ؛ الرِّغْبَةُ فِي حَسَنِ مَا تَأْتِي بِهِ حَاقَّةٌ دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتِ مَا هَتَدُكَ !
قَالَ :

ظَلِيَّةٌ كَالْمَلَالِ لَوْ تَلَحَّظُ الْعَصَا رَ بَطْرَفِي لَنَادَرْتُهُ هَشَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمتْ خَلَيْتَ إِيْمَا ضَ بَرُوقٍ أَوْ لَوْ لَوْكَ مَنَظُومَا
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَانِي ! فَأَجِزْ^(٤) هَذَا الشَّعْرَ :
لَمْ تَطْلُبِ الْفَنَاتِ إِلَّا مِنْ طَابَتْ بِهَا الْفَنَاتُ مَانُوسَه
غَفَّتْ بِصَوْتِ أَطْلَقَتْ صَبْرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَه
قَالَ مَانِي :

وَكَيْفَ صَبْرُ النَّفْسِ عَنْ غِلَاةٍ أَغْلَاهَا إِنْ قَلْتُ : طَلُوسَه !

(١) تَبَيَّنَ النَّارُ : اتَّخَذَتْ . وَالزَّيْدُ : الْيَوْمَ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ النَّارُ وَمَوْ الْأَعْلَى . (٢) الْعَكْبَدُ : مَوْئِئَةُ
وَقَدْ تَذَكَّرَ . (٣) لَا تَرِيْمَا : لَا تَبْرَحَا . (٤) الْإِجَازَةُ فِي الشَّعْرِ : أَنْ تَمَّ شَعْرٌ غَيْرُكَ .

وَجُرَتْ إِنْ شَبَّهَهَا بِأَنَّهُ^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَفْرُوسُهُ
وغيرُ عدلٍ لَأَنْتَ عدلُنا بها جَوْهَرَةٌ فِي الْبَحْرِ مَفْرُوسُهُ
نَمْ سَكَتَ ، قَتَلَ مُحَمَّدٌ : مَا عَدَا فِي وَصْفِهِ لَهَا ، قَتَلَ مَا نَى :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَافْكِرْ تَلْبِيفُهَا بِالْثَمَةِ مَحْسُوسُهُ
قَتَلَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتِ أَقَاتِ مَوْئِدَةً : وَجِبَ شُكْرُكَ يَا مَا نَى . فَاعْذُكَ
الْهَرَمَ ، وَعَطَفَ عَلَيْكَ الْإِلَهَ ، وَتَارَكَكَ سُرُورُكَ ، وَتَارَكَكَ مَحْزُورُكَ ، وَاللَّهُ يَدِيمُ
لَنَا ذَلِكَ يِقِيَاءُ مَنْ بِهِ اجْتَمَعَ شَمْلُنَا ، قَتَلَ لَهَا مَا نَى - عِنْدَ قَوْلِهَا : « وَعَطَفَ عَلَيْكَ
إِلَهَكَ » ، عَجِيبًا :

لَيْسَ لِي إِلَّا فَيْعُطْفِي فَارَقَتْ خُصِي الْأَبَاطِيلُ
أَنَا مَوْصُولٌ بِنَمْسَةٍ مِنْ حَبْلِهِ بِالْجِدِّ مَوْصُولُ
أَنَا مَقْبُوطٌ بِنَمْسَةٍ مِنْ طَبْعِهِ بِالْجِدِّ مَأْمُولُ
فَأَوْماً إِلَيْهِ ابْنُ طَالُوتَ بِالْقِيَامِ قَبْضُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَقْ قَلَّ التَّنْظِيرُ لَهُ زَانَهُ الْفَرْ الْبَهَائِلُ
طَامِرِيٌّ فِي مَوَاكِبِهِ عُرْفُهُ فِي النَّسَاسِ مَبْذُولُ

قَتَلَ مُحَمَّدٌ : وَجِبَ جَزَاؤُكَ لَشُكْرِكَ عَلَى غَيْرِ نَمْيَةٍ سَبَقَتْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ
طَالُوتَ ، قَتَلَ : لَيْسَتْ خُصَامَةُ لِلرَّءِ ، وَلَا اتَّضَاعُ دَهْرِهِ ، وَلَا بُؤُؤُ الْعَيْنِ عَنِ الظَّاهِرِ
بِمُذْهَبٍ مَا رَكِبَ فِيهِ مِنَ الْأَدَبِ ، وَمَا أَخْطَأَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ حِينَ يَقُولُ :

لَا يَجِبُ نَيْتُكَ مِنْ يَصُونُ نِيَابَهُ خَوْفُ الْقَبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْذُولُ
فَلَرَبِّمَا اخْتَرِ التَّقَى فَرَأَيْتَهُ دَنَسَ الثِّيَابَ وَعَرْضُهُ مَفْضُولُ

فَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ مُجَرِّيًّا عَلَيْهِ رِزْقُهُ حَتَّى تَوَفَّى !

(١) الْبَيَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَجَرِ .

١٤٠ - سَمَاءٌ *

سُمِّيَ بِأَبِي الْحَسَنِ^(١) عَلَى بْنِ عَبْدِ الْمَلُوكِ إِلَى التَّوَكُّلِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنْ فِي مَنْزِلِهِ
سِلَاحًا وَكُتُبًا وَغَيْرَهَا مِنْ شَيْئَةٍ ، فَوَجِّهْ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى خِفْلَةٍ
يَمِينَ فِي دَارِهِ ، فَوُجِدَ فِي بَيْتِهِ وَخَدَّهُ ، مَخْلُوقٌ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ^(٢) مِنْ شَعْرِ ،
وَلَا بَاسَاطٍ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحَصَى ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِلْحَفَةٌ^(٣) مِنْ الصُّوفِ ، مُتَوَجِّهًا
إِلَى رَبِّهِ يَتَرَنَّمُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الرَّغَدِ وَالْوَعْدِ .

فَأَخَذَ عَلَى مَا وَجَدَ عَلَيْهِ ، وَجَمَعَ إِلَى التَّوَكُّلِ فِي جُوفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِلتَّوَكُّلِ يُشْرِبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَغْطَاهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ
فِي مَنْزِلِهِ شَيْءٌ عَمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَمَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَاقَلَهُ لِلتَّوَكُّلِ الْكَأْسُ
الَّتِي فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَافَ لَحْيِي وَدُمِي قَطْ ! فَأَعْفَى مِنْهُ ، فَأَغَاةً ،
وَقَالَ : أُنَشِدْنِي شِعْرًا أَسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنْ لَقِيلَ الرَّوَايَةُ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا بَدَ
أَنْ تَنْشِدَنِي ، فَأَنْشَدَهُ :

بَاتُوا عَلَى قَلِيلِ الْأَجْيَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلَبُ^(٤) الرِّجَالِ فَاغْنَتْهُمْ الْقُلُلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَسَدَ عِزٍّ مِنْ مَمَاقِلِهِمْ فَأَوْدَعُوا حَقْرًا ، يَا بَيْتُ مَا تَزُولُوا !

* ابن خلكان : ١ - ٣٧٧

- (١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة وأقام بها ، ولما كثرت
السماية به عند التوكل قطفه إلى سرمند رأى فأقام بها ٢٠ سنة . وتوفي سنة ٢٥٤ هـ .
(٢) للمرعة : نوع من الثياب . (٣) للفضة : الياقوت فوق سائر الياقوت يتنق به البرد كاللؤلؤ .
(٤) الغلب : جمع الغلب ، وهو الشجاع ، وأصل الغلب : الأسد .

تَدَامُ صَارُخٌ مِنْ بَدَمَا قَبِرُوا : أَيْنَ الْأَسْرَةُ وَالْتِيجَانُ وَالْخَلْلُ !
 أَيْنَ الْوَجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مَنَمَةً مِنْ دُونِهَا تُضْرِبُ الْأَسْتَارَ وَالْكِلْلُ
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ : تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الْبُودُ يُقْتَلُ
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَمْعًا وَمَا شَبِعُوا فَأَصْبَحُوا بِدُطُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 وَطَالَمَا عَمَرُوا دُورًا لِصَعْنِهِمْ ضَارِقُوا الْقُورَ وَالْأَهْلِينَ وَاتَّقَلُوا
 وَطَالَمَا حَكَنُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا فَخَلَفُوا عَلَى الْأَمْدَاءِ وَارْتَمَلُوا
 أَخْضَتِ مَنَازِلَهُمْ قَرَأَ مَطْلَعًا وَسَا كُنُوعًا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
 فَأَشْفَقَ مَنْ حَضَرَ عَلَى حُلٍّ ، وَظَنُّوا أَنْ بَادِرَةً تَبْدُرُ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ لِلتَّوَكُّلِ
 بَكِي بِكَلَّةٍ طَوِيلًا ، حَتَّى بَلَّتْ حَمُوعُهُ لَحِيَّتَهُ ، وَبَكَى مَنْ حَضَرَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَفْعِ الشَّرَابِ ،
 وَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَعَلَيْكَ دِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارًا ! فَأَمَرَ بِدَفْنِهَا إِلَيْهِ ،
 وَرَدَّهَ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ سَاعَتِهِ مَكْرُمًا .

١٤١ - أشعر من ياشام ومن بالعراق*

دخل أبو نصر للنزى على أبي العلاء^(١) للمرى في جماعة من أهل الأدب ؛
فأنشد كل واحد من شعره ما يتيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرضاه وإد سقاء مضاعف التيسر الميم
زلنا دوحه^(٢) فعنا علينا حنو الواليات على العظيم
وأرشفنا على غيا زلالا^(٣) ألد من اللدامة^(٤) للنديم
يعد الشمس أوى واجهتنا فيحبها ويأنف للنسم
يروع^(٥) حصاه حالية^(٦) المناري فطس جانب القصد النظيم

قال أبو العلاء : أنت أشعر من ياشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل للنزى عليه في جماعة من أهل الأدب
ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،
حتى جاءت نوبة للنزى فأنشده :

لقد عرض الجاهل لنا يستعير إذا أضنى له ركب تلاهي^(٧)

* المستطرف : ١ - ٤٦٠ .

(١) أبو العلاء للمرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المسمى الضمير القليلوف المولف
نشأ بالمرة ، ودرس على أبيه وأمه صبياً ، ثم على علماء حلب وأتاه الشام حتى صار عفاق الاشتباه .
ثم ذهب إلى بغداد ولاق علماءها ورؤساءها ، وبكت فيها فلم يطلب له العيش فرجع إلى منزله ولم
يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . (٢) الدوح : جمع دوحه : العجيرة العظيمة من أم
شجر كان . (٣) ماء زلال : عذب . (٤) اللدامة : الحمر . (٥) يروع : يلزعج . (٦) حليت
لرأة : صارت ذات حل ، فهي حلية وحالية . (٧) تلاهي : تلتذع .

شجى^(١) قلبَ انطلى قَيْل : غَفَى وَبَرَحَ^(٢) بالشجى^(٣) قَيْل : نَاحَا
وَكَمْ لِلشُّوقِ فِي أَحْشَاءِ صَبْرٍ إِذَا انْهَلَتْ أَجْدُ لَهَا جِرَاحَا
ضَمِيفَ الصَّبْرِ عَنْكَ وَإِنْ تَقَاوَى وَسُكْرَانِ النَّوَادِ وَإِنْ نَصَاحَى
بِنَاكَ بَنُو الْمَوَى سَكْرَى صَحَاةَ كَأَحْدَاقِ اللَّمَّاءِ مَرْضَى صَحَاةَا
قَتَلَ أَبُو الْعَلَاءِ : وَمَنْ بِالرَّاقِ . (عَطَا عَلَى قَوْلِهِ : مَنْ بِالشَّامِ^(٤)) ١

(١) شَجَاة : أَطْرِبُهُ . (٢) بَرَحَ بِهِ الْأَمْرُ : جَهَدَهُ . (٣) الشَّجَى : الْمَزِينُ .
(٤) لِلرُّوْفَانِ الْآيَاتِ الْأُولَى الْمَسْمُومَةُ الْأَنْدَلِيقِيَّةِ .

١٤٢ — ابن جنيح ينشد للمتضد بن عباد شعره *

ورد ابن جنيح الشاعر على للمتضد بن عباد ، فدخل القمار المخصوصة بالشعراء ،
فسأله ، فقال : إني شاعر ! قالوا : أنشدنا مِنْْ شعرك ؛ فأَنشدَهم شعراً ضحكوا
منه وأزْدَرَوْهُ .

قال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء
ويندرج في سِلْكِهِمْ ؛ فلم يُبالوا بكلام الرجل .

فبقي معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على اللات
غيرهم ، قال بعضُ لبعض : هذه شُتَّةٌ ^(١) بنا أن يكون مثلُ هذا البادي يُقدِّم
علينا ، ويجترئ على الدخول معنا .

فانتقموا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس
السلطان ؛ وقَدَّرُوا أن يقول مثلَ ذلك الشعر للضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك
حسباً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقد السلطانُ في مجلسه ، ونصبَ الكرسي لمه ،
رغبوا منه أن يكون هذا القادمُ أولَ متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فحمد
الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر للضحك ، قال :

قَطَعْتَ يا يَوْمَ النوى أكبادي وحرمت عن عيني لقيذرقادِي
وتركتني أرعى النجوم مسهداً والنَّارُ تُصْرَمُ في صميم فؤادِي

* نصح لطيب : ٢ - ٤٦٨

(١) الشناعة : التلغاة ، والاسم الشنة .

فَكَاثِمًا آلى الظلامُ أَلِيَّةً لا يَنْجِي إِلَّا إِلَى مِيسَادٍ
 وَلَرِبْ خَرَقٌ ^(١) قَدْ قَطَعَتْ نِصَاطَهُ وَاللَّيْلُ يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ حَدَادٍ
 بِشِمْلَةٍ ^(٢) حَرَفٍ ^(٣) كَانَ ذَمِيلَهَا سَرَحٌ ^(٤) الرِّيحَ ، وَكُلُّ بَرْقٍ غَدَى
 وَالنَّجْمُ يَحْدُوها وَقَدْ نَادَيْتُهَا : يَا نَاقِي حُجَّى عَلَى عَبَّادٍ
 هَلْكَ إِذَا مَا أَضْرَمْتَ نَارَ الْوَعَى وَتَلَاكَ الْأَجْنَادُ بِالْأَجْنَادِ
 فَتَرَى الْجِسْمَ بِلا رَمُوسٍ تَنْتَفِي وَتَرَى الرُّومَوسَ لَقَى ^(٥) بِلا أَجْنَادِ
 يَا أَيُّهَا لِلَّكُ لِلزُّمْلُ وَالْقَى قَدْ نَمَّا سَمَا شَرْقًا عَلَى الْأَنْدَادِ
 إِنَّ التَّرِيضَ لَكَلِيدٌ فِي أَرْضِنَا وَلَهُ هُنَا سَوْقٌ يَنْهَرُ كَسَادِ
 غَلَبْتُ مِنْ شَمَرِي إِلَيْكَ قَوَافِيًا يَفْقَى الزَّمَانُ وَذَكْرُهَا مَيَّادِي
 مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلِعْ أَدْبَا وَلَا خَطَّتْ يَدَاهُ صَحِيفَةً بِمِيسَادِ
 قَالَ لَهُ ذَلِكَ : أَنْتَ ابْنُ جَانِحٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَقَالَ : اجْلِسْ ، قَدْ وَلِيكَ رِيَاسَةَ
 الشُّعْرَاءِ ، وَأَحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ فِي الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ !

(١) الخرق : القتر والأرض الراسية . (٢) الشملة : السروية . (٣) الحرف : الناقة انصارية .
 (٤) سرح الرياح : لرسالة البر (٥) اللقي : ما طرح .

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحمهم، ورائع طرفهم،
في جواباتهم للسكتة، وتصرفاتهم الحكيمة، وتخلصاتهم
اللبقة، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديهة،
وشدة الممارسة.

١٣٤ — حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالتَّائِبَةُ*

قال حسان بن ثابت : قُلْتُ عَلَى النَّمَانِ بْنِ النَّظَرِ وَقَدْ امْتَدَحْتُهُ ، فَأَتَيْتُ
حَاجِبَهُ عِصَامَ بْنَ شَهْبَازٍ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، قَالَ : إِنِّي لَأُرَى عَرِييَا ، أَفَنَ الْحِجَازُ أَنْتَ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكُنْ قِطْعَانِيًّا ، قُلْتُ : فَأَنَا قِطْعَانِيٌّ ، قَالَ : فَكُنْ يَثْرِيًّا ، قُلْتُ :
فَأَنَا يَثْرِيٌّ ، قَالَ : فَكُنْ خَزْرَجِيًّا ، قُلْتُ : فَأَنَا خَزْرَجِيٌّ ، قَالَ : فَكُنْ حَسَّانَ
ابن ثَابِتٍ . قُلْتُ : فَأَنَا هُوَ !

قال : أَجَبْتُ بِمَدْحَةِ لَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَيُّ أَرْضِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ،
فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ عَنْ جَبَلَةٍ بَيْنَ الْأَيْمِمْ وَيَسْبُهُ ، فَمَاذَا أَنْ تَسَاعِدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ
أَمِيرٌ ذِكْرُهُ إِمْرَارٌ لَا تَوَافُقَ فِيهِ وَلَا تَخْتَلَفُ ، وَقُلْ : مَا دَخُولُ مِثْلِي أَيْتُهَا لَكَ يَبْنُكَ
وَبَيْنَ جَبَلَةٍ وَهُوَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ ! وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى الْعِلْمِ فَلَا تَوَاسَلْهُ ، فَإِنَّ
أَقْسَمَ عَلَيْكَ فَلَأَصِيبُ مِنْهُ الْبَسِيرَ إِنْ صَابَهُ بِأَرَقِ قَسَمِهِ ، مَقْشَرٌ بِمَوَاسِكِهِ ، لَا أَكُلُ جَانِعِ
سَنَبٍ^(١) ، وَلَا تُطِيلُ عِمَادَتَهُ ، وَلَا تَبْدُوهُ بِإِخْبَارٍ عَنْ شَيْءٍ مِثْقَى يَكُونُ هُوَ السَّائِلُ
لَكَ ، وَلَا تُطِيلِ الْإِقَامَةَ فِي جِلْدِهِ .

قُلْتُ : أَحْسَنَ اللَّهُ رَفْدَكَ ! قَدْ أَوْصَيْتُ وَأَعْيَا . وَدَخَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ قَالَ
لِي : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ وَحَمِيتُ تَحِيَّةَ لِلَّهِ .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جيلة ما قاله عِصَامُ كَأَنَّهُ كَانَ حَاضِرًا ، وَأَجَبْتُ
بِمَا أَمَرَنِي ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَتْنِي فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لِي ؛ فَأَنْشَدْتُهُ . ثُمَّ دَعَا بِالْعِلْمِ ، فَقُلْتُ
مَا أَمَرَنِي عِصَامُ بِهِ ، وَبِالشَّرَابِ فَقُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ سَنَةٍ وَخَرَجَتْ .

* الأغانى : ٩ - ١٦٤ (طبعة المي) .

(١) السنب : البوع ؛ ولا يكون إلا مع سنب .

قال لي عصام : بقيت على واحدة لم أوصيك بها ، قد بنى أن النافذة^(١) الذياني
قدم عليه ، وإذا قدم فليس لأحد منه حظٌ سواء ، فاستأذن حيثنظ وانصرف
مكرماً ؛ فذلك خيرٌ من أن تنصرف بجفواً .

فأقت بيابه شهراً ، ثم قدم عليه فزاريان كان بينهما وبين النمان دُخْلٌ^(٢) ،
وكان معهما النافذة قدم استعجار بهما ، وسألها مسألة النمان أن يرَضَى عنه ، فغرب
عليها قبة من آدم ، ولم يشعر بأن النافذة معها ، ثم أرسل إليها بطيب الطاف مع
قينة من إمامه ، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنافذة قبلهما ، فذكرت ذلك للنمان ،
فلم أنه النافذة ، ثم أتى عليها شعره :

• إدار ميةً باللياء فالسند •

وسألها أن تُفَتِّيه به إذا أخذت فيه الحمر ، فقلت فأطربته ، قال : هذا
شعر النافذة .

ثم خرج في غيب^(٣) سماء ، فعارضه الفزاريان والنافذة بينهما قد خُصِبَ بمُتَاء ،
فأفتا^(٤) خِصابه ، فلما رآه النمان قال : هي يَدَم كانت أخرى أن تُخْصِب ا
قال الفزاريان : أبيت العن الانثريب^(٥) ! قد أجزأه ، والنور أجمل ، فأثمه واستفشده
أشعاره .

قال حسان : فحسده على ثلاث لا أدرى على أيهن كنت له أشدَّ حسداً ؛
على إدناء النمان له بعد المباحة ، ومسامرته له وإصفاه إليه ؟ أم على جودته شعره ؟
أم على مائة بعير من عصفيره^(٦) أمر له بها ؟

(١) هو زياد بن معاوية ، من ذبيان من قيس ، وهو من الأشراف الذين غش الشعر منهم كما غش
من أمري القيس ، مدح النمان صاحب الميرة ومرو بن الحارث ملك القباينة ، وكانت له منزلة
كبرى عند شعراء عصره ، فلذا جاء عكاظ فزيروا له قبة من جد . وجاء الشعراء يفتدونه أشعارهم .
(٢) دخيل : خاصة . (٣) غيب سماء : أي بعد أن أسطرت السماء . (٤) أفتا خضابه : سوده .
(٥) لانثريب : لالوم . (٦) العصفير : ليل كانت يلتقو تحت حجاب الملوك .

١٤٤ - آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية*

رافق أبو بكر وعلي بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيره؛ ثم انهموا جميعاً إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لم أقداراً وهيئات. فضلم أبو بكر - وكان مقدماً في كل خير - فلم يقل: تمن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: بأبي أنت وأمي! ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وهؤلاء غرر فيهم، وكان فيهم مفروق بن عمرو، وهاني بن قبيصة، ولثقي بن حارثة، والنعمان بن شريك؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جالاً ولساناً؛ وكانت له غزيرتان^(١) تقطان على صدره، فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف المدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن نغلب ألف من قلة؛ فقال له: كيف للمنة فيكم؟ قال: علينا الجهد ولكل قوم جد^(٢). فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ قال: إنا أشد ما نكون قتلاً حين ننضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على القلح^(٣)، والنصر من عند الله يد لنا مرة، ويدل علينا^(٤) مرة، ولك أخو قريش؟ قال أبو بكر: إن كان بلسكم أنه رسول فها هو ذا. قال مفروق: قد بكتنا أنه يذكر ذلك؛ ثم التفت إلى رسول الله جلوس،

* ابن كثير: ٣ - ١٤٤، الروض الأندلسي: ١ - ٣٦٤.

(١) الفديرة: القذابة. (٢) الجلد: الخط. (٣) القروح: القاعة الملوحة، وجهها للاح.

(٤) يريد: قلب مرة، ونبلنا العدو مرة.

وقام أبو بكر يلقه بنوه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤدوني وتنصرونى ، حتى أؤدئكم عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريباً قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الذى الجيد . »

قال مفروق : وإلام ندعو أيضا يا أخا قریش ؟ قلا رسوالله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (١) : « قُلْ نَمَاتُوا أَهْلَ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفَّكُمْ عَنِ الْفَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَمَاصَرَّتْ بِهِنَّ لَكُمْ ، لَا تَنْفُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ، إِلَّا بِالْيَقِينِ أَحْسَنُ حَقِّ يَبْلُغُ أَشَدُّ ، وَاتَّقُوا الْكَيْدَ وَالْيَدَانَ بِالْقِطْعِ ؛ لَا تَكُنْ كَصَفَا إِمَامًا وَلَا مَسْمُومًا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْتُوا ذَلِكُمْ وَمَاصَرَّتْ بِهِنَّ لَكُمْ تَذَكَّرُونَ ، وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَقْلِبُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَمَاصَرَّتْ بِهِنَّ لَكُمْ تَنْفُونَ . »

قال مفروق : والآن ندعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَلِ وَالْإِخْلَافِ وَإِجَاء ذِي الْقُرْبَىٰ وَبِهِ عَنِ النَّفْسَاءِ وَالْمَنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَنْفِكُمْ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ۖ ﴾ .

قال مرفوع : دعوت واثقه يا اخلاقي الى حكمكم الأخلاق وعلمني الأعمال،
ولقد أتيتكم قوم كذبوك وغلغروا عليك - وكانه أحب أن يشركه في الكلام
هاني بن قبيصة - قال : وهذا هاني بن قبيصة شيعنا .

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها .

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها .

(۳) اٹک : کذب .

قال هاني: قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش، وصدقتُ قولك، وإني أرى
أن تركنا دينا، واتباعنا دينك ليمجلس جليسته إلينا ليس له أولٌ ولا آخر -
زلةٌ في الرأي، وطيشةٌ في العقل، وقلةٌ نظير في العاقبة؛ وإنما تكون الزلةُ مع
العجلة، وإن من وراثنا قوماً نكروه أن نقعد عليهم عقداً، ولكن ترجعُ
ونرجعُ، وتنتظرُ وتنتظرُ - وكأنه أحب أن يتركه في الكلام للثني بن حارثة -
قال: وهذا للثني شيخنا وصاحبُ حربنا.

قال للثني: قد سمعتُ مقاتلك، واستصعنتُ قولك يا أخا قريش، وأهيجني
ما نكلتَ به؛ والجواب هو جواب هاني بن قبيصة، فإنا إنما نزلنا الصريين^(١):
الجملة والسامة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما هذان الصريان؟
قال له: أما أحدهما فظنوف^(٢) البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس
وأناهر كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا يُحدث حدثاً، ولا
يؤذي محدثاً، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما نكرهه للوك؛ فأما ما كان
نما على بلاد العرب فذنبُ صاحبه مَنفُور، وحذره مقبول، وأما ما كان مما على بلاد
فارس فذنبُ صاحبه غير مَنفُور، وحذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك
ونمنك مما على العرب فعلنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم
الرد إذ أفصحتُم بالصدق؛ إنه لا يقوم بدين الله إلا من حمله من جميع
جوانبه».

(١) كل ماء يجمد صري، ونتيجته صريان، ويرى: «نزلنا بين صيرين فقال رسول الله:
وما هذان الصريان؟ قال: مياه العرب وأناهر كسرى». والصير: الماء الذي يحضره الناس.
لسان العرب - مادة صري. (٢) ظنوف: جمع ظف؛ وهو ساحل البحر وجانبه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرايتم إن لم تلبثوا إلا بسيراً حتى
يمتصكم الله ببلادهم وأموالهم أنسبحون الله وتقدسونه؟ » فقال له النعمان بن شريك:
اللهم وإن ذلك لك بأخافيش ! خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :
« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَكَاعِياً إِلَى اللَّهِ يَذُنِّهِ وَيَرِجَا مُبْتِئاً » .
ثم نهض قابضا على يدي أبي بكر ، والتفت إلى علي وقال : يا علي ! أية أخلاق
للمرء كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يصعجون في الحياة الدنيا .

١٤٥ - مسلم يحتال على قريش *

أسلم الحجاج^(١) بن علاط السلمي ، ولم تلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر في أن يصير إلى مكة ، فيأخذ ما كان له من مال - وكانت له أموال متفرقة هناك ، وهو رجل غريب بينهم - فأذن له النبي ، قال : يارسول الله ؛ إني أحتاج أن أقول^(٢) . قال : قل ، نصار إلى مكة .

قالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخير . قال : قهولوا . قالوا : بلننا أن القاطع^(٣) قد خرج إلى أهل خيبر . قال الحجاج : نعم ، قتلوا أصحابه قتلاً لم يُسمع بمثه ، وأخذوه أسيراً ، وقالوا : نرى أن نُكسار^(٤) به قريشا ؛ فندسه إليهم ؛ فلا تزال لنا هذه اليد في رقابهم ، وإنما بادرتُ بلجس مالي ؛ لعل أصيبُ به من قل^(٥) . محمد وأصحابه قبل أن يسبقوا إليه الصبار ، ويصل بينهم الحديث .

فاجتهدوا في أن يجروا إليه ماله أسرع جمع ، وسرّوا أكثر السرور ، وقالوا بلاؤهم^(٦) !

وأناه البلس بن عبد المطلب وهو كالمراة الواله^(٧) ، قال : وَنَعَمْ يا حجاج !

• الكامل للمبرد : ١ - ٢٠٧

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأسلم . (٢) يريد : أقول على جهة الاحتيال . (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اليار الواسل رحمه ، وكاتوا يرمونه - سنياً - بالقاطع ، أي القاطع رحمه . (٤) كسره : عليه في الكرم . (٥) يريد من غنم ذلك القل . (٦) وهوا يلا رهم : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، والعرب تيسل القول عبارة عن القتل ، وفعلته على غير الكلام . (٧) الوله : تعاب القتل والخير من شدة الوجد ، ويقال امرأة والاه ورجل والاه .

ما تقول؟ قال: أكرم عليّ خبري؟ قال: إني والله، قال: قالت^(١) عليّ شيئاً حتى يخفّ موضعي.

ثم سار إليه، قال له: انظر والله عليّ خلاف ما قلتُ لم؟ خفّتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فتح خير، وخفّته والله مُمرساً بابنة ملكهم^(٢)، وما جئتُك إلا مسلماً؛ فاملُوا الغدير ثلاثاً، حتى أُعجز^(٣) القوم، ثم أسمعهُ، فإنه والله الحق.

قال العباس: ويحك! أحمق ما تقول؟ قال: إني والله. فلما كان بعد ثلاثة تخلّق^(٤) العباس وأخذ عصاه، وخرج يلوّف بالبيت. قالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد، قال: كلا ومن حلّتم به، لقد فتح رسول الله خير، وأعرّس ابنة ملكهم! قالوا: من أتاك بها الحديث؟ قال: الذي أتاكم بخلافه، ولقد جاءنا مسلماً.

ثم أتت الأخبار من النواحي بذلك! قالوا: أظننا الخبيث، أوّل له^(٥)!

(١) البث عليّ: هو يريد أمير - (٢) يريد صفية بنت حيي بن أخطب - (٣) أعجز القوم: صيرهم طاجزين - (٤) التخلّق: التليّب، وتخلّق: طلى ثوبه به - (٥) أوّل له: كلمة تهديد وتوعد.

١٤٦ - إنا أناكم كريم قوم فأكرموا *

جاء أعرابي^(١) إلى علي رضي الله عنه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة رخصها إلى الله قبل أن أرضعها إليك ، فلن أنت قضيتها حدثت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حدثت الله تعالى وعذرتك ؛ قال له علي : خطبها في الأرض ؛ فلما أرى الفجر عليك . فكعب : إني فقير . قال : يا فقير^(٢) اكف حلقك ! فلما أخذها مثل بين يديه قال :

كَوْتَقِي حُصَّةَ تَبَلَى عَاسِنُهَا صُوفَ أَكْوُكُمِنْ حُسْنِ التَّنَاحِلَا
إِيَّ أَبَا حَسَنِ قَدْ نَلْتَ مَكْرَمَةً وَلَسْتَ تَبْنِي بِمَا قَدَّمْتَهُ بَدَلَا
إِنْ التَّنَاءُ لِيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ كَالنِّيشِ يَحْيِي نَدَاءَ السَّهْلِ وَالْجَبَلَا
لَا تَزْهَدْ لَعَرَفِي عَرَفِي^(٣) بِدَأْتْ بِهِ كُلُّ أَمْرٍ صُوفٍ يُجَزَى بِالَّذِي ضَلَا
قال علي : يا فقير ؛ زده مائة دينار ! قال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقتها في
اللسين لأصلحت بها من شأنهم ! قال علي : صة يا فقير ؛ فلما سمعت النبي يقول :
اشكروا لمن أنعم عليكم ، وإنا أناكم كريم قوم فأكرموا !

* أدب الياسة : ١٧٦ ، اللطائف : ٧ - ٢٤٤

(١) فقير : مولى علي رضي الله عنه .

(٢) عرف : معروف وفضل .

١٤٧ — مَا رَأَيْتُهُ لَاحِيَ أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ*

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي بوماء ، وعنده غُمرٌ من الناس ، فجری ذكر الشمر ، قال : مَنْ أَشْمَرُ العرب ؟ قالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فلمْ وجلس ، قال عمر : قد جاءكم انطير . من أشمر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فَأَنْشِدْنِي عما تصعبه له ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان قال :

لو كان يَمْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ قَوْمٌ بَأْوَلُم أَوْ تَجْدِمُ قَعْدُوا
قَوْمٌ ، سِنَانٌ أَيْوَمَ حِينَ تَنْفُسُهُمْ^(١) طابوا وطاب من الأولاد ماوَلَدُوا
إِنْسٌ إِنْ أَمِنُوا ، جِنٌّ إِنْ أَفْرَعُوا مُرَزَّوْنٌ^(٢) بِبَهَائِلٍ^(٣) إِذَا جَهْدُوا^(٤)
مُحْسَدُونَ^(٥) عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا
قال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا للبح يصلح إلا لهذا البيت من هاتم ؛ فقرأتهم من رسول الله .

قال ابن عباس : وَفَعَلَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَنْ تَزَلْ مُوَقَّعًا .

قال عمر : أُنْذِرِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا مَنَعَ النَّاسَ مِنْكُمْ ؟ قال : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبري : ٥ - ٣٠ .

(١) لَبَّ يَلْبَهُ : ذَكَرَ لَبَّهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَتَّبِعَ . (٢) لِلْمُرَزَّوْنِ : الْكِرْمَاءُ .

(٣) الْبَهَائِلُ : الْبَيْدُ الْمَجَاحُ لِكُلِّ خَيْرٍ . (٤) جَهْدٌ - كَتَبَ : جَدَّ وَابْتَهَدَ . (٥) حُسِدٌ : بَحِي

أَنْ تَحْصُلَ إِلَيْهِ نَسَبُهُ .

قال : لَيْكُنِّي أُدْرِي ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع
لكم النبوة والخلافة فتُجَهِدُوا^(١) الناس جَهْدًا ؛ فنظرت قريش لأنفسها فاخترت ،
وَوُضِّعَتْ فَأَصَابَتْ .

قال ابن عباس : أَيْمُطُ أمير المؤمنين عَنِ غَضَبِهِ فَيَسْمَعُ ؟ قال : قل ما تشاء .
قال : أما قولُ أمير المؤمنين ، إن قريشا كرهت فإن الله تعالى قال قوم :
« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وأما قولك : إنا كنا
نجس ، فلو جَعَلْنَا بالخلافة جَهْدًا بالقرابة ؛ ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خُلُقِ
رسول الله ، الذي قال الله فيه : « وَإِنَّكَ لَمَلَى خُلُقِي عَظِيمٍ » . وقال له : « وَاخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِرَبِّهِ أَتَيْمُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وأما قولك : فإن قريشا اختارت فإن الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لقلبك من اختار ، فلو نظرت
قريش من حيث نظر الله لما وُضِّعَتْ وَأَصَابَتْ .

قال عمر : على رسلك^(٢) يا ابن عباس ! أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاقا في أمر
قريش لا يزول ، وحقنا عليها لا يحول .

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين ، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الناس ؛
فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين
قال الله لهم : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا » .

وأما المحدث ؛ فكيف لا يمتد من غضب شيوه ، ويراها في يد غيره ؟ قال عمر :

(١) أجبف به : غضب . (٢) على رسلك : على مهلك .

ما أنت يا ابن عباس؛ قد بلغت عنك كلاماً أكره أن أخبرك به، فزول منزلتك عندي^(١) قال: وما هو يا أمير المؤمنين؛ أخبرني به؛ فإن يك باطلاً فبلى أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عنك لا تزول به^(٢) قال: بلغت أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر حسداً وظلماً.

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: «حسداً»: قد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنعن بنو آدم الحسود، وأما قولك: «ظلماً»: فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو^(٣)

ثم قال: يا أمير المؤمنين، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فنعن أحق برسول الله سائر قريش.

قال له عمر: قم الآن فارْجِعْ إلى منزلك. صام، فلما ولى حتف به^(٤) عمر: أيها للنصرف؛ إني على ما كان منك لرايع حثك. فالتفت ابن عباس فقال: إزلي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل السليين حقاً برسول الله. فن حفظه حق نفسه حفظاً، ومن أضاعه حق نفسه أضاع، ثم مضى.

قال عمر لجلسائه: وأما لابن عباس! ما رأيته لآحق^(٥) أحداً قط إلا خصمه^(٦)!

(١) حتف به: ناداه.

(٢) لاه: نازعه. (٣) غامسه نفسه: غلبه.

١٤٨ — المنيرة بن شعبة وأحد الأعراب *

خرج المنيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بدمطر يسير بظهر الكوفة ؛ فلقى أعرابيا من بني تميم أقر من ثعلبة . وهو لا يعرف المنيرة ^(١) .

قال له المنيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال : من السحابة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : مريضة ^(٢) أريضة ، قال : وكيف كان للطر ؟ قال : عني الأثر ، وملأ الحفر .

قال : بمن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما قول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما قول في بني ذهل ؟ قال سادة نوكة ^(٣) ، قال : قيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن اضمنهم خانوك . قال : فبنو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاة ^(٤) البحر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما قول في بني يشكر ؟ قال : صريح ^(٥) تحبه مولى . قال : فيصل ؟ قال : أحلاس الخليل ^(٦) ، قال : خفيضة ؟ قال :

* الألفاظ : ١٥ — ١٣٨ (طيبة الناصي) .

(١) المنيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بسير الرواح ، وشهد كثيرا من الفتح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ . (٢) يقال : أرض أريضة ؛ إذا كانت زكية معجبة . (٣) نوكة : جمع أنوك وهو الأحمق . (٤) رعاة : جمع راع . (٥) الصريح : المحال للثوب . (٦) الخليل (في الأصل) : كساء على ظهر البعير تحت المبردة ، ويقال : هو مجلس يته ؛ إذا لم يرح مكانه . والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغيرين أو عاريين .

يطعمون الطعام ، ويضربون المدام ، قال : فنزوة ؟ قال : لا تلحقني بهم الشغلان لئلا
 قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مريع ، وجميع يجمع ،
 وشيطان يجمع ، وغُل لا يجمع ، قال : فتر ، قال : أما الربيع فالتى إذا نظرت
 إليها سررتك ، وإذا أقست عليها بررتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تزوجها
 فضع نשבك إلى نשבها ؛ وأما الشيطان السميع ؛ فالكلمة فى وجهك إذا دخلت ،
 واللولوة فى إترك إذا خرجت ؛ وأما الغُل التى لا يجمع ، فبنت عمك السوداء ،
 القصيرة الزمراء^(١) القمية التى قد ثرت لك بطعها ؛ إن طلقها ضاع ولك ، وإن
 أمسكها فعل جذع أفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك للنيرة ؟ قال : أعور زناء ،
 فقال له : ففأفك ؟ وإليك هذا الأمير للنيرة . قال : إنها كلة والله تال ؛
 فانطلق به للنيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نوسة ، وستون أمة ، ثم قال له :
 ويحك ! هل يقدم أحد على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال له : للنيرة :
 ارمين إليه بحلتيككن ، فخرج الأعرابي بملء كانه ذهباً وفضة !

(١) الزمراء : الخرافة فى العمل أو الخطة .

١٤٩ - دَهَاءُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ *

لما نزل على بن أبي طالب الكوفة بدَّ فراغُه من أمرِ البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعوهُ إلى البيعة ، وأرسل جرير بن عبد الله البجلي ، قدم عليه به الشام ، قرأه فلغَمَ بما فيه وذهبت أفكارُه كلَّ مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب من الكتاب ، حتى كَلَّمَ قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له .

وأحبَّ الزيادة في الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبة بن أبي سفيان ؛ قال : استعن بسرو بن العاص ؛ فإنه من قد علمت في دعائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته ، وهو لأمرِك أشدَّ اعتزالاً ، إلا أن يُشَمَّنَ له دينُه ، فسيبك ، فإنه صاحب دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمرِ عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في شر من أهل البصرة ، وقدِمَ علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبستُ نفسي عليك ، فأقبل أذاكرِك أموراً لا نَعُدُّمْ مَقْبَحاً إن شاء الله .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، وعبد بن عمرو ؛ قال لهما : ما تريان ؟ قال عبد الله : أرى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتِلَ عثمان وأنت غائب عنه ؛ فَرَّ في منزلك

فلست بمجولا خليفة ، ولا تزيد على أن تكون حاشية لماوية على دنيا أو شكما أن
تهلكا وتقلو ما .

وقال محمد : أرى أنك شيخ فريش وصاحب أمرها ، وإن تصرم هذا الأمر -
وأنت فيه غافل - تصاغر أمرك ؛ فخلق بجاعة أهل الشام ، وكُن يدًا من أيديها ،
طالبًا بدم عثمان ، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية .

قال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد
فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرو غلامه ويزدان - وكان داعية ماردا - فقال : ارحل يا ويزدان .
ثم قال : احطط يا ويزدان ! ثم قال : ارحل يا ويزدان ، احطط يا ويزدان . قال له
وردان : خلطت أبا عبد الله ، أما لك إن شئت أنيأتك بما في قلبك ، قل : هات ،
ويحك ! قال : اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك ، قلت : حلُّ مع الآخرة في غير
دنيا ، وفي الآخرة عوض عن الدنيا . ومعاوية مع الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا
عوض من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : فأتاك الله ! ما أخطأت ما في قلبي ، فأتري يا وردان ؟ قال : أرى أن
تقيم في بيتك ؛ فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا
لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيرتي إلى معاوية !
ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكأيد
كل واحد منهما صاحبه .

قال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا بملاحة أخبار
ليس فيها ورد ولا صدر . قال : وماذا ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر

سِجْنَ مَعْرٍ، فخرج هو وأصحابه، وهومن آفقت هذا الدين؛ ومنها أن قيسر زحف
بجماعة الروم لينقلب على الشام؛ ومنها أن عليا نزل الكوفة، وتجهأ للسير إلينا.
قال عمرو: ليس كلُّ ما ذكرت عظيما؛ أما ابنُ أبي حذيفةَ فما جِئناكم^(١)
من رجل خرج في أشبهه أن نبتَ إليه رجلا يقتله، أو يأتيك به، وإن قاتل لم
يضرْك؛ وأما قيسر فأخذ له الوصائف وآنية الذهب والفضة، وسكَّه للوادة فإته
إليها سريع؛ وأما علي، فلا والله يامعاوية، ما يسوى المربى بينك وبينه في شيء.
من الأشياء، وإن له في العرب لحظا، ماهر لأحد من قريش، وإنه لصاحب ماهر
فيه إلا أن ظفله.

قال معاوية: يا أبا عبد الله؛ إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عمى الله
وشقَّ عصا المسلمين، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الرحم.
قال عمرو: والله يامعاوية، ما أنت وعلى عِدْلا بغير، ليس لك هِجرة ولا
سابقة، ولا صُحبته ولا جهاده، ولا قهْ، ولا علمه؛ والله إن له مع ذلك لحظا
في الحرب ليس لأحد غيره، ولكفى قد تعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جليلا،
فما تجعل لي إن شايئتك على حرب، وأنت تعلم ما فيه من الشر والظلم؛ قال:
حكِّمك، قال: مصر مُعْمة، فلكأ معاوية وقال: يا أبا عبد الله؛ إني
أكره لك أن تصعدت العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لمرض
الدنيا ا قال عمرو: دَعَى عنك، قال معاوية: إني لو شئتُ أن أُمْنِيكَ وأخذحك
لقمت. قال عمرو: لمر الله ما مثلي يُخَدِّع، لأنا أكْبِسُ من ذلك، قال معاوية:
ادن مني أسلوك. فعدنا منه عمرو ليساره، فمضَّ معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة،
هل ترى في البيت أحدا غيْرَ وغيرك! ثم تَلَكَّأ عليه وانصرف عمرو.

(١) لا يظلم عليك.

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لساوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟
فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا اللينة . فلما جئ الليل على عتبة رضع صوته ليسمع
معاوية وقال :

أيها اللانع سيفاً لم يهزّ إصاً ملت على خنزٍ وقزّ
أعط عمراً إن عمراً تاركٌ دينه اليوم لدنيا لم تُعز
أعطه مصرَ وزده مثلها إنا مصرٌ لمن عزّ فبزّ
وانك الخرص عليها صلّة واشهب النار لقرور يُكتر
إن مصر لعلّ أو لنا يُطلب اليوم عليها من هجر

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، وكعب له
كتاباً بها .

١٥٠ - بين معاوية وهاني بن عروة*

ولى معاوية كثير بن شهاب اللذحي خراسان : فاختان ما لا كثيراً ،
ثم هرب فاستتر عند هاني^(١) بن عروة المرادي ، فبلغ ذلك معاوية ، فندردم هاني ؟
فخرج هذا فكان في جوار معاوية .

ثم حضر مجله - ومعاوية لا يعرفه - فلما هص الناس ثبت مكانه ، فساله
معاوية عن أمره ؛ فقال : أنا هاني بن عروة . فقال : إن هذا اليوم ليس بيوم
يقول فيه أبوك :

أَرْجُلُ بُجَيْسِي^(٢) وَأَجْرُ ذَيْلِي^(٣) وَنَجِلُ شَيْكِي^(٤) أَفْقِي^(٥) كُمَيْتُ^(٦)
أَمْشِي فِي سَرَاةِ بَنِي غَطَافٍ^(٧) إِذَا مَا سَأَمِي ضَمَّ أَيْبَيْتُ^(٨)

فقال له هاني : أنا اليوم أعز مني ذلك اليوم ! فقال له : بم ذاك ؟ قال :
بالإسلام يا أمير المؤمنين . فقال له : أين كثير بن شهاب ؟ قال : عندي في عسكريك
يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : انظر إلى ما اختانته ؟ فخذ منه بعضاً ، وسوغه
بعضاً .

* السكامل ١ : ٧٢

(١) هاني بن عروة بن النضال : من فراء الكوفة ، وكان من خواص علي بن أبي طالب ،
قتل مع مسلم بن عتيل رسول الحسين إلى الكوفة . (٢) البجة : مجمع شعر الرأس . (٣) الفكة :
السلاح . (٤) فرس أفق : والع . (٥) الكيميت : الذي غلط جرتة فهو .

١٥١ - إن هذا المبد غلبني وغلبك*

دخل عمرو^(١) بن الماص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه مولاة
ورّذان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير ورّذان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ،
ما بقي مما نستلذه ؟ قال : أما الثياب فقد لبست من لثمتها وجيّدتها حتى وهى بها
جلدى ، فما أدرى أيها ألين ؟ وأما الطعام فقد أكلت من لينة وطليّة حتى ما أدرى
أيه أفذ وأطيب ؟ أما الطيب فقد دخل خيليشى منه حتى ما أدرى أيه أطيب ؟
فما شئ أفدّ عندى من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بَنِي ، وبَنِي
بَنِي يدورون حولي !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلّته . فالتفت
معاوية إلى ورّذان فقال : ما بقي منك يا ورّذان ؟ قال : صنعة كريمة سنّية أعلقتها
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار^(٢) ، لا يكاثرون عليها حتى ألقي الله تعالى ، وتكون
لنهي في أعقابهم يمدى . فقال معاوية : تبيّا جلسنا سائر اليوم ! إن هذا المبد
غلبني وغلبك !

● المحدث ١ : ٦٦

(١) هو عمرو بن الماص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد ، ومعاوية مصر ثلاث
سنتين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر بيوم ، سنة ٤٧ هـ . (٢) أخطار : أفسار .

١٥٢ - ما عليه لو عرض*

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

قال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللاؤم تناقل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ؛ فقال معاوية : يا عمرو ؛ بلذا تستحق منا قضاء الخواص العظام ؟ فنضب عمرو ، وقال : بأعظم حق وأوجب ؛ إذ كنت في بحر عجلج^(١) ؛ فولا عمرو لفرقت في أقل مائة وأرقه ؛ ولكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى الواضع منه ؛ ففنى حركك ، وغذا أمرك ، وانطلق لسانك بد تلجلج^(٢) ، وأضاء وجهك بد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جنبه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالسا ، وقال لجلسائه : أرايتم ما خرج من فم ذلك الرجل ؛ ما عليه لو عرض ؛ ففى التمريض^(٣) ما يكفى ، ولكنه جيبنى بكلامه ، ورماني بسؤم سهامه .

قال بمنز جلسته : يا أمير المؤمنين ، إن الخواص تفضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائل قضاء الحاجة مستحقا ، فتفضى حاجته بحقه . وإما أن يكون السائل ثلثاً فيصون الشريف غشه عن لسانه ، فيفضى حاجته . وإما أن يكون للسؤل كرمياً فيفضيها ليكرمه صُفرت أو كبرت .

* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠٦

(١) بحر عجلج : لغة موية . (٢) التمريض : ضد التمريض .

قال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نطقت به ! وبث إلى عمرو فأخبره ،
وقضى حاجته ، ووصله بصلته جلية .

فلما أخذها ولّى منصرفاً ، قال معاوية : « فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم
يُعطوا منها إذا هم يسخطون » . فسمي عمرو ، فالتفت إليه مُنضباً ، وقال : والله
يا معاوية لا أزال أخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأخبرك بقرأ حقيقة إذا
وقعت فيها لم تُدرك إلا رمياً^(١) .

فضحك معاوية فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله^(٢) بالكلمة ، وإنما كانت آية
تلوثها من كتاب الله عرّست بقلبي ، فاصنع ما شئت !

(١) الرمي : البالي .

(٢) كنية عمرو بن العاص .

١٥٣ - لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل*

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير - وهو يومئذ بمكة - قال :
أصبحت كما قال الشاعر :

فإن نصيبك من الأيام جائحة لا ألبك منك على دنيا ولا دين

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفتنه الناس ، وعبيد الله أخوه يعلم الناس ، فما أبقيا لك ؟ فأخطفه ذلك ، وأرسل صاحب شرطته عبد الله ابن مطيع وقال له : انطلق إلى أبي عباس ، قتل لها : أعدت ما إلى راية ترأبى قد وضعا الله فنصبتهما ! بددا عني جمعا ، ومن ضوى^(١) إليك من ضلال أهل العراق وإلا فلت وفت . . .

قال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : مكنتك أمك ! والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالب لله أو طالب فضل ، فأى هذين تمنع ! قال أبو العليل^(٢) :

لا درددن اللىالى كيف نضحكنا منها خلوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير يا بن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيقبضنا^(٣) علما ويكسبنا أجرا ويهدينا

* الأغانى ١٣ : ١٦١ (طبة الساسي) .

(١) ضوى : انقم ، (٢) هو عامر بن والله ، كانت له حجة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه بده طويلا ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه عمل خلس . (٣) يقبضنا : يملنا .

ولا يزال عبيد الله مترعة
قالير والدين والدنيا بذكرهما
إن النبي هو النور الذي كُشِفَتْ
به حجاباتُ باقيننا وماضينا
ورحمته عصمة في ديننا ولم
فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعله أولى منهم رحماً
بأن الزبير ولا أولى به ديناً
فقيم تمنعهم منا وتمننا
منهم وتؤذيهم فينا وتؤذيها ؟
لن يؤذي الله من أخزى بينهم
في الدين عزراً ولا في الأرض تمكيناً

١٥٤ - ابن أبي عَجبين عند معاوية*

وفد ابن أبي عَجبين على معاوية ، قام خطيباً ، فأحسن ، فغده معاوية .
قال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إِذَا مَتَّ دَفَقْتُ إِلَى جَنْبِ كَرْمِي تَرَوِي ظِلِّي بِسَدِّ مَوِي عُرْوَتِهَا
وَلَا تَدْفَعِي فِي السَّلَاةِ فِائِي أَخَفَّ إِذَا مَتَّ إِلَّا أَذَوَقَهَا
قال : بل أنا الذي يقول أبي :

لَا تَأَلِ النَّاسَ مَا مَلَّ وَكَثُرَتْ وَسَاطِلِ النَّاسِ مَا جُرْدِي وَمَا خُلِّي
أَعْطَى الْخَلَامَ غَدَاةَ الرُّوحِ حَصْتَهُ وَعَامِلُ الرَّمْحِ أَرْوَاهُ مِنَ الْمَلَكِ^(١)
وَأَطْنُ اللَّطْمَةِ التَّجْلَاهُ^(٢) عَنْ عَرَضِ وَأَكْتَمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ
وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ سَرَاهِمِ^(٣) إِذَا تَطَلَّشَ يَدُ الرَّعْدِ بَدَّةً^(٤) الْفَرَقِ^(٥)
قال له معاوية : أحسنت والله يا ابن أبي عَجبين ، وأمر له بسلعة وجائزة .

* للحطوف ٢ : ٢٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٦٨

(١) الملق : الدم النظيف . (٢) التجلاه : الواسعة . (٣) سراً : جمع السرى : وهو الرئيس .

(٤) الرعد بدة : الجبان . (٥) الفرق : هديد الفزع .

١٥٥ - ذكرتنى يوم التفتح فى الصور*

قدم سعيد^(١) بن جبير على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شق بن كسير . قال سعيد : أمى أعلم باسمى واسم أبى ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : النيب يعلم غيرك . قال الحجاج : لأوردك حياض اللوت ! قال سعيد : أصابت إذن أمى اسمى .

قال الحجاج : لأبدلنك بالله نيا نارا تطفى ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيدك لاتصدتلك إليها .

قال الحجاج : فما قولك فى محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج فما قولك فى الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج : أشتمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم . قال الحجاج : أيهم أحب إليك ؟ قال : أرضاهم خالقى ؟ قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ فقال : علم ذلك عند الله يعلم سرهم ونجواهم . قال الحجاج : صيف لى قولهم فى على ، أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علت ، ولو رأيت

* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٧

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لم يقفه والظهير وكان ورما قويا ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن حرب سعيد فلهى بمكة ، ولكن واليها يوسف بن عبد الله السرى أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؟ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ! قال الحجاج : فأئى رجل أنا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلَعَ على النيب . قال الحجاج : أبيت أن تصدقنى . قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك .

قال الحجاج : دَعْ عنك هنا كله وأخبرنى ؛ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يُضحكنى ، وكيف يضحك مخلوقٌ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُتَقَابِه إلى الجزاء ! قال الحجاج : فأنا أضحك ؟ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . هذا الحجاج بالمود والنأى ، فلما ضُربَ بالود وُفِّخَ في النأى بكى سعيد . قال الحجاج : ما يبيحك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتُ أمراً عظيماً . أما هذه التفتحة فذكرتُ يوم التفتخ في الصور ، وأما المود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فن الشاء تَبَثُّ معها يوم القيامة . فقال الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك ، أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام التفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مروءة .

قال الحجاج : كيف ترى ما يجمعُ لأمرٍ للؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والنضة والكسوة والجوهر ، فَوَضَعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قَتَ بشرطه . قال الحجاج : وما شرطه ؟ قال : أن تشتري له بما يجمع الأمن من القزع الأكبر يوم القيامة . قال الحجاج : أعجبُ أن تنال منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : ويحك ! قال سعيد : الويل لمن رُحِزَ عن الجنة فأدخل

النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقبلوه . فلما أذبرَ ضحك ؟ قال : ما يضحكك يا سعيد ؟
قال : عجبت من جرأتك على الله ورحم الله عليك . قال الحجاج : اضربوا عنقه .
قال سعيد : دعني أصل ركبتين . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهٌ وجهي
للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :
لم نؤكل بالسراثر ، وإنما وكَلْنَا بالطوائر . قال سعيد : اللهم لا تسلطه على أحد
يقتله بمدى .

ثم ضربت عنقه .

١٥٦ — أعرابي عند الحجاج *

قال زيد بن عمرو : سمعت طائوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِئْتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فتَنَى لى وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدثُ إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافضاً صوته بالتلبية^(١) ، فقال الحجاج : هل بالملهي فأتى به فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : من أفتناه^(٢) الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَمَنْ سألتني !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف حلفتَ محمد^(٣) بن يوسف ؟ - بنى أخاه - قال : خلقتُه عظيماً جسيماً خراجاً ولأجلاً^(٤) ! قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَمَنْ سألتني ؟ قال : كيف خلقتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق !

فأزور من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته مني ! فقال له الأعرابي : أقرأه بمكانة منك أعز مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافدُ بيته ، وقاضي دينه ، ومصدقُ نبيه - صلى الله عليه وسلم ! فَوَجَّهَ لها الحجاجُ ، ولم يُحر^(٥) له جواباً ، حتى خرج الرجل بلا إذن !

* الطبري التبريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلبية : أن يقول الرجل ليبيك ، ومعنى ليبيك : لزوماً لمناذرتك .

(٢) أفتناه الناس : أخلطهم ، ومو جمع فتو . (٣) كان عاديه باليمن . (٤) المرائح الولايج : السطيم الاحتيال . (٥) ما أحر جواباً : ما ورد .

١٥٧ — دعائي مَنْ هو خير منك*

حجّ الحجاجُ فنزل بيمض الليله ، ودعا بالتدّاء ، فقال للحاجبه : انظر من
يُنْذِي مَعِي وأَسْأَلُهُ عن بعضِ الأمرِ انظر الحاجب فلذا هو بأعراي نائم بين
كُمُلتين^(١) من شَعَرٍ فضرَبه برجله ، وقال : أنت الأمير .

فأنابه ، فقال له الحجاج : اغسِلْ يَدَكَ وتَنَدَّ مَعِي ؛ قال : إنه دعائي مَنْ هو خير
منك فأجبتُهُ . فقال الحجاج : من الَّذِي دَعَاكَ ؟ قال : الله تعالى فدعائي للصوم
فَصُمْتُ ؛ قال : في اليومِ الحارِّ ؟ قال : نعم ، صمْتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛ قال : فأفطر
وتصوم غدًا ؛ قال : إن صُمْتُ لى البقاء إلى الندى ؟ قال : ليس ذلك إلى . قال :
فكيف نأثري عاجلاً بآجل لا تَقْدِرُ عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك
لم تطيِّبهُ ولا الخُبَّازَ ، ولكن طيَّبْتَهُ العافيةُ !

* ميون الأخبار ٢ : ٣٦٦

(١) العفة : كساء يشتمل به .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى الفؤ *

دخل أيوب^(١) ابن القرية على الحاجج - وكان فيمن أير من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : ما أعددت لهذا الوقف ؟ قال : ثلاثة صفوف ،
كأنها ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف !
قال له الحاجج : بشما منيت به نفسك يا ابن القرية ! أتراني ممن تحذعه
بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعل هذه ! قال :
أقلني عثرتي ، وأسقي ريقى ، فإنه لا يد للجواد من كربة ، وللسيف من نبوة ،
وللعلم من صبوة ! قل : أنت إلى القبر أقرب منك إلى الفؤ ! ألسن القاتل -
وأنت محرم من حزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « تَعَدُّوا بِالْحِجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَمْشَى
بِكُمْ » ! ثم قدمه فضرب عنقه !

* زهر الأدب : ٤ : ٤٩

(١) هو أيوب بن زيد بن ليس ، والقرية أمه ، وهو من بني ملان بن ربيعة ، وكان لساناً
خليطاً ، فله الحاجج لما بلغه من وجه مع ابن الأشعث .

١٥٩ - ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب*

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث^(١) ضاقتْ بى الأرض . وكرهتُ تركَ عيالى وولدى؛ فقيتُ يزيدَ بنَ أبى مسلم، وكانلى صديقاً، وكانت الصداقة تنفع عنده . قلتُ له : قد عرفتَ الحسَالَ بينى وبينك ، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إِنْ الحِجَابَ لا يَكْذِبُ ولا يُؤْمَى^(٢) ولا يُنْبَحُ، ولكنْ قُمْ بين يديه، وأَقِرْ بذنبك ، واسْتَثْبِهُنى مَلِيئَةً .

فواقعهُ ما شمرَ العجاجُ إلّا وأنا ماثِلٌ بين يديه . فقال : أعمرو ؟ قلت : نعم أصلى الله الأمير ! قال : ألم أقدمِ المراقَ فأَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وأَدْنَيْتُكَ ، وأَوْدَنْتُكَ على أميرِ المؤمنين ، واسْتَشَرْتُكَ ! قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فَأَيْنَ كُنْتَ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ؟ قلت : اسْتَشَرْنَا الخُوفَ . واكْتَحَلْنَا السَّهْرَ ، وأَحْزَنَ بنا المَزلَ ، وأَوْحَشَ بنا الجُنَابَ ، وَقَدَّنا صُلحَ الإِخْوَانِ ، وشَمَلْنَا فِتْنَةً لم نَكُنْ فيها بَرَّةً أَتْيَاءَ ، ولا غِرَّةً أَقْوِيَاءَ ؛ وهذا يزيدُ بنُ أبى مسلم قد كان يَفرُّ عَذْرَى ، وكُنْتُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ .

فقال : صدق ؛ أصلى الله الأمير ! قد كان يكتبُ إلى بذرهِ ، ويخبرنى بِحالِهِ . قال العجاج : فهذا الأحمقُ ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب ، كان وكان ؛ انصرف إلى أهلك راشداً .

* المقدم القريد : - ١٥١ ذيل الأملال : ٢٢٠ (اللطيفة الأميرية) ، مروج الذهب : ٢-٧٣ .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والملاء .

(٢) يريد أنه لا يكلم بخير ولا شر . اللسان - نبح .

(٢٥ - قصص العرب - ٢)

١٦٠ - الحجاج وأنس بن مالك*

حدث سعيد بن جويرية ، قال :

خرجتُ خارجةً على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معي فأبى ؛ فكتب إليه يشيئهُ . . . فكتب أنس بن مالك إلى عبد الملك ابن مروان يشكوه ، وأذرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله : بثتُ إلى عبدُ الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبيتُ إلى في مثلها ، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حَتَفًا وغيظًا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشدُّ أن تقول الرعية : ضُفَّ أميرُ للؤمنين وضاقَ ذُرْعُهُ في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لا يقبلُ له حسنة ولا يصجاوزُ له عن سيئة ! قلتُ : وما ذاك يا أميرُ للؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كُتب إلى بذكر أن الحجاج قد أضربَ به وأساءَ جواره ، وقد كتبتُ في ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ، ثم أخرج على البريد ؛ فإذا وَرَدَتِ العراقُ فأبداً بأنس بن مالك ، وأدفعُ إليه كتابي ، وقلْ له : اشتدُّ على أميرِ للؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولنْ يأتيَ إليك أمرُ تكرمه إن شاء الله . ثم أثبت الحجاج ، فدفعُ إليه كتابه وقلْ له : اغتَرَزْتُ بأمرِ للؤمنين غرةً لا أظنه يخضتُكَ شرُّها . ثم أقفم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تُفهمي إياه إذا قدمتُ علىَّ إن شاء الله .

قال إسماعيل : قَبَضْتُ الْكِتَابَيْنِ وَخَرَجْتُ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ،
فَهَدَا يَأْنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْلَغْتُ رَسَالَتَهُ ،
فَدَعَا لَهُ وَجْزَاهُ خَيْرًا . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا حِزَّةَ ؛ إِنَّ الْحِجَاجَ
عَامِلٌ ، وَجَدِّدْ أَنْ يَضُرَكَ وَيَنْفَعَكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُصَالِحَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ؛
لَا أَخْرِجُ عَنْ رَأْيِكَ .

ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِجَاجَ ، فَلَمَّا رَأَى رَحْبَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ
فِي بَهْدِي هَذَا ؛ قُلْتُ ؛ وَأَنَا وَاللَّهِ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ ، وَأَقْدَمَ عَلَيْكَ بَنِي الْقَدَى أَرْسَلْتُ
بِهِ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ الْغُلَيْفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ؛ قَالَ :
وَلَمْ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ؛ فَجَلَّ بِقُرْءِهِ وَجَبِينَهُ يَمْرُقُ ، فَسَعَهُ يَمِينُهُ ، ثُمَّ قَالَ :
ارْكَبْ بَنِي إِلَى أَسْ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ غُلَايَ سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونُ هُوَ الْقَدَى بِأَيْتِكَ ،
وَذَلِكَ الْقَدَى أَثَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِكَ .

وَالْقَدَى كُتِّبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا مِثَهُ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مَبْدُوحٌ ^(١)
بِكَ الْأُمُورَ فَطَنَيْتَ ، وَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى جَزُوتَ قُدْرَكَ ، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَابْتَدَأْتَ
لَاغِزَ نِكَ كَيْمَضِ عَمَزَاتِ السُّيُوفِ لِقَتَالِكَ ، وَلَا رُكُضَةَ رُكُضَةِ تَدَخُّلِ مَهْمَا فِي
وِجَارِكَ إِذْ كُرَّ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بِالصَّانِفِ ، وَإِذَا كَانُوا يَنْتَلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى كِتَافِهِمْ .
وَيَحْمِرُونَ الْأَبَارِوُ النَّاهِلَ ^(٢) بِأَيْدِيهِمْ . قَدْ نَسِيتُ مَا كُنْتُ عَلَيْكَ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ
مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَاعَةُ مَنَّاكَ عَلَى أَسْ
ابْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جُرْأَتُهُ مَنَّاكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَعُزَّةُ بَحْرَةِ غَيْرِهِ . وَتَمَاتِهِ وَسَطَوَاتُهُ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَحَبَّتِهِ

(١) طمت : علت . (٢) للناهل : جمع شهل ، وهو القنبر .

ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن ترويه^(١) بها ، تعلم ما عنده من التنفير
والتكثير فيها ، فإن سؤعتها مضيت قدماً ، وإن غصصت وليت ذراً ، فليك
لعنة الله ، من عبد أخيفش^(٢) الميتين ، أصلك^(٣) الرجلين . وإيم الله ، لو أن أمير
للمؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، وانتهكت له عرضاً لبث إليك من يسحبك
ظهراً ليلن ، حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكّم بك بما أحب ، ولم يخف
على أمير المؤمنين تبوّؤك ، ولكل نبي مستتر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فاضلقت إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ،
فلما دخلنا عليه قال : يفر الله لك أبا خزيمة أجملت باللائمة ، وأغصبت علينا
أمير المؤمنين ، ثم أخذ يده فأجلسه معه على السرير ، قال أنس : إنك كنت تزعم
أنا الأشرار والله سمنا الأنصار ، وقلت : إيا من أجمل الناس والله يقول فينا
« وَيُؤْمِرُونَ عَلَى أَثْمِيرِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » . وزعمت أنا أهل بئق ، والله
نمالي يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » . فكان الحرج وانشكى في ذلك
إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولى من ذلك ما ولاه الله ، وعرف من حقنا ما جهلت ،
وحفظ منا ما ضيبت ، وسيحكّم في ذلك ربّ هو أَرْضَى للَرْضَى ، وأَسْخَطَ
لِلْخُسَطِ ، وأقدر على النفي يوم لا يشرب الحقّ عنده الباطل ، ولا النور الظلمة ،
ولا الهدى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأته من خدام موسى بن
عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا لي في رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين .

(١) ترويه : تجميه . (٢) الخفش : ضف البصر مع ضيق العين . (٣) المكك :
أن تقرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أنراً .

فاغتر إلى الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الله بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الله : « إلى أمير المؤمنين عبد الله بن مروان .
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد . أ صلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه وسهل حظه
وأحاطه ، ولا أعدمتاه . فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أ هز
الله نصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين أ طال الله بقاءه ؛ وجعلني من كل
مكره فداء - يذكر شقيقتي ونويشتي بأبائي ونبيري بما كان قبل نزول النعمة
بي من عند أمير المؤمنين - أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكر أمير
المؤمنين - جعلني الله فداء - استطلة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله
صل الله عليه وسلم . »

« وأمير المؤمنين - أ صلحه الله في قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إمام الهدى وخاتم الأنبياء أ حق من أقال عترتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمكنني ولم
يسجنني عند حقوقي ؛ للذي جيل عليه من كريم طبائمه ، وما قلده الله من
أمر مباده ، فرأى أمير المؤمنين - أ صلحه الله - في تسكين روعتي وإفراجه
كربتي ، قد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجأة قيمته . وأمير المؤمنين -
أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضامف له الحسنات ، وأعل له
الدرجات - أ حق من صنع عفا وتغمد^(١) ، وتمسل وأبق ، ولم يثب في عدوا
مكبا^(٢) . ولا حوسداً مضياً^(٣) ، ولم يجرعني خصماً ، والذي وصف

(١) تغمد : ستر ما كان منه . (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولم . (٣) أمب : حمل التبعظ
والخلف .

أمير المؤمنين من ضيفته إلى ، وتنويه لي بما أسند إلى من عمله ، وأعطاني من رقاب وعيته صادق في مجزي بالشكر عليه ، والتوسل بي إليه بالولاية ، والتعرب له بالكفاية » .

« وقد عين إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولي عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتب أمير المؤمنين ، وإفلاقه إلى ، ودخوله بالصبيّة عليّ ماسيلاً أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوقني الله بشكره ، وأعانني على تأدية حقّه ، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومدّ لي في أجله - أن يأمرني بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ، ويردّ ما شرد من نومي ، ويطمئن به قلبي ، قد وردّ عليّ أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد » .

« أسأل الله ألا يخطئ أمير المؤمنين ، وأن يثبتني في حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعمله وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه وبعد حتمته ، إنه وليّ أمير المؤمنين ، والقاب من سلطانه ، والصانع في أمره والسلام » .

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال : يا كاتب ؛ أفرغ روع أبي محمد ، وكعب إليه بالرضاعه !

١٦١ - الحجاج والنضبان بن القيسري *

سأل الحجاج يوماً النضبان^(١) بن القيسري عن مسائل يختص فيها ، قال له :
مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قال : أَصْهَبُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْيَمِينِ ، وَأَبْذَلُهُمُ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَأَكْرَمُهُمُ لِلْمُهَانِينَ ، وَأَطْعَمُهُمُ لِلْسَّاكِينِ .

قال : فَمَنْ أَلْأَمُّ النَّاسِ ؟ قال : لِلنَّطِيِّ عَلَى الْمَوَانِ ، لِلتَّقَرُّ عَلَى الْإِخْوَانِ ،
لِلكَثِيرِ الْأَلْوَانِ .

قال : فَمَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ قال : أَلْوَلُّهُمْ جُفَاً ، وَأَدْوَمُهُمْ صَبَاً ، وَأَكْثَرُهُمْ
خُفَاً ، وَأَشَدَّهُمْ قُوَّةً .

قال : فَمَنْ أَشَجَعُ النَّاسِ ؟ قال : أَضْرِبُهُمُ بِالسِّيفِ ، وَأَقْرَامُهُمُ لِلصَّيْفِ ، وَأَتْرَكُهُمُ
لِلْحَيْفِ^(٢) .

قال : فَمَنْ أَجَبُّ النَّاسِ ؟ قال : الْمَتَأَخِّرُ عَنِ الصُّفُوفِ ، الْمُنْتَبِضُ عَنِ الرُّجُوفِ ،
الْمُرْتَمِشُ عِنْدَ الْوُقُوفِ ، الْحَبِيبُ ظِلَالِ السُّقُوفِ ، الْكَارِهِ لَضَرْبِ السُّيُوفِ .

قال : فَمَنْ أَقْلُّ النَّاسِ ؟ قال : الْمُتَعَتِّنُ فِي الْمَلَامِ ، الضَّنِينُ بِالسَّلَامِ ، الْمَهْذَرُ^(٣)
فِي السَّلَامِ ، الْمُتَقَبِّبُ^(٤) عَلَى الْعَطَامِ .

* السطر : ١ - ١٧

(١) النضبان بن القيسري من أشراف الرافق ، وكان من دعاة الرواية أجمع حرب عبد الله
ابن مروان مع مصعب بن الزبير - (٢) الحيف : الجور والظلم - (٣) الهذار : كثير الملبان ،
وأعذر في كلامه : أكثر - (٤) لقب الرجل : حق .

قال : فَمَنْ خَيْرُ الدُّنَسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غَفْرَانًا ، وَأَوْسَعُهُمْ مِيزَانًا .

قال : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَكَيْفَ يُعْرِفُ الرَّجُلُ الْغَرِيبَ ؟ أَحْسِبُ هُوَامَ غَيْرَ حَسِيبٍ ؟ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ الرَّجُلُ الْحَسِيبَ بِذَلِكَ أَدَبُهُ وَعَقْلُهُ ، وَشِمَائِلُهُ وَعِزَّةُ غَنَاهُ ، وَكَثْرَةُ أَحْصَانِهِ ، وَبِشَاشَتُهُ ، وَحُسْنُ مَدَارَاتِهِ عَلَى أَصْلِهِ ؛ فَالْمَاقِلُ الْبَصِيرُ بِالْأَحْصَابِ يَعْرِفُ شِمَائِلَهُ ، وَالنَّذْلُ الْجَاهِلُ بِمَجَاهِلِهِ ؛ فَكُنْ لَهُ كَيْدُ الدُّرَّةِ ، إِذَا وَقَعَتْ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُهَا أَزْدَرَاهَا ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا الْمَقْلَاءُ عَرَفُوهَا وَأَكْرَمُوهَا ؛ فَهِيَ عِنْدَهُمْ سَلَامُ رَقَبَتِهِمْ بِهَا حَسَنَةٌ خَفِيَّةٌ .

يَقَالُ لِلْحَاجِجِ : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَمَنْ الْمَاقِلُ ؟ وَمَنْ الْجَاهِلُ ؟ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! الْمَاقِلُ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ هَذَرًا ، وَلَا يَنْظُرُ شَرًّا ، وَلَا يَضْمُرُ غَدْرًا ، وَلَا يَطْلُبُ غَدْرًا ؛ وَالْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَهِزُ فِي كَلَامِهِ ، لِلثَّانِ بَطْلَامَهُ ، الضَّعِيفُ بِسَلَامِهِ ، لِلتَّحَاوُلِ عَلَى أَمَلِهِ ، الْقَاضِحُ عَلَى غَلَامِهِ .

قال : اللَّهُ أَبُوكَ ! فَمَنْ الْحَازِمُ الْكَيْسِيُّ ؟ قال : الْقَبِيلُ عَلَى شَأْنِهِ ، التَّارِكُ لِمَا لَا يَنْبَغِيهِ .

قال : فَمَنْ الْعَاجِزُ ؟ قال : لِلْحَبِيبِ بِأَرَاثِهِ ، الْمُنْتَفِئُ إِلَى وَرَاثِهِ . قال : هَلْ عِنْدَكَ مِنَ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ بَشَانَهُنَّ خَيْرٌ ، إِنْ النِّسَاءُ مِنْ أُمَمَاتِ الْأَوْلَادِ بِمَنْزِلَةِ الْأَضْلَاحِ ؛ إِنْ حَدَّثَتْهَا أَنْكَسَرَتْ ، وَلَمْ يَنْجُوهَا جَوْهَرٌ لَا يَصِلُحُ إِلَّا عَلَى الْمُدَارَاةِ ؛ فَمَنْ حَارَاهُنَّ اتَّعَجَبْنَ ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ . وَمَنْ شَاوَرَهُنَّ كَذَبْنَ عَيْشَهُ ، وَتَكَدَّرَتْ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ، وَتَغَنَّمَتْ لِقَائَهُ ؛ فَأَكْرَمُهُنَّ أَعْفَنُ ، وَأَغْنَى أَحْسَابَهُنَّ الْمَقَّةُ ؛ فَلِذَا زَلَّيْنَ عَنْهَا فَمِنْ أَتَيْنَ مِنَ الْجِلْفَةِ .

قال له الحجاج : يا غضبان ! إني موجهك إلى ابن الأشعث وإفداً ؛ فإذا أنت قاتل له ؟ قال : أصلى الله الأمير ! أقول ما يُريدُه^(١) ويؤذيه ويغنيه ! قال : إني أغتلك لا أقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ، قال : كلا ، أصلى الله الأمير ! سأحدث له لسان ، وأجره في ميداني .

فشد ذلك أمره بالسير إلى كَرْمان ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بث الحجاج عَيْنًا عليه - وكان يفصل ذلك مع جميع رسله -

فلما قدم النضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد تم بخلتك وعزك ؛ فخذْ حذرَكَ ، وتعدَّ به قبل أن يمشى بك ، فأخذ حذرَه عند ذلك . ثم أمر النضبان بمائة سنية ، وخَلَعَ فاخرة ؛ فأخذها وانصرف راجعاً .

فأتى إلى رملة كَرْمان في شدة الحر والقيظ - وهي رملة شديدة الرَّمضاء^(٢) - ففُضِر قُبَّتُه فيها ، وحطَّ من رواجه ، فينما هو كذلك إذا بأعرابي من بني بكر بن وائل ، قد أقبل على بير ، فأصلاً نحوه ، وقد اشتد الحر ، وحيث النزلة^(٣) وقت الظهيرة ، وقد غلَى غلًا شديدًا ، قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، قال النضبان : هذه سنةٌ وردَّها فريضة ، قد فاز قائلُها ، وخسر تاركُها ؛ ملحجك يا أعرابي ؟ قال : أصابني الرَّمضاء ، وشدةُ الحر والغلَا ؛ فتمتَّت قُبَّتُك ، وأرجو بركتها .

قال النضبان : فهلا تيممت قبةً أكبر من هذه وأعظم !
قال : أيتنن تنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يؤصل إليها ! قال : إن هذه أمتعُ منها ! قال الأعرابي : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداه : أملىه . (٢) الرضى : وقع الشمس على الرمل وشعره .

(٣) النزلة هنا : الغسى .

آخذ ، فقال : وما تطلب ؟ قال : أكره أن يكون لي إسمان !
 قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشي
 في منّا كيهبا^(١) ، قال الأعرابي - وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى ، من شدته لحر -
 أترض الشعر ؟ قال : إنما يترض القار ! قال : أفقتجع ؟ قال : إنما نسج
 الحكامة ! قال : يا هذا ، أئذن لي أن أدخل قبّتك ! قال : خلّتك أوسع لك !
 قال : قد أحرقت حرّ الشمس ! قال : مالي عليها من سلطان ! قال : إني لا أريد
 طمالك ولا شرابك ، قال : لا تعرض^٢ لما لا تصل إليه ، ولو تلبّثت روحك !
 قال الأعرابي : سبحان الله ! قال : نعم ، من قبل أن تطلع أضرأسك ! قال :
 ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، مراوة أضرب بها رأسك ! فاستغاث الأعرابي :
 يا جار بني كعب !

قال الفضبان : بئس الشيخ أنت ! فوالله ما ظفرك أحد فكسّفت !
 قال الأعرابي : مارأيت رجلاً أمسى منك ؟ أتيتك مستغيثاً فخببتني وطردتني ،
 هلا أدخلتني قبّتك وطارحتني التريض ؟ قال : مالي بمعادنك من حاجة !
 قال الأعرابي : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ قال : أنا الفضبان بن القهمري .
 قال : اسمان منكرا ، خلّقا من غضب ! قال : قِفْ متوكلنا على باب قبّتي
 بربلك بهذه الموجاء ! قال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك
 هذه الشما !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرّت في حكومتك ، لأن رجلي في الظل
 قاعدة ، ورجلك في الرمضاء قائمة .

(١) للتكسب : نحية كل شيء .

قال الأعرابي : إني لأظنُّ منصرفك غاسقاً . قال : ما أقدرني على إصلاحه !
قال الأعرابي : لا أَرْضَاكَ الله ولا حَيِّكَ ، ثم ولى وهو يقول :

لا بَارِكَ اللهُ في قومٍ تَسُودُهُمْ إني أظنُّك - والرحمن - شيطاناً
أَنتَ قَبْتُهُ أَرْجُو ضِيَاغَتَهُ فأظهر الشيخ ذُو الْقَرْنَيْنِ حِرْمَاناً

فلما قدم الفضبان على الحجاج - وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن
الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا فضبان ، كيف وجدت أرض كِرْمَانَ ؟
قال : أصلح الله الأمير ! أرض يابسة ، الناس بها ضلَّاف ! إن كثروا جاعوا ،
وإن قلوا ضاعوا .

قال له الحجاج : أأنت صاحب الكلمة التي بنيتُ أُنْتُك قلبها لابن الأشعث :
« نَدُّ بِالْحِجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَمْشِيَ بِكَ » ؟ فوالله لأحبستك عن الوسادة ، ولأنزلتك
من الجياد ، ولأشهرتكَ في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ! فوالله ما ضرتُ من قِيلَتٍ فيه ، ولا ضعت من
قِيلَتٍ له !

قال له : ألم أقل لك : كَأَنِّي بصوتك يجلجل في قصرى هَذَا ! اذهبوا به
إلى السجن .

فذهبوا به ؟ صَدِّقْ وسجن ، فسكت ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابْنَى الْفُضْرَاءَ بِوِاسِطَةِ فَاعِجِبَ بِهَا ، فقال ابن حوله : كيف
تَرَوْنَ قِبَتِي هَذِهِ وَبَنَاءَهَا ؟ قالوا : أيها الأمير ! إنها حصينة مباركة ، منيعة تُصَرِّفُ
بِهَا ، قليلٌ عَيْبُهَا ، كثيرٌ خَيْرُهَا ، قال : لِمَ كَمْ تَخْبِرُونِي بِتَصَحُّهَا ؟ قالوا : لا يَصِفُهَا
لَكَ إِلَّا الْفَضْبَان .

فبث إلى النضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبناءها ؟ قال :
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لا لك ولا لوالدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباقي !

قال الحجاج : قد صدق النضبان ، رُدَّوه إلى السجن .

فما حلوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » .

قال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْ لِي مِيزَانًا وَأَنْتَ

خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ » . قال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَنُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

قال : جرَّوه ، فأقبلوا بجرَّوه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ تَجَرَّاهَا وَمَرَّسَاهَا

إِنْ رَأَى النَّفْثُ رَحِيمًا » .

قال الحجاج : ويلكم ! اتركوه ، قد غلبني دمه وخبتني . ثم عفا عنه ، وأنهم

عليه ، وغلَّ سبيله .

١٦٢ — حسن مختص *

مَدَّ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ النَّبَرَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،
فَذَكَرَ الْحِجَابَ ، فَحَدَّثَ طَاعَتَهُ وَأَتَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ مَلِجَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، بِأَمْرِهِ فِيهِ
بِشْمِ الْحِجَابِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبِرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَعِدَ لِلنَّبَرِ ، فَحَدَّثَ اللَّهَ وَأَتَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
مَا كَانَتْ لِلْمَلَائِكَةِ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ شَيْءِهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَى
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمَرَهُ بِالْجُودِ لِأَمْرِهِ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَتْ يَخْفِيهِ
عَنْهُمْ ، فَلَمَنُوهُ .

وَإِنَّ الْحِجَابَ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ،
وَكُنَّا نَرَى اللَّهَ أَمْلَحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَيْءِهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَنُوهُ ؛ فَالْمَنُوهُ لِمَنْهُ اللَّهُ ! ثُمَّ نَزَلَ .

١٦٣ — بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان*

دخلت بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال :
أنتِ عزة كثير ؟ قالت : لست لكثير بكرة لكنني أمٌ بكر ، قال : أتروين
قول كثير :

وقد زعمت أني تغيّرتُ بعدها وَمَنْ ذَا الَّذِي بَاعَ عَزْلًا بِضَيْرٍ !

قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كَأَنِّي أَتْلُو أَوْ أَكْلُمُ صَخْرَةً من الصمّ لو تمشى بها الصمّ^(١) زَلَّتْ

ثم انحرف إلى بُثينة ، قال : أنت بُثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !
قال : ما الذي رأى فيك جميل حتى ليحج بذكرك من بين نساء العالمين ؟
قالت : الذي رأى الناسُ فيك فصولك خليفتهم . فضحك حتى بدا له ضرس أسود
لم ير قبل ذلك ، وفضل بُثينة على عزة في الجائزة .

وأمرها أن يدخلها على هاتكة^(٢) فدخلتها عليها ، وقالت لعزة : أخبريني عن

قول كثير :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة معطوولٌ معقٍ غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلته ثم تأثمت^(٣) منها .

* للخطوف : ٢ - ٦٩ ، الأماي : ١ - ٤٨ .

(١) الأصم من القول : ما في ذوايبه أو في أحدا يابض وسائر أسود أو امر .

(٢) هاتكة : امرأة عبد الملك . (٣) تأثمت : تخرج .

١٦٤ - مَنْ أَشْمَرُ النَّاسِ ؟

قال عبد الملك الجُرَير : من أشْمَرُ الناس ؟ قال : ابنُ المشرِّين^(١) ، قال : فما رأيك في ابني^(٢) أبي سُلَيم ؟ قال : كان شعرها نيراً بأمرِ المؤمنين . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتخذ أغليثُ الشمرَ نعلين ، وأقسمُ بالله لو أدركته لرفعتُ دَلَالِيَه^(٣) . قال : فما تقول في ذى الرِّمَّة ؟ قال : قدَر من غلِيف الشعر وغريبه وحَسَنه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابنِ النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله نَبْمة^(٤) من الشعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ، قال : بلى والله بأمرِ المؤمنين ، إلى المدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ، نَسَبْتُ^(٥) فَطَرِيَّتْ ، وَهَجَوْتُ فَارْدِيَّتْ^(٦) ، ومَدَحْتُ فَاغْشِيَّتْ ، وأَرَمَلْتُ^(٧) فَاغْزَرْتُ ، وزَجَرْتُ فَاَجْمَرْتُ ، فَاَنَا قُلْتُ ضُرُوبَ الشعرِ كلها ، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها . قال : صدقت !

* الأمازي : ٨ - ٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) يني طرفه . (٢) يني زهيراً وابنه كساً . (٣) دلائل تنجيم : ما على الأرض من أسافله . ويريد أنه كان يزعمه ويؤدعه . (٤) التبع : شجر تنحف منه القسي . وتنحف من أنصاته السهام ، الواقعة منه . (٥) نسب طراًفة : شبيب بها في الشعر . (٦) أوديت : أهلكته . (٧) الرمل في الشعر : غير القصيد والرجز .

١٦٥ - سليمان بن عبد الملك وأبو حازم*

دخل سليمان^(١) بن عبد الملك المدينة ، فقام بها ثلاثاً ، ثم قال : أما هنا رجلٌ
من أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ قيل له : بلى ، هاهنا رجل
يقال له أبو حازم . فبحث إليه ، فجاءه .

قال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم :
وأي جفاء رأيت مني ؟ قال له سليمان : أتاني وجوه أهل المدينة كلهم ، ولم تأتي !
قال له : أعيدك بالله أن قول ما لم يكن ، ما جرى بيني وبينك معرفة ، آتاك
هكذا ؟ قال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال أبو حازم : لأنكم
خزيتم آخرتكم ، وعزّيتم دنياكم ، فأنتم تكرمون أن تنقلوا من الثمران إلى
الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ قال : أما للحسن
فكلما تبّ يقدم على أهله ، وأما للمسيء فكلّما تبّ^(٢) يقدم على مولاه . فسكى
سليمان ، وقال : ليت شمرى ما لنا عند الله يا أبا حازم ! قال أبو حازم : اغرض
نفسك على كتاب الله عز وجل تلم ما لك عند الله ، قال : يا أبا حازم : أين نصيب
تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

* مسامرات الأبرار : ١ - ١٧٤ ، عقد الفريد : ٢ - ١٠٧

(١) انظر صفحة ٣٢٩ - (٢) الآتين : الحارث .

لَقِيَ نَسِيمٍ فَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِي جَحِيمٌ . قال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من الحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أحق الناس ؟ قال أبو حازم : من باع آخرته بدنياه غيره . قال سليمان : ما أسمعُ دعاء الناس ؟ قال : دعاء المُضَيِّقِينَ ^(١) إليه . قال سليمان : ما أركى الصدقة ؟ قال أبو حازم : جهدُ لِقْلَلٍ . قال سليمان : يا أبا حازم ؛ ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال أبو حازم : أعفنا من هذا ؛ قال سليمان : نصيحة بلقشياً . قال أبو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر من غير مشورة من المؤمنين ، ولا إجماع من رأيهم ، فسفكوا الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها ، فليت شمرى ما قالوا ، وما قيل لهم ؛ قال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ ؛ قال أبو حازم : كذبت ، إن الله تبارك وتعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، قال سليمان : يا أبا حازم ؛ كيف الأخذ بذلك ؟ قال أبو حازم : تأخذه من حقه ، وتضمنه في أهله . قال سليمان : اضحبت يا أبا حازم ، تصيب منا ونصيب منك ، قال : أعيدك من ذلك ؛ قال سليمان : ولم ؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً ، فيذيقني الله منها ضعف ^(٢) الحياة وضعف المات ؛

قال سليمان : يا أبا حازم ، فأشر على . قال أبو حازم : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، أو أن يقدر عليك حيث أمرك . قال سليمان : يا أبا حازم ، ادع لنا بخير . قال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته ، قال سليمان : عظمى يا أبا حازم ، قد أوجزت ، قال : إن كنت وليه فبشرك ، وإن كنت عدوه فابشرك إذا رعى بقوس بخير وتر .

(١) الإغبات : المفقوع . (٢) أي ضعف الذئب حياً وميتاً .

قال سليمان : يا غلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، قال أبو حازم : لا حاجة لي بها ، إني أخاف أن تكون قد أعطيتنيها لما سمعت من كلامي ، إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وَوَرَد ماء مَدْيَن ، وجد عليه جاريتين تَدْوَدان ، قال : ما خطُبُكما ؟ قالتا : لا نسق حتى يُصْدِر الرَّعَاءُ^(١) وأبونا شيخ كبير ؛ فسق لهما ، ثم تولى إلى الغل ، قال : رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير . ولم يسأل على عَوْن الله أجرا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوهما ، وقال : ما أجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسق لنا ، قال : فاسمعهما بقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . قال : ينبغي أن يكون هذا جائها ؟ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبي يدعوك ليبريك أجرًا ما سقيت لنا .

فخرج من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريقا في فَيْق الصَّعْرَاء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكان ذا خلق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعامٌ موضوع ، قال شعيب : أصعب يا بني من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أعود بالله - قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً . قال شعيب - عليه السلام : لا والله ، لكنها عادي وعادة آبائي ، فطمع الطعام ، وقرى الضعيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي ، فانا أرى أكلَ الحقِّ والدم في حال الضرورة أحبَّ إليَّ من أخذها .

فكانَ سليمانُ أوجبَ بابي حازم ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ أيسرُّكَ أن يكونَ الناسَ كلُّهم مثله ؟ قال الزهري : إنه يجاري منذ ثلاثين سنة

(١) الرعاء : الرعاة .

ما كلمته بكلمة قط . قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله قسبتي ،
ولو أحبيت الله لأحبيتني . قال الزهري : أنشتني ؟ قال سليمان : أنت شمت
نفسك ، أما علمت أن الجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل
لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضى بدينها
من الأمراء ، فاستغفرت الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على العصية ، فشقوا
واقتكروا ، ولو كان علماءنا هؤلاء يصونون عليهم ، لماسهم الأمراء . قال الزهري :
كانك لي تريد ، وفي تعرض ، قال : هو ما تسمع !

١٦٦ — ضمه من النار حيث شئت *

لما وَلَّى سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلَّاقَةَ ، أُنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَسْلَمٍ - مَوْلَى الْحِجَاجِ ،
فِي جَامِعَةٍ ^(١) ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا فَبِيدَ اقْتَضَعَهُ ^(٢) الدِّينَ فَطَارَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ :
لَمَنْ اللَّهُ امْرَأُ أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(٣) ، وَوَلِي مِثْلَكَ ، ضَالٌ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَكَ
رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَاسْتَعْمَلْتُ مِنْ أَمْرِي
مَا اسْتَصَفَرْتُ ، وَلَا اسْتَجَلْتُ مَا اسْتَعْتَرْتُ .

قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحِجَاجَ ، أَيُّهُوَ فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَمَرٍ هَا ؟
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا قُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحِجَاجَ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوَعَا لَكُمْ
النَّابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْحَبِيَّةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ . . . وَبَدَأَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَنْ يَمِينِ أَيْمِكَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَشِمَالِ أَخِيكَ الْوَلِيدَ ، فَضَمَّهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شِئْتَ !
فَصَلَحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : أَخْرِجْ إِلَى لِسْنَةِ اللَّهِ ! ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى جِلْسَانِهِ قَالَ : قَبِضْ عَلَى اللَّهِ ،
مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْتِيبِهِ لِنَفْسِهِ وَلِمَالِهِ !

* الأمازي : ١ - ٢١٥ ، العقد الفريد : ١٥٠ ، مروج الذهب : ٢ - ١٦٤ ، البيان
والتيبين : ١ - ٢١٠
(١) الجلمة : الخيد . (٢) قطعته : تزدريه . (٣) أجره وسنه : يريد تركه يصنع ما يشاء .

١٦٧ — مناظرة مع الخوارج *

بعث عمرُ بن عبد المزني إلى شَوْذَبِ الخُرُورِيِّ^(١) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة ؛ فجماعوه برجلين منهم : أحدهما من بني شيبان ، والآخر حبشي اسمه عاصم ، وهو أشد الرجلين حجةً ولسانا .

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبدالله وكان به مُزَاجِمٌ ، وأعطوا مكانهما ، قال : ابعثوا ألا يكون معهما حديد ، ثم أدخلوا ، فقلوا .

فلما دخلا قالا : السلام عليكم ، ثم جلسا ، قال لهما عمر : أخبراني ما أخرَجَكُمَا مُخْرِجَكُمَا هذا ؟ وأي شيء قُتِمَ علينا ؟ قال عاصم : والله ما قُتِمَ عليك في سيرتك ، فإنك لتُجْرى العدل والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمرٌ إِنْ أُعْطِيتَناه فَأَنْتَ مِنَّا وَغَيْرُكَ مِنْكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَنَاهُ فَلَسْتَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْكَ ! قال عمر : وما هو ؟ قال : رأيك خالف أحوال أهل بيتك ، وسلكت غير طريقهم ، وسميتها مظالم ؛ فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فأبّرْ أُنْهُمُ والقَتْنُهم ، فهذا الذي يسمع بيننا وبينك أو يفترق .

قال عمر : إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

* سيرة عمر بن عبد المزني لابن عبد الحكم : ١٣٠

(١) المرووية : طائفة من الخوارج ، ينسبون إلى حروراء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا علي بن أبي طالب . وهو خُذِب : اسمه بطلم من بني بَشَرَ .

فأخطأتم سبلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لصدقاتي عنه فيما بلغه عليكم .
 قال : قَعَل . قال : أرايتُم أبا بكر وعمر ؟ أليس من أسلافكم وعن تولون وتشهدون
 لها بالنجاة ؟ قال : بلى . قال : هل تعلمون أن العرب ارتدّت بد رسول الله قاتلهم
 أبو بكر ؟ فسفك الدماء ، وبسبى القَرَاري ، وأخذ الأموال ؟ قال : قد كان ذلك .
 قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبل إلى عشائرم ؟ قال : قد كان
 ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمرٌ من أبي بكر ؟ قال : لا ؟ قال :
 فهل يبرهون من واحد منهما ؟ قال : لا !

قال : أخبراني عن أهل التَّهْرَوان ؛ أليسوا من أسلافكم وعن تولون وتشهدون
 لهم بالنجاة ؟ قال : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم
 كفّوا أيديهم ، فلم ينجفوا آمنا ولم يسفكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قال : قد كان
 ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب
 استعرضوا الناس فقتلهم ، وعرضوا لعبد الله بن خُبَّاب صاحب النبي صلى الله عليه
 وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبَّحوا حيًّا من العرب فاستعرضهم فقتلوا الرجال
 والنساء والولدان ، حتى جنلوا يُلقَون الأطفال في قُبور الأخطار^(١) وهي قُورُ بهم ؟
 قال : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل
 البصرة من أهل الكوفة ؟ قال : لا ! قال : فهل يبرهون من طائفة منهما ؟
 قال : لا !

قال عمر : أخبراني أرايتُم الذين واحدًا أم اثنين ؟ قال : بلى واحدًا ! قال :

(١) الأخطار : هي " مستخرج من اللغتين النحوي .

فهل يسكن فيه شيء يُعجزني؟ قال: لا! قال: فكيف ويسكن أن توليهم أبا بكر وعمر، وتولي كل واحد منهما صاحبه، وقد اختلفت سيرتهما! أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا، وكيف ويسكن أن يوليتهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء؛ في الدماء والأموال، ولا يسكني - بزعمكم - إلا لمن أهل يتيق والبراءة منهم! فإن كان لمن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها، فأخبرني عنك أيها التكلم متى عهدك بمن فرعون! قال: ما أذكر متى لنته. قال: وبك! فيسلك ترك لمن فرعون، ولا يسكني بزعمك إلا لمن أهل يتيق والبراءة منهم! وبك! إنكم قوم جهال، أردتم أمرا فأخطأتموه فأنتم تتقبلون من الناس ما ردة عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردون عليهم ما قبل منهم، ويأتين عندكم من خاف عنده؛ ويخاف عندكم من أين عنده. قال: ما نحن كذلك، قال: بل تقولون بذلك الآن.

هل علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس ومعه عيسى وأوثان؛ فدعاهم إلى أن يعظموا الأوثان؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمن فعل ذلك حسن دمه، وأمين عنده، وكان أسوة بين المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده؟ قال: نعم، قال: أظنتم أتم اليوم تهربون ممن يخلع الأوثان، وعن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وتلمنونه وتقتلونه، وتستطرون دمه، وتقرون من أبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى؛ فضرمون دمه ويأمن عندكم؟ قال عامر: ملأيت حجة أئين ولا أقرب مأخذنا من حجبتك؟ أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى برىء من خالقتك.

وقال للشيباني: فأنت ما تقول؟ قال: ما أحسن ما قلت؛ وأئين ما وصفت!

ولكن أكره أن أخاف حلّ للسليمن بأمر لا أدري ما حجبهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، قلن : عندم حجة لا أعرفها . قال : فأت أهلك ، ثم أمر لأمم بطلانه ، وأقام عندم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه قُتِلَ معهم .

١٦٨ — ليس الأمر بالسن *

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهماً بالكلام ، قال : أكبروا أكبروا ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسن ، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في السليمن من هو أسن منك ، قال عمر : صدقت ، رحلك الله ، تكلم !

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إننا لم نأتك رغبة ولا رهبة ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبة فقد أمنتنا الله بمذالك من جورك ، قال : فمن أنتم ؟ قال : وفد للشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل ، قال : يا أمير المؤمنين ، لا يضلنّ جبل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن نلنا خدمهم الثناء ، وغرم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعينك بالله أن تكون منهم ؛ فالتى عمر رأسه على صدره !

١٦٩ — بنو أمية وعمر بن عبد العزيز*

لما أقبل عمر بن عبد العزيز على رد الظالم ، وقطع عن بني أمية جوازهم وأرزاق آخراتهم ، وردّ ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم فأقروهم ، صَبَّحُوا مِنْ ذَلِكَ ؛ فَاجْتَمَعُوا وَقَالُوا : إِنَّكَ تَدَّ أَجَلَيْتَ^(١) لِلَّهِ لِلْسَّالِينَ ، وَأَقْرَبْتَ بَنِي أَيْمِكَ فَيَا تَرُدُّ مِنْ هَذِهِ لِلظَّالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ وَلِيَهُ غَيْرُكَ قَبْلَكَ ، فَدَعْنِهِمْ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ ، وَاشْتَغِلْ أَنْتَ وَشَأْنُكَ ، وَاعْمَلْ بِمَا رَأَيْتَ .

قَالَ لَهُمْ : هَذَا رَأْيُكُمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : وَلَكِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ ، وَاللَّهِ لَوِ دِدْتُ لَا تَبْقَى فِي الْأَرْضِ مَظْلَمَةٌ إِلَّا رُدَّتْهَا

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أَنْ يَكْتُبَ إِلَى عُمَرَ يُؤَيِّدُهُ لَدُنْهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَنْ مَسَائِهِمْ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

« أَمَا بَدَّ ظَنُّكَ أَزْرَيْتَ^(٢) عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَعَبْتَ عَلَيْهِمْ وَسِرْتَ بِخَيْرِ سِرِّهِمْ وَسَمِعْتَهَا لِلظَّالِمِ ؟ فَصَالِحٌ ، وَغَيِّبًا لِأَهْلِهِمْ ، وَشَتَانًا لِمَنْ كَانَ بَدَّهْمَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَكَ ؛ فَطَلَمْتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَعَلْتَ بِخَيْرِ الْحَقِّ فِي قِرَاجِكَ ، وَهَدَيْتَ إِلَى أَمْوَالِ قَرِيشَ وَمَوَارِيثِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ ، فَأَذْخَلْتَهَا بَيْتَ مَا لَكَ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَغَدَوَانًا ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَرَاقِبِهِ ، فَإِنَّكَ لِمَنْ

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ١٤٧

(١) أَجَلَيْتَ : طَلَبَ . (٢) أَزْرَى عَلَيْهِ : ضَلَّ .

شعلت لم تظن على متبرك ، وإن خصمت ذوى قرابتك بالتقصية والظلم ؛
فوالله الذى خص محمداً صلى الله عليه بما خصه به من الكرامة ، لقد ازدادت من الله
بعداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاه عليك وهى كذلك ! فاقصد فى بعض ميثك
وتحاملك . اللهم فسلأل سليمان^(١) بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد صلى الله عليه
وسلم ! » .

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . سلام على من اتبع الهدى ، أما
بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بئنة كانت أمة تدخل دور حصص ، وتطوف فى
جوانبها ، والله أعلم بها ، فاشترأها ذبيان بن ذبيان من قبة المسلمين ، فأهداها إلى
أبيك فخلت بك ، فبئس الحامل وبئس الحمول ، ثم نشأت فكنت جباراً شقيفاً .
كفيت إلى نفلسي^(٢) ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين ،
الذى فيه حق القرابة والضعيف والمكسين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدكم ؛ لك
مالهم ، وعليك ما عليهم .

وإن أظلم منى ، وأترك لهدى الله ، الذى استملك صيباً سفيهاً تحكم فى دماء
المسلمين وأموالهم برأيتك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حب الولد ، ولم يكن ذلك له
ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أهلك ! ما أكثر طلابك وخصماء كما يوم القيامة !
وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

« وإن أظلم منى وأترك لهدى الله من جعل لقناة البربرية سهماً فى قبة المسلمين

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة . (٢) ظله : نب الظلم
ليه .

وَصَدَقْتَهُمْ . أَهَاجَرْتُمْ ؟ شَكَرْتُكُمْ أَمْ كُفَرْتُمْ ! أَمْ بَايَعْتُمْ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَتَسْتَوْجِبُونَ
سَهَامَ الْقَاتِلِينَ !

وَأَنْ أَظْلَمَ مِنْهُ وَأَتْرَكَ لِمَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكٍ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا
جَانِفًا عَلَى مَعْرٍ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْمَازِفِ وَالْبِرَابِطِ^(١) وَالْخَمْرِ .

وَأَنْ أَظْلَمَ مِنْهُ وَأَتْرَكَ لِمَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلَّى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَسْلَمٍ^(٢) عَلَى جَمِيعِ الْقُرَبِ ،
يَجْبِي لِلَّالِ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدِّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدُكَ ! لَوْ قَدْ التَّقَتَ عَلَيْكَ حَقَقَاتُ
الْبَطَانِ^(٣) ، وَطَالَتْ فِي حَيَاتِهِ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَرَعْتُ لَكَ وَلَأَهْلٍ بِعَيْتِكَ ،
فَافْتَقَسْ عَلَى الْحَبِيبَةِ^(٤) الْبَيْضَاءِ ؛ فَطَالَمَا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَكُمْ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بَنِيَاتِ
الطَّرِيقِ^(٥) ؛ وَمَنْ وَرَاءَ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرَ رَأْيٍ رَأَيْتُ : يَبِيعُ رَقَبَتَكَ ،
وَقَسَمَ ثَمَنَكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالسَّائِكِينَ وَالْأَرَامِلِ . فَإِنْ لَسْتُ لَكُمْ سَهْمًا فِيكُمْ سَهْمًا فِي
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ ، وَلَا يَنْتَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ » .

(١) البرابط : جمع بريضة ، وهو العود . (٢) ول الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس للقراب
بقتل ويصل ويصلح . (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلفتان في كل طرف حلقة يصعب التفادها
ولذا التفتا بلغ الشد فاقته ، وهو مثل يضرب جن يلوغ الكفة منهاها . (٤) الحببة : جادة الطريق .
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنسب من الجادة .

١٧٠ - في وفاة عمر بن عبد العزيز *

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسئلة بن عبد الملك ، قال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد فترت أفواه هؤلاء من هذا اللال ، فلو أوصيت بهم إلى
والى نظرائى من قومك فكفوك مشوتهم !

فما سمع مقالته قال : أجلسونى . فأجلسوه قال : قد سمعتُ مقالتك يا مسئلة .
أما قولك : إني قد فترت أفواه وهى من هذا اللال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم
أكن لأعطيهم شيئاً لتيرهم ، وأما ما قلت فى الوصية فإن وصيتُ فيهم : (الله الذى
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ، وإنما ولدُ عمر بين أحد رجلين : إما
رجل صالح فيُعينه الله ، وإما غير ذلك فلو أن أكون أول من أمانه بالمال على
مصيبة الله .

ادعُ لى يئى : فأتوه ؛ فلما رأهم تفرقت عيناه ، وقال : بنفسى خيبة تركتُهم
عائلة لا شئ لهم ! وبكى .

يا يئى ؛ إني تركت لكم خيراً كثيراً لا يمترون بأحد من السليين وأهل ذمتهم
إلا رأوا لكم حقاً ؛ يا يئى ، إني قد ميّلتُ^(١) بين الأمرين : إما أن تستغفروا وأدخل
النار ، أو تضرعوا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تضرعوا ؛ فذلك أحبُّ إلى .
قوموا عَصَمَكُمُ الله ، قوموا رزقكم الله !

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد فى إيهما يضل .

١٧١— رأى خالد بن صفوان في الشعراء *

قال هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عَقَالٍ، وعنده جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ، وهو يومئذ أميرٌ: ألا تُخْصِرُنِي عز هؤلاء الذين قد مزقوا أعراسهم، وهتكوا أسرارهم، واغزووا بين عشارهم في غير خيرٍ ولا ير ولا نفع، وأيهم أشعر؟ قال شَبَّةُ: أما جريرٌ فيَنْزِفُ من بحر، وأما الفرزدقُ فيَنْتَحُ من صخر، وأما الأخطلُ فيَجِدُ للدح والغنجر.

قال هشام: ما فسررت لنا شيئاً بحسبته! قال: ما عندي غير ما قلت! قال غلام^(١) بن صفوان: فيهم لنا يا بن الأختَمِ؟ قال: أما أعظمهم نفراً، وأبدمهم ذكراً، وأحسنهم عدراً، وأسيروهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلامهم حُللاً، الطامي^(٢) إذا زخر؟ والحامي إذا زار، والساي إذا خطر؟ الذي إن حذر^(٣) قال، وإن خطرَ صال، الفصيحُ اللسان، الطويلُ العنان - فالفرزدق - وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم قهناً، الذي إن حجا وضع^(٤)، وإن مدح رنح - فالأخطل.

وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكمهم لمدوهُ سقراً؛ الأغرُّ الأبد.

* الأغانى : ٨ - ٨١ (طبعة دار الكتب) ، مج ١ : ١١ - ٢٥

(١) أحد نضطاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ؛ ولكنه كان جليلاً ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ . (٢) الطامي : من طلى الماء ؛ إذا لرضع وملاً النهر ، وزخر البحر : ابتلا . (٣) حذر البير : ردد صوته في حنجرته ، وحذر الحماة : كردد صوته . (٤) وضع : خض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسْتَقْ ، وإن طُلِبَ لم يُلْتَقَ - فخر ، وكلهم ذكى القواد ،
رفيعُ العباد ، وأرى الزناد .

قال له مُسَلِّمَةُ بن عبد الملك : ما سمنا بملك يا خالداً فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ؛ وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وأليهم عطفاً ، وأعظم مَقَلا ،
وأكرمهم ضالا .

قال خالد : أتم الله عليكم نعمته ، وأجزل لديكم قسمة^(١) وآنس بكم الغربة ،
وفرّج بكم الكربة . وأنت ، والله - ما علمتُ أيها الأمير - كريمُ التراس ، عالمُ
بالناس ، جوادٌ فى اللعل ، بشارٌ عند البذل ، حليمٌ عند الطيش ، فى ذروة^(٢)
قريش ، ولباب^(٣) عبد شمس ، ويومك خيرٌ من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيتُ كفضلك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء . ووصفهم ،
حتى أَرْضَيْتَهُمْ جميعاً ، وسلت منهم -

(١) القسم : جم قسمة ، وهى الرزق وما قسم . (٢) ذروة : أعلى . (٣) لباب : خلاصة .

١٧٢ - المنصور وابن طاوس *

قال مالك بن أنس : بث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه نطاع^(١) قد بسطت ، وجلاد بأيديهم السيوف ؛ لضرب رقاب الناس ، فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؛ سمعتُ أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في عدله » ، ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمتُ ثيابي تخافة أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال : عطفني ابن طاوس ، قال : نعم ، أما سمعتُ الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ . إِمَدَمَ ذَاتَ الصَّادِ ، أَلْقَى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْيَلَادِ . وَنَعُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ^(٢) بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؛ الَّذِينَ ظَنُّوا فِي الْيَلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ صَادٍ » .

قال مالك : فضمتُ ثيابي أيضا تخافة أن يملأني دمه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : ابن طاوس ؛ ناولني الهواة ، فأمسك ابن طاوس ، ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

* العهد الجديد لملك الحية : ٥٦

(١) الأنتاع : جمع نطع ، وهو جلد يفرش . (٢) جابوا : خرفوا الصخر فاحتفوا بيوتاً .

أخشى أن تكتبَ بها مصيبةً لله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور
قال : قوماً عني !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنّا نبني ! قال مالك : فإزلتُ أعرفُ لابنِ
طاووس بعدها قُتله .

١٧٣ - بديهة مَعْنُ*

قدم مَعْنُ بن زائدة من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ
أمير المؤمنين منك شيء ؛ ولولا مكانك عنده ورأيه فيك لتضب عليك . قال :
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله
فيك :

مَعْنُ بن زائدة الذي زِيدَتْ به شرفاً على شرفِ بنو شيبان
أن عُدَّ أيامَ القتالِ فلانما يومه يومُ تَدَى ويومُ طِعْمان
قال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُهُ ما يملكُ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُهُ
لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشمية^(١) مُمِلِنَا بالسيفِ دونَ خليفةِ الرحمنِ
فنمتَ حَوَزَتَهُ وحكمتَ وقاه من وقعِ كلِّ مُهَنَّدٍ وسِنانِ
فأسعيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُهُ ما أعطيتُهُ لهذا القول ؟ قال : نعم ،

* الألفاظ : ١٠ - ٤٦ (طبعة السلي) .
(١) الهاشمية : مدينة بناها الخلفاء قريباً من الكوفة .

بأمر المؤمنين ! والله لولا مخافة الشنة لأمكنتم من مفاتيح الأموال ، وأباحت
إياها ، فقال له المنصور : فله ذلك من أعرابي ! ما أهون عليك مايز على الرجال
وأهل الحزم !

١٧٤ — رسول مثنى *

أراد ممن بن زائدة أن يوفد إلى أبي جعفر المنصور قوماً يثرون سخيته ،
ويستملقون قلبه عليه ، وقال : قد أفتيتُ هريرة في طاعته ، وأثبتُ نفسي ، وأفتيتُ
رجالاً في حرب اليمن ، ثم يسخطُ عليَّ أن أفتتُ للآل في طاعته !

فانتخب جماعة من عشيرته من أفتاء ربيعة ، وكان فيمن اختار جماعة بن الأزهر ،
فجعل يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قاتل لأمر المؤمنين إذا
وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، قال : أعز
الله الأمير ! نسألك عن مخاطبة رجل بالمرافق وأنا باليمن ! أقصد لحاجتك حتى أتاني
هنا كما يمكن وينبغي ! قال : أنت صاحبي .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق للزنى وقال : شدْ على عضد ابن عكك ،
وقدّمه أمامك ، فإن سها عن شيء ففلاقه . واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهم ، حتى
تموا عشرة ، وودّعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فما صاروا بين يديه قدّموا ، فاجدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

حتى ظنَّ القومُ أنه إنما قصدَ لهذا؛ ثم كَرَّ على ذكرِ النبي صلى الله عليه وسلم؛ وكيف اختاره الله من بطون العرب، ونشر من فضله حتى تعجب القومُ؛ ثم كَرَّ على ذِكْرِ أمير المؤمنين المنصور، وما شرفه الله به وما قُدَّره؛ ثم كَرَّ على حاجته في ذكر صاحبه - فلما انتهى كلامه، قال للنصور: أَمَّا مَا وَصَفْتَ مِنْ حَيْدِ اللَّهِ، فَأَفْهُ أَجَلٌ وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ الصَّفَاتُ؛ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِأَكْثَرِ عَمَّا قُلْتَ، وَأَمَّا مَا وَصَفْتَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِثْنُهُ عَلَى طَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صَاحِبِكَ فَكَذَبْتَ وَلَوْ مَتَّ؛ ثُمَّ أَمَرَ النَّصُورَ بِخُرَاجِهِمْ. قَالَ: صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِي صَاحِبِي.

فَأَخْرَجُوا، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى آخِرِ الْإِيوَانِ أَمَرَ بِرَدِّهِمْ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أُعِيدْ مَا ذَكَرْتَ - فَكَرَّرَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ حَتَّى كَانَهُ فِي صَحِيفَةٍ يَرَوُهُ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ فَأَخْرَجُوا حَتَّى بَرَزُوا جَمِيعًا، وَأَمَرَ بِهِمْ فَوْقُوا، ثُمَّ انْصَدَّ إِلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ مُضَرٍّ، قَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ فِيكُمْ مِثْلَ هَذَا؟ وَاللَّهِ قَدْ تَكَلَّمْتُ حَتَّى حَسَدْتُهُ، وَمَا مَنَعَنِي أَنْ أُنَمِّ عَلَى رَدِّهِ إِلَّا أَنْ يَقَالَ: نَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ رَزَقَنِي، وَمَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَرْبَطَ جَانِبًا وَلَا أَظْهَرَ بَيَانًا؛ رَدَّه بِأَغْلَامٍ!

فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعَادَ السَّلَامَ وَأَعَادَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّصُورُ: اقْصِدْ لِحَاجَتِكَ وَحَاجَةَ صَاحِبِكَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَيْدُكَ وَسَيْفُكَ وَسَهْمُكَ، رَمَيْتَ بِهِ عِلْوَكَ، فَضَرَبَ وَطَنَ وَدِي، حَتَّى سَمِلُ مَا حَزُنُّ، وَذَلَّ مَا صَبَّ، وَاسْتَوَى مَا كَانَ مَوْجِبًا مِنَ الْهَيْنِ؛ فَاصْبِعُوا مِنْ حَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ

بقائه - فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أو ولس أو حلسد فأمر المؤمنين
أولى بالفضل على عبده ، ومن أنفى عمره في طاعته .

قبل وفادتهم ، وقيل المنز من مَعْن ، وأمر بصرفهم إليه .
فلما صاروا إلى مَعْن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال جماعة :

آلَيْتُ في مجلسي من وائلٍ قَسِيًّا أَلَا أَيْمُكَ يَا مَعْنُ بِأَطْمَاحِ
يَا مَعْنُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي رِيَاءً عَمْتُ لُجَيْيًّا وَخَصْتُ آلَ تَجَامِ
فَلَا أَزَالُ إِلَيْكَ الدَّهْرَ مُنْقَطِعًا حَتَّى يُشِيدَ بِهَلْكَى مَقْعُ النَّاهِي

١٧٥ - كَير *

دخل عمارة^(١) بن حمزة على الهدي ، فلما استقرَّ به الجلوس ، قام رجل كان الهدي قد أعدّه ليهكّم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عمارة غصبني ضيعة - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها خراجاً - فقال الهدي لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخصم ؛ إن كانت الضيعة له قلت أنا زعمه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين . فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفّة الرجل ، وما كان لبسه ، وأين كان موضع جلوسه !

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، معجم الأدياب : ٥ - ٢٤٧
(١) مولی عبد الله بن عباس ، ثم مولی السجاح ، ثم مولی أبي جعفر للتصور ، وكان تياماً مجيئاً بنفسه ، جواداً كريماً ممدوحاً في شراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً وكان أعور دميماً . وكان للتصور والهدي يندساته ويمتثلان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه وولي لها أعمالاً كباراً .

١٧٦ - قنّاعة*

قال أبو دُفّ المِجَلِي :

ججبتُ فرأيت أبا المتاهية واقفاً على أعرابي في ظلِّ مِيلٍ^(١) ، وعليه قملة
إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجله بنا رأسه ؛ فقال أبو المتاهية :
يا هذا ؛ لولا أن الله أقنع بعض العباد بشر البلاد ، ما وسّع خير البلاد جميع
العباد ؛ ثم قال له : من أين معاشكم ؟ قال : منكم مشرّ الحلاج ؛ تمرّون بنا
فننال من فضولكم^(٢) ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنا نمرّ وتنصرف
في وقت من السنة ، فنأين معاشكم ؟ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لأأدرى
ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نحسب^(٣) أكثر مما نرزق من حيث نحسب ؛
فولى أبو المتاهية وهو يقول :

ألا يا طالب الدنيا دَعِ الدنيالْشَانِيكَ !
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ الليلِ بكفيكَا ؟

* الأناحي : ٤ - ٨٣ (طيبة دار الكتب) .

(١) الليل : منار بيني وبينك . (٢) فضول التمام : ما فضل منها . (٣) أى من حيث
لا نعلم .

١٧٧ — الرشيد وعبد الملك بن صالح*

رُفِعَ إلى الرشيد أن عبد الملك^(١) بن صالح يطلبُ الخلافة لنفسه ، ويطمعُ فيها ، وأن البرامكة كانوا له في ذلك عوناً ، وأيدَ هذه السعاية ابنُ عبد الرحمن بن عبد الملك وخادمُه قُمامة . فأحضر إلى الرشيد ، فلما دخل عليه قال : أكرماً بالنعمة وجُوراً بليلِ اللثة والتكرمة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد يوتُ إذن بالدم ، وتعرضت لاحتِلالِ النعم ، وماذا لك إلا بئى حاسدٍ نافسنى فيك للوذة والقراية ، وتقديمِ الولاية ؛ إنك يا أمير المؤمنين خليفَ رسول الله في أمته ، وأمينُه على عِقرته^(٢) ، لك عليهما فرضُ الطاعة وأمانُ النصيحة ، ولما عليك التدلُّ في حكمها والتفران قدنوبها .

قال الرشيد : أضعُ لى من لسانك ، وترفعُ لى من جنانك ! هذا كاتيك قُمامة يغيرُ ينك وفسادِ ينك ، فاسمِ كلامه !

قال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عَقْدِه ، ولله لا يقدِر أن يَمُصَّه^(٣) أو يهتَمَّ بما لم يهرُفْه منى . وأحضر قُمامة . فقال له الرشيد : قدَّم غيرِ هائب ولا خائف . قال قُمامة : أقول : إنه عازمٌ على اللندُر بك والخلافِ عليك ! قال عبد الملك :

* الحسن والساوى : ٤٦٦ • (طبع ليزج) • تاريخ الطبرى : ١٠ - ٨٩ ، المقد القريدي : ١٤٣ ، الكامل لابن الأثير : ٦ - ٧٧ ، زهر الأديب : ٢ - ٢٨٣

(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو من الباسيين في حجة الفلاح والنصور نسباً . ولله الرشيد المروء في التفرور ؛ فقام بذلك خير قيام ، إلى أن عزله الرشيد ، وحبسه بعد تكمية البرامكة سنة ١٨٧ هـ . (٢) الغرة : نزل الرجل ورحمته وصغيرته الأولون من مضى وغير . (٣) يقال : عضه فلاناً ؛ أى بهته وقال فيه ما لم يكن .

أهو كذلك بأقامة؟ قال : نعم ، قد أردت خنل^(١) أمير المؤمنين . قال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلفي ، وهو يبهتي في وجهي !

قاله الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بموتك ، وفساد بيتك ؟ ولو أردت أن أحجج عليك بحجة لم أجد أعذل من هذين لك ، فم تذهبها عنك ؟ قال عبد الملك : هو مأمور ، أو علق مجبور ، فإن كان مأموراً فمذور ، وإن كان علقاً فماجر كفور ، أخبر الله بدناوته وحذر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مَدُّوًا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » . فنهض الرشيد وهو يقول : أما أتركك قد وضح ، ولكنني لا أشجل حتى أعلم القى يرضى الله فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك . قال عبد الملك : رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ، فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يرده عليه الرشيد ! قال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحجج فيه ، قال الرشيد : لمة ؟ قال : لأن أوله جرى على غير السنة فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم ترد على السلام . أنصف نصمة العوام . قال الرشيد : السلام عليكم اقتداء بالسنة ، وإيثاراً للمهد ، واستمالة للقمية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر وقال : • أريد حياته ورؤيد قتل •

أما والله لكانى أنظر إلى شؤيوبها^(٢) قد هجم ، وطرضها^(٣) قد نبع ، وكأني

(١) خنل : خدمه . (٢) الشؤيوب : الدعة من اللار ، وهم : سأل . (٣) الطرض : السحاب المتعرض في الأفق .

بالوحي قد أوزى ناراً تسطع فأقطع عن برّاجم^(١) بلا معاصم ، ورموس
بلا غلام^(٢) . فهلا مهلا ، بي والله سهّل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ،
وألفت إليكم الأمور أزمها ، فذار لكم نزار اقبل حلول داهية ، خبوط باليد ،
كبوط^(٣) بالرجل !

قال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيا ولّك وفي رعبك التي
استرقاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا القلب موضع الثواب ؛ قد
نخلت لك النصيحة ، ومحضت لك الطاعة ، وشددت أواخي^(٤) ملكك بأهل
من ركني بئلم^(٥) ، وتركت عدوك مشتتلا ؛ فإله الله في رحلك أن تقطعه
بد أن يلقته^(٦) ، يظن أضح الكتاب يعضه^(٧) ، أو بيني باغر بنش العم ،
ويبلغ في الدم لقد والله سهّلت لك الوعر ، وذقت لك الأمور ، وجمت على
طاعتك القلوب في الصدور : فكمن من ليل تمام فيك كابدته ، ومقام ضيق لك
قمت اكا قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرجته بينان ولسان وجل
لو يوم القيل أو قباله^(٨) زلّ عن مثل مقامى وزحل^(٩)

قال له الرشيد : أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك ؛ ثم أمر
بجيشه ، فحسب عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : إن عبد الملك بن صالح

(١) البراجم : مفاصل الأصابع . (٢) التلامس : جمع غلصة ، وهي اللحم بين الرأس والحنق .
(٣) يقال : لبط به الأرض : أي ضرب . (٤) أولنى : جمع آخية : عروة تربط لك وتد مدبوق
وتند فيه الغاية . (٥) يلم : جبل من السلاط على ليلين . (٦) بقلته : لزمته . (٧) الضه :
الكذب والنية . (٨) القبال : صاحب القيل . (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج على ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك .

قال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ، ما علمتُ من عبد للآل على شيء من هذا ، ولو علمتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني ، والخير والشر كانا فيه على ولي ؛ فكيف يجوز لعبد للآل أن يطلع في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به بفعل بي أكثر من فعلك ! أعيدُك بالله أن تغلّب بي هذا الظن ؛ ولكن كان رجلاً محضاً ، يسهى أن يكون في أهلك مثله ، فوليته لِمَا أَحَدْتُ^(١) من منعه ، وملتُ إليه لأدبه واحمّاله .

فلما أتى الرسولُ الرشيد بهذا أعاده عليه : إن أنت لم تقرر على عبد للآل فعلتُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنت مسلط علينا فافضل ما شئت ، على أنه إذا كان من هذا الأمر شيء فالذهبُ فيه لي ، فيم يدخل الفضل في ذلك ! قال الرسول للفضل : قم ، فإنه لا بد لي من إغلاز أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاله ؛ فودّع أباه وقال له : ألسنتُ راضياً عنّي ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ، وفرق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جهمهما كما كانا .

(١) يقال : أحضت فلاناً ، وضيت منعه .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد*

كان هارون الرشيد يقتل أولاد طاعية وشيعتهم، وكان مسلم بن الوليد - صريح النوايا - قد رمى عنده بالتشيع؛ فأمر بطليه، فهرب منه، ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة، فهرب منه.

ثم وجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد؛ فلما أتى بهما قيل له: يا أمير المؤمنين؛ قد أتى بالرجلين. قال: أي الرجلين؟ قيل: أنس بن أبي شيخ، ومسلم ابن الوليد. قال: الحمد لله الذي أغفرني بهما. يا غلام؛ أخضرهما.

فلما دخل عليه نظر إلى مسلم وقد تغير لونه، فرق له، وقال: إيه يا مسلم! أنت القاتل:

أَنِسَ الْهَوَى يَبْنِي حُلْمًا فِي السُّلْطَا وَأَرَاهُ يَطْلُعُ عَنْ بَيْتِ الْمُبَاسِ
قال: بل أنا الذي أقول - يا أمير المؤمنين:

أَنِسَ الْهَوَى يَبْنِي السُّومَةَ فِي السُّلْطَا مَسْتُوحَةً مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ^(١)
وإذا تكاملت الفضائل كُفِّمُ أَوْتَى بِذَلِكَ يَابُنَى الْمُبَاسِ

فحب هارون الرشيد من سرعة بديته، وقال له بعض جلسائه: استبقه يا أمير المؤمنين، فإنه من أشعر الناس، وامتنعته، فسترى منه هجاء؛ فقال له: قل شيئاً في أنس. قال: يا أمير المؤمنين؛ أفرخ^(٢) رومي أفرخ الله روعك

* القند القريد: ١ - ٤٢٦، ديوان مسلم ٣٠١ (طبعة أوروبا).

(١) الأناس: الناس. (٢) أخضب رومي وزمى.

يوم الحاجة إلى ذلك ؛ فإني لم أدخل على الخليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تلفظ^(١) السيف من شوق إلى أنس فالتوت بلعظ والأقدار تنتظر
فليس يبلغ منه ما يؤمله حتى يؤاير فيه رأيك القدر
أمنى من الموت ؛ يعمو عند قدرته وليس للموت عفو حين يقتل
فأجله هارون وراء ظهره ، لتلا يرى ما هم به ، حتى إذا فرغ من قتل أنس
قال له : أنشدني أشعر شعرك ، فكلما فرغ من قصيدة قال : التي تقول فيها «الوحد»
فإني رويتها وأنا صغير ، فأنتله شعره الذي أوله :

أدبراً على الراح لا تشرباً قبلي ولا تطلباً من عند فأتلى دخل^(٢)
حتى انتهى إلى قوله :

إذا ما علك منسا ذؤابة شارب تمشت بنا مشى للتيد في الوحل
فضحك هارون ، وقال : عليك أما رضيت أن قيدته حتى يمشى في الوحل
ثم أمر له بمجازرة وخطى سبيله .

(١) أصل التلفظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتبع بجة الطعام بين أسنانه ، ويقال : تلفظت الحية : إذا أخرجت لسانها لتلفظ الأكل . (٢) القتل : الثأر .

١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد*

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ، فأنشده قصيدة حسنة ،
فاستقرأ به ^(١) الرشيد ؛ وقال : أَسَمَكَ مستحصناً ، وأَكْرَمَكَ مَهْماً ؟ لَئِنْ كُنْتُ
صَاحِبَ هَذَا الشَّعْرِ قَتَلْتُ فِي هَذَيْنِ - وَأَشَارَ إِلَى الْأَمِينِ وَالْأَمُونِ ، وَكَانَا جَالِسَيْنِ .
قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَمَّيْتُ عَلَى غَيْرِ الْجَدِّ ^(٢) هَيْبَةَ الْخِلَافَةِ ، وَوَحْشَةَ
النُّزْبَةِ ، وَرَوْعَةَ الْمَقَابِلَةِ ، وَجَلَالَةَ الْقَامِ ، وَصُوبَةَ الْبَدِيَةِ ، وَشُرُودَ الْقَوَائِي عَلَى
غَيْرِ الرُّوِيَةِ ، فَلْيُثْبِتْهُنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَتَأَمَّلَ نَافِرُ الْقَوْلِ !
قال الرشيد : لَا عَلَيْكَ إِلَّا قَوْلٌ ، قَدْ جَمَلْتُ اعْتِزَالَكَ عَوَضَ امْتِحَانِكَ !
قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَفَسْتُ ^(٣) الْخُلُقَ ، وَسَهَّلْتُ مَيْدَانَ السَّبَاقِ ، ثُمَّ قَالَ :
بَنَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ دُرّاً قَبِيلاً لِلْإِسْلَامِ فَاخْضَرَّ عَوْدُهَا
حَالِطُيْهَا ^(٤) بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَوْدُهَا
قال الرشيد : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ - سَلِّ ، وَلَا تَكُنْ مَسْأَلُكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قال : الْهَيْبَةُ ^(٥) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَأَمَرَ لَهُ بِهَا وَبِجِلْمِ نَفْسِهِ ، وَصَلَّى جَزِيَةً !

* زهر الآداب : ٤ - ١٥٣٠

(١) استقرأ به : رأى منه ما يريه . (٢) الجدد : ما استوى من الأرض وأصغر ، وللراد هنا الأمر السهل . (٣) نفست : فرجت . (٤) الطنب : جبل الجباء . (٥) الهيبة : اسم للثقة من الإبل .

١٨٠ — أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه*

قال المتأني : كنا باب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر
وتر ، وبيننا فتي^(١) يمدحنا ونجتمع إليه ؛ فيينا هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتني من بين أبوي ، وزعت أن لك صلة
بالملك ! قد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لي فأصرف
إلى أبوي فلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : اثنى بدواة وقرطاس ، فأناله بهما قعد ؛
فكتب رقعة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي
إليك .

فيينا نحن كذلك إذ جاء رجل يستأذن على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :
توصل رقتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحث
الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تمنيني فلت !
قال : قد ضلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى

* الأوراق للصلح : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاحق الذي نظم كتابه . ومنه شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد
عمرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خة آلاف دينار .

فاستغفره الخلاج وقال : إن رجلا يلدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !
 فأخذته الرقة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، قرأ منها سطرين وهو مستلق
 على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقة قراها ، فلما فرغ قال للعجائب :
 أين صاحب الرقة ؟ قال : أمر الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة مَنْ باللب ؛ قال
 للفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؛ يا غلام ! امسك القصر فناد أين مداح نفسه ؟ قام
 الغلام فصاح ؛ قام التقى من بيننا بنور رداء ولا حذاء !
 فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال :
 أنشدني ، فأنشأ التقى يقول :

أنا من بنيته^(١) الأمير وكنت من كنوز الأمير ذو أرباح
 كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح
 شاعر مثقن أخف من الرية عما يكون تحت الجناح^(٢)
 لي في الشعر فطنة واتقاد أنا فيه قلادة يوشاح
 ثم أروى من ابن سيرين ليلسهم بقول منور الإفصاح
 ثم أروى من ابن سيرين للشعر وقول التنبؤ والأملح
 وطريف الحديث في كل فن وبصير بقرعات اللآلح
 كم وكم قد خبات عندي حديثا هو عند اللوك كالفضاح

(١) من بنيته : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو استغفنه وامسغفه لرأى فيه شيئا كثيرا ، وقد عدد
 مزايا نفسه في الجين بعده . (٢) الداعر اللقي : للبدع ، وأخف الرين وأدله : ما يكون تحت
 الجناح ، وأراد بالحققة خفة الروح .

فَيَسْتَلِي تَحْطُو لِلْوَكْ وَتَلْهُو وَتَلْجِي فِي الشَّكْلِ الْقَدَاحِ
أَعْيُنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ تَسْدُو دُعَيْتُ أَوْ لَوَاحِ
أُبْصِرُ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالتَّكْلِيفِ وَبِالْفَرْدِ الْحَانَ الصَّبَاحِ
كُلُّ خَاذِعٍ جَمْتُ وَالْمُحْدَلِّهِ عَلَى أُنَى غَرِيفٍ لِلزَّاحِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ لِلشَّرِّ تَوْبِيهِ وَلَا لِلْإِنِّ انْتِلَاجِ الْوَقَاحِ
إِنْ رَى بَنِي الْأَمِيرِ أَصْلَحَهُ الْإِبْرَاحِ رِمَاحًا تَلَتْ حَدَّ الرَّمْلِ
مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لَوْ أَمْرِي سَيَدِي ذِي السَّلَاحِ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا .

قال له الفضل :

كاتب ، حاسب ، خطيب ، أديب ، ناصح زائد على الناصح ؟ !

قال : نعم ! أصلح الله الأمير ؟ قال الفضل : يا غلام ، الكتب التي وردت
من فارس أفتأتى بها ، فقال لفتى : خذها فاقْرأها وأجب عنها ، فجلس بين يدي
الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل بكن خيرًا لك ؟ قال : ههنا الرأي
أجمع ، بحيث الرغبة والرغبة .

فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأنما شقَّ عن قلبه ! قال
الفضل : يا غلام ، بدرة ، بدرة ، بدرة ^(١) ، قال الفتى لغلّام : أعز الله الأمير !
دنانير أو دراهم ؟ قال : دراهم . قال : دنانير يا غلام !

فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها . قال
الفتى : والله - أيها الأمير ، ما أنا بحمّال ، وما للحمل خلقت . فإن رأى الأمير أن

(١) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف .

يأمر بعض غلّاته بمحملها على أن الغلام لى ١ فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ،
فأشار التقى إليه : مكانك اثم قال : إن رأى الأمير - أبه الله أن يحمل الخيار إلى
في الغلمان كما فعل بين البذرّتين فل . قال : اختر ، فاختار من أحسنهم غلاما ،
فقال : احمل ، فلما صارت البذرّة على منكب الغلام بكى التقى ؟ فاستفزع الفضل
ذلك ، وقال : ويحك ! استقللا ؟ قال : لا - والله - أيدك الله ، وقد أكرّث ،
ولكن أسفأ أن الأرض نوارى منك . قال الفضل : هنا أجود من الأول ، يا غلام
زده كسوة .

١٨١ — المتابى عند المأمون*

كان كلثوم المتابى^(١) واقفاً ياباً للمأمون، فجاهد يحيى بن أكرم، قال له المتابى:
إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى أقال: لست بمحاجب! قال: قد علمتُ
ولكنك ذو فضل، وذو الفضل معوان! قال: سلكتُ فى غير طريق! قال:
إن الله قد أحفك بمجاهدة وصية منه، فهما مقيان عليك بالزيادة إن شكرت، وبالنقص
إن كفرت! وأنا لك اليوم خير منك لنفسك، أدعوك لما فيه زيادة نفسك وأنت
تأبى ذلك، ولكل شئ زكاة، وزكاة الجاه بذله للمستعين.

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر، فأدخل عليه المتابى، وفى المجلس إسحاق
ابن إبراهيم الموصلى، فأمره بالجلوس، وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه، فيجيبه
بلسان ناطق، فاستظرفه المأمون، وأخذ فى مداعبته.

فطن الشيخ أنه قد استغف به، قال: يا أمير المؤمنين، الإبناس^(٢) قبل
الإبناس، فاشتبه عليه قوله، فنظر إلى إسحاق، ثم قال: ألف دينار، فأبى بها
فوضعت بين يدى المتابى.

* المسمى: ٢ - ٣٢٣

(١) كان المتابى من أرض جند قنسين، وسكن الرقة، وكان من العلم والفراسة والأدب
والفرقة والنزول، وحسن النظم والكلام، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة
البيان، وحلاوة الخطابة وجودة الحفظ وصحة الترجمة على ما لم يكن لكثير من الناس فى عصره.
(٢) الإبناس: ضد الإبناس. والإبناس: الرقى بالثافة عند الحب، وهو أن يقال:
بس بس، وهو مثل يضرب فى العبارة عند الغضب.

ثم دعا إلى المارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاق بالبحث به ، فأقبل إسحاق
يمارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه ؛ فنجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ،
ثم قال المتابي : أباذنُ أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه؟ فأذن له .
قال المتابي : من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » !
قال له المتابي : أمّا النسبةُ فقد عرفتُ ، وأما الاسمُ فنكر ! وما « كل بصل »
من الأسماء ؟ قال له إسحاق : ما أقلُّ إنصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب
من الثوم !

قال المتابي : فانتك الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوة ، أباذنُ أمير المؤمنين في
صليته بما وصّني به ؟ قد - والله - غلبني !
قال له المأمون : بل ذلك مؤفّر عليك ، ونأمُرُ له بمشله ، فانصرف إسحاق
إلى منزله ، ونادّمه ببقية يومه .

١٨٧ — أبو تمام والأعرابي *

قال أبو تمام البطاني : خرجتُ يوماً إلى سُرٍّ من رأى ، حين ولى الواثقُ ،
فلقيني أعرابي وقد قربتُ منها ، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها ،
فغاطبته ، فلذا أضغح الناس وأقسطهم .

قلتُ : بمن الرجلُ ؟ قال : من بنى عامر . قلت : كيف علمك بأمر المؤمنين ؟
قال : قتلُ ^(١) أرضاً عالمها ! قلت : فاقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،
أشعَى ^(٢) العاصية ، وقمع العادية ، وعدل في الرعية .

قلت : فاقول في أحمد بن أبي دواد ^(٣) ؟ قال : عصابة لا ترام ، وجندة ^(٤)
لا تضام ، تُشعّد له للهدى ، ويُجبل ^(٥) له الأشرار ، وتبقى له النوائل ، حتى إذا
قيل : كئن قد ، وثب وثبة القذئب ، وحُكّل حُكْل ^(٦) الضب .

قلت : فاقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الهاني شره ، وقفل البعيد

● أخبار أبي تمام للمصنف : ٨٩

- (١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه : أن الرجل -تمام- بالأرض عند ساركها يتكلمها ويطلبها
بطله ؛ يضرب في مدح العلم . (٢) أحجيته : أوفته في حزن . وفيه . (٣) أحمد بن أبي
دواد : كان نصيحاً مفعولاً ، شاعراً جواداً مدحاً ، رأساً في النجوم ، وهو الذي هب على الإمام
أحمد بن حنبل وأقن يخطه ، وكان مستزلياً ، له القول التام عند المؤمنين والضعف ، وهو أول من
بدأ الخلفاء بالكلام ؛ وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجدة . توفي بالبحيرة سنة ٢٤٠ هـ .
(٤) الجندل : ما يهل الرجل من المجاعة . وقيل : الجبركة ؛ الواحدة جندة .
(٥) حبل الصيد حبالاً : أخذه وصاده بالمجاعة أو نضها له ، (٦) حُكْل : خذل . خدع .

صَرَّهٗ ، له كلُّ يومٍ صرغٌ لا يُرى فيه أثرُ نابٍ ، ولا تدبُّ محلبٌ^(١) .

قلت : فما قول في عمرو^(٢) بن فرج ؟ قال : ضخمُ لهم^(٣) ، مستندبٌ للقم .

قلت : فما قول في الفضل بن مروان - واستندبتُ خطابَه - قال : ذاك رجلٌ كثيرٌ بعد ما قُتِرَ ، فليهِ حياةُ الأحياءِ وخَفَعَةُ اللوى .

قلت : فما قول في أبي الوزر ؟ قال : كبشُ الزنادقةِ ؛ ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله سنح ورنح ، فإذا مرَّه أمطر فأمرع .

قلت : فابنُ النصيب ؟ قال : أكلُ أكلةِ نهمٍ ، فذرقَ ذُرَّةَ نهمٍ^(٤) .
قلت : فما قول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشمرون
أَيَّانَ يُيَمِّنُونَ .

قلت : فما قول في ابنِ إسرائيل ؟ قال : لله ذره أَى قتل^(٥) هو أ غرس
في منابت الكرم ، حتى إذا اعتزَّ لم حصلوه .

قلت : فما قول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أَوْبَقَهُ^(٦) كرمُه ، وأسلفه حسبه ،
وله معروفٌ لا يُسْلِمُه ، وربٌّ لا يَحْذُلُه ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما قول في نجاح بن سلمة ؟ قل : لله ذره أ أى طالب وقر ومُذْرِك
فأر أ يتلمَّب كأنه شملة نار ، له من الخليفة جلسةٌ تزيل نسيماً ، وتُحيل هيمًا .

(١) التمدب : جمع تدب . ومعنى أثر الجرح الباقي على الجند . (٢) عمرو بن فرج : كان من
عليه الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ . (٣) الهم : الرغيب الرأى ، الجواد ،
الطيب الكفاية . (٤) النهم : النخعة . (٥) القتل : اللعان السرم القتل وهو انتحاره .
(٦) أوبقه : ذلله وأسلكه .

قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفرأ ، إذا اشتعل النضلام نجينا
أدركني الرقادُ وقتتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل السكر ؟ قال : لا أخلق وجهي بمسألهم ،
أو ماسمت قول هذا الفتي الطائي ، الذي قد ملأ الدنيا شمره :

وما أبا لي - وخير القول - أصدق - حفت لي ماموحي أو حفت دمي

قلت : فإني الطائي قاتل هذا الشمر ! فدنا مبادراً فهاهني ، وقال : لله أبوك !
ألسن الذي يقول :

ملجود كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي إذا أخفقت عيوض

قلت : نعم ، قال : أنت والله أشمر أهل الزمان .

فرجعت بالأعرابي معي إلى ابن أبي حواد ، وحدثته بحديثه ، فأدخله إلى
الوائقي ، فسأله عن خبره معي ، فأخبره به ، فأمر له بمال ، وأحسن إليه ، ووهب له
أحمد بن أبي حواد ، فكان يقول : قد عظم الله بركتك علي !

١٨٣ - امتحان شاعر *

كان صاعد^(١) بين يدي للنصور بن أبي عامر ، فأخضرت إليه وردةً في غير وقتها لم ينتم فتح ورقها ، قال صاعد مرتجلاً :

أنتك أبا عامر وردةً يذكرك لك أغانسها
كغذراء أبصرها مبصرٌ فطقت بأكلها رأسها

فسرّ بذلك للنصور ، وكان ابنُ العريف حاضراً غلده ، وقال لابن أبي عامر :
هذان البيتان لنيره ، وقد أنشدنيها بعضُ البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهرِ كتاب بخطه !

قال له للنصور : أرنيه . ففرج ابنُ العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسنَ أهلِ زمانه بلبسة ، فوصف له ما جرى ، فقال هذه الأبيات ودرسَ فيها يتي صاعد :

غلوت إلى قصر عياسة وقد جدل^(٢) النوم حُرأسها
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع^(٣) السكر أناسها
قالت : أسأري على هَجَمَةٍ^(٤) قلت : بلى فَرَمَت كاسها
ومدت يديها إلى وردةٍ يحاكى لك الطيبُ أغانسها

* فتح الطيب : ٧ - ٨٩

- (١) هو أبو الغلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى القنوى ، وأسلمه من الموصل ، وهو من الراشدين إلى الأندلس ، وكان شديد البلية في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً . توفى سنة ١٧ هـ .
(٢) جدله : صرعه . - (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً . - (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كَمَدَرَاءُ أَبْصَرَهَا مَبْعَرٌ فَطَلَّتْ بِأَكْلَمِهَا رَأْسَهَا
فَارَ ابْنُ الْعَرِيفِ بِهَا ، وَعَلَّقَهَا عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ بِحُطْرٍ مِصْرِي ، وَمِدَادٍ أَشْقَرُ ،
وَدَخَلَ بِهَا عَلَى النَّصُورِ .

فَلَمَّا رَأَاهَا اشْتَدَّ غَيْظُهُ عَلَى صَاعِدٍ ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : غَدًا أَمْصَعُهُ ، فَإِنْ فَضَحَهُ
الْإِمْتِعَانُ أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَوْضِعٍ لِي عَلَيْهِ سُلْطَانٌ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ وَأَحْضَرَ جَمِيعَ التَّنْمَاءِ ، فَخَلَّ بِهُمْ إِلَى مَجْلِسٍ ،
قَدْ أَعَدَّ فِيهِ طَبَقًا عَظِيمًا ، فِيهِ سَقَافٌ مَصْنُوعَةٌ مِنْ جَمِيعِ الدَّوَابِّ . وَوَضَعَ عَلَى السَّقَافِ
لَبْسًا مِنْ يَاسَمِينَ فِي شَكْلِ الْجَوَارِي ، وَتَحْتَ السَّقَافِ بَرَكَةَ مَاءٍ ، قَدْ أَلْقَى فِيهَا اللَّائِيَّ
مِثْلَ الْحَصْبَاءِ ، وَفِي الْبَرَكَةِ حَيَّةٌ تَسْبَحُ .

فَلَمَّا دَخَلَ صَاعِدٌ وَرَأَى الطَّبَقَ ، قَالَ لَهُ النَّصُورُ : إِنْ هَذَا يَوْمٌ إِمَّا أَنْ تَسْدَ فِيهِ
مَعْنَا ، وَإِمَّا أَنْ تَشْقَى بِهِ عِنْدَنَا ، لِأَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنْ كُلَّ مَا تَأْتِي بِهِ دَعْوَى ، وَقَدْ وَفَّقْتُ
مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَةٍ ؛ وَهَذَا طَبَقٌ مَا تَوَعَّيْتُ أَنَّهُ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيَّ مَلِكٌ قَبْلَ شَكْلِهِ ؛
فَصِفْهُ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ ، قَالَ صَاعِدٌ بِدِيبَةِ :

أَبَا عَامِرٍ هَلْ غَيْرُ جِدْوَاكَ ^(١) وَكَفَّ ^(٢) وَهَلْ غَيْرُ مَنْ عَادَاكَ فِي الْأَرْضِ خَائِفٌ
يَسُوقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلَّ غَرِيبَةٍ وَأَعْجَبُ مَا يَلْقَاهُ عِنْدَكَ وَاصِفٌ
وَشَائِعٌ ^(٣) تَوَدَّ صَانِعُهَا هَامِرُ الْحَيَا ^(٤) عَلَى حَافَتِهَا عَجَبٌ ^(٥) وَرِفَارٌ ^(٦)
وَلَمَّا تَنَاهَى الْحَسَنُ فِيهَا قَابَلَتْ عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاهِي الرِّمَافِ

(١) وكف : قطر . (٢) الوضعية : كل لفظة وجها وهاج . (٣) الميا : القطر .
(٤) البهر : الياسمين . (٥) الرزف : الرزف يوضع عليه طرائف البيت وجهه وطارف .

كَيْتَلُ الظِّبَاءِ السَّكَنَةِ كُنَّا نُظَلِّلُهَا بِالْيَسَمِينِ السَّقَافِ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةٍ ضُمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَافِ
حَصَلَهَا اللَّالَى ، سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا مِنْ الرُّقَشِ مَسْمُومُ اثْنَتَايِنِ زَاحِفِ
تَرَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي حَنَابِهَا مِنْ الْوَحْشِ حَتَّى يَنْهِنَ السَّلَاحِ

فَاسْتَفْرِجَتْ لَهُ يَوْمَئِذٍ نَازِلَةُ الْبَيْتِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَهَكَذَا النَّصُورُ
بِحُطَّةٍ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنْ تِلْكَ السَّقَافِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفٍ
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، قَالَتْ لَهُ النَّصُورُ : أَحْسَنْتِ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ
وَالْجَارِيَةِ ، قَالَتْ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ مَكَلَّلَةٌ نَصِيرُ إِلَيْهَا الْهَامَفُ^(١)
إِذَا رَاها مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَقَعَى بِسَكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ الْمَوَاصِفُ
مَقَى كَانَتْ الْحَنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبِ نُصْرَفُ فِي عَيْنِي يَدُهُ الْجِذَافُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَذِيقَةٍ تَنْقَلِبُ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَاصِفُ
وَلَا غُرُو أَنْ سَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً وَشَتَّى أَزَاهِيرَ الرِّبَا وَالزَّخَافِ
إِذَا قَلَّتْ قَوْلًا أَوْ بَدَعَتْ بِدِيهَةِ فَكِلْتَا لِي ، إِنْ لِحْدِكَ وَاصِفُ

فَأَمَرُ لَهُ النَّصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا
وَأَلْحَقَهُ بِاللِّدْمَاءِ .

(١) غِلَظَةٌ يَهْتَفُ بِهَا : يَذْكُرُ جَمَالَهَا .

١٨٤ - والله ما ابتليت بخلك قط*

نزل بأمرأة رجل من العرب، وللراثة من بنى عامر، فأكرمه وأحسنت قواه^(١)، فلما أراد الرحيل تمثل بيت يهجوها فيه :

لعمرك ما تنبئ سرايل^(٢) عامر من القوم مادامت عليها جلودها
فلما أنشده قالت لجارتها : قولى له : ألم تحسن إليك ، وتفضل ، وتفضل ؟
هل رأيت قصيرا ؟ قال : لا . قالت : فاحكك على البيت ؟ قال : جرى على لساني .
فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية ، فحدثته حتى أنيس وأطمان ،
ثم قالت له : بمن أنت وابن عم ؟ قال : رجل من تميم . قالت : أنعرف القى يقول :
تميم بطرق القوم أهدى من الصفا^(٣) ولو سلكت سبيل للكلام صلت
أرى الليل يملؤهم النهار ولا أرى خلال^(٤) الخنازى عن تميم تجلت
قال : لا ، والله ، ما أنا من تميم . قالت : ما أقيح الكذب بأهلك فمن أنت ؟
قال : رجل من ضبة . قالت : أنعرف القى يقول :

لقد زرقت حينك يا بن مكمبر كما كل ضبي من القوم أزرق
قال : لا ، والله ما أنا من بنى ضبة . قالت : فمن ؟ قال : من بنى جمل . قالت :
أنعرف القتائل :

أرى الناس يسلون الجزيل^(٥) وإنما عطاه بنى جمل ثلاث وأربع
إذا مات عجل بأرض وإنما يحط له فيها ذراع وإصبع

* طبقات العاقبة : ١ - ٢٦٨

(١) القرى : ما يقدم للضيف . (٢) سرايل : جمع سرايل ؛ وهو القيس ، أو الدوح ، أو كل ما ليس . (٣) الصفا : ملازم . (٤) خلال : خصال . (٥) الجزيل : الكثير .

قال : لا ، والله ما أنا من بنى عجل . قالت : فمن ؟ قال : من بنى عبس ،
قالت : أخصف القاتل :

إذا عبيةً ولدت غلامًا فبشرها بلولم^(١) مستفاد

قال : لا ، والله ما أنا من بنى عبس . قالت : فمن ؟ قال : من بنى نمير .
قالت : أخصف القاتل :

فخصّ الطرف إنك من نمير فلا كبا بلغت ولا كلابا

قال : لا ، والله ما أنا من بنى نمير . قالت : فمن ؟ قال : من بنى باهلة .
قالت : أخصف القاتل :

إذا نص^(٢) الكرام إلى المالى تنصى الباهلى عن الزحام

إذا ولدت حليّة^(٣) باهلى غلاما زيد فى عدد الثام

قال : لا ، والله ما أنا من باهلة . قالت : فمن ؟ قال : من خزاعة . قالت :
أخصف القاتل :

إذا غرت خزاعة فى ندى^(٤) وجدنا نغرها شرب الخور

وباعت كعبة الرحمن جهلا برزق^(٥) بئس مفتخر الفجور

قال : لا ، والله ما أنا من خزاعة . قالت : فمن ؟ قال : من عذرة . قالت :
أخصف القاتل :

ما كنت أخشى وإن كان الزمان لنا زمان سوء بأن تفتابنى عذرة

فلست من وائل إن كنت ذا حذر ممن يضل كما قد ضلت الحرزة^(٥)

(١) بلولم : البخل . (٢) نص : رفع . (٣) حليّة : زوجة . (٤) ندى : الندى :
جلس القوم ويستمعونهم . (٥) الحرزة : خيال للال .

قال : لا ، والله ما أنا من عترة . قالت : فمن ؟ قال : من همدان . قالت :
أُتُرف القاتل :

إذا همدان دارت يوم حرب رحلها فوق هلمت^(١) الرجال
رأيتهم يحشون الطايا سراعا هللين من القتال
قال : لا ، والله ما أنا من همدان . قالت : فمن ؟ قال : من نهد . قالت :
أُتُرف القاتل :

نهدٌ لثام إذا ما حلّ ضيفهم سود وجوههم كالزُفْتِ والثار
وللسنيث ينهد عند كربه^(٢) كالستجير من الرّمضاء^(٣) بالنار
قال : لا ، والله ما أنا من نهد . قالت : فمن ؟ قال : من قضاة . قالت :
أُتُرف القاتل :

لا يفخرن قضاى* بأسرتهم ليس من يمن نعضا^(٤) ولا مضر
مُذَبِّذِينَ فَلَا قِطْلانُ واللهم ولا تزار فسيئهم إلى سقر^(٥)
قال : لا ، والله ما أنا من قضاة . قالت : فمن ؟ قال : من ذهل . قالت :
أُتُرف القاتل :

إن ذهلا لا يسد الله ذُهلا شرّ جبل يُنْطَلُ تحت السماء
قال : لا ، والله ما أنا من ذهل . قالت : فمن ؟ قال : من مزينة . قالت :
أُتُرف القاتل :

وهل مُزينة إلا من قبيلة لا يُرتجى كرم فيها ولا دين

(١) هامات : جمع حامة : الرأس . (٢) كربه : الكربة : الثم الذي يأخذ بالفس .
(٣) الرّمضاء : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره . والأرض رمضاء . (٤) نعضا : غالسا .
(٥) سقر : النار .

قال : لا ، والله ما أنا من مزينة . قالت : فمن ؟ قال : من النفع . قالت :
أخصرف القاتل :

إذا النفع اللثامُ عدواً جيماً تدكدكت الجبالُ من الزحام
وما يُني إذا صدقت فتيلاً^(١) ولا هي في الصميم من الكرام
قال : لا ، والله ما أنا من النفع . قالت : فمن ؟ قال : من علم . قالت :
أخصرف القاتل :

إذا ما أحيى قوم بفضلٍ قديمهم تباعد غفرُ الجودِ عن علم أجما
قال : لا ، والله ما أنا من علم . قالت : فمن ؟ قال : من كلب . قالت :
أخصرف القاتل :

فلا تفرينَ كلباً ولا بلبَ دارِها ولا يطمئن سائر^(٢) يرى ضوء نارها
قال : لا ، والله ما أنا من كلب . قالت : فمن ؟ قال : من بنى سليم . قالت :
أخصرف القاتل :

إذا ما سليمٌ جثها في مِلَّة رجعت كما قد جثت خزائنُ نارِها
قال : لا ، والله ما أنا من سليم . قالت : فمن ؟ قال : من اللوالم . قالت :
أخصرف القاتل :

ألا من أراد القومَ والتعش والتعنا^(٣) فسد للوالم الجيدُ والكفان
قال : لا ، والله ما أنا من اللوالم . قلت : فمن ؟ قال : رجل من وهلم .
قال : أخصرف القاتل :

ولا تنكحوا أولاد حامٍ فإنهم مشاوية خلق الله حاشا ابن أكرم

(١) فتيلاً : التخليل : ما يكون في حق الترواة .

(٢) السرى : السائر بالليل . (٣) الحنا : التعش .

قال : لا ، والله ما أنا من حام . قالت : فمن ؟ قال : رجل من الشيطان الرجيم .
قالت : فليكن لعنهُ الله ، وعلى الشيطان الرجيم . أضرف القى يقول :
ألا يا عبادَ الله هذا عدوكم وذو ابنِ عدو الله إبليس خاستنا^(١)
قال : الله ! الله ! أقبليو العنَّة^(٢) ، فوالله ما اجليت بذلك قط^٤ .

(١) خاستنا : مطرودا . (٢) العنَّة : الزنة والشد .

قهر من القصص

الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشماثل في الأسباب الفائرة
بينهم، وتبين ما اشتهروا في مواسمهم وأعيادهم، وأفراحهم وأحزاسهم؛ مما يمثل حياتهم
الاجتماعية أصلى تمثيل :

رقم القصة	رقم الصفحة	الشؤون
١	٨	شب عمرو عن الطوق
٢	١٠	الحديث ذو شجون
٣	١١	جوع كلبك بقبلك
٤	١٢	عند جهينة الخير اليقين
٥	١٤	يحيى الصعاب إذا تكون كريمة
٦	١٧	تأبط شرأ وابن براق
٧	١٩	أنتك بمائن رجلاه
٨	٢٢	السليك بن السلكة ورفيقاه
٩	٢٤	السليك يقتل ونهب
١٠	٢٥	السخي العداء
١١	٢٨	زيد الغليل
١٢	٣١	وأد البنات
١٣	٣٢	أعجب السرقات
١٤	٣٦	أعرابي في عرس
١٥	٤٠	أطيب الطعام
١٦	٤٣	جملتر

رقم الصفحة	رقم القصة	العنوان
٤٥	١٧	صديقاً ابن سُرُج على قبره
٤٨	١٨	قوة وبطش
٥٠	١٩	لا ترضوا لهذا الشيطان
٥٢	٢٠	هلال يُصارع عبداً جباراً
٥٤	٢١	حديث عن التريين
٥٧	٢٢	المصا
٦٠	٢٣	ضرار بن التتاع

الباب الثاني

التنصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه في تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومماوتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسى في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معام الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد :

رقم الصفحة	رقم القصة	العنوان
٦٢	٢٤	مصرع الزبابة
٦٨	٢٥	تبع الله جبالاً لا ضع فيه
٧١	٢٦	أفضل النساء وأفضل الرجال
٧٣	٢٧	نكبة جليّة
٧٥	٢٨	كأنما تزوجت قيس بن خالد
٧٨	٢٩	ما وراءك بأعصام ؟
٨١	٣٠	لا أتزوج إلا من كرم
٨٤	٣١	سببة عروة بن الورد
٨٦	٣٢	لو كان النساء كمثل هذى !
٨٩	٣٣	بنت حاتم الطائي

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٣٤	٩٠	أيتهما أعظم العرب مصيبة ؟
٣٥	٩٢	شجاعة صفية بنت عبد المطلب
٣٦	٩٣	الخنساء عند عائشة
٣٧	٩٤	إله حمير !
٣٨	٩٥	كذلك للهو !
٣٩	٩٦	لا تنهي بنفسك عن الحق
٤٠	٩٨	النفرة يخطب بنت النعمان
٤١	٩٩	ولقد أبيت على الطوى
٤٢	١٠٤	أبو الأسود الدؤلى وزوجه
٤٣	١٠٦	إن قريناً تحدث أنك من أهلها
٤٤	١١١	سودة بنت حمارة عند معاوية
٤٥	١١٤	مثلث من قدر فضا
٤٦	١١٧	نبهكم على !
٤٧	١١٩	وهل أحل عندك عمل على ؟
٤٨	١٢١	نبحق كلابك !
٤٩	١٢٣	أزوى بنت الحارث
٥٠	١٢٦	أم سنان تشكو مروان
٥١	١٢٩	لى الأخيلية عند مروان
٥٢	١٣٢	أم
٥٣	١٣٤	التلطف فى السؤال
٥٤	١٣٥	نساء بنى تميم
٥٥	١٣٨	لى الأخيلية عند الحجاج
٥٦	١٤٤	الحجاج يخالف حجاباه

رقم القصة	رقم الصفحة	التراجم
٥٧	١٤٥	أسد على وقى الحروب ندامة
٥٨	١٤٧	الصحراء عند سكينه بنت الحسين
٥٩	١٥٢	الفرزدق وسكينه بنت الحسين
٦٠	١٥٤	يوم عند امرأة من بنى أمية
٦١	١٥٨	حديث عائشة بنت طلحة مع النخعي
٦٢	١٦١	أريد أن تقتلني !
٦٣	١٦٥	بعد أن ذهب للكم
٦٤	١٦٨	أم أمير المؤمنين بالباب
٦٥	١٧٢	كرم يجمع بين زوجين
٦٦	١٧٤	أعرابية على قبر زوجها
٦٧	١٧٥	على قبور النعمانيين
٦٨	١٧٦	الحق أنطقها وأخرسه
٦٩	١٧٩	أجارها ثم تزوجها
٧٠	١٨٤	كيف ربت ابنها
٧١	١٨٥	خائف وجد مأمنا
٧٢	١٨٨	نحن إلى وطنها
٧٣	١٨٨	سئمت حياي حين فارقت قبره
٧٤	١٩٠	للكلمة بالقرآن

الباب الثالث

التصميم التي تمثل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة منطقهم ، وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ، وبلاغة اللفظ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير:

رقم الصفحة	رقم الصفحة	العنوان
٧٥	١٩٤	بنو أسد وأمرؤ القيس
٧٦	١٩٧	خاتمة الأعشى
٧٧	١٩٩	رثاء فوق قبر
٧٨	٢٠٠	يمثل هذا طيئ على اللوك
٧٩	٢٠٤	عقبة وأعرابي
٨٠	٢٠٥	إن من البيان لسحراً
٨١	٢٠٦	عبد الله بن عباس والحليّة
٨٢	٢٠٨	طريد لسانه
٨٣	٢١٦	عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب
٨٤	٢١٨	عمر بن أبي ربيعة وجميل
٨٥	٢٢٠	لشعر عمر بن أبي ربيعة نوبة بالقلب
٨٦	٢٢٢	ابن السّيب يفخر بصاحبه
٨٧	٢٢٣	أعشى همدان يهجو ويمدح
٨٨	٢٢٥	أشجع الناس شعراً
٨٩	٢٢٧	الحجاج على قبر ابنه
٩٠	٢٢٨	إن صدقتك أغضبتك
٩١	٢٢٩	الحجاج ينقلب
٩٢	٢٣١	جميل أشعر الناس
٩٣	٢٣٢	من أشعر الناس

رقم الصفحة	رقم الصفحة	الموضوع
٩٤	٢٣٦	الشعبي عند عبد الملك بن مروان
٩٥	٢٣٨	تلطف عبد الله بن الحجاج
٩٦	٢٤١	نصيب عند عبد العزيز بن مروان
٩٧	٢٤٥	سليمان بن عبد الملك وحميه
٩٨	٢٤٦	عقيد الندي
٩٩	٢٤٨	خليفة يطلى الفقراء ويمنع الشعراء
١٠٠	٢٥٢	الشعراء عند عمر بن عبد العزيز
١٠١	٢٥٧	إيجاز في القتال وبلاغة في البيان
١٠٢	٢٥٩	سميت فأحكديت ، ووجت فرزقت
١٠٣	٢٦٠	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
١٠٤	٢٦٢	واعظ للوك
١٠٥	٢٦٦	إن خالداً أدل فأمل
١٠٦	٢٦٧	أبو النجم عند هشام بن عبد الملك
١٠٧	٢٧١	لا يعرف الكلام إلا بنشره
١٠٨	٢٧٣	أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك
١٠٩	٢٧٤	شاعر بني هاتم
١١٠	٢٧٨	إن يميني ينال شؤمك
١١١	٢٨٠	قتلهم الشعر.
١١٢	٢٨٢	النصور أسقى بشر طريف
١١٣	٢٨٤	الحبة مفتاح كل خير
١١٤	٢٩٥	للتصور والشعراء
١١٥	٢٩٧	المزمل يمدح المهدي

رقم النسخة	رقم الصفحة	النزول
١١٦	٢٩٠	مدائح وعطايا
١١٧	٢٩٦	فصاحة نصيب المباسى
١١٨	٢٩٨	أنته الخلقة مفقادة
١١٩	٣٠٠	صريح التوائى
١٢٠	٣٠٣	الرشيد وابن منافذ
١٢١	٣٠٥	ريضة الرقى يمسح فلا يثاب
١٢٢	٣٠٨	شاعران بين يدى الرشيد
١٢٣	٣١٠	ييا بك أنزلت حاجق
١٢٤	٣١٢	الفكك فى البيع خير من خيانة الشريك
١٢٥	٣١٣	باتت تعمري الإقطار والعما
١٢٦	٣١٥	سكنت عني والله الحلى ا
١٢٧	٣١٦	مجهوز تشد الأصمى
١٢٨	٣١٨	الأصمى وبيض الأعراب
١٢٩	٣٢١	شعر مرتجل
١٣٠	٣٢٣	هوت على الغزل
١٣١	٣٢٥	أرى الأيام لا تدنى الذى أرنجى
١٣٢	٣٢٧	حديث عن دعبل
١٣٣	٣٢٩	دعبل عند والى مصر
١٣٤	٣٣٢	دعبل وعلى الرضا
١٣٥	٣٣٤	سجدوا لشعره
١٣٦	٣٣٦	إنما الدنيا أبو دلف
١٣٧	٣٣٩	مدحة شاعر عطية أمير

رقم الصفحة	رقم الفص	النون
٣٤١	١٣٨	بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر
٣٤٣	١٣٩	لا يجيبك من صون ثيابه خوف النبار ومرضه منبول
٣٤٧	١٤٠	سماية
٣٤٩	١٤١	أشعر من بالشلم والوراق
٣٥١	١٤٢	ابن جلتع بنشد المتضد شعره

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحمهم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم للسكتة ،
وتصرفاتهم الحكيمة ، ومخاطباتهم اللينة ، بما يدل على حضور القمن ، وسرعة البليهة
وشدة المارضة :

رقم الصفحة	رقم الفص	النون
٣٥٤	١٤٣	حسان بن ثابت والناظفة
٣٥٦	١٤٤	أية أخلاق كانت للعرب في الجبلية ا
٣٦٠	١٤٥	مسلم يحتال على قريش
٣٦٢	١٤٦	إننا أنكم ككرم قوم فأكرموه
٣٦٣	١٤٧	ما رأيته لأحى أحدا إلا غلبه
٣٦٦	١٤٨	المتيرة بن شعبة وأحد الأعراب
٣٦٨	١٤٩	دهاء عمرو بن المايس
٣٧٢	١٥٠	بين معاوية وهاني بن عروة
٣٧٣	١٥١	إن هذا المبد غلبني وغلبك
٣٧٤	١٥٢	ما عليه لو مرض
٣٧٦	١٥٣	لا يأتينا غير طالب قه أو طالب فضل
٣٧٨	١٥٤	ابن أبي محجن عند معاوية

رقم القصة	رقم الصفحة	النوادر
١٥٥	٣٧٩	ذكرتني يوم النسخ في الصور
١٥٦	٣٨٢	أعرابى عند الحجاج
١٥٧	٣٨٣	دعائى من هو خير منك
١٥٨	٣٨٤	أنت إلى القبر أقرب منك إلى المغو
١٥٩	٣٨٥	ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب
١٦٠	٣٨٦	الحجاج وأنس بن مالك
١٦١	٣٨٧	الحجاج والنضبان بن التبشرى
١٦٢	٣٩٧	حسن تخلص
١٦٣	٣٩٨	بثينة ومزة عند عبد الملك
١٦٤	٣٩٩	من أشعر الناس ؟
١٦٥	٤٠٠	سليمان بن عبد الملك وأبو حازم
١٦٦	٤٠٤	ضمه من النار حيث شئت
١٦٧	٤٠٥	مناظرة مع الخوارج
١٦٨	٤٠٦	ليس الأمر بالنن
١٦٩	٤٠٩	بنو أمية وحمز بن عبد المزز
١٧٠	٤١٢	في وفاة عمر بن عبد المزز
١٧١	٤١٣	رأى خالد بن صفوان في الشعراء
١٧٢	٤١٥	النصور وابن طلوس
١٧٣	٤١٦	بشيعة ممن
١٧٤	٤١٧	؛ سول ممن
١٧٥	٤٢٠	كبير ا
١٧٦	٤٢١	فتاعة

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٧٧	٤٢٢	الرشيد وعبد الملك بن صالح
١٧٨	٤٢٦	هارون الرشيد ومسلم بن الوليد
١٧٩	٤٢٨	شاهر يطلع في حضرة الرشيد
١٨٠	٤٢٩	أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه
١٨١	٤٣٣	الغائب عند المؤمن
١٨٢	٤٣٥	أبو تمام يصنّف خطاب أعرابي
١٨٣	٤٣٨	امتحان شاهر
١٨٤	٤٤١	والله ما بليت يخطّ خط

فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي قحافة (الصدیق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٣٣١ ، ٤٣٥

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو ذلف الجلی : ٣٣٧ ، ٣٣٦ ،

٣٣٩ ، ٤٢١

أبو دلامة : ٢٧٨

أبو سفيان بن حرب : ١٩٧

أبو القیس : ٣٣٤

أبو العباس السفاح (الخليفة العباسي) :

١٦١ ، ٢٨٠

أبو المتاعية : ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

أبو العلاء المعري : ٣٤٩

أبو العيثيل : ٣٤١

أبو كبير الهذلي : ٤١

أبو النعم الجلي : ٣٦٧

أبو نصر النذري : ٣٤٩

(١)

إبراهيم بن دليح : ٤٣٦

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهيم بن الدبر : ١٧٨

إبراهيم بن الهادي : ٣٢٥

إبراهيم بن ميسون : ١٧٢

إبراهيم بن همة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دباكل : ٤٥

ابن أبي محجن : ٣٧٦

ابن جاح : ٣٥١

ابن سريج اللقي : ٤٥

ابن طالوت : ٣٤٣

ابن طلوس : ٤١٥

ابن العريف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلي : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أملعة بنت خزرج : ١٨٥	أبو نواس : ٣٣٤ ، ٣٠٤
اسم القيس بن حجر : ١٩٤	أحمد بن أبي خالد : ١٧٨
أم البتيث بنت عبد الملك بن	أحمد بن أبي دواد : ٤٣٥
مروان : ١٤٥	أحمد بن السراج : ٣٢٩
أم الظفر بنت الحريش : ١٠٦	الأحنف بن قيس : ٢١٢
أم سلة بنت يعقوب : ١٦١	الأحوص : ٢٤٩ ، ١٥٤
أم سنان بنت خيثمة للنجبية :	الأخطل : ٢٢٢ ، ٢٥٠
١٢٦	الأخض بن كعب : ١٢
أم حاصم بنت حاصم بن هرير	الأراكة (قبيلة ابن مفرغ) : ٢١٠
الخطاب : ٩٤	أروى بنت الحارث : ١٢٣
أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦	إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : ٤٣٣
أنس بن مالك : ٣٨٦	أسماء بنت أبي بكر : ١٣٢ ، ١٤٦
أغل (قبيلة) : ١٣	إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦
أوس بن سارقة : ٨١ ، ٨٦	الأسود بن قنان : ١٨٥
أيمن بن خرم الأسدي : ٢٤٣	أشجع السلي : ٢٩٨ ، ٣٠٨
أيوب بن القرية : ٣٨٤	٣٢٣ ، ٣٢١
(ب)	الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣
باهلة : ٤٤٢	٣١٨ ، ٣١٦ ، ٣١٥
بثينة (صاحبة حيل) : ٣٩٨	أعشى قيس : ١٩٧
بجيلة (قبيلة) : ١٧	أعشى عثمان : ٢٢٣
برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٨	أملعة بنت الحارث : ٧٩
بسر بن أرطاة : ١١٣	

(ث)

ثابت بن جابر = ثابت شرا

(ج)

جامع الحارثي : ٢٢٨

جعفر بن ربيعة : ٤٣ ، ٤٤

جذيمة بن الأبرش : ٨ ، ٦٣

جرير بن عطية الأنطقي : ٤١ ، ٤٢

١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٩

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٠٠ ، ٣٢١

جليلة بنت مرة : ٧٣

جميل بن مسر : ١٤٧ ، ٢١٨ ،

٢٣١

(ح)

حاتم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

حام : ٤٤٤

الحجاج بن علاط السلي : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٧٣ ، ٣٤

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن النضر : ٢٩٠

بكر بن وائل (قبيلة) : ١٢١

بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٢٨٠ ، ٤٠٩

بنو تميم الله : ٣٦٦

بنو نعلية : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيان : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٦٦

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نعيم : ٣٠

بنو هاشم : ٣٦٤ ، ٤٨٠

بنو يشكر : ٣٦٦

بهيصة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

ثابت شرا : ١٤

تميم بن عدى البرمكي : ٩٩

تميم (قبيلة) : ٩٩ ، ٤٤١

توبة بن الحوير : ١٢٩

داود بن حلي : ٢٨١
 درواس بن حبيب : ٢٧١
 دعبيل الخزاعي : ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣١
 (ذ)
 ذبيان بن ذبيان : ٤١٠
 القلقاء بنت الأبيض : ١٧٨
 ذهل : ٤٤٣
 (ر)
 الربيع بن رونس : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٠
 ربيعة الرقي : ٣٠٥
 رزين الخزاعي : ٣٢٩
 رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٨
 (ز)
 الزباء : ٦٢
 الزيرقان بن بدر : ١٠٥
 الزبير بن السوام : ١٠٩
 زوارة بن عدس : ٧٥
 زيد النخيل : ٢٨ ، ٨١
 زينب بنت حدير : ١٣٥

٢٩٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
 ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧
 حرة بنت النعمان : ٩٥
 حسان بن ثابت : ٢٠٠ ، ٣٥٤
 الحصين بن عمرو الكلابي :
 ١٣ ، ١٢
 الحطيئة : ٢٠٦
 حمودة بنت عيسى : ١٧٩
 حنيفة (قبيلة) : ٣٦٦
 حيان بن سلى : ١٩٩
 (خ)
 خارجة بن سنان : ٨٦
 خالد بن صفوان : ١٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٤١٣ ، ٢٦٦
 خالد بن مبدلة القسري : ٣٦٦ ، ٣٩٧
 خالد بن خطاب : ٣٢٢
 خالد بن الفضل : ١٧
 خالد بن يزيد : ٣٠٦ ، ٣٩٠
 خزاعة : ٤٤٢
 الخنساء : ٩٠ ، ٩٣
 الخيزران (أم الهادي والرشيد) : ١٦٥
 (د)
 دارمية الجعونية : ١١٩

سليمان بن عمار : ٢٧٩
 السليك بن السلكة : ٢٢
 سودة بنت عارة : ١١٢

(ش)

شبة بنت عقال : ٤١٣
 شريح بن الحارث : ١٣٥
 شرقى بن التظاى : ٥٧ ، ٥٤
 شظاظ (الص) : ٣٣
 الشمي : ١٣٥ ، ٢٧٢
 شوذب الحرورى : ٣٤٥
 شيبة بن ربيعة : ٩٠

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٨
 صخر بن عمرو : ٣١
 صخرة (أخت الحصين بن عمرو
 الكلاني) : ١٢
 صمصمة بن ناجية : ١٢
 صفية بنت عبد المطلب : ٩٢
 (ض)
 ضبة بن أد : ٩٠ ، ٤٤١

زئيب بنت سليمان : ١٦٦
 زئيب بنت يوسف (أخت الحجاج) :
 ١٥٨

(س)

سديف (مولى أبي العباس) : ٢٨٠
 سعد بن أبي وقاص : ٩٥
 سعد بن ضبة : ١٠
 سعد بن مرة بن جبير : ٢٧٣
 سميد بن جبير : ٣٧٩
 سميد بن خالد : ٢٤٦
 سميد بن سالم : ٤٢٨
 سميد بن ضبة : ١٠
 سميد بن عثمان : ٢٠٨
 سميد بن السيب : ٢٧٢
 سكينه بنت الحسين : ١٥٢ ، ١٤٧
 سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦٧
 سليم (قبيلة) : ٤٤٤
 سليمان بن عبد الملك (الخليفة) :
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٤ ، ٤١٠
 سليمان بن عبد الملك (نقى من بنى عباس) :
 ٣٤٥

عبد الله بن الحجاج: ٢٧٨
 عبد الله بن الحسن بن علي: ٢٧٦
 عبد الله بن الزبير: ١٣٢ ، ١٤٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢١٦
 عبد الله بن زياد: ٢٠٨
 عبد الله بن سعيد بن عبد الملك: ٤٥
 عبد الله بن صفوان: ٣٧٠
 عبد الله بن العباس: ٩٩ ، ٢٠٦ ،
 ٣٦٣ ، ٣٧٦
 عبد الله بن عمرو بن العاص: ٣٦٨
 عبد الله بن قيس الرقيات: ٢٢٢
 عبد الله بن المنقشر: ٤٦
 عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
 " جعفر: ٢٧٦
 عبد الملك بن صالح: ٤٢٢
 عبد الملك بن الفضل: ١٦٨
 عبد الملك بن مروان: ٤٠ ، ٤١ ،
 ٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٦ ، ٢٩٨
 عباس: ٤٤٢
 عبيد بن الأبرص: ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤
 عبيد الله بن زياد: ٢٠٨

ضرار بن القشاع: ٦٠
 (ط)
 طلحة بن عبيد الله: ١٠٩
 (ع)
 عائشة بنت أبي بكر: ٩٣
 عائشة بنت طلحة: ١٥٨
 حاسم بن عمر بن الخطاب: ٩٤
 حاسم بن جذيمة: ١١
 حامر بن القليل: ١٩٩
 حامر بن وائلة: ٣٧٦
 الحباس بن عبد المطلب: ٣٦٠
 الحباس بن المأمون: ١٧٨
 الحباس بن محمد بن علي: ٣٠٥
 عبد الرحمن بن الأشعث: ١٩٩ ، ٣٨٤
 ٣٨٥
 عبد الرحمن بن حبيب بن الحارثي: ٢٠٦
 عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح:
 ٤٢٢
 عبد الرحمن بن حنبل للزبي: ٤١٦
 عبد العزيز بن عمرو بن مروان: ٢٨١
 عبد العزيز بن مروان: ٢٤٠
 عبد الله بن أبي بكر: ١٣٤

عنبه بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠ ، ٣٦٨
 عثمان بن عفان : ١١٩
 عشة بنت مطرود : ٦٨
 السجفاء بنت عقبة السدي : ٧١
 عجل : ٤٤١
 عدى بن أرملة : ٢٤٨
 عدى بن الزبير : ٩٥
 عدى بن نصر : ٨
 عروة بن أذينة : ٢٥٩
 عروة بن الورد : ٨٤
 عزة (صاحبة كثير) : ٣٦٨
 عصام بن شهر : ٣٥٤
 علقمة بن عبدة : ٢٠٠
 علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٢
 علي بن جبلة : ٣٣٩ ، ٣٣٦
 علي بن الحسين (زين العابدين) : ٢٦٠
 علي بن محمد رافع : ٩٦
 علي بن محمد الملوحي : ٣٤٧
 علي بن موسى الرضا : ٣٣٢
 عكرشة بنت الأطرش : ١١٧
 حمزة بن حمزة : ٤٢٠
 حمز بن أبي ربيعة : ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٨
 ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢
 عمر بن الخطاب : ٩٤ ، ٣٦٣
 عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٣٤٥
 عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩
 عمرو بن الأهم : ٢٠٥
 عمرو بن براق : ١٧
 عمرو بن بسطام : ٢٦٨
 عمرو بن الحارث : ٢٠٠
 عمرو بن الشريد : ٩٠
 عمرو بن الصمص : ١٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
 عمرو بن حبيد الله : ٣٢
 عمرو بن حنبل : ٦٣ ، ٨١
 عمرو بن فروج : ٤٣٦
 عمرو بن مسعدة : ٣٢٧
 عنبه بن سعيد : ١٣٨
 عنزة : ٤٤٢
 (غ)
 النضبان بن القيمري : ٣٦٤

عنبه بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠ ، ٣٦٨
 عثمان بن عفان : ١١٩
 عشة بنت مطرود : ٦٨
 السجفاء بنت عقبة السدي : ٧١
 عجل : ٤٤١
 عدى بن أرملة : ٢٤٨
 عدى بن الزبير : ٩٥
 عدى بن نصر : ٨
 عروة بن أذينة : ٢٥٩
 عروة بن الورد : ٨٤
 عزة (صاحبة كثير) : ٣٦٨
 عصام بن شهر : ٣٥٤
 علقمة بن عبدة : ٢٠٠
 علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٢
 علي بن جبلة : ٣٣٩ ، ٣٣٦
 علي بن الحسين (زين العابدين) : ٢٦٠
 علي بن محمد رافع : ٩٦
 علي بن محمد الملوحي : ٣٤٧
 علي بن موسى الرضا : ٣٣٢
 عكرشة بنت الأطرش : ١١٧

كلب : ٤٤٤

كلثوم الثاني : ٤٣٣

الكيت الأسدي : ٢٧٤

(ل)

لحم : ٤٤٤

لقيط بن زرارة : ٧٥

ليل الأخيلية : ١٣٨ ، ١٢٩

(م)

لأموون (الخليفة) : ١٧٧ ، ٣٢٧ ،

٤٢٧ ، ٣٣٦

لؤلؤ بن أميل : ٢٨٧

مؤنس (منية) : ٣٤٤

مالك بن أنس : ٤١٥

مالك بن الربيع : ٣٢

مالك بن طوق : ٣١٠ ، ٣١٢

ماني للوسوس : ٣٤٣

التوكل (الخليفة الميموني) : ١٤٧

لثني بن حارثة : ٣٥٦

مجاة بن الأزهر : ٤١٧

محسن التميمي : ١٤٢

محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧

محمد بن أمية : ٣٢٥

محمد بن صالح : ١٧٩

(ف)

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨

الفرزدق : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٣٦٠ ،

٢٧٤

الفضل بن الربيع : ٢٦٣

الفضل بن يحيى : ٤٢٥ ، ٤٢٩

الفضل بن يزيد : ١٨٢

(ق)

القاسم بن عيسى = أبو دلف

قبيصة بن نعيم : ١٩٤

قراد بن إهاب : ٧٥

قريش (قبيلة) : ١٩٧ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قصير بن سعد : ٦٢

قضاة : ٤٤٣

قائمة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٥٢

قنبر (مولى علي بن أبي طالب) :

٣٦٢

قيس بن ثعلبة (قبيلة) : ٣٦٦

قيس بن خالد : ٧٦

(ك)

كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧ ، ١٥٤ ،

٣٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

- محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣
 محمد بن عبد الله بن عبد اللطاب
 (الرسول ﷺ) : ٨٩ ، ٣١ ،
 ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٢٠٥
 محمد بن عبد لك : ٤٣٥
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٨
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩
 محمد بن منذر : ٣٦٣
 مروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦
 مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
 ٤١٧ ، ٤١٦
 مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥
 مزينة : ٤٤٣
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٣٦
 مسلمة بن عبد الملك : ٤١٤ ، ٤١٢ ، ٢٧٠
 مصعب بن الزبير : ٢١٦
 مضر : ٤٤٣
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
 ٣٧٤ ، ٣٧٤
 للمتصد بن عباد : ٣٥١
 معقل بن عيسى : ٣٧٩
 ممن بن زائدة : ٤١٧
 للنفرة بن شعبة : ٩٨ ، ٣٦٦
 مفروق بن عمرو : ٣٥٦
 للنضر المدي : ٢١٢
 للنضر بن ماء السماء : ١٩ ، ٢٠ ،
 ٢١ ، ٧٦
 للنصور بن أبي عامر : ٤٣٨
 للنصور العباسي (الخليفة) : ٣٧٨ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،
 ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧
 منصور النمرى : ٣٠٨
 للهاجر بن خنّاش : ١٩٤
 للهاجر بن عبد الله : ٢٥
 للهدى العبّاسي (الخليفة) : ١٠٤ ، ١٦٦
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٢٠
 موسى شهوات : ٢٤٦
 (ن)
 النابتة الجمدى : ١٤٣
 النابتة القدياني : ٢٠٠
 ناهض بن ثومة : ٣٦

مندان : ٤٤٣	نجلح بن سلة ٤٣٦
مند بنت عتبة ٩٠	نجلحة بن الأسود ١٨٢
مند بنت النعمان : ٩٨	النعم : ٤٤٤
(و)	نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٢
وردان (غلام عمرو بن العاص) :	نصيب (العباسي الشاعر) ٢٩٦
٣٧٣ ، ٣٦٩	النعمان بن شريك ٣٥٦
الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٥	النعمان بن النضر ٣٥٤
الوليد بن حبة ٦٠	نوير ٤٤٢
الوليد بن يزيد ٢٧٢	النميري ١٥٨
وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥	نهد : ٤٤٣
(ي)	(هـ)
يحيى بن أكرم ٤٣٣	هارون الرشيد (الخليفة) ١٦٨ ، ٢٠٠
يحيى بن خالد ٤٢٤	٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤
يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤	هاني بن عروة للرازي ٣٧٢
يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤	هاني بن مسعود ٣٥٠
يزيد بن مزيد ٢٩١	هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٣٦٠
يزيد بن مفرغ ٢٠٨	٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣
يعقوب بن داود ٢٩٠	٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨
يوسف بن عمرو التقي ٢٦٢	هلال بن الأسمر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

فهرس الأماكن

فخ : ١٥٨	(د)	(١)
(ق)	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٣٠
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	(س)	(ب)
(ر)	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
محلة بنى فؤارة : ٤٥	سر من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
الحصب : ١٥٨	السند : ١٥٥	البصرة : ٤٩
للدينة المنورة : ٨٤	الساوة : ٩	بلن نمان : ١٥٨
المريد : ٤٩	(س)	بقة : ٦٢
مصر : ٣٢٩	الصالحة : ٣٢٢	(ج)
مكة : ٨٤	الصاب : ٤٨	الجوف : ٣٣
ملحوب : ٢٠	صفين : ١١٧	(ح)
منى : ١٥٨	(ط)	الحجون : ٤٦ ، ١١٩
منفوحة : ١٩٨	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
(هـ)	(ع)	حلب : ٣٦
هجر : ٤٠	العذيب : ١٨٧	الحيرة : ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٤
(و)	العتيق : ١٥٤	(خ)
الوعط : ١٧	عكاظ : ١٠ ، ٩٠	خراسان : ٣٢٣
(ي)	(ف)	خير : ٣٦٠
الجملة : ٢٥	قارع : ٩٢	(ذ)
		ذئوب : ٢٠

مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: لصلوى
الأطاني	: لأبي الترجي الأصفهاني
الأمالى	: لأبي علي التتالي
الأمالى	: للزجاجى
الأمالى	: للشريف المرتضى
الأوراق	: لصلوى
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : الألويس	
البيان والتبيين	: لصلاط
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
التفهيمات	: لبكرى
نمرات الأوراق	: لصلوى
جبهة أشمار العرب	: لأبي زيد النضائي
جبهة أمثال العرب	: لأبي حلال السكرى
خزانة الأدب	: للبندادى
ذيل الأمالى والنوادر	: لأبي علي التتالي
ذيل زهرة الآداب	: لصلوى

ذيل نمرات الأوراق :	لعمري
الروض الألف :	لسميل
زهر الآداب :	لعمري
شرح العيون :	لاين نبأة للمصري
السيرة النبوية :	لاين هشام
سيرة حمير بن عبد العزيز :	لاين عبد الحكم
شرح ديوان الجليلة :	للرحمن
شرح سجع البلاغة :	لاين أبي الحديد
الشعر والشعراء :	لاين قتيبة
صبح الأمل :	للقشتندى
طبقات الشافعية :	لسبكي
عصر للأمن :	للككتور فريد رطامى
العقد الفريد :	لاين عبد ربه
العقد الفريد لذلك السيد :	لأبى سالم محمد بن أبى طلحة
عين الأدب والسياسة :	لأبى حسن على بن هذيل
عيون الاخبار :	لاين قتيبة
غرر الخصائص الواضحة :	لأبى إسحاق الوطواط
الفرج صد الشدة :	للتنوخى
فوات الوفيات :	لاين شاكركى
الكامل فى التاريخ :	لاين الأمير
الكامل فى الأدب :	للبيروني
جمع الأمثال :	للبيدائى
البحاسن والأضداد :	للجاحظ

المخاضن والساوى	: البيهقى
محاضرات الأبرار	: لاين عربى
لياب الآداب	: لاين مقذ
مروج الذهب	: للسودى
الستطرف فى كل فن مستظرف	: للأبشيلى
مملوح المشق	: لأبى جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الخوى
معجم البلدان	: لياقوت الخوى
مملعده التصحيح	: ليدر الدين البامسى
مذهب الأتاقى	: للشيوخ الخضرى
للوشح	: للرزبان
فتح الطيب	: للقرى
نهاية الأرب	: للتورى
وفيات الأعيان	: لاين خلكان

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزخشري
أشعار النساء	: للرزباني
الأعلام	: خليل الدين الزركلي
تاج المروس	: للزبيدي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للزخشري
تصوير النقيب	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الأمل من كتاب الكامل	: للرسفي
شرح ديوان الخلة	: للرسفي
شرح الأمالي	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضي
فهرس خريطة للمالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للتيروز أبادي
لسان العرب	: لابن منظور
مراسد الاطلاع	: لابن عبد الحق البندادي

للشعبه	: لقهى
للعارف	: لايين قيبه
مجمع اليهان	: ليقوت
وفيات الأعيان	: لايين خلكان

